منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس



موسوعة الأنبا غريغوريوس

٥- اللاهوت الطقسي

للمتنيح الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمي

موسـوعة الأنبا غريغوريوس

٥ - علم اللاهوت الطقسى

بقلم

الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمى



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقدمة

هذا هو الجزء الخامس من موسوعة الأنبا غريغوريوس ويحتوى مجموعة مذكرات فى اللاهوت الطقسى، كتبها المتنيح الأنبا غريغوريوس (الدكتور وهيب عطا الله جرجس) بعد تعيينه معيداً بالكلية الإكليريكية فى عام ١٩٤٤.

وقد أشار لذلك صاحب القداسة البابا شنوده الثالث، فى كلمة وداعه الأخير فى أكتوبر ٢٠٠١، فقال غبطته: «بدأ التدريس فى الكلية الإكليريكية، ودرّس مواداً جديدة لم ينافسه فيها أحداً، فكان يُدرس اللاهوت الأدبى، وكان يدرّس الفلسفة، وله مؤلف كبير فى اللاهوت الأدبى وفى الضمير والمسئولية الأدبية، ... وله كتب فى الفلسفة بكل أنواعها.. ، كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم...، من أساتذة الإكليريكية من هو متخصص فى الكتاب المقدس، ومن هو مختص بالعقيدة، ومن هو مختص بالقانون، .. **فى الطقس** إلى آخره، ولكنه كان يشمل كل هذه العلوم معاً..».

واستمرت تطبع هذه المذكرات بنظام الماستر، أى لا يزيد عدد الطبعة عن خمسمائة نسخة، ويعاد طبعها تباعاً حتى الآن.

ورأينا أن نعيد طباعتها بطريقة أفضل، بعد إعادة تجميعها وتبويبها فى مجلدات، مع إضافة كثير من الموضوعات والأسئلة المختلفة مع إجاباتها، وفى هذا الجزء جمعنا كل ما كتب فى اللاهوت الطقسى، وهناك كثير من الأسئلة فى الطقوس التى تباشر مع أسرار الكنيسة السبعة رأينا أن نضيفها على الأسرار ليكون كل سر متكامل مع أسئلته، وسنفرغ لها جزءاً من الموسوعة بإذن الله.

وسنفرد أجزاء أخرى لتضم سير من شخصيات الكتاب المقدس، والقديسين، واللاهوت العقيدى، والموضوعات الروحية، والكنسية، والعامة، وذلك بعد تبويبها، بحيث تشمل أجزاء هذه الموسوعة كل كتابات المتنيح الأنبا غريغوريوس التى لم تنشر أو نفذت بعد نشرها.

وذلك لكى نوسع دائرة الاستفادة منها للجميع، كما نحمى هذا التراث من الضياع، ولتأخذ هذه المطبوعات رقم إيداع لحمايتها من النشر عن أى طريق آخر غير مكتبة الأنبا غريغوريوس، التى تكرم مشكوراً صاحب الغبطة والقداسة البابا شنوده الثالث، وخصص لها مكاناً بالدور الثالث بمبنى الأنبا رويس بالبطريركية الجديدة بالعباسية.

ونشكر الله الذى أنمى هذه البذرة التى أثمرت حتى الآن خمس ثمرات، وهو قادر أن يكمل هذا المشروع ويكلله بالنجاح، بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم **الأنبا شنوده الثالث**، أدام الله لنا حياة قداسته، ومتعنا الرب برئاسته للكنيسة ولنا، أباً وراعياً، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعاً بكامل الصحة والعافية ونفعنا الرب ببركة صلوات قداسته.

الإكليركى

منير عطية

صفحة

١- فهرس الموضوعات

موضوعات وإجابات على أسئلة

علـــــــم
اللاهـــــــوت الطـــقـــسى

مـــقدمـــة

معنى كلمة طقوس:

الطقوس جمع لكلمة طقس، والطقس كلمة تــرجع فى إشتقــاقها اللغوى إلى الكلمــة اليونانيــة τάξις ومعناها ترتيب أو نظام، وبهذا المعنى أُستعملت كلمة «طقوس» فى الكنيسة المسيحية، حيث تعنى بها الترتيبات والنظم الروحية التى يجب مراعاتها فى العبادة المسيحية. ويسمى العلم الباحث فى هذه الترتيبات والنظم الروحية بعلم اللاهوت الطقسى.

حاجتنا إلى الطقوس، أو الأسس الفلسفية والسيكولوجية التى تقوم عليها فكرة الطقوس

أولاً: من حيث هى نظام وترتيبات:-

وتظهر أهمية الطقوس ووجوه الحاجة إليها من أنها نظام وترتيب. والنظام أمر طبيعى لا يستقيم أمر ما بدونه، فكل شئ نافع ومفيد لابد من أن يتوفر فيه النظام. وهذه هى سنة الله فى الخليقة، بل الشرط العام الجوهرى لجميع أعمال البشر حتى تكون أعمالاً نافعة وتحقق أغراضها التى ترمى إليها. إذ عندما يختل النظام فى ناحية من نواحى الحياة المادية أو الروحية أو الإجتماعية أدركها الخلل والفساد.

(١) النظام فى الطبيعة:

ما أجمل النظام والترتيب الذى نراه سائداً فى الطبيعة: فالأفلاك تجرى فى مساراتها وفق نظام بديع لا تتخلف عنه، وتخضع فى حركاتها لقوانين صارمة غاية الصرامة لا تخرج عنها، من حيث حتمية وقوعها فى أزمنتها المحدودة. فنظام الكون نظام كامل بهر الفلكيين حتى أنهم آمنوا جميعاً بالله، الذى لم يدع شيئاً يفلت من صرامة هذا النظام، وإلا أصاب الكون الدمار والفناء وقد اتخذ اللاهوتيون والفلاسفة هذا النظام السائد فى الكون دليلاً قوياً وبرهاناً يقيناً على وجود الله.

(٢) النظام فى جسم الإنسان:

وليس ينكر أحد ذلك النظام الذى يشاهد فى عالم الأحياء من نبات وحيوان وإنسان. فهذا الجسم الحى يتألف من أجهزة عدة: جهاز هضمى، وجهاز تنفسى، وجهاز دموى، وجهاز بولى، وجهاز تناسلى، وجهاز عصبى... إلخ وكل جهاز من هذه الأجهزة يتألف من أعضاء لكل منها عمل خاص. وكل عضو يتركب من أعضاء أصغر منه. وهكذا يكون كل جهاز أشبه ما يكون بمملكة عظيمة غاية فى النظام: كل فرد منها يقوم بعمل خاص لا يقوم به غيره، وإن توقف هو أصاب الجسم كله الإختلال والإرتباك. وسائر الأجهزة تخضع للجهاز العصبى، والجهاز العصبى يتألف من جهازين: سفلى، وعلوى. والسفلى يخضع للعلوى، والعضو الأعلى للجهاز العلوى هو المخ، وهكذا نرى نظاماً متناسقاً وترتيباً بديعاً فى جسم الكائن الحى. وعلى هذا النظام تتوقف حياة الكائن وقيامه بوظائفه الحيوية.

(٣) النظام فى العقل:

على أن النظام فى الكائن الحى والذى يتمثل بصفة خاصة فى جسم الإنسان بإعتباره أكمل وأرقى الكائنات الحية، يتمثل كذلك فى العقل الإنسانى الذى يتألف من قوى وملكات مختلفة لكل منها عمل خاص: إما التفكير أو التخيل أو التذكر، أو التعليل ... إلخ، ثم أن كل ملكة من هذه الملكات لا تقوم بعملها إلا تبعاً لقوانين ونظم معينة يسير عليها العقل فى تذكره أو تفكيره أو تعليله. هذا وإن العقل لا يستطيع أن يتقبل المعلومات إلا مرتبة منسقة منظمة، وعلى قدر نظامها يكون مبلغ إنتفاعه منها، فإذا لم يتوفر لها هذا النظام، كان على العقل مهمة أخرى وهى أن يتولى تنظيمها فى الخارج قبل أن يتقبلها فى داخله. ومعنى هذا أن النظام أمر لابد منه فى حياة الإنسان، جسماً وعقلاً.

(٤) النظام فى البناء:

فالبيت يتألف من طين وطوب وأحجار وأخشاب وزجاج وحديد ونحاس. ومع ذلك فلا توضع معاً لكى يخرج منها البناء، بل لا بد من أن يوضع كل شئ فى موضعه، كما أنه فى البناء يقوم المقاول بعمل يختلف عن عمل المهندس. والبنّاء يعمل غير عمل النقّاش أو النجّار ... إلخ وإذن فلكل شخص ممن يشتغلون أو يشتركون فى البناء بعمل خاص به لا يقوم به غيره، ومنهم جميعاً يتألف عمل البناء. ثم إن البيت نفسه لابد أن ينظم ويقسم فى الداخل على أساس

الأغراض المختلفة التى يجب أن تخصص لها الحجرات المختلفة: فمنها ما هو خاص بالنوم، أو بالضيافة أو بالطعام، أو بالدراسة أو بدورة المياه. أى أن النظام لا غنى عنه فى تأسيس البيت وعمارة المنزل وسائر الأبنية والمساكن والمعاهد والمستشفيات والملاجئ ومختلف الدور.

(٥) النظام فى الجيش:

لعله من أبرز الصفات الهامة التى يجب أن تتوفر فى الجيش الناجح هى صفة النظام. فمهما كانت العدد، ومهما كان العدد، فلا بد من توافر النظام إذ بدونه لا يمكن أن يتم النصر. والنظام شرط أساسى فى توفيق الجيش. والنظام فى الجيش معناه أن لكل فرد عملاً خاصاً: ففى الجيش قائد أعلى، وقواد صغار، وضباط كبار، وضباط صغار، ثم جنود، وبين هؤلاء وأولئك درجات تختلف وفقاً لها الإختصاصات والأعمال. والجنود أنفسهم يقومون بأعمال مختلفة وفقاً للنظام العام للجيش. ولابد لكل فرد فى الجيش أن ينتبه إلى عمله ولا يقحم نفسه فى إختصاص غيره، بل يتلقى الأمر ممن هو أعلى منه. فالنظام ضرورى فى الجيش ولازم جداً لنجاحه.

(٦) النظام فى المجتمع:

ولسنا نستطيع أن نعدد النواحى الكثيرة فى المجتمع والتى يتوقف نجاحها على النظام، فالعلوم لم تتقدم إلا على أساس تقسيمها وتنظيمها وتخصص العالم فى فرع واحد من هذه الفروع. كما أن الأعمال المختلفة التى تقوم بها المصالح الحكومية أو الشركات: كلها لابد أن يتوفر فيها النظام، سواء فيما يتعلق بتقسيم العمل على الأشخاص وفقاً لمؤهلاتهم وميولهم وإستعداداتهم، أو فيما يتصل بإدارة العمل وصلة صغار الموظفين برؤسائهم... إلخ، وبالإجمال، فإن كل عمل فى الحياة يقوم به الطالب أوالعامل، أو الموظف سواء كان صغيراً أو كبيراً، رئيساً أو مرؤوساً. لابد أن يتحقق فيه النظام ويتوفر فيه الترتيب، وإلا يصيبه الفشل وعدم النجاح.

(٧) النظام فى الكنيسة:

فإذا كان النظام شرطاً أساسياً لنجاح الأعمال وهو الطابع الإلهى الذى طبع به الكون فى إجماله وتفاصيله، فكيف لا تكون الكنيسة وهى ملكوت الله فى الأرض، منظمة منسقة؟؟ وكيف لا تجرى فى شتى شئونها على نظام وترتيب يتفق مع مشيئة الله المقدسة؟

إن كان النظام ظاهرة فى الخليقة الجامدة، فكيف لا يكون فى الخليقة الناطقة؟ وإن كان فى جسم الإنسان فكيف لا يكون فى جسم المسيح أى الكنيسة؟ وإن كان العقل لا يقتبل المعرفة إلا

على أساس النظام، فكذلك ومن باب أولى حقائق الروح لا تنفذ إلى الأعماق إلا على أساس النظام. وكما أن البناء يسوده النظام فالكنيسة بيت الله وبيت العبادة يلزمه فى بنائه النظام، وإذا كان الجيش لا يتقدم ولا ينجح إلا بالنظام كذلك جيش الخلاص وهو كنيسة المسيح لابد فيها من النظام. وأخيراً فإن كان كل عمل فى المجتمع يجب أن يكون منظماً، فبالأولى مجتمع المؤمنين ذوى المواهب المختلفة، يجب أن يتوفر فيه النظام.

فإذا كانت الطقوس نظماً وترتيبات روحية، فهى أمر لا مفر منه فى كنيسة المسيح. وقد أبان الله عن ضرورة النظام فى كنيسته وشدد على وجوب اتباعه ... ففى **العهد القديم** ... جعل الكهنوت محصوراً فى سبط لاوى، وجعل الكهنة محصورين فى بنى هرون «والأجنبى الذى يقترب يقتل» ولا يترك الحرية لشعبه فى طريقة العبادة، بل جعل لها أى للعبادة نظاماً خاصاً ومكاناً خاصاً اشترط فى بنائه نظاماً خاصاً، وأمر موسى بوجوب مراعاته، وهكذا كانت كنيسة العهد القديم تجرى بموجب طقوس ونظم معينة أبانها الله فى سفر الخروج. ابتداء من الإصحاح الحادى والعشرين ثم كرس لها سفر اللاويين بتمامه، وجزءاً من سفر التثنية.

وفى **العهد الجديد** ... نرى الحرص على النظام واضحاً فى تصرفات السيد المسيح وتصرفات رسله الأطهار... فالسيد المسيح عندما كان يوزع الخبز على الجماهير، كان يأمر تلاميذه بأن يجلسوهم متكئين، خمسين خمسين، وفى هذا يظهر أن الرب يشترط النظام لتوزيع مواهبه السمائية، هذا النظام الذى يبدو أولاً فى طريقة الجلوس، وثانياً فى نظام التوزيع (١).

وقد كرس القديس بولس الرسول فصولاً بتمامها، وعلى الأخص فى رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس، ليحث فيها المؤمنين على مراعاة النظام والترتيب فى العبادة، وكان يوبخهم على الفوضى قائلاً: «أم تستهينون بكنيسة الله ... ليكن كل شئ بلياقة وبحسب ترتيب» (٢)، ولما لم يسعهم أن يكلمهم عن كل شئ، قال فى نهاية الأمر: «وأما الأمور الباقية، فعندما أجئ أرتبها» (٣) .... كذلك كتب فى رسالتيه الأولى والثانية إلى كنيسة التسالونيكيين يحذرهم من مخالطة الذين يريدون أن يعيشوا بلا نظام أو ترتيب، فيقول فى رسالته الأولى: ونطلب إليكم أيها الأخوة، أنذروا الذين بلا ترتيب» (٤)، ويقول فى رسالته الثانية «ثم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب، وليس حسب التقليد الذى أخذه منا» (٥).

(١) راجع إنجيل مارلوقا، الفصل التاسع ابتداء من عدد ١٤.

(٢) ١ . كو ١١ : ٢٢، ١٤ : ٤٠. (٣) ١ . كو ١١ : ٣٤.

(٤) ١ . تس ٥ : ١٤. (٥) ١ . تس ٣ : ٦.

ومجمل القول، أن الله يشترط لسياسة كنيسته فى العهدين القديم والحديث، النظام والترتيب، ويأبى أن تكون كنيسته فوضى بلا نظم أو قوانين تضبطها: «لأن الله ليس إله تشويش ، بل إله سلام » (١).

وإذا كانت النظم ضرورية ضرورة طبيعية، وهى دليل وجوده تعالى وطابع تدخله فى سياسة الكون وتدبير الإنسان والحيوان والنباتات والجمادات، فإن الطقوس بوصفها نظم الكنيسة ثم ترتيباتها الروحية، لازمة وضرورية لفائدة المؤمنين ولتدبير الكنيسة ولنمو الحياة الروحية، بحيث أن الديانة إن خلت من الطقوس والنظم خلت من أصبع الله، ولم تعد مناسبة لعبادة الله.

ثانياً: من حيث أن الطقوس ممارسات خارجية للعقائد الإيمانية: -

إن العقيدة أو الإيمان ثقة باطنية بحقيقة روحية غير مادية. فالحقيقة الروحية تشعر بها النفس شعوراً باطناً، وتثق بوجودها، وتؤمن بصحتها، ولكن الديانة ليست مجموعة حقائق باطنية ومشاعر داخلية فقط، وإلا بقيت أموراً خفية لا يستطاع العلم بها ولا نقلها إلى الآخرين، بل هى أيضاً ممارسات خارجية مبعثها الدوافع الباطنية والحقائق الإيمانية. وهذه الممارسات الخارجية هى الطقوس. فالطقوس إذن هى الممارسات الدالة فى مظهرها على البواطن الإيمانية. فتصديقك بوجود الله عقيدة ولكن اعترافك به جهراً وعبادتك له ليس عقيدة وإنما طقس، ولذا تسمى الصلاة والصوم، والصدقة، طقوساً. كما أن إيمانك بالتناول أنه بذاته جسد الرب ودمه هو عقيدة. أما صلوات القداس من أجل الاستحالة، ثم تقدم المؤمنين بالفعل إلى هذا السر الطاهر، تعتبر كلها طقوساً. فالطقوس إذن نظم روحية وترتيبات دينية كنسية يؤديها المؤمن فى الظاهر معلناً بذلك حقيقة إيمانه وتصديقه بالديانة وطاعته لله وخضوعه لوصاياه ونواميس كنيسته.

ولما كانت الديانة الحقيقية تقوم على الأساسين : الباطنى، والظاهرى، وكانت الطقوس هى هذه التعبيرات الظاهرة عن العقائد الإيمانية الباطينة ، فمن ثم يلزم أن تكون للديانة طقوس، بحيث أن ديانة بلا طقوس ديانة ناقصة أو قل ليست ديانة على الإطلاق.

ثالثاً: من حيث أن الطقوس تعبيرات ظاهرية عن الميول العقلية والانفعالات النفسية، بموجب الرابطة الطبيعية بين الروح والجسم: -

وثمة رابطة طبيعية بين الروح والبدن، هى رابطة اتحاد طبيعى، بين عنصرى الإنسان، بحيث إذا تلبست الروح بانفعال نفسى باطنى أو ميل واتجاه عقلى، لابد أن يبدو هذا الأثر على البدن. فالميول العقلية أمور باطنية خفية لكن عندما تتأثر النفس بها، يظهر تأثيرها على الجسم

(١) ١. كو ١٤ : ٣٣.

كذلك. فإذا كنت فرحاً، فالفرح الباطنى لا يمكن أن ينحصر فعله فى الباطن. بل يظهر حتماً على محياك وقسمات وجهك ونظرات عينيك وربما على حركات يديك أو رجليك، ونشاط جسمك كله. وكلما كان الفرح عميقاً لم يستطع المرء أن يضبط حركاته التعبيرية الدالة على انفعال الفرح، وكان من المتعذر عليه أن يحتفظ بشعور الفرح مكبوتاً فى نفسه بحيث لا يظهر فى الخارج.

وعلى العكس من ذلك، إذا صدمك خبر أليم، فإن حزن نفسك الباطنى يتمثل ظاهرياً فى انقباض وجهك وضمور جسمك ومنظر عينيك الدامعتين أو الجامدتين وفى حركات جسمك الهادئة الحزينة، وصوتك الخافت المنخفض وامتقاع لونك.

وما نقوله عن انفعالى الفرح والحزن، نقوله كذلك عن انفعال الخوف مثلاً: فمع أنه شعور باطنى لكنه يبدو فى نظرات الذعر والارتعاب التى تنظر بها إلى كل شئ حولك، ثم ارتعاد جسمك واضطراب حركاته، وتلفتك المباغت إلى كل شئ يثير انتباهك وربما قادك الخوف إلى سلوك الهرب.

وإذن فالميول العقلية والانفعالات النفسية تتمثل ظاهرياً فى دلالات تعبيرية حتى أنه نستطيع بهذه الدلالات أن نحكم على الانفعالات النفسية الباطنية : فإذا رأينا رجلاً يصرخ توقعنا أنه متألم أو مريض، وإذا سمعناه يزفر ويتنهد حكمنا بأنه حزين أو متضايق ... يقول الكتاب: « من منظره يعرف الرجل، ومن استقبال الوجه يعرف العاقل. لبسة الرجل ، وضحكة الأسنان، ومشية الإنسان، تخبر بما هو عليه » (١).

أما إن قيل ألا يمكن أن يظل الانفعال مكتوماً؟ قلنا إذا كان انفعالاً حقيقياً فلا يمكن أن يظل مكتوماً، لأنه مهما كان الانفعال أولياً وبسيطاً فلا مفر من ظهور علامات على الجسم نعم قد لا يستطيع رجل ضعيف الملاحظة أن يراقبها نظراً لعدم وضوحها الوضوح الكافى لكنها على كل حال علامات ظاهرية.

ومهما يكن من شئ فالنسبة مطردة بين الانفعالات النفسية والدلالات التعبيرية، كلما كانت الانفعالات قوية عنيفة كانت الدلالات جلية واضحة. فإذا كانت الدلالات بسيطة باهتة فالانفعالات ضعيفة خافتة أيضاً.

إذا كان ذلك كذلك. فقد انبنى عليه أنه عندما يشعر المرء شعوراً حياً بمحبة الله، فإنه يذكره على الدوام ويناضل عن حقيقة وجوده وعميق حكمته وشامل عنايته، ولابد أن يتمثل هذا الحب

---

(١) يشوع بن سيراخ ١٩ : ٢٦، ٢٧.

فى إقباله على الكنيسة بشغف وحرارة، وفى مواظبته على الصلاة والصوم وتقديم العطايا والعشور والنذور، وفى محبته لمكان العبادة، بل وللكهنة والشمامسة، وكل ما يتصل بالله أو ينتسب إليه حتى أوانى الكنيسة وأدواتها ومقاعدها وسائر ما فيها، فيهتز قلبه بالحب كلما ذكر اسم الله أو الكنيسة وما ينتسب إليهما.

وكذلك شعور الخشية والاحترام لله، يبدو فى مظهر الورع والاحتشام فضلاً عن الأدب الجم والسكون الرائع الذى يلتحق به العابد فى بيت الله، وهو الذى يدعوه إلى أن يخر ويسجد أمام الهيكل المقدس، وكلما ذكر اسم الثالوث المقدس: بل ويدعوه إلى احترام وتوقير كل ما ينتسب إلى الله، فهو يوقر الكاهن لأنه رسول رب الجنود، ويلثم يده تبركاً وخشوعاً لله الذى يوقره فى شخص كاهنه بل ويلثم مقدساً كل المقدسات من أغطية وستائر وأوانى مقدسة، وصور وأيقونات للسيد المسيح، والقديسين.

فإذا كان ثمة إنسان يقول أنه يشعر بالحب والخشوع والاحترام ولكنه لا يعبر عن هذه المشاعر الباطنية بطقوس ظاهرية، فذلك يرجع إما إلى تكلف واصطناع .... كبرياء من الإنسان أو خجلاً منه، وإما إلى فقدان العاطفة الدينية وبرود المحبة وروح التقوى أى أن احساسه بالخشوع لم يكن احساساً حقيقياً، أو كان احساساً ضعيفاً فاتراً، أما أن يكون هناك احساس بالورع والخشوع والحب ولا يظهر فى الخارج فهذا مستحيل قطعاً، إذ أن ما يسرى فى النفس لابد أن ينتقل إلى الجسم.

ومعنى هذا أن الميول العقلية والانفعالات الروحية لا يمكن إلا أن يعبر عنها فى الخارج، ولابد أن تتمثل فى سلوك ظاهرى هو الذى نسميه بالطقوس. وإذن فما دامت هناك مشاعر دينية فلابد من طقوس تعبر عنها بموجب الرابطة الطبيعية بين النفس والبدن، والديانة التى تزعم أنها روحية بحتة، بمعنى أنها فى غنى عن الطقوس تحكم على نفسها بأنها ديانة ضعيفة لم تستطع أن تؤثر على الروح تأثيراً كبيراً يظهر فى ممارسات خارجية ودلالات تعبيرية بل وتحكم على نفسها بأنها ليست ديانة مناسبة لبشر يتألفون من روح وجسد، بل وليست مناسبة حتى لملائكة، لان الملائكة فى السماء يعبدون الله فى طقوس (إذ يخرون ويسجدون أمام الحى إلى أبد الآبدين ويسبحون على الدوام صارخين بالأنغام الشجية، والتسابيح السماوية قائلين: قدوس، قدوس قدوس.... إلخ.

رابعاً: من حيث أن الطقوس مباشرات خارجية تنقل الأثر الروحى إلى النفس الباطنية عن طريق الحواس:

وكما أن الارتباط الطبيعى والاتحاد الخلقى بين الروح والجسم يجعل الجسم يتأثر بما تنفعل به النفس، كذلك هذا الارتباط عينه، من شأنه أن يجعل النفس تتأثر بما يدخل إلى الجسم عن طريق الحواس. فالحواس أبواب المعرفة، وهى التى تنقل العالم الخارجى إلى بواطن نفوسنا وتجعلنا نحس ونتأثر باطنياً بما نحسه خارج نفوسنا. ونحن قد نحزن أو نغضب أو نفرح لرؤيتنا منظراً أو شخصاً: فنفرح إذا وقع بصرنا على صديق، أو لأننا رأينا واقعة ما أدخلت السرور على نفوسنا، أو نغضب إذا رأينا شخصاً نمقته، أو شخصاً يسلك بما لا يليق، وهكذا قد يتولد فينا انفعال الخوف نتيجة رؤيتنا لعدو قادم أو لوحش ضارى. وقد نلتذ لمذاق طعام جميل أو نتقزز من منظر قبيح أو لمذاق طعام ردئ. وقد نسر من نعومة الشئ أو نتضايق من خشونته، وبالاجمال فإن ما تنقله إلينا الحواس الخمس: من بصر وسمع وشم وذوق ولمس، ينتقل إلى أعماق النفس ويثير فيها انفعالات القبول أو انفعالات النفور. ولعل أعظم هذه الحواس أثراً فى حياتنا حاسة البصر.

إذا كان الأمر كذلك، فإن رؤيتنا المسيح معلقاً على عود الصليب والدم يقطر من جنبه الطاهر ويداه ورجلاه مسمرات داميات، تفعل فى النفس فعلاً عجيب، فتثير فيها انفعالات الألم والحزن وتولد فيها عواطف الحب والحنو والاشفاق والعدالة. وربما كانت صورة فنية رائعة أعظم أثر فى نفوس الناس جميعاً من ألف عظة من أقدر واعظ. ولذا تحرص الكنيسة المقدسة على تمثيل حوادث الآلام بطريقة مادية محسوسة ملموسة، تبصرها العين فتنفعل النفس بأعمق مشاعر الحزن والألم، فأى إنسان، يرى الكنيسة مجللة بالسواد مطرودة خارج المحلة ، وقد خلع الكهنة والشمامسة ملابس البهاء والتحفوا بملابس الحداد، ألا ويدرك حقيقة الألم فى نفسه، وكلما عنيت الكنيسة بتمثيل هذه الحوادث بمظاهر الحشمة والحزن كان أثرها فى النفوس عظيماً وعميقاً.

وما نقوله عن الصور والأيقونات، وأسبوع الآلام ومختلف الطقوس فى الأصوام والأعياد، نقوله أيضاً فى ممارسة أسرار الكنيسة السبعة. فمع أن هذه الأسرار نعم سماوية ومواهب إلهية لكنها تعطى لنا بصورة محسوسة تكون كافية لإيقاظ حواسنا العقلية وتنبيه مشاعرنا الروحية إلى الحقيقة الإلهية والنعمة السماوية، التى ننالها بهذا السر الإلهى، ففى المعمودية لابد من التغطيس فى الماء وفى الميرون ومسحة المرضى لابد من المسح بالزيت، وفى التناول يأكل المؤمن جسد الرب ودمه تحت أعراض مادية محسوسة هى الخبز والخمر، وفى الزواج لابد من الرباط والإكليل على هامتى العروسين، وفى التوبة والكهنوت لابد من وضع اليد، للحل أو للسيامة، وهكذا تنتقل الفكرة الروحية عن طريق صورة مادية، فتثق النفس بأن مع تقدمها للصورة

المنظورة تنال نعمة غير منظورة: قال القديس يوحنا ذهبي الفم «أيها المسيحى، لو كنت عارياً عن الجسد، لكانت عطايا الله تمنح لك على هذا النمط. ولكن حيث أن نفسك متحدة بجسدك. فلزم أن الله يعطيك بعلامات محسوسة ما لا يدرك إلا بالعقل» قال أيضاً «هكذا فى المعمودية أيضاً، فبالشئ الحسى تحصل منحة الماء، وأما المتمم فعقلى: أعنى الولادة والتجديد».

وليس البصر هو الحاسة الوحيدة التى تنقل إلى النفس صور العالم الخارجى لتثير فيها انفعالاتها الباطنية، ولكن السمع والشم والذوق واللمس، كلها تشترك فى هذه المهمة الجليلة، وإن كان نصيب البصر فيها أكبر وأعظم. أما السمع: فليس بخاف أثر الموسيقى فى نفس الإنسان سواء كانت موسيقى صوتية أو موسيقى آلية: كيف تحصل الموسيقى، حتى لو لم تكن معانيها مفهومة، كل من يسمعها على أن يتأثر بشجى أنغامها. لهذا كانت عناية الكنيسة بالموسيقى الدينية، فهى طريقة مناسبة لنقل روح الديانة إلى قلوب الناس ونفوسهم بما تنقله إليهم عن طريق آذانهم أو حاسة السمع. وهكذا يفعل البخور بحاسة الشم، ويفعل التناول بحاسة الذوق، وتفعل لمسة المؤمن فى تقبيل أعتاب الهيكل أو المذبح أو صور المسيح وقديسيه، أو أيدى الكهنة من أساقفة وقسوس وشمامسة.

فمن الخطأ البين أن يتجاهل الإنسان طبيعته، فيظن أنه عقل محض لا يتأثر إلا بالكلام والوعظ والإرشاد، وينسى أنه إنسان له حواس تتأثر بما يقع عليها من محسوسات بأعظم مما يتأثر العقل بما يقتبل من كلمات. ولقد مضى الوقت الذى كان الناس يظنون فيه أنهم عقول بحتة، لا ينفذ إلى نفوسهم شئ ما لم يمر على العقل أولاً. كلا فكل ما فى الإنسان من حواس هى أبواب تنفذ منها المؤثرات الخارجية على النفس البشرية ولم ولن يوجد ذلك الإنسان الذى يعيش فى الحياة بعقله، ولا يتأثر بمؤثرات تنقلها إليه العين أو الأذن أو اليد أو سائر الحواس.

وإذن فلابد للديانة التى تروم أن تشبع حاجة النفس الإنسانية من طقوس تؤثر على الحواس فتنتقل إلى النفس فتثير فيها انفعالات وعواطف ملائمة. وكل ديانة تخلو من الطقوس هى ديانة ميتة خالية من كل حياة، وكل فكرة ترمى إلى تخليص الديانة من طقوسها هى فكرة خبيثة هدامة، تهدف إلى القضاء على روح الديانة.

خامساً: من حيث أن الطقوس تقرب إلينا حقائق الديانة العالية:

ليس من شك فى أن حقائق الديانة المسيحية سامية عالية عن العقول والأفهام البشرية، ولا يمكن للعقل أن يستوعب هذه الحقائق مجردة عن طقوس تقربها إليه وتجعلها قريبة من فهمه.

ومثل حقائق الديانة فى ذلك مثل سائر حقائق العلوم والمعارف الإنسانية، فإنه لا بد فيها من الصور الحسية التى تقرب إلى ذهن الإنسان الحقائق التى لا يستطيع أن يصل إليها مجردة عن هذه الصور الحسية. ففى الهندسة نستعين بالرسوم الدقيقة على السبورة أو فى الكتب لنمكن التلاميذ من تصور النظريات الهندسية. وكذلك الحال فى علم الجغرافيا نستعين بالمصورات الجغرافية، والخرائط المكبرة أو المصغرة والرحلات فإنها تقرب إلينا ما لا نستطيع أن نتوصل إليه بمجرد الفكر، وفى علم الطبيعة نستعين بالنماذج لفهم خواص المادة وطبائعها ولابد من التجارب فى علوم الصوت والضوء والحرارة والمغناطيسية والكهربائية ، وفى علم الكيمياء لا بد من المعمل لاختبار صحة الحقائق التى وصل إليها العلماء، وهكذا فى علوم النبات والحيوان لا بد من التشريح والاستعانة بالمصورات والرسوم والنماذج بل وآلات السينما والفانوس السحرى حتى يمكن تقريب الحقائق بصورة مقبولة ومفهومة. وذلك لأن الحقيقة العالية لابد أن تربط بصورة حسية تجعلها فى متناول الإنسان، والأمر كذلك فى حقائق الديانة، لابد فيها من الصور المقربة فنستعين بالصور والأيقونات، للسيد المسيح ورسله وسائر القديسين حتى نستطيع أن نتصورهم فى عقولنا، ونقترب إلى التاريخ أو يقترب التاريخ إلينا، وحتى نستطيع أن ندرك ما تتصفوا به من فضائل لدى تأملنا فى صورهم المقدسة: بما تنقل إلينا من معانى النبل والشجاعة والمحبة والاحتمال والصبر والوداعة والتسامح.

وفضلاً عن ذلك فإن مسح القربانة فى القداس يرمز إلى عماد السيد المسيح، كما أن وضعها فى الصينية وتغطيتها بالابروسفارين وتثبيتها بلفافة صغيرة، يقرب إلينا قبر السيد المسيح وما وضع عليه من حجر وما ختم من ختم ... إلى غير ذلك من طقوس القداس التى تقرب إلينا حقائق روحية سامية.

كذلك حقيقة التواضع المسيحى قد تغيب عن الأفهام، فتقربها الكنيسة إلينا وتذكرنا بها عن طريق ممارسة طقس غسل الأرجل الذى يعيد إلى الأذهان ما عمله السيد المسيح فى ليلة آلامه، وتعيد إليها أيضاً التعاليم السامية المرتبطة بهذا الطقس كتعليم المحبة للجميع، والتواضع المسيحى الذى يجعل المسيحى عبد لأخيه المسيحى.

فالطقوس إذن حلقة لا تنفصل من الديانة، لأن الحقائق المجردة لابد لها من طقوس تقربها إلى الأفهام . وإذا كان من الممكن أن تخلو الديانة من الطقوس. فقد صارت بمنأى عن الإنسان إذ لما كانت الحقيقة دوماً عقلية، وكان الإنسان جسماً، فلابد أن تتلبس الحقيقة جسماً مادياً لتكون فى متناول الإنسان ومقدوره.

سادساً: من حيث أن الطقوس ممارسات خارجية تطبع فى النفس أثراً لا يمحى:

ولئن كانت الطقوس تقوم بمهمة تقريب الحقائق الروحية العالية إلى العقول والأفهام البشرية بحيث يمكن أن تنفذ إلى النفس الإنسانية فى سهولة ويسر لا يطبع فيهما بدونها. فإنها فى الآن نفسه تطبع فى النفس أثراً لا يمحى. فكأنها لا تؤثر فى النفس فقط، ولكن هذا الأثر يدوم ويبقى أبداً، يأبى أن ينفصل عن النفس، حتى لو حاولت النفس أن تنفك عنه أو تنفصل منه.

ومن منا ينكر أثر المحسوسات المادية على نفسه وما تطبعه فى نفسه من أثر قوى واضح دائم. أليس حقيقة أن حادثة ما رأيتها بعينيك وتتبعت وقائعها بكل ما فيك من بصر وسمع ولمس وسائر الحواس تثبت فى ذهنك ثباتاً أقوى مما لو كنت قرأت عنها أو سمعت بها فقط؟ أجل فإنها قد نقشت على جميع ملكاتك العقلية والنفسية، فلقد تأثرت بها فى وضوح كامل، ولقد رسخت فى ذاكرتك رسوخاً دائماً، وقد أصبحت موجهة لك فى التفكير والتصرف وجميع مرافق حياتك الفكرية والنفسية، وربما غيرت من نظرتك إلى الحياة ومن طريقة سلوكك مع نفسك ومع غيرك من الناس، ولا شك أنك تذكر هذه الحادثة كلما مرت بك فكرة تستدعيها، تذكرها فى وضوح كامل كما لو كنت ترى ـ وقائعها ماثلة أمام عينيك فى هذه اللحظة وهذا معناه أن ما تتأثر به الحواس ينتقل فى وضوح وقوة إلى النفس، كما أنه يثبت فى الذهن ويرسخ فى النفس بحيث لا ينسى ولا يمحى.

فإذا كان الأمر كذلك فقد ترتب عليه أن الديانة التى تريد أن تغور إلى أعماق النفس البشرية وتطبع فيها أثراً أو آثاراً ثابتة خالدة لا تمحى، يجب أن تكون ديانة طقسية، ديانة تقدم المعانى الروحية فى مظاهر مادية تجتذب انتباه الحواس، وتشبع رغبة الحواس ولذتها باستخدامها واستغلالها فيما خلقت لأجله. وليست السآمة أو الملل فى الحقيقة إلا نتيجة ما مباشرة لعدم إشباع حواسنا بما تتوق إليه وترغب فيه. حتى لقد عرف بعض الفلاسفة: اللذة، بأنها امتلاك الحاسة لموضوعها الذى وجدت من أجله. فكلما كانت الحقائق الدينية مصحوبة بطقوس تشبع رغبات الحس، كانت الديانة حية فى نفوس الناس، ثابتة موطدة فى قلوبهم وأذهانهم وأرواحهم، فهى إذن ديانة مناسبة لهم من جهة، وهى خالدة فى نفوسهم من جهة أخرى.

سابعاً: من حيث أن الطقوس وسيلة مناسبة لإشراك الجسد مع الروح فى العبادة: ـ

وإذا كان الإنسان يتألف من روح ومن جسد، وكان على الروح واجب العبادة والخضوع لله اعترافاً منها بفضله عليها وإحسانه إليها، فإن على الجسم أيضاً أن يؤدى هذا الواجب كاملاً غير

منقوص، فالله الذى تفضل على الروح بنعمة الخلق ونعمة الحفظ، تفضل على الجسم أيضاً بنعمة الخلق ونعمة الحفظ، وقد خلق هذا الجسم بغاية الدقة والنظام والإحكام فضلاً عن التآلف والانسجام بين سائر الأعضاء، فكيف لا نعبد الله بأجسامنا كما نعبده أيضاً بأرواحنا؟ ومعنى هذا أننا إن صلينا وخضعنا بالروح فيجب أن نصلى بأن نخضع بالجسد كذلك، الروح تفكر وتتأمل فى الله وتتجه نحو الله، والجسد يقف أو يسجد فى تأدب واحترام واللسان ينطق بألفاظ الصلاة فى حكمة واتزان ووقار وإن عبدنا الله بأرواحنا فى الصلاة، فيجب أن نعبده بأجسامنا فى الصوم. أى أن الطقوس هى الوسيلة التى بها يشترك الجسم مع الروح فى أداء واجب العبادة بالله، وبذلك تكون العبادة كاملة لأنها تستغرق مجهود الروح والجسم معاً. قال الرسول «فأطلب إليكم أيها الأخوة، برأفة الله، أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم العقلية» (١).

على أن الجسد فى الإنسان تتجمع فيه كل خواص الخليقة المنظورة من جمادات ونباتات وحيوانات، فهو يشتمل على الكينونة وعلى المادة التى تتمثل فى الجمادات، كما أنه يشتمل على عنصر الحياة كما يظهر فى النباتات، وعلى الإحساس الذى تتميز به الحيوانات وما يستتبع هذا الإحساس من حركة. ولقد عبر بعض الفلاسفة عن هذا المعنى بقوله أن فى الإنسان نفساً نباتية ونفساً حيوانية ونفساً ناطقة بالإضافة إلى الهيولى أو المادة. ولهذا كان يسمى الإنسان عند القدماء «بالميكروكوزم» وهى كلمة يونانية تتألف من مقطعين (ميكرو، ومعناه: صغير)، (كوزم، ومعناه: عالم) أى أن الإنسان هو العالم الصغير، وهذا فى مقابل ماكروكوزم، وهو العالم الكبير أى الخليقة بأكملها.

فإذا كان الإنسان بمثابة النائب العام عن الخليقة المنظورة أو الكاهن المنوط به واجب العبادة بالنيابة عن المخلوقات غير الناطقة إذ هى عاجزة عن الفهم والنطق وواجب الشفاعة فى هذه الكائنات، فإنه بعنصر الجسد يستكمل كل صفات النيابة عن الخليقة المنظورة، كما أنه بالروح يشكر ويتأمل ويطلب. وإذن ففى خضوع الجسد الإنسانى وسجوده وتذلله فى الصلوات والأصوام وعبوديته لله، إظهار لعبودية الخليقة كلها لله وباعتبارها ممثلة فى الإنسان.

وعلى ذلك فالطقوس وهى ممارسات تشرك الجسم مع الروح فى تأدية العبادة لله، تخول للإنسان فرصة تقديم هذه العبادة بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن الخليقة المنظورة. والديانة

---

(١) رومية ١٢: ١.

التى تخلو من طقوس ديانة تنكر فضل الله على الجسد ولا تلتفت إلى نيابة الإنسان عن جميع المخلوقات المنظورة، وكأنها أهملت أو لم تدخل فى اعتبارها أن الجسد فى الإنسان وما ينوب عنه، يجب أن يظهر خضوعه وتعبده لله بممارسات خارجية هى التى نسميها طقوساً.

* * *

من كل ما تقدم يتبين لنا أن الإنسان بوصفه إنساناً لا يستطيع أن يكون فى عباداته فى غنى عن الطقوس، بل وتبين لنا أيضاً أن الديانة نفسها لا تستطيع أن تستغنى عن الطقوس إن أرادت أن تكون ديانة كاملة يدين بها جميع الناس، بل وديانة حية فعالة ودائمة الأثر فى نفوس تابعيها وغير تابعيها والحق أنه لا توجد ديانة على الأرض تخلو من الطقوس، وإن كان يوجد من ينكر أهمية الطقوس، فذلك نظرياً فقط، أما عملياً فلا....

فوائد الطقوس

لقد أثبتنا حاجة النفس البشرية إلى الطقوس، وانتهينا إلى أن الديانة بوصفها حقائق روحية تبلغ إلى النفس يجب أن تشتمل على طقوس. وأما هنا فنريد أن نتحدث عن بعض الفوائد التى تقدمها لنا الطقوس، وهى ناحية جديدة تؤكد لنا أهمية الطقوس وضرورتها.

(١) تنقل الديانة إلى روح الأطفال:

إن الطفل الصغير لا يمكنه أن يتفهم حقائق الديانة عن طريق العقل ولا يستطيع أن يقدر قيمة النصائح والارشادات التى يوجهها الكاهن أو القارئ فى الكنيسة إلى جمهور المصلين كما أنه يعجز عجزاً عظيماً عن متابعة الوعظ وفهم مدلول الكلمات المجردة، ومع ذلك فحضوره فى الكنيسة ليس عبثاً ولا باطلاً، لأنه وإن كان لا يستفيد من كلمات وألفاظ وعبارات، لكن الطقوس الكنسية تؤثر فى نفسه آثاراً بعيدة المدى وتجذب انتباهه وتستأثر بمجموع حواسه بل وشواعره وعواطفه الغضة الناشئة فيحب الديانة ويتعلق بالكنيسة ويشغف بالعبادة ويميل إلى حضور الكنيسة ويتهلل بمجئ يوم الرب.

فى الكنيسة تقسيم واضح بين موضع لا يرى الطفل فيه غير كائنات ترتدى زياً خاصاً ولباساً كله بهاء وجمال، أبيض ناصع البياض مزركش الألوان الحية الجميلة، تقف بأزاء مكعب مكسو بمفروشات عظيمة رائعة الزينة منقوشة بالصلبان المختلفة الشكول والأنواع. ثم يرى فرقاً بين هؤلاء الخدام سواء فى الزى أو الكرامة، ثم يرى صوراً متنوعة على الحجاب الفاصل بين الهيكل ومكان وقوف الشعب. ويتطلع إلى الأنوار فإذا هى معلقة فى سماء الكنيسة تزيدها ضوءاً

ولمعاناً. ثم إذا به يبصر القارئ يقرأ من فوق موضع خاص. ويرى رئيس الكهنة يجلس فى موضع خاص. ثم يسمع أصوات الترنيم والتلحين ويشنف أذنه بسماع الآلات الموسيقية ورنينها الساحر الرائع.

كل هذا وغيره يمتع به الطفل ناظريه وسامعيه وسائر حواسه فيلتذ ويسر وينتعش، ويدرك معانى الديانة وتعاليم الكنيسة بطريقة محسوسة ملموسة وهى الطريقة الطبيعية التى تلائم سن الولد الصغير. ثم أن هذه الطقوس التى يراها الطفل ويسمعها ويحسها لها روعة وجمال وقوة وتأثير فى خيال الطفل وادراكه أعظم مما لها فى تفكير رجل كبير، فإذا كنا ونحن رجال نشعر بقيمة هذه الطقوس فى انعاشنا، فلها فى نفوس الأطفال أثراً أعظم وأخطر وفضلاً عن هذا كان للطقوس رسالة تؤديها وهى صامتة فى نفس الطفل بأبلغ جداً مما يؤديها وعظ أو تعليم إذ هى سهلة على نفسه، مثيرة لانتباهه، محببة إليه. ثم هى تغور إلى نفسه فلا ينساها، بل ويدرك ويستطيع فعلاً أن يدرك أموراً فى روح الديانة بأكثر مما ندركها نحن نظراً لمرونة فكره وسعة أفق خياله. ولذلك نحسب أن أجلّ خدمة تقدم إلى الطفل وإلى الكنيسة معاً هى المجئ بهم إلى الكنيسة، هذا خير وأوقع وإن كان لا يغنى عن كل إرشاد وتعليم.

وقد يكون من غير المستطاع لدينا فى هذه الكلمة العاجلة عن أثر الطقوس فى نفوس الصغار، أن نتكلم بأكثر من ذلك، ومع ذلك فالدليل العملى خير دليل. نعم، فقد رأينا أطفالاً صغاراً بل رأينا رضعان يعجزون عجزاً باتاً عن الكلام لأنهم صغار، ومع ذلك لاحظنا أنهم فى البيت يتناغون مع أنفسهم بمناغاة فيها نقل رقيق لأنغام الكنيسة، وذلك لأن أمهاتهم قد صحبن هؤلاء الأطفال معهن إلى الكنيسة، فتأثر إحساس الطفل وشواعره بالطقوس الكنسية فأصبح ملتذاً بترديدها بل وقادراً على ترديدها بدقة بالغة عظيمة.

(٢) تنقل الديانة إلى النساء:

يمتاز الرجال عن النساء، بصفة عامة، بقدرتهم على التفكير العميق، كما أن النساء تمتاز عن الرجال، بصفة عامة، بغنى العاطفة وقوتها، فالنساء يتأثرن بسرعة نظراً لشدة العاطفة فيهن. ولذلك يملن إلى كل ما يثير العاطفة والإحساس. فإذا كانت الديانة ديانة منبرية ، ديانة وعظ وتعليم فإنها لا تستثير انتباه المرأة كما تفعل فى نفسها الديانة ذات الطقوس. هذا وإن المرأة قد تنسى أو لا تلتفت إلى العظة ولكنها تستطيع أن تصف لك الواعظ، هى تذكر ما تراه بالعين وتسر بسماعه الأذن وقد تهمل ما عدا ذلك. ليس معنى هذا أن المرأة لا تستفيد من الوعظ

والتعليم ولكن معناه أنها تتأثر وتميل وتذكر بالأكثر كل ما يثير حواسها وانتباهها، وهى فى هذه النواحى تفوق الرجل. فالديانة ذات الطقوس أبلغ أثراً وأشد فعلاً فى نفس المرأة من ديانة تخلو من الطقوس. وقد تنسى كل شئ ولكنها لا تنسى هذه الطقوس، وقد يتغير شعورها نحو الأفكار ولكنها لا تتغير نحو شئ بلغها فى أسلوب حسى ملموس، فقد طبع فيها أثر لا يمحى ولا يزول، فإذا ضعف يمكن أن يتجدد فى يسر بالإعادة. فحضور المرأة للكنيسة فى غاية الأهمية لأن الطقوس التى تشترك فيها أو فى رؤيتها وسماعها تقرب إلى طبيعتها روح الديانة فتستطيع أن تدرك فى عاطفة ملتهبة رهبة الأسرار وقيمتها ونفعها بما تحدثه فى نفسها من أثر عميق واضح.

(٣) تنقل الديانة إلى روح الرجل:

ليس الرجال عقولاً محضة ولا هم بأفكار بحتة، وإنما هم بشر فيهم إلى جانب العقل احساسات وشواعر وانفعالات وعواطف، وليس العقل فى حياة الرجل غير باب من أبواب كثيرة يمكن أن تنفذ عن طريقها إلى نفسه المعانى والاعتقادات، بل والعقل أضيق هذه الأبواب جميعاً وأقلها احتمالاً ولذا يصيبه سريعاً التعب والإعياء. فليس حقاً أن المعتقدات تتكون فى نفوسنا عن طريق واحد أو سبيل العقل، بل إن أرقى البشر عقلاً وهم الفلاسفة وعباقرة المفكرين، كان لخبراتهم الواقعة كما لاتجاهاتهم الانفعالية والعاطفية فضلاً عن ميولهم ونزعاتهم ورغباتهم، فضل السبق على العقل فى خلق الاتجاه الأول الذى جرت فى أثره عقولهم فكونت مذاهبهم ومعتقداتهم.

ليس هذا انكاراً لسلطة العقل وإنما هو تقرير واقعى عن حياة الإنسان الحقيقية وإذن فيجب أن نتنبه إلى مثيرات العواطف والانفعالات ونجهزها بكل ما ينقل إلى النفس أطهر المعانى والأفكار ويوجهها إلى أنبل المقاصد والغايات. لذلك تجب العناية بالطقوس فى الديانة ويجب أن نحملها كل ما هو طاهر ومقدس ونافع، فيتقبلها المرء فى لذة ويفتح لها نفسه أحسن الفتح فينتفع بما تحمله من معانى دون إرهاق ومشقة ، وينتقش فى قلبه وذهنه بليغ المعانى وكبير الغايات.

(٤) تنقل الديانة إلى الجهلة والعوام:

ليس شرط أن أكون عالماً لكى أكون مسيحياً. فالمسيحية دين سماوى روحانى يمكن أن يكون ديناً للعالم والجاهل معاً. أما العالم، فيمكنه أن يطلع على الكتب المقدسة وأن يتابع الوعظ والتعليم المسيحى بما له من ثقافة ومقدرة على القراءة والبحث والاستماع. ولكن الجاهل بالقراءة

والكتابة ممن يعجز عن قراءة الإنجيل أو الكتب الدينية أو ممن يجهده الاستماع الطويل إلى عظة أو خطبة قد تكون رفيعة عالية من مستواه الثقافى، يجد فى الطقوس الكنسية خير عون له على فهم روح الدين وإدراك معانيه بلغة قريبة إلى طبيعته الإنسانية، نعم، فنظرة واحدة منه إلى المسيح معلقاً على عود الصليب فيها الغنى لنفسه من قراءة إصحاحات وفصول مطولة قد يشق عليه استيعابها وفهمها وقد لا يكون لها من التأثير قدر ما لهذه الصورة الرائعة الجميلة التى يراها بعينه فتمثل أمامه قصة الصليب بدون ألفاظ أو عبارات ودون حاجة إلى وقت طويل. وهكذا يكون لألحان الكنيسة ونغماتها على قلبه قدرة على النفاذ والغلبة أعظم مما لكلمات الوعظ والإرشاد.

وليس الجاهل من يجهل القراءة والكتابة فحسب، بل يمكن أن نحسبه جاهلاً هذا الإنسان الذى لا يعرف من حقائق الديانة شيئاً وإن كان عالماً ضليعاً. فهذا الجاهل بالدين وهذا الداخل إلى بيعة الله متصلفاً بغير وقار يليق بجلال صاحب القدس، يجد فى طقوس الكنيسة أكبر قامع لكبريائه وأشد فاعل على قلبه بالخشوع والورع قبل أن تدخل إلى ذهنه أو قلبه معانى الكتب أو شروح المعلمين. إنه يبتهج أو يحزن دون أن يقصد بل يحس أنه مغلوب بقوة هذه الألحان التى تسبح بروحه إلى حيث تريد هى حتى لو كان هو لا يدرى . فإذا تطلع إلى اليمين أو اليسار رأى صور الرب وقديسيه عيوناً شاخصة إليه بنظرات كلها طهر وبراءة كفيلة بأن توبخ نفسه الجامحة النجسة وكفيلة بأن تدعوه إلى حياة البر والسلام الكامل.

فالطقوس إذن وسيلة مفلحة تنقل الديانة فى روحها وعمقها إلى قلوب الجاهلين بالعلم أو الجاهلين بالدين، فى لغة صامتة هادئة وقورة.

(٥) تذكر الناسين، وتجدد عواطف الفاترين:

ما أكثر شواغل الحياة، تتدافع علينا فتنسينا وتلهينا، وما أكثر ما يتغير الفكر وينتقل الذهن فتتتابع الأفكار وتتلاحق الخواطر، فنتأمل فى آخر الأمر فإذا بنا أمام فكر جديد كل الجدة لا تكاد تربطه بالأول القديم رابطة ما حتى ليصعب علينا فى أكثر الأحيان أن نعرف كيف تسلسل الفكر وما هى فيه نقطة البدء.

ولسنا نقرر هنا أمراً جديداً فما من أمر تشكو نفوسنا بسببه قدر ما تشكو من النسيان وحسناً قالوا، سمى المرء إنساناً لأنه كثير النسيان. ولذلك تريد الكنيسة المقدسة أن تغالب فينا هذا النقص الإنسانى فتعمد إلى إيجاد هذه الطقوس الثابتة علها تذكرنا بها من جديد وتعيدها إلى

أفكارنا مرة ثانية فتعود معها معانيها السامية التى ارتبطت بها فنخشع ونعبد ونتورع. ومن هنا فإن طقوسنا ثابتة لا تتغير إلا بقدر، وهو أيضاً تغير ثابت متكرر، فعامل الثبات مفيد فى إثارة الذكريات الروحية السابقة المرتبطة بتلك الطقوس الثابتة، وعامل التغيير نافع فى إثارة النفس نحو الجديد والطريف. وهذا يفسر الخشوع الذى يستولى على نفوس القديسين بمجرد دخولهم إلى كنيسة الله إذ النظام الثابت المستقر، كلما تكرر أمام النفس التى ربطت به سامى المعانى ورفيع التأملات، كلما ذكرت هذه التأملات واستطاعت أن تواصلها من حيث انتهت وبهذا ترتقى وتسمو وتخلص من قيود المادة الفقيرة الواهنة. وعلى ذلك فعد حددت الكنيسة صلوات المؤمن بأنها سبعة وربطت كل صلاة منها بمناسبة تخص السيد المسيح حتى كلما صلى ذكر السيد المسيح فى آلامه وموته وقيامته وكانت هذه الصلوات المتكررة فى مواعيد ثابتة من شأنها أن تعين على مواصلة التأمل والتعمق بعد أن يسقط الاهتمام باللفظ ويرتفع الفكر فوق خلق الكلمات إلى الاسترسال فى روح اللفظ الموضوع، فنغوص فى بحر الصلاة إلى أعماق الله إذ نكون منقادين بروح الله.

أما أن الطقوس تجدد عواطف الفاترين، فهذا أمر بين ملحوظ، فكم من مرة دخلنا إلى الكنيسة فاترين فرجعنا عنها منتعشين مشحونين بالنعمة مملوئين عزماً ونشاطاً فى طريق الخلاص. وإنى لأشهد أن المرء قد يكون حزيناً متضايقاً فيمضى إلى الكنيسة فإذا به يسمع صلاة هادئة بصوت شجى منعش تكفى لتبديد ما لحقه من توان وكسل أو فتور وحزن وحصر نفسى. من يدرى فربما يكون ما نستشعره أحياناً من ضيق هو بفعل قوة شريرة فإذا استمعنا إلى لحن شجى أو ترنيمة هربت عنا قوات الشر وفزعت وولت الأدبار. أو لم يكن هذا ما كان يفعله داود لشاول؟ فصوت الترنيم وتوقيع المزامير كان يقوى على طرد روح الشر فيغادر شاول.

وما أشبه الطقوس وفاعليتها فى النفس بالعوامل الباطنية التى تثير الخواص المعدنية فى عين جارية، هكذا تحركنا الطقوس وتثير عواطفنا وتجدد انفعالاتنا الروحية.

(٦) تثبت أسس الديانة وتنقلها إلى الأجيال التالية:

لما كانت الطقوس فى الدين طريقاً ممهداً تنتقل به المدركات الدينية السنية إلى النفس الإنسانية، وكانت من وجهة أخرى تعبيراً عن روح التقوى، وتعبير الإنسان لا بد أن يتلبس بصورة محسوسة لأنه إنسان أو كائن محسوس. لذلك تصبح المعانى المرتبطة بهذه الطقوس واضحة راسخة فى نفوس الناس.

على أن الديانة لو كانت مجرد معان لا تغادر العقل والذهن إلى تعبير مجسم محسوس، لما كان يمكن أن تنتقل الديانة من الآباء إلى الأبناء الجاهلين طبعاً بهذه المعانى، وإنما الطقوس هى هذه الأداة المناسبة التى يعرف بها الأطفال حقائق الديانة بطريقة واضحة قريبة إلى عالمهم الحس الواضح. بل وتكرارها أمامهم بطريقة ثابتة من شأنة أن يطبع الدين فى قلوبهم، ونحن هنا نستعين بعلم النفس لندرك أثر التكرار والإعادة فى ربط الفكرة المجردة بذهن الإنسان.

فالابن الذى يرى أباه يصلى جاثياً على ركبتيه أو واقفاً فى خشوع، لا ينسى هذا المنظر مطلقاً، بل ربما يأتى يوم فينسى فيه كل شئ عن حقائق الديانة ومعانيها ولا يبقى فى ذاكرته غير هذا الشكل الثابت فى ذهنه عن صلوات أبيه، وهكذا يكون للطقس أثر واضح لا يمحى على ممر الأيام ويكون كافياً لقيادة الروح إلى التأمل والتفكر والتعبد.

هذا وأن الطقوس هى حفاظ الدين ورباطه، لولاها تفكك ووهن وأهمل، ولكنها هى التى تقيد البشر به فتجعلهم مضطرين رغماً عن أنوفهم إلى القيام بواجبات الديانة، ولو خوفاً من الناس أو محاكاة لهم أو جرياً على العادة القديمة المألوفة مع أن الدين لو كان أفكاراً ومعانى فحسب، لما وجد المرء فى اتباع هذه الأفكار إرغاماً أو اضطراراً ولا وجد فيها مذكراً ومنبهاً، بل لما كان يعرف هذه الأفكار التى انتقل إليه أكثرها عن طريق طقوس وممارسات السابقين عليه أو المعاصرين له.

والطقوس هى التى تصون الديانة أكبر الصون من التحريف والتغيير من حيث أن الطقوس روابط وقيود تمنع جموح الفكر وتلاعب العقل فهى أوثق ضمان للاحتفاظ، بوحدة الديانة، ولذلك نجد الديانات ذات الطقوس محتفظة بكيانها، راسخة فى نفوس تابعيها، حية فى قلوبهم، خالدة الأثر فى المجتمع، باقية على حقب التاريخ. بعيدة عن التناقضات والاختلافات التى تكون واضحة فى الديانات التى لا تعنى بالطقوس (١).

فالطقوس إذن هى التى تخلد الديانة وتبقيها وتحفظها وتصونها من التحريف والتغيير، وهذا ما انتهى إليه الباحثون فى علم الاجتماع فقد قرروا أن الشعوب التى تمارس طقوساً فى عباداتها تتمسك بدينها وتثبت عليه ثباتاً عجيباً، فإن تزحزحت عنه فلابد أن يكون ذلك بفعل مؤثرات قوية جارفة ولن يتم ذلك أيضاً إلا بعد مجهود عنيف متواصل وصراع شديد وزمن طويل. وهذا

---

(١) ويقول هيرودتس عن تدين المصريين «إن المصريين كانوا متمسكين تمسكاً شديداً أكثر من غيرهم من سائر البشر حتى شمل كل مرفق من جميع مرافقهم الحيوية والدينية.

يفسر لنا الردة التى تصيب بعض الشعوب التى تحولت عن دينها، فلا تكاد تجد الفرصة سانحة حتى تعود إلى دينها القديم الذى تأصل فيها بطقوسه ومراسمه (١).

إن خلود الديانة أو ثباتها لا يتوقف على عامل إلهى فحسب وإنما على عامل نفسانى كذلك، وهو أثر الطقوس فى نفوس المتدينين بهذا الدين أو ذاك. وقد رأى علماء الاجتماع، أن الديانات اليهودية والمسيحية الأرثوذكسية والكاثوليكية أعمق تديناً وأكثر استمساكاً بالدين وأشد احتفاظاً بنواميسه ووحدته وأعظم ارتباطاً ببعضهم من الديانات التى تهمل الطقوس أو تدعى أنها روحانية بحتة، فإن هذه الأخيرة أكثر تعرضاً للفناء والانقسام والاضمحلال والزوال، ولقد اعترف بهذه الحقيقة المؤلمة أحد مشاهير البروتستانت فى أمريكا فقال: «إن إهمال الطقوس فى الكنائس البروتستانتية كان من العوامل التى ساعدت على تفشى داء الكفر والإلحاد بين العامة».

إذن فالطقوس كما قلنا هى روابط الدين، فمن ينحل عنها ينحل عن الدين ذاته، ومهما ظن فى نفسه أنه أقرب إلى الله بروحه فهو أشد قرباً إلى الكفر والزندقة . يقول الفيلسوف الفرنسى، جوستان لوبون « من عوامل القوة فى الأمة الاحتفاظ بنظاماتها الأصلية وتقاليدها الأولية»، ويقول أيضاً «الطقوس والرموز أعنى الاحتفالات والأعلام والأعياد العامة والعرف والمألوف فى علاقات الناس بعضهم مع بعض، كلهم فوق إرادة الإنسان، وهى أقوى سند تقوم عليه الحياة الدينية والاجتماعية، ومن ظن أنه أكبر من أن يتقيد بطقوس أمة واحتقر تقاليدها فهو أجنبى عنها » ويقول كذلك « إنما تصير المعتقدات الفردية عامة بعامل الطقوس والسنن. ويقوم المعتقد الدينى على اليقين، ولكنه لا يدوم إلا بالطقوس والتقاليد، ويبلغ من أخذ الطقوس والرموز بالنفوس أنها تبقى بعد زوال المعتقد الذى حدثت لأجله » ... إلى أن قال « لذلك كان أكبر النعم التى يجب أن تصبو إليها الأمة هى المحافظة على النظامات التى ورثتها».

فلنعرف قيمة الطقوس فى كنيستنا وأنها دعامة خلودها وسر احتفاظها بكيانها وثباتها على تعليم واحد قويم، على الرغم من عوامل الهدم والتخريب.

(١) جاء فى تاريخ الملك (حور محب) من ملوك الطبقة الثالثة إنه لم يكد يستقر له العرش حتى اندلعت نيران فتنة شديدة فى طول البلاد وعرضها بسبب تغيير ديانة البلاد فى أيام الملك (أمنوفيس الرابع) وقد اشتدت ثورة الشعب حتى قام ومحى آثار الملوك الذين اشتركوا فى إزالة الديانة القديمة. ولم يبق لهم الشعب أثراً فى المعابد أو الهياكل. فلما رأى الملك حور محب ذلك الشعور الدافق من الشعب نحو دينه القديم، هب فأرجع هذا الدين وعبادة الآلهة القديمة وبذلك أخمد الثورة وقضى على هذه الفتنة (راجع تاريخ الكافى مجلد ١ ص ٨٠ - ٨١).

وقد ذكر مريت باشا عن بلاد الحبشة أيام وثنيتها أنه كان يحكم بالقتل على كل فرد من الرعية يخالف رأى الكهنة أو يغير شيئاً من الشعائر الدينية (الكافى مجلد ١ ص ١٨٣).

(٧) الطقوس خير دعاية عن الدين:

نظامات الكنيسة وترتيباتها تقوم بمهمة تعريف الديانة لدى الجاهلين بحقائقها سواء كانوا من المؤمنين الفاترين أو من غير المؤمنين. فهى إذن بمثابة واعظ ومعلم للأولين. ثم مبشر للآخرين.

أما **المؤمنين الفاترون** فهم هؤلاء المتشاغلون بالعالميات المهملون أمر خلاصهم الأبدى، قوم قاطعوا الكنيسة معتذرين عنها بشتى الحجج والأعذار، يزعمون أن مشاغلهم أولى باهتمامهم من تقديس يوم الرب العظيم، نلاحظ أن هؤلاء الفاترين يترددون على الكنيسة فى أيام أو ليالى الأعياد المقدسة ، وقد لا يأتون إلى البيعة بغرض الصلاة أو التعبد بقدر ما يأتون إليها بقصد الابتهاج بالعيد وهم يعلمون أن طقوس الكنيسة فى ليالى العيد بهجة رائعة، فالطقوس هى التى جذبتهم وأوجدت الرغبة فى قلوبهم ليأتوا إلى بيت الله، الأمر الذى قد يقودهم إلى التوبة والرجوع إلى الله والاهتمام بالحياة الأبدية.

هذا وإن طقوس الكنيسة أى ترتيباتها فى أعيادها ومواسمها وفى أصوامها، وما يتبع هذه النظم من تغيرات فى نظام العبادة من شأنه لا أن يوجه النفس إلى الله فحسب أو يشعر المؤمن بواجبه كعضو فى الكنيسة فقط، وإنما هو وسيلة مناسبة لتعريف المؤمن بتعاليم الكنيسة ومعتقدات الديانة التى يجهلها جهلاً شنيعاً، وكان لهذه النظم والطقوس فضل تعريفه بها أو تذكيره. وكم من مؤمنين فاترين عرفوا كثيراً من حقائق الديانة على هذا الأساس، ولم يعرفوه عن طريق بحث شخص أو استقصاء ودراسة.

وأما **غير المؤمنين** فأكثرهم جاهل بحقائق الديانة المسيحية. لكنهم يتتبعون نظم الكنيسة وترتيباتها فيعرفون مواسمنا الدينية وأعيادنا السيدية وغير السيدية ويعرفون أن يوم الرب عندنا إنما هو يوم الأحد إذ يرون الأجراس تدق ووفود المصلين من المؤمنين تتقاطر على الكنائس تاركة أعمالها وأشغالها العالمية ثم تخرج عنها مبتهجة هادئة. ويعرفون أصوامنا فى بدئها وختامها.

هذه المعرفة بطقوس الكنيسة وترتيباتها فى الأصوام والأعياد فى الأكاليل والجنازات، فى الصلوات والقداسات هى السبيل إلى تعرف غير المؤمنين بحقائق الديانة المسيحية وتعاليم الكنيسة وتقاليدها. ولو كانت الديانة بلا طقوس لانعدمت تقريباً معرفة غير المؤمنين بديانتنا. أما الطقوس فتحفزهم إلى التساؤل والتعرف بتعاليم الديانة. وكثيراً ما تكون هذه المعرفة سبيلاً

لاعتناق الدين، خاصة وأن الطقوس الكنسية جميلة وعظيمة فى تأثيرها وهى إلى هذا كله يمكن أن تبلغ قلوبهم وتفعل فى نفوسهم وتنقل إلى أرواحهم روح التعليم المسيحى الذى ما كان لهم أن يعرفوه لولا هذه الطقوس والترتيبات، فالطقوس تظهر مجد الله ووقار الخدمة الكهنوتية وسمو التعليم المسيحى وروحانية المسيحية وتنعش روح العبادة وتوقظ عواطف التعبد والخشوع نحو الله تعالى. ولذلك يتردد كثيرون من غير المؤمنين على الكنيسة فى مختلف مواسمها وأعيادها ليتمتعوا بشجى أنغامها وجميل طقسها ونظامها التعبدى وهو نظام غير رتيب بل تناسب ما يختلف على النفس من شواعر وانفعالات إذ هو فى الفرح غيره فى الحزن وفى الصوم غيره فى العيد، وفى روح التذلل والانسحاق غيره فى التسبيح والشكر.

* * *

أرأيت إذن إلى جليل الفوائد التى نجتنيها من الطقوس الدينية ... حقاً من ذا الذى يزعم أنه فى غنى عن الطقوس؟؟ ....

إن الطبيعة البشرية ترنو وتصبو إلى النظام والترتيب وتسر وتلتذ بما تراه العين وتسمعه الأذن متلمسة اليد، وهى تحن إلي التعبير والتنفيس عن رغباتها وأفكارها ومعتقداتها، وتميل إلى ما يثيرها وينعشها ويريحها ويرقيها، فالطقوس التى تحيل الديانة من معان ومدركات سموية بمنأى عن الإنسان إلى وقائع حية يمكن أن يبلغ إليها الإنسان ويدركها وليس فرق فى ذلك بين طفل أو شاب أو شيخ، رجل أو امرأة ، عالم أو جاهل، تقى أو مستهتر.

هذه فوائد الطقوس للناس .. فتجعلهم مؤمنين أتقياء، سعداء محبين لبعضهم، متفاهمين متوادين متحابين عاملين الخير والبر والمعروف. فكم من الخير والصلاح قد أدرك الفقراء والمعوزين وأصحاب الفاقة والحاجة والمرض بفضل هذه الطقوس التى أثارت المشاعر وأيقظت الحواس ونبهت إلى الواجب الإنسانى والاجتماعى بقدوم صوم أوعيد.

هذا، وكم كانت تكون الديانة ضعيفة ضئيلة جامدة ميتة لا قدرة لها على الثبات أو البقاء أو النمو لولا هذه الطقوس الكنسية الجميلة.

وإننى فى كلمة واحدة. أقرر أن الطقوس هى أعظم ناقل لروح الدين إلى الناس، بدونها تصبح الديانة عقيمة جديبة لا قيمة فيها ولا نفع منها يرتجى.

أولاً
تاريخ الطقوس
فى
الأمم الوثنية

تاريخ الطقـــوس

كالتحام الروح بالجسد كذلك معانى الديانات بطقوسها فلسنا نعرف ديانة بلا طقوس، إذ الطقوس ترتيبات الديانة ونظم العبادة ، والديانة إن خلت من الترتيبات والنظم لم تعد ديانة محترمة أو متبعة، والطقوس تعبيرات عن روح الديانة، والديانة إن خلت من التعبير فهى ديانة ضعيفة ميتة، والطقوس مثيرات لروح الديانة والديانة عندما تنقصها مثيرات التقوى والعبادة تصبح ديانة فاترة والعبادة فيها جافة جديبة.

لذلك لم يخل عصر من العصور ولا مكان من الأمكنة من طقوس دينية يأخذ الناس أنفسهم بأحكامها ليتقربوا إلى المعبد الذى يدينون له بواجب العبادة والديانة، وحيثما وجدت أمة على الأرض وجدت معها طقوسها وترتيبات العبادة ونظمها، لأنه لم توجد بعد تلك الأمة التى أهملت عبادة الله والتقرب إليه.

فإذا أردنا أن نتناول بالبحث تاريخ الطقوس، فلابد من أن نلم بتاريخ الديانات فى كل الأمم وفى كل الأزمنة والعصور. وحيث هذا عسير إن لم يكن مستحيلاً فى كلمة عاجلة كهذه، فيمكن إذن أن نكتفى بكلمة موجزة مجملة عن الطقوس فى غير الأمة الإسرائيلية، ثم عن الطقوس فى الأمة الإسرائيلية وأخيراً عن الطقوس فى الديانة المسيحية.

أولاً: الطقوس فى الأمم الوثنية

جميع الأمم الإنسانية قاطبة فى مختلف العصور والأزمنة والبيئات ومتنوع الثقافات والحضارات تتعبد لإله واحد أو آلهة متعددة، وتقوم عبادتها على طقوس وترتيبات خاصة، لا فرق فى ذلك بين أمة متأخرة أو متحضرة أو بين أمة تسكن الجبال أو الكهوف والوديان، فاليونان والرومان والمصريون. والبابليون والأشوريون والعرب والهند والصينيون والعراقيون والإنجليز والألمان والأسبان والطاليان إلى آخر تلك ا لأمم التى يتفرع عليها الجنس البشرى، كلها تدين بدين ما، وتختلف بطقوس ونظام وترتيبات دينية لا نستطيع هنا أن نتعرض لها بالتفصيل، ولكنها تتمثل على الخصوص فى أمور نذكر منها بعضها.

على أننا يجب أن نلاحظ بادئ ذى بدء ، أن علماء الاجتماع الباحثين فى أديان الأمم القديمة (الميثولوجيا) قد توصلوا إلى أن أمة ما من الأمم الإنسانية فى مختلف البيئات والعصور

لم تخلُ عن اعتقاد دينى وإيمان بإله معبود، فكيف استطاع هؤلاء العلماء معرفة هذا الاعتقاد أو الإيمان لو لم يروا طقوساً تباشرها تلك الأمم ومن ثم حكموا عليها بالاعتقاد فى الله؟ ... وهذا دليل على أن جميع الأمم الإنسانية القديمة والحديثة لها فى عبادتها طقوس وترتيبات ونظم.

قد أشار الكتاب المقدس إلى عبادات الأمم وآلهتهم، وإلا فلم يقول: « لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » (١) « ولا تذكروا اسم آلهة أخرى » (٢)، « لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التى حولكم » (٣) « وإن نسيت الرب إلهك، وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها، أشهد عليكم اليوم أنكم تبيدون لا محالة » (٤) « فاحترزوا من أن تنغوى قلوبكم فتزيغوا وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها » (٥).

«وقال يشوع لجميع الشعب، هكذا قال الرب إله إسرائيل: آباؤكم سكنوا فى عبر النهر منذ الدهر، تارح أبو ابراهيم وأبو ناحور، وعبدوا آلهة أخرى. فالآن اخشوا الرب، واعبدوه بكمال وأمانة، وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر وفى مصر، واعبدوا الرب. وإن ساء فى أعينكم أن تعبدوا الرب، فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون: إن كان الآلهة الذين عبدهم آباؤكم الذين فى عبر النهر، وإن كان آلهة الأموريين الذين أنتم ساكنون فى أرضهم، وأما أنا وبيتى فنعبد الرب. فأجاب الشعب وقالوا: حاشا لنا أن نترك الرب لنعبد آلهة أخرى» (٦).

وجاء فى سفر القضاة: « وفعل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب، وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب، تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروث» (٧)، «فعل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسوارى» (٨)، «وعاد بنو إسرائيل

(١) خر ٢٠ : ٢، تث ٥ : ٧.
(٢) خر ٢٣ : ١٣.
(٣) تث ٦ : ١٤.
(٤) تث ٧ : ١٩.
(٥) تث ١١ : ٦.
(٦) يش ٢٤ : ٢، ١٤ - ١٦.
(٧) قض ٢ : ١١، ١٢.
(٨) قض ٣ : ٧.

يعملون الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم والعشتاروث، وآلهة آرام، وآلهة صيدون، وآلهة موآب، وآلهة بنى عمون، وآلهة الفلسطينيين، وتركوا الرب ولم يعبدوه » (١).

وقد جاء عن الموآبيين أن إلهـهم هو (كمتوش) (٢) ، وعن الفلسطينيين أن إلهـهم هو (داجون) (٣) أما عشتاروث (عشتورث) فهى آلهة الصيدونيين (٤) كذلك (مولك وملكوم) رجس العمونيين (٥)، وأيضاً (أرطاميس) آلهة الأفسسيين (٦)، والتى يعبدها جميع آسيا والمسكونة (٧) ، (ورمون) إله الآراميين (٨). (ونسروخ) إله الأشوريين (٩)، (وبعل زبوب) إله العقرونيين (١٠) ، (ورا أو رع أو الشمس) إله المصريين (١١).

وجاء فى سفر الملوك «فكانت كل أمة تعمل آلهتها، ووضعوها فى بيوت المرتفعات التى عملها السامريون، كل أمة فى مدنها التى سكنت فيها: فعمل أهل بابل سكوت بنوث (أى مظال البنات) وأهل كوث عملوا نرجل (أى المريخ) وأهل حماة عملوا أشيما، والعويون عملوا نـجز وترتاق، والسفروايميون كانوا يحرقون بنيهم بالنار لأدرملك وعنملك إلهى سفروايم » (١٢).

وقد أشار الكتاب مرة أخرى إلى «آلهة حماة وأرفاد وآلهة سفروايم وهينع وعوا (أى عواه) (١٣) وآلهة بنى ساعير (١٤)، وآلهة دمشق (١٥) وآلهة مصر(١٦).

---

(١) قض ١٠: ١٦ (١. مل ١٦: ٣١)، (٢. مل ١٠: ١٨)، (مز ١٠٦: ٣٦)، (حز ٢٠: ٣٢)، (هو ٤: ١٠)، (مل ٣: ١٤)، (رو ١: ١٥)، (١. كو ١٠: ١٤)، (غل ٥: ٢٠)، (كو ٢: ١٨، ٢٣)، (كو ٣: ٥)، (١. بط ٤: ٣)، (أع ٧: ٤٢)، راجع أيضاً: (تث ٧: ٤، ١٦)، (تث ٣: ١٥ ـ ١٩، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٩).
راجع (تث ١٢: ١، ٣)، (تث ١٣: ٢، ٦، ١٢)، (تث ١٧: ٣)، (تث ١٨: ٩، ١٨: ٢٠، ٢٠: ١٨، ٢٨: ١٤، ٣٦، ٦٤)، (تث ٢٩: ٢٦)، (تث ٣٠: ١٧)، (تث ٣١: ١٦، ١٨، ٢٠)، (تث ٣٢: ١٦)، (يش ٢٣: ٧، ١٦)، (قض ٢: ١٧، ١٩)، (قض ١٠: ١٠، ١٣ ـ ١٦)، (راعوث ١: ١٥) (١. صم ٨: ٨)، (١. مل ٩: ٦، ٩، ١٠، ١١)، (٢. مل ٥: ١٧، ١٧: ٧، ٣٥ـ ٣٨)، (٢. مل ٢٢: ١٧)، (١. أى ١٤: ١٢)، (٢. أى ٧: ١٩، ٢٢، ٢٥: ١٤، ١٨، ٢٣، ٢٥، ٣٤: ٣٥)، (أر ١: ١٦، ١٧: ٦، ٩، ١٨، ١١: ١٠، ١٣: ١٠، ١٦: ١١، ١٢، ١٩: ٤، ١٣، ٢٢: ٩، أر ٢٥: ٦، ٣٢: ٢٩، ٣٥: ١٥، ٤٤: ٣، ٥، ٨، ١٥).

(٢) عدد ٢١: ٢٩، ١. مل ١١: ٧، ٣٣، ٢. مل ٢٣: ١٣، قض ١١: ٢٤.

(٣) قض ١٦: ٢٣.

(٤) ١. مل ١١: ٥، ٣٣، ٢. مل ٢٣: ١٣.

(٥) ١. مل ١١: ٧، ٢٣، ٢. مل ٢٣: ١٣.

(٦) أع ١٩: ٣٤.

(٧) أع ١٩: ٢٧.

(٨) ٢. مل ٥: ١٨.

(٩) ٢. مل ١٩: ٣٧.

(١٠) ١. صم ٥: ١٠، ٢ مل ١: ٢.

(١١) أر ٤٣: ١٣.

(١٢) ٢. مل ١٧: ٢٩ ـ ٣١.

(١٣) ٢. مل ١٨: ٣٤.

(١٤) ٢. أى ٢٥: ١٤.

(١٥) ٢. أى ٢٨: ٢٣.

(١٦) أر ٤٣: ١٢، أر ٤٦: ٢٥.

ومن كتب التاريخ وأبحاث العلماء عرفنا أن معبودات المصريين قد بلغ عددها ثلاثة وخمسين معبوداً (١). وقد زاد عن ذلك كثيراً اليونان والرومان، فقد كاد يكون لكل مدينة إله يخصها، وكان يقام له صنم أو تمثال يرمز إليه وكان العامة يعبدون هذه الأصنام والتماثيل ويعتبرونها آلهة يصلون إليها ويطلبون منها، وكانت الأصنام تمثل فى أشكال حيوانات يجدون فى غرائزها شيئاً يتفق وصفات الآلهة التى يتعبدون لها (٢).

عرفت الأمم، إذن، إن هناك آلهة تسودها، ونحن لا يعنينا هنا أن نصحح من هذه الاعتقادات أو نوفق بينها، وإنما جل قصدنا أن نثبت أن جميع الأمم الإنسانية منذ أقدم الأزمنة والعصور تعبدت لآلهة وكانت لها ديانة ذات ترتيبات وطقوس وإن من هذه الطقوس أمكننا وأمكن للباحثين والمؤرخين أن يعرفوا ديانات هذه الشعوب وعقائدها وآرائها.

فإذا أردنا أمثلة وعينات عن طقوس الأمم الوثنية، فسنقدم بضع ملاحظات:

أولاً: الصلاة:

(١) عرفت هذه الأمم جميعاً على اختلاف بيئاتها افتقارها إلى الله وحاجتها إلى الضراعة إليه، فكانت تصلى لمعبودها وتطلب منه، ولم تكن الصلاة فكرة فضولية بل ضرورة وواجباً دينياً وفرضاً مقدساً، بل وليس معنى لإقامة التماثيل أو الآلهة ما لم يكن ذلك لقصد التعبد والصلاة.

وقد أشار السيد المسيح إلى صلاة الأمم بقوله: وإذا صليتم فلا تكثروا الكلام، (أو تهذروا) كالوثنيين لأنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم (٣)، وقد أشار إليها النبى إشعياء مرات (٤).

(٢) **علامة الحياة**: وكان الإله عند قدماء المصريين يمسك بيده علامة الحياة، وهى صليب ذو رأس مستدير ويدعى بالمصرية القديمة (عنخ   ) يحمله الإله بيده اليمنى دليلاً على أن الحياة بيده أو أن الحياة هبة تستمد من الإله وهى فى هذا كله شبيهة بإشارة الصليب أو «علامة ابن الإنسان».

---

(١) الكافى مجلد ١ ص ١٥١ ـ ١٦٣.

(٢) راجع تاريخ الأمة القبطية تأليف لجنة التاريخ القبطى، الحلقة الثانية، طبعة ثالثة ـ سنة ١٩٢٥، ص ١٧ ـ ٢٦.

(٣) مت ٦: ٧.

(٤) إش ٤: ١٧، ٤٥: ٢٠، ٤٦: ٧، أر ١١: ١٢.

ثانياً: أنواع الصلوة:

(١) صلاة التعبد والخضوع: كانوا يقصدون إلى الآلهة ليظهروا نحوها واجب الخضوع والإكرام، ولكى يشكروها على آلائها ونعمائها، وكان الملوك يحرصون على هذا الولاء للآلهة، حتى لقد ورد عن بعنخى وبيكارع أنهما إذا فتحا مدينة فى الحرب أو اجتازا بها فى سبيلهما إلى الغزو، كان أول ما يفعلانه هو التعبد للآلهة وإظهار الخضوع لها، فكان الاهتمام بالتعبد وإقامة شعائر الدين وفروض العبادة موضع اهتمام جميع الأفراد، سواء كانوا من عامة الناس أو من الملوك (١)، ومما جاء عن الملك كورش الفارسى فى مدينة بابل أنه كان يوقر الإله بال «وكان الملك يعبده وينطلق كل يوم فيسجد له» (٢).

(٢) صلاة الشكر: فإذا احسنت الآلهة صنيعاً وأغدقت على المدينة أو الشعب خيراً كان عليهم أن يصلوا إليها شاكرين، وقد اعتاد ملوك مصر الأقدمين، إذا عادوا من الحرب مظفرين أن يتقدموا مع الرعية لأداء فريضة الشكر والخضوع امتنانا لمعونة الآلهة.

وليس ملوك مصر وحدهم، بل حتى نعمان السريانى مع أنه تعهد بعبادة الرب إله إسرائيل لكنه استأذن أليشع النبى فى سجوده مع الملك لإله مملكته، عند عودته إلى آرام، «فقال نعمان أما يعطى لعبدك حمل بغلين من التراب، لأنه لا يقرب بعد عبدك محرقة ولا ذبيحة لآلهة أخرى بل للرب. عن هذا الأمر يصفح الرب لعبدك: عند دخول سيدى إلى بيت رمون ليسجد هناك ويستند على يدى، فأسجد فى بيت رمون، فعند سجودى فى بيت رمون يصفح الرب لعبدك عن هذا الأمر، فقال له أمضى بسلام» (٣).

وكمثال على صلاة الشكر نذكر صلاة أحد الملوك فى أشور يقول فيها للإله: إنى متوكل عليك لأنك مطلع على سرائر قلبى. فكن رحيماً بملك نصبته ومجدت اسمك به، وأمنته على القضاء بين العباد. فلك الحمد والشكر يا إلهى، إذ أنت خالقى بقدرتك وأنت الذى جعلتنى أهلاً لهذا المنصب الرفيع. فنرجوك بنشر عبادة ألوهيتك، وحبب شعبك فيها، ولتكن حياتى ملكاً لك وحدك، فاستجب لى واقبل طلبتى هذه ولك عظيم تشكراتى».

ومن ذلك أيضاً صلاة شكر لكاهن مصرى يدعى (سمتاوى تفنخت) قدمها للإله (خنوم) ووجدت منقوشة على حجر محفوظ الآن بمتحف نابولى، يقول فيها: «يا سيد المعبودات خنوم،

---

(١) راجع الكافى المجلد الأول ص ٨٦، ١٠٠، ١١٣، ١٢٧، ١٣٢، ١٤١، ١٤٢ - وراجع بحث فى حقيقة الإيمان للشماس إبراهيم.

(٢) دانيال ١٤: ٣.

(٣) ٢ مل ٥: ١٧ - ١٩.

أنت الذى تنير الدنيا بظهورك. أنا كنت خادمك وأهل بإرداتك وقلبى ممتلئ بمحبتك. ضاعفت لى مراراً الخيرات الجزيلة حتى اشتهرت فى الأرض قاطبة، وما ذلك أيها الملك المحسن إلا لتعطف قلبك علىّ، وإجابتك سؤلى... أنت الذى حميتنى فى حرب المقدونيين... وإذ أمرتنى بالتوجه إلى أهناس وعدتنى أن تشملنى برعايتك وتلحظنى بعين عنايتك، إذ كنت وحيداً فاقد الأهل فريداً ... كنت مهنأ بأمرك لأنك منحتنى الحياة مع راحة القلب» (١).

(٣) الصلاة طلباً للبركة: إذا أرادوا بركة لثمار الأرض لجأوا إلى الآلهة بالصلاة: «جاء فى تاريخ ديانة الشراكسة الوثنية أنه كانت لهم شجرة عظيمة ينسبون إليها نماء زرعهم، فعندما كانت تنقص غلة الأرض، كانوا يتقدمون إلى تلك الشجرة ويتضرعون إليها، ويقولون وهم حاسروا الرؤوس (نرجو كرماً منك أيها المعبود العظيم، أن تبارك فى غلات أرضنا وتكثرها فى عامنا هذا، فقد كانت فى العام الماضى غير كافية لنا ولضيوفنا » (٢).

وربما أشار إلى هذا النوع من التعبد، كتاب الله فى كلامه عن آحاز ملك يهوذا أنه: ذبح وأوقد على المرتفعات. وتحت كل شجرة خضراء» (٣) وعن بنى إسرائيل أنهم: «أقاموا لأنفسهم أنصاباً وسوارى على كل تل عال وتحت كل شجرة خضراء» (٤)، وقد ورد النهى عن ذلك فى شريعة موسى حيث يقول لهم (وتخربون جميع الأمم حيث عبدت الأمم التى ترثون آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء» (٥).

(٤) الصلاة طلباً للعون فى الحرب: لقد كان بمثابة قاعدة محترمة أن يلجأ الملوك إلى الآلهة ليستغيثوا بهم فى الحروب فيكونوا فى نصرتهم، وما أكثر ما يرد فى التاريخ عن روايات الشعب وطلبتهم لمعونة الآلهة فى الحرب» جاء فى ما نقشه بعنخى الملك حاكياً نصرته على الملك تفنخت قوله ضمن وصاياه لجنوده عند الهجوم اغتسلوا فى مياه معابد آمون، واسجدوا له ، وقولوا: ثبت أفئدتنا على الحق فنحارب فى ظل سيفك، لأن القاتلين الذين ترسلهم يبددون الآلاف» (٦).

(٥) الصلاة طلباً للعون فى المرض: كانوا فى المرض يترضون وجه الإله بالصلاة والدعاء عله ينصت إليهم ويشفى مرضاهم ومما ورد فى تاريخ الأقدمين أن بختانا وصهره فى

(١) الكافى مجلد ١ ص ٢٠٠.
(٢) الكافى مجلد ٢ ص ٤٨٢.
(٣) ٢. مل ١٦ : ٤.
(٤) ٢. مل ١٧ : ١٠، أر ٢ : ٢٠، أر ٣ : ٦.
(٥) تث ١٢ : ٢.
(٦) الكافى مجلد ١ ص ١٢٧.

أيام رمسيس الحادى عشر، التجأ إلى الإله خوفو لما مرضت بنت بختانا، وصليا إليه ضارعين طالبين منه شفاءها (١).

(٦) الصلاة طلباً للعون فى الضيق أو الحزن: كانوا يكثرون من الصلاة فى الحزن فقد ورد عن سنحاريب ملك أشور أنه بعد هربه من أورشليم مضى فسجد فى بيت نسروح (٢) وكان المصريون فى السابع والعشرين من هاتور يذكرون وقوع (أزوريس)فى قبضة (تيفون) وعلى ذلك فالمدن المعروفة الآن باسم بوصير كانت تحسب فى هذا اليوم أيام النحوس إذ فيه يكون ماء النيل قد انحسر عن أراضى الزراعة وانحصر فى مجراه بين ضفتيه (٣) فيصلون صلوات كثيرة.

ومما عثر عليه فى آثار أشور صلاة حارة يستغيث فيها الملك (بانيبال) بآلهة ليفرج كربه ويزيل همه ويرضى عنه، جاء فيها: «هل أحظى بنور وجهك البهى، فتبدد أحزان وهموم عبدك الذى يؤمن بك، فلا أتعرض يوماً ما لسخط ربى وغضب إلهى، اللهم أمح خطاياى وآثامى وأرض علىّ، فإنى عبدك الذى يؤمن بعظمة قوتك. اللهم أنظر إلى وساعدنى وليضئ نورك على فتمنحنى الانتصار والغبطة والسعادة ووفرة المال والثروة».

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما يرويه إشعياء عن الوثنى «صنع صنماً لنفسه... يخر له ويسجد ويصلى إليه ويقول نجنى لأنك أنت إلهى» (٤) وما يرويه يونان «فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه» (٥).

(٧) الصلاة بالابتهاج والغناء وآلات العزف: هذه هى صلوات التهليل وأناشيد الفرح الدينى وأغانى المعابد والمساجد والهياكل فى عبادات الشعوب والأمم غير الإسرائيلية. من أمثلة ذلك ما وجد منقوشاً على جدران معبد الشمس الذى بناه الملك (أمنوفيس الرابع) من أدعية وأناشيد كان المرتلون ينشدونها على نغمات الأوتار، ومن بينهم غانية تدعى «سنرو» ترنم لقرص الشمس ترنيمة تقول فى مطلعها: «لك الثنايا يا صاحب الأعوام، يا موجد الشهور والأيام يا معدد الساعات فى سائر الأوقات» (٦).

وثمة أنشودة أخرى كان ينشدها المصريون للإله أوزوريس يقولون فيها: «إن جسمك من معدن جميل لامع، ورأسك زرقاء كزرقة السماء، وجمال وبهاء الفيروز يكللانك» (٧).

---

(١) الكافى مجلد ١ ص ١١٣.
(٢) ٢. مل ١٩: ٣٦.
(٣) الكافى مجلد ١ ص ١٧٨.
(٤) إش ٤٤: ١٧.
(٥) يونان ١: ٥.
(٦) الكافى مجلد ١ ص ٧٨.
(٧)مفتاح الأسرار ص ١٣٥.

وفى النيل ينشدون شعراً «أيها المتلألئ العظيم الخارج من نون « المحيط الأصلى»، أنك تصون حياة الرجال بالنهر الصادر منك...» (١).

وهكذا الشعب الفارسى يعبد مرنماً بأنغام وألحان وتراتيل، ومثله الشعب اليونانى وقد كانت الموسيقى الدينية موضع عناية أفلاطون فى محاوراته.

ولا غرو أن تستعمل فى الترنيم آلات العزف والموسيقى، «كالقرن والناى والعود والرباب والسنطير (أو القانون) والمزمار» (٢).

ولو تتبعنا جميع الشعوب والأمم الإنسانية لوجدنا أن الأناشيد والأغانى الدينية لها مركز ممتاز فى طقوس الديانات وترتيباتها مهما كانت هذه الشعوب بدائية وغارقة فى الجاهلية.

الاستشفاع بالمقربين من الآلهة:

كان الالتجاء إلى شفعاء يتمتعون بالدالة والثقة لدىّ الإله، أمراً طبيعياً ومقبولاً، وأننا نجد بعض إشارات عن ذلك فى كتابنا المقدس.

فدعا فرعون موسى وهرون وقال: «صليا إلى الرب ليرفع عنى وعن شعبى» (٣).

فقال فرعون (لموسى بعد ضربة الذبان) أنا أطلقكم لتذبحوا للرب إلهكم فى البرية، ولكن لا تذهبوا بعيداً، صليا لأجلى (٤).

فأرسل فرعون ودعا موسى وهرون وقال لهما أخطأت هذه المرة، الرب هو البار وأنا وشعبى الأشرار. صليا إلى الرب، وكفى حدوث رعود الله والبرد» (٥).

فغضب نعمان ومضى وقال: هوذا قلت أنه (أليشع) يخرج إلىّ ويقف ويدعو باسم الرب إلهه ويردد يده فوق الموضع فيشفى الأبرص (٦).

---

(١) عن الجغرافية للكتاب المقدس، تأليف لبيب يعقوب ص ٦٠.
(٢) دانيال ٢ : ٥، ٧.
(٣) خر ٨ : ١٨.
(٤) خر ٨ : ٢٨.
(٥) خر ٩ : ٢٩.
(٦) ٢ . مل ٥ : ١١.

ثالثاً: شروط الصلاة وترتيباتها:

(١) التطهيرات:

ما كانوا يصلون قبل أن يقوموا بتطهيرات جسدية استعداداً للصلاة حتى يكونوا مقبولين لدى الإله فلا يغضب عليهم بسبب نجاستهم، وهذا هو ما يعرف بالوضوء عند أمم الشرق وعرب الجاهلية وفي ذلك يقول الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) «أنهم كانوا يداومون على المضمضة والاستنشاق والاستنجاء ونتف الأبط والختان (١). وكذلك أيضاً المجوس الذين لشدة مراعاتهم أمر التطهيرات الجسدية استنبطوا طريقة التيمم عند الحاجة (٢).

وكان كهنة المصريين القدماء يغتسلون بالماء البارد مرتين في كل أربع وعشرين ساعة ويزيلون الشعر والأوساخ. وكانوا يحثون الشعب على الاقتداء بهم في ذلك ولاسيما لمن يشتغلون في أعمال تسبب اتساخهم بالأتربة. وكانوا يغتسلون ضرورة قبل الدخول إلى المعابد والأماكن المقدسة وبعد مباضعة النساء.

ويقول هيرودوت «ويحلق الكهنة كل أجسامهم كل يومين لئلا يتولد فيها قمل أوغيره من الحشرات أثناء قيامهم بخدمة الآلهة وهم يستحمون مرتين كل نهار بالماء البارد ومرتين بالليل... (٣).

ويرى القديس يوستينوس الشهيد والفيلسوف من رجال القرن الثاني للميلاد أن عادات الاغتسال والتطهيرات التي تؤديها الأمم الوثنية قبل الصلاة ترمز إلى المعمودية، وأن مصدرها إيعاز الشياطين للوثنيين بذلك محاكاة وتقليداً لأقوال الأنبياء الإسرائيليين الذين أمروا بالاغتسال. (٤).

قال: لما سمعت الشياطين ما أذاعه النبي عن الاغتسال أوعزوا إلى الذين يدخلون هياكلهم ويتقربون إليهم بالقرابين والذبائح أن يرشوا الماء على أجسامهم ويأمروهم أن يغسلوا كل أجسامهم عند خروجهم وقبل دخولهم المزارات الموضوعة بها صورهم (٥). وإن ذلك من الشياطين إمعاناً في التضليل حتى لا يرجعوا إلى الله. ولكن هذا التعليل إذا صح فإنه لا يطابق

---

(١) مصادر الاسلام ص ٢٠.

(٢) مقالة في الاسلام ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

(٣) هيرودوت في عصر الكتاب الثاني يوتربي ربة الشعر الغنائي ٣٧.

(٤) إش ١: ١٦ – ٢٠.   (٥) الاحتجاج ف ٦٢.

إلا عادات الأمم بعد نزول الشريعة الموسوية، أما العادات التى يرجع تاريخها إلى ما قبل شريعة موسى فلا يوافقها هذا التعليل كما سنرى فيما بعد.

(٢) السجود فى الصلاة:

تصحب الصلاة بالجثو أو الركوع أو السجود فقد مر بنا أن سنحاريب كان يسجد فى بيت نسروخ إلهه (١). وفيما يتصل بالصائبة كانوا يركعون ثمان مرات فى صلاة الصباح وخمس مرات فى الصلاتين الآخريين، وكانوا يسجدون فى كل ركعة ثلاث سجدات.

وهكذا قال نعمان أنه يسجد هو والملك فى بيت رمون إله الآراميين.

وقال الكتاب عن آخاب ملك إسرائيل أنه عبد البعل وسجد له (٢) وعن بنى إسرائيل أنهم صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له (٣) وفى هذا كله كانوا يماثلون الأمم غير الإسرائيلية وهكذا ورد عن البابليين أن نبوخذ نصر هدد من لا يسجد لتمثاله وإلهه فإنه يلقى فى أتون النار المتقدة (٤).

(٣) الصلاة الموضوعة:

كانت لهذه الشعوب القديمة بل ولا زال للأمم الحاضرة صلوات موضوعة يفرض عليهم تلاوتها، كالصلاة التى كانت تعرف بصلاة الباب عند المصريين (٥). ويؤثر عن تحتمس الثالث الذى شيد معبداً فى سمنة لأوسرتسن الثالث، كتب عليه صلوات وكان المصريون يتلونها بناء على دعوته «أيها الأمراء الذين يحترمون معبودات جهاتهم، إذا قربتم من هذا الأثر، فاتلوا هذا الابتهال إلى معبود النوبة توتون وإلى الملك المرحوم أوسرتسن الثالث (٦)، كذلك ذكر عن الملك أمنوفيس الرابع أنه ابتنى مدينة جديدة لدى تبوئه العرش وأقام فيها هيكلاً للشمس نقش على جدرانه رسم الشمس وحوله أدعية كان يتلوها المصريون (٥).

---

(١) ٢. مل ١٩: ٣٧.

(٢) ١. مل ١٦ : ٣١، ٢٢: ٥٣.

(٣) دا ٣: ٦ راجع خر ٣٤: ١٤، لا ٢٦: ١، عدد ٢٥: ٢، تث ٢٩: ٢٦، ١. مل ٩: ٩، أر ٢٢: ٩، ١. مل ١١: ٣٣، مز ٨١: ٩، مز ١٠٦: ١٩، أر ١: ١٦، ٨: ٢، ١٦: ١١، تث ٨: ١٩، ٣٠: ١٧، ٢. أى ٧: ١٩، تث ١٧: ٣، خر ٢٠ : ٥، تث ٥: ٩، خر ٢٣: ٢٤، تث ٤: ١٩، مى ٥: ١٣، لا ٢٦: ١، ٢. مل ١٧: ٣٥... إلخ، إش ٢: ٨، ٤٤، ١٥، ٤٦: ٦، حز ٨: ١٦، دا ٣: ٥، ٦، ١٢، ١٤، ٢٨.

(٤)، (٥)، (٦) الكافى مجلد ١ ص ١٣٢، و ٥٤، ٧٨ على التوالى.

رابعاً: أوقات الصلاة:

وكان الأمم يتجهون إلى معبوداتهم ويصلون إليها فى أوقات محددة فالصائبة مثلاً يصلون ثلاث مرات. أولاها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة والثانية ظهراً، والثالثة عند الغروب (١). كذلك للمجوسية أو الزرادشتية ببلاد فارس صلوات فى أوقات مرسومة:

(١) الاستجداءات:

وهى دعوات للشمس ولمثرا وللقمر وللأمواه وللنار، يحتم على كل من بلغ الثامنة من عمره تلاوتها، بعضها يتلى صباحاً (صلوات الشمس ومثرا) وذلك عند بزوغ الشمس والبعض بعد الظهر (حوالى الساعة الثالثة) والبعض وقت تمام القمر، والبعض يتلى يومياً مرة، وهى التى يطلب بها الصحة والمساعدة والتضحية وطلب الحياة.

(٢) الجاه:

وهى صلوات لحراس الليل وحراس النهار، تتلى احداها من ٦ ـ ١٠ صباحاً والثانية من ١٠ ـ ٣ مساءً. والثالثة من ٣ ـ ٦ مساءاً، والرابعة من ٦ ـ منتصف الليل، والخامسة من منتصف الليل الى ٦ صباحاً.

(٣) الافريكانز:

وهى الصلوات التى تتلى عند تعاطى النبيذ واللبن وعند أكل الفاكهة، وبعضها يتلى للملائكة، والبعض لأرواح الفانين، ولكل منها وقت مخصوص (٢).

خامساً: اتجاه الصلاة:

كانت لهذه الأمم عناية باتخاذ اتجاه معين فى الصلاة يتجهون اليه جميعاً، وعن الصابئة قال إبن العبرى أن قبلتهم كانت القطب الشمالى وقال آخر أنها القطب الجنوبى، وقال ثالث أنها مكة، وقال غيره أنهم أنما كانوا يستقبلون النجم (٣).

وقد اقتدى بعض الاسرائيليين هذه القدوة فاتجهوا جهة الشرق فى صلواتهم تعبداً للشمس التى كان يتعبد لها بعض الأمم، قال النبى حزقيال: «فجاء بى الى دار بيت الرب الداخلية، واذا عند

---

(١) الكافى مجلد ٢ ص ١٨.

(٢) راجع كتاب العقائد تأليف عنايت ص ٧٥، ٧٦..

(٣) الكافى مجلد ٢ ص ١٨.

باب هيكل الرب، بين الرواق والمذبح، نحو خمسة وعشرين رجلاً: ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق. وهم ساجدون نحو الشرق» (١).

سادساً : مكان الصلاة:

(١) إقامة بيوت للالهة:

فكانوا يقيمون للالهة بيوتاً خاصة بها وكان الملوك يعنون بهذا الأمر أكبر عناية، وقد مر من أخبار الملوك أن تحتمس الثالث شيد معبداً فى سمنة لاوسرتسن الثالث وأن أمنوفيس الرابع بنى معبداً للشمس.

وقد قيل فى تاريخ الملك أوسرتسن الثالث أنه كان يحترم المعبوادات ويقيم لها المعابد ذات الأبنية الشامخة وقد سجل على الآثار ما نصه: «فى اليوم الثامن عشر من شهر كيهك سنة ١٤ من حكم الملك أوسرتسن الثالث محب خم - هر (معبود مدينة قفط) صدر أمر منه بصنع أثر لذلك المعبود فى وادى الحمامات وأثر آخر لهرسف معبود اهناس المدينة» (٢).

كما يؤثر الملك أو الامبراطور (آمن - هتب) أو (امنوفيس الثالث) أنه ترك آثاراً عظيمة منها «هيكل للمعبود (موت) زوجة آمون معبود طيبة، وهيكل فى الجهة الغربية من الكرنك للمعبود آمون، وأنشأ أيضاً على شاطىء النيل الأيسر تجاه الأقصر معبداً كان بمعرفة المهندس الشهير امنهوتب، وكان هذا المعبد من أعظم الآثار المصرية. ولم يبق منه الآن إلا التمثالان الكبيران الموضوعان على يمين ويسار الداخل الى المعبد (٣) ...

واليونان أيضاً كانوا يقيمون للآلهة بيوتاً، من ذلك معبد ابولون فى دلف على سفح جبل برناس، أما تزوس فهو الاله الأكبر، وكان هيكله هو الأعظم فى أوليمبا بالمورة.

وكانت هذه المعابد تسمى هياكل أو بيوتا للآلهة، وكانوا يطلقون عليها اسم الاله الذى أقيمت له، وقد جاء فى الكتاب المقدس ذكر «لبيت داجون» اله الفلسطنيين» (٤) و«بيت رمون» اله

---

(١) حز ٨: ١٦.

(٢) مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية تأليف سليم سليمان..

(٣) عن مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية.

(٤) ١ . صم ٥: ٢

الآراميين(١)، «بيت نسروخ، اله الآشوريين (٢) «بيت عشتاروث، اله الصيدونيين(٣)، و«هيكل أرطاميس «آلهة الأفسسيين»(٤)، و«بيت شمس، الهة المصريين(٥)، و«بيت البعل» (٦).

ولم تكن البيوت أو هياكل الآلهة تبنى كيفما اتفق بل على نسق خاص يلائم طقوس العبادة وترتيباتها.

وهاك أوصاف أول معبد أقيم لعبادة كنفوشيوس بقلم أحد السائحين: «معبد كنفوشيوس عظيم الرحاب متعدد المقاصير التى أقيمت للتعبد وطلب الحكمة، يتوسطها الهيكل وبه لوحة نقش عليها اسم كنفوشيوس أخص معبودات الصين، وتحوطها فى جوانبها ألواح أخرى كتب عليها أسماء الأباطرة الذين تعبدوا طوع تعاليمه، وقد ألفت نظرى فى المدخل تسعة طبول ضخمة من صخر نقشت عليها نقوش صينية منذ أسرة شو (١١٢٢) قبل الميلاد، وفى فنائه الشاسع بهو الحكمة بأعمدته الممتدة، وهناك نرى بقايا كتب كنفوشيوس حيث نقشت على ألواح الحجر.

(٢) تزيين بيوت الآلهة بالصور والرسوم:

قلنا أن الملك أمنوفيس الرابع لما أقام معبدا للشمس نقش على جدرانه رسم الاله وهو الشمس ونضيف بما قاله صاحب الكافى فى كلامه عن ديانة المصريين: «وكان لملوكهم عناية كبرى ببناء المساجد والهياكل، وبذل النفيس فى تزيينها بالنقوش الفاخرة، والرسوم الظاهرة، والألوان المختلفة، وكانوا يقطعونها الاقطاعات الواسعة تخليداً لذكرهم» (٧).

وصور الأشوريون سيد آلهتهم على شكل دائرة تخرج منها أجنحة عدة، وفى ركن الدائرة رسم رجل. ويقول روبنسون أن هذا الرسم يرمز الى حلول الله في كل مكان، ومعرفته بكل شيء، وكلمته غير المحدود.

(٣) تدشين الهياكل والمعابد والتماثيل:

ولكيما تتكرس البيوت والتماثيل، وتغدو مقدسة بعد صنعها كانوا يحتفلون بتدشينها بطقوس خاصة، فقد ورد عن أهل بابل أن «نبوخذ نصر الملك صنع تمثالاً من ذهب، طوله ستون ذراعا وعرضه ست أذرع ونصبه فى بقعة دوراً فى ولاية بابل. ثم أرسل نبوخذ نصر الملك ليجمع المرازبة والشحن والولاة والقضاة والخزنة والفقهاء والمفتين وكل حكام الولايات ليأتوا لتدشين

(١) ٢. مل ٥: ١٨ (٢) ٢. مل ١٩: ٢٧.
(٣) ١. صم ٣١: ١٠. (٤) أع ١٩: ٢٧، ٢٨ (٥) أر ٤٣: ١٣.
(٦) ٢. مل ١٠: ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٧. (٧) الكافى مجلد ١ ص ١٧٣.

التمثال الذى نصبه نبوخذ نصر الملك. حينئذ اجتمع المرازبة والشحن والولاة والقضاة والخزنة والفقهاء والمفتون وكل حكام الولايات لتدشين **التمثال** الذى نصبه نبوخذ نصر الملك، ووقفوا أمام التمثال الذى نصبه نبوخذ نصر. ونادى مناد بشدة، قد أمرتم أيها الشعوب والأمم والألسنة، عندما تسمعون صوت القرن والناى والعود والرباب والسنطير (القانون) والمزمار وكل أنواع العزف، أن تخروا وتسجدوا لتمثال الذهب الذى نصبه نبوخذ نصر الملك»(١).

ويترتب على التدشين أن تصبح هذه الهياكل مقدسة ومكرسة للاله. وقد كانوا يشعرون نحو هذه المعابد بشعور التقديس والاحترام، وكانت لها فى نظرهم حرمة خاصة، حتى لقد كان الأطباء المصريون يقيمون عباداتهم فى المعابد ـ لما لمهنة الطب عندهم من القدسية ـ ومع ذلك فاذا تزوج هؤلاء الأطباء فقد كانوا يقيمون بعائلاتهم خارج المعابد، احتراماً وتقديساً لها وللآلهة المقيمين فيها.

(٤) إقامة مذابح للآلهة:

فى معابد الأمم تبنى المذابح، وقد تقام غالباً فى المرتفعات والغابات، ولقد أبان الكتاب المقدس بوصفه كتاباً تاريخياً قديماً أن لآلهة الشعوب الأخرى مذابح حتى أن بلعام قال لبالاق ملك الموآبيين عندما استدعاه ليعلن اسرائيل «ابن لى... سبعة مذابح» (٢) وكذلك فعل أنبياء فى أيام ايليا(٣)، ولذا فإن الرب الاله أمر بنى اسرائيل أن لا يبقوا على هذه المذابح الوثنية فى البلاد التى يفتتحونها فقال: تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم(٤)، وتقطعون سواريهم(٥) ولكن بنى اسرائيل خالفوا أمر الرب وبنوا مذابح لآلهة الأمم الغريبة(٦). أما الملوك الصالحون فى اسرائيل فكانوا يهدمونها كأمر الرب كما فعل يوشيا: «وهدموا أمامه مذابح البعليم... وأحرق عظام الكهنة على مذابحهم... هدم المذابح والسوارى» (٧).

---

(١) دانيال ٣: ١ – ٥.
(٢) عدد ٣٣: ١، ١٤: ٢٦.　　　(٣) ١. مل ١٨: ٢٦.
(٤) يعبر بالأنصاب عن أعمدة مصنوعة من حجر أصناماً للبعل الذى هو المشترى.
(٥) يعبر بالسوارى عن أعمدة مصنوعة من خشب أصناماً لعشترة التى هى الزهرة (عن الكتاب المقدس ذى الشواهد)، خر ٣٤: ١٣، تث ٧: ٥، ١٢: ٣، قض ٢: ٢.
(٦) ١. مل ١٣: ١، ٢، ٢. مل ٢١: ٢ – ٥، إش ١٧: ٨، إر ١٧: ١، خر ٦: ٤، ٥، ٦ إر ١١: ١٣، هو ٨: ١١، ١٠: ١، عا ٢: ٢٨، عا ٣: ١٤.
(٧) ٢ أى ٣٤: ٤– ٦، ٢. مل ١١: ١٨.

وقد كان من عادة الأمم، حيث تعددت الآلهة عندهم، أن يقيموا لكل اله مذبحاً يكتبون عليه اسم الاله أو المعبود (قارن هذا مع ما يقوله القديس بولس فى أريوس باغوس لأهل أثينا «بينما كنت أجتاز وأنظر الى معبوداتكم، وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه لاله مجهول» (١).

(٥) تقريب الذبائح والقرابين:

وفكرة الذبيحة مقترنة بالمذبح، أى أن الأمم كانوا يتقربون الى آلهتهم بمحرقات وذبائح وقرابين يترضون بها وجوههم، ولنا فى ملاحى السفينة التى نزل بها يونان مثال يوضح فكرة الذبيحة عند الأمم. فعندما سكن البحر عن هيجانه «خاف الرجال من الرب خوفاً عظيماً، وذبحوا ذبيحة للرب» (٢). وقد ورد عن أهل لسترة أنهم أرادوا أن يذبحوا لبولس وبرنابا ظناً منهم أنهما آلهة «فأتى كاهن زفس الذى كان قدام المدينة بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع وكان يريد أن يذبح» (٣) وعن أقطاب الفلسطينيين أنهم اجتمعوا ليذبحوا ذبيحة عظيمة لداجون إلههم (٤).

لذلك حرص الرب إله اسرائيل على أن يمنع شعبه من ذبائح الأمم، احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض، فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم» (٥) «من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك» (٦) «وقطع الرب معهم عهدا وأمرهم قائلاً: «لا تتقوا آلهة أخرى ولا تسجدوا لها ولا تعبدوها، ولا تذبحوا لها، بل إنما اتقوا الرب الذى أصعدكم من أرض مصر بقوة عظيمة وذراع ممدودة، وله اسجدوا، وله اذبحوا»(٧). وقد خالف اسرائيل وصية الرب وكانوا «يذبحون للبعليم»(٨) «وأقام اسرائيل فى شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب، فدعون الشعب الى ذبائح آلهتهن» (٩)، «ذبحوا لأوثان ليست الله، لآلهة لم يعرفوها(١٠) وكانت نساء سليمان يوقدن ويذبحن لآلهتهن(١١)، وضل اسرائيل «فعملوا عجلاً فى تلك الأيام وأصعدوا ذبيحة للصنم(١٢)، بل وملوك اسرائيل قد انغوى بعضهم بعبادة الأمم الغريبة «وذبح (آحاز) لآلهة دمشق الذين ضاربوه وقال: لأن آلهة ملوك آرام تساعدهم، أنا أذبح لهم فيساعدونى وأما هم فكانوا سبب سقوط له ولكل اسرائيل(١٣)، وقال الله مرة أخرى معاتباً، «كما

(١) أع ١٧: ٢٣. (٢) يون ١: ١٦. (٣) أع ١٤: ١٣ - ١٨.
(٤) قض ١٦: ٢٣. (٥) خر ٣٤: ١٥.
(٦) خر ٢٢: ٢٠. (٧) ٢. مل ١٧: ٣٥، ٣٦.
(٨) هو ١١: ٢ (٩) عدد ٢٥: ٢، راجع حز ٢٠: ٢٨.
(١٠) تث ٣٢: ١٧. (١١) ١. مل ١١: ٧، ٨.
(١٢) أع ٧: ٤١. (١٣) أى ٧: ٢٣.

أتيت بهم الى الأرض التى رفعت لهم يدى لأعطيهم اياها، فرأوا كل تل عال وكل شجرة غبياء، فذبحوا هناك ذبائحهم وقربوا هناك قرابينهم المغيظة، وقدموا هناك روائح سرورهم وسكبوا هناك سكائبهم (١).

وقد أشار العهد الجديد كذلك الى ذبائح الأمم. فأصدر المجمع الرسولى المقدس أمره الى المؤمنين «أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام»(٢) وكتب الرسول فى ذلك يقول «فماذا أقول: أن الوثن شيء أو أن ماذبح للوثن شيء، بل أن ما يذبحه الأمم، فانما يذبحونه للشياطين لا لله. فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين. لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس الشياطين. لا تقدرون أن تشتركوا فى مائدة الرب وفى مائدة شياطين (٣).

وذبائح الأمم من الحيوان بل وقد بلغ بهم جنون الوثنية أن يقربوا للآلهة ذبائح بشرية، ومنها بابنائهم وبناتهم الذين يجيزونهم فى النار فيحترقون تعبدا وترضياً لوجه الاله. ومن ذلك ما فعله ملك موآب فى الحرب ضد اسرائيل «فأخذ ابنه البكر الذى كان ملك عوضاً عنه وأصعده محرقة على السور(٤). ولقد أبدى إله اسرائيل استياءه من هذا النوع من الذبائح فقال: «ولا تعط من زرعك للاجازة لمولك لئلا تدنس اسم الهك، أنا الرب» (٥).

وقال أيضاً «كل أنسان من بنى اسرائيل ومن الغرباء النازلين فى إسرائيل أعطى من زرعه لمولك، فإنه يقتل، يرجمه شعب الأرض بالحجارة. واجعل أنا وجهى ضد ذلك الإنسان وأقطعه من شعبه لأنه أعطى من زرعه لمولك، لكى ينجس مقدسى ويدنس اسمى القدوس(٦)، وقال النبى موسى: «لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار»(٧)، وقال أيضاً يحذرهم «لا نعمل هكذا للرب الهك لأنهم قد عملوا لآلهتهم كل رجس لدى الرب مما يكرهه، اذا أحرقوا حتى بنيهم وبناتهم بالنار لآلهتهم» (٨).

أجل لقد أمر الله ابراهيم أن يقدم ابنه اسحق ذبيحة(٩)، وهذا الأمر لم يتقبله ابراهيم بالدهشة نظراً لأن الأمم قد جرت فى عبادتها على هذه العادة، فلما منعه عن ذبحه وأبدله بكبش، أبان بهذا عن كراهيته لهذه العادة الوحشية القاسية.

---

(١) حز ٢٠: ٢٨: ٢٩. (٢) أع ١٥: ٢٩، ٢١: ٢٥.
(٣) ١. كو ١٠: ٢٠، ٢١ ثم راجع ١. كو٨: ١، ٤، ٧، ١٠.
(٤) ٢. مل ٣: ٢٧. (٥) لا ١٨: ٢١.
(٦) لا ٢٠: ٢، ٣. (٧) تث ١٨: ١٠.
(٨) تث ١٢: ٣١. (٩) تك ٢٢.

ومع أن الله تعالى قد رذل هذه العادة، لكن بنى اسرائيل قد تأثروا بالأمم فى هذا الأمر وخالفوا أوامر العلى ولذا تنهد النبى فى المزمور وقال: اختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم، وعبدوا أصنامهم فصارت لهم شركا، وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان، وأهرقوا دما زكيا دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان(١) . وقال النبى حزقيال عن بنى اسرائيل أنهم «أجازوا فى النار كل فاتح رحم»(٢) ، «وعبروا بنيهم وبناتهم فى النار»(٣) ، وخضع الملوك لهذه المخالفة، فجاء عن آحاز ملك يهوذا «أنه عبّر ابنه فى النار حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب أمام بنى اسرائيل»(٤) ، وهكذا فعل منسى الملك» عبر ابنه فى النار»(٥) ، ولذا قال الرب معاتباً: أنهم «بنوا مرتفعات توفه التى فى وادى ابن هنوم، ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار الذى لم آمر به ولاصعد على قلبى»(٦) أما يوشيا فهو الملك الصالح الذى نجس توفه التى فى وادى بنى هنوم، لكى لا يعبر أحد ابنه أو ابنته فى النار لمولك»(٧) .

واذا تحدثنا عن الذبائح والقرابين التى يتقرب بها الأمم الى آلهتهم فلابد أن نذكر بهذا الصدد عناية الملوك بتعيين مربوطات ومرتبات لينفق منها على الذبائح ومتعلقاتها، فقد كانت عناية ملوك مصر القدماء على الخصوص أمرا يستحق الاشادة والتنويه، ومن ذلك ما جاء بورقة هارميس على لسان رمسيس الثالث أن سيتنخت مرمايون لما على تخت الملك، أعطى المعبوادات مرتباتهم حسب مربوط قوانينهم (٨) ، بل كان لهذه القرابين فى عهد بعض الملوك شون ومخازن خاصة لحفظها فيها(٩) وكانت الحكومة تتكفل بكل ما تقتضيه الهياكل والقرابين والكهنة من نفقات ومصروفات(١٠)

هذا وقد ذكر عن بال، الصنم الذى يعبده أهل بابل، أن «كانوا ينفقون له كل يوم اثنى عشر أردبا من السميذ، وأربعين شاه، وستة أمتار من الخمر» (١١) .

---

(١) مز ١٠٦ : ٣٥ – ٣٨ .
(٢) حز ٢٠ : ٢٦ ، ٣١ .
(٣) ٢ . مل ١٧ : ١٧ راجع أيضاً حز ١٦ : ٢٠ ، ٢١ ، ٣٦ ، إش ٥٧ :٥ .
(٤) ٢ . مل ١٦ : ٣ ، ٢ . أى ٢١ : ٣ .
(٥) ٢ . مل ٢١ : ٦ .
(٦) إر ٧ : ٣١ ، ١٩ : ٥ ، ٣٢ : ٣٥ ، حز ٢٣ : ٣٧ .
(٧) ٢ . مل ٢٣ : ١٠ .
(٨) الكافى مجلد ١ : ١٠٢ .
(٩) الكافى مجلد ١ ص ١٣٠ ، ١٣١ .
(١٠) الكافى مجلد ١ ص ٧١ ، ١٠٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٧٣ .
(١١) دانيال ١٤ : ٢ – ٢١ .

(٦) التقدمات والسكائب وإيقاد النار:

وفضلاً عن الذبائح كانوا يقربون التقدمات من خيرات الأرض، ويسكبون السكائب ويوقدون للإله تعبداً وتقربا واستمطاراً لمراحمه واتقاء لغضبه، ولذا لما أحس نبوخذ نصر بعظمة دانيال الذى فسر له أحلامه وخبره بما رآه «خر نبوخذ نصر على وجهه وسجد لدانيال، وأمر بأن يقدموا له تقدمة وروائح سرور(١) وهى أمور كان يقدمها ذلك الملك الوثنى للآلهة. وهكذا فعل داريوس نحو إله اسرائيل مما يدل على أن فكرة تقريب القرابين لم تكن بعيدة عن ذهنه الوثنى، قال: «وقد صدر منى أمر.... من مال الملك. تعط النفقة عاجلاً لهؤلاء الرجال حتى لا يبطلوا وما يحتاجون اليه من الثيران والكباش والخراف محرقة لإله السماء، وحنطة وملح وخمر وزيت حسب قول الكهنة الذين في أورشليم، لتعطلهم يوما فيوم حتى لا يهدأوا عن تقريب روائح سرور لإله السماء والصلاة لأجل حياة الملك وبنيه(٢)، كذلك قال ارتحشستا ومنى أنا أرتحشستا الملك صدر أمر الى كل الخزنة الذين فى عبر النهر أن كل ما يطلبه منكم عزرا الكاهن كاتب شريعة اله السماء فليعمل بسرعة، إلى مائة وزنة من الفضة ومائة كر من الحنطة ومائة بث من الخمر، ومائة بث من الزيت والملح دون تقييد (كتابه)، كل ما أمر به إله السماء فليعمل باجتهاد لبيت إله السماء، لأنه لماذا يكون غضب على ملك الملك وبنيه(٣)، وقد أشار الرسول بولس فى العهد الجديد إلى قربان الأمم (٤).

وفى الكتاب المقدس نصوص كثيرة تشهد بما كان الأمم يقربونه إلى آلهتهم من قرابين وما يسكبونه ويوقدونه أمامها، مثال ذلك نساء سليمان الغريبات: فكن يوقدن ويذبحن لآلهتهن(٥).

وقد أظهر الرب حزنه الشديد على شعبه الذى ضل فصار يفعل نظير الأمم يقرب لغير الهه، وحتى سليمان نفسه «كان يذبح ويوقد فى المرتفعات»(٦) لذا قال الرب يخاطب أورشليم: «وصنعت لنفسك مرتفعات موشاة... وأخذت ثيابك المطرزة وغطيتها بها، ووضعت أمامها زيتى وبخورى وخبزى الذى أعطيتك، السميذ والزيت والعسل الذى أطعمتك، وضعتها أمامها

(١) دا ٢: ٤٦.
(٢) عز ٦: ٨ – ١٠.
(٣) عز ٧: ٢١ – ٢٣.
(٤) رو ١٥: ١٦.
(٥) ١. مل ١١: ٨.
(٦) ١. مل ٣: ٣.

رائحة سرور(١) .. «وهى لم تعرف أنى أنا أعطيتها القمح والمسطار والزيت. وكثرت لها فضة وذهبا، جعلوه لبعل، لذلك أرجع وآخذ قمحى فى حينه ومسطارى فى وقته وانزع صوفى وكتانى(٢)، «فتعلمون أنى أنا الرب اذا كانت قتلاهم فى وسط أصنامهم.. (فى) الموضع الذى قربوا فيه رائحة سرور لكل أصنامهم»(٣).

فلما جاء يوشيا الملك الصالح «لاشى كهنة الاصنام الذين جعلهم ملوك يهوذا ليوقدوا على المرتفعات فى مدن يهوذا وما يحيط بأورشليم، والذين يوقدون للبعل، للشمس والقمر والمنازل (أى منازل القمر أو الأبراج الأثنى عشر ولكل أجناد السماء... وهدم بيوت المأبونين التى عند بيت الرب حيث كانت النساء ينسجن بيوتا للسارية»(٤).

أما عن سكائب الأمم فقد أشار اليها الوحى لما كان فى صدد عتابه لبنى اسرائيل الذين سكبوا لآلهة الامم: «وتكون بيوت أورشليم وبيوت ملوك يهوذا كموضع توفه نجسة، كل البيوت التى بخروا على سطوحها لكل جند السماء وسكبوا سكائب لآلهة أخرى»(٥) «ذبحوا هناك ذبائحهم وقربوا هناك قرابينهم المغيظة وقدموا هناك روائح سرورهم وسكبوا هناك سكائبهم» (٦) «لتلك سكبت سكيبا وأصعدت تقدمة»(٧). ثم قال: أما ترى لماذا يعملون فى مدن يهوذا وفى شوارع أورشليم: الابناء يلتقطون حطباً والآباء يوقدون النار، والنساء يعجن العجين ليصنعن كعكاً لملكة السموات ولسكب سكائب لآلهة أخرى لكى يغيظونى»(٨).

(٧) احراق البخور أو التبخير:

واحراق البخور طقس من الطقوس التى عرفت عند الأمم غير الاسرائيلية، وهكذا فعلت شعوب مصر وموآب وسائر أمم كنعان وغيرها فى العالم القديم والمتوسط والحديث «وأبطل من موآب يقول الرب، من يصعد فى مرتفعه، ومن يبخر لآلهته» (٩) «فلما ضل إسرائيل كان يبخر

---

(١) حز ١٦: ١٩. (٢) هو ٢: ٨.
(٣) حز ٦: ١٣ راجع أيضاً إر ٤٤: ١٩.
(٤) ٢. مل ٢٣: ٥ – ٧
(٥) إر ١٩: ١٣.
(٦) حز ٢٠: ٢٨.
(٧) إش ٥٧ : ٥، ٦.
(٨) إر ٧:١٧، ١٨ راجع أيضاً إر ٤٤: ١٧، ١٨، ١٩.
(٩) إر ٤٨: ٣٥.

أيضاً لآلهة الأمم كعادتهم، ولذا فالنصوص التى يوردها الوحى عن تبخير اسرائيل للأصنام هى إشارة واضحة لهذا الطقس عند الأمم: «شعبى ... يذبحون على رؤوس الجبال ويبخرون على التلال»(١) «يذبحون للبعليم ويبخرون للتماثيل المنحوتة»(٢) «ورب الجنود غارسك قد تكلم عليك شرا من أجل شر بيت اسرائيل وبيت يهوذا الذى صنعوه ضد أنفسهم، ليغيظونى بتبخيرهم للبعل» (٣) . «وضعت لنفسك مرتفعات... ووضعت أمامها زيتى وبخورى» (٤) «لأن شعبى قد نسينى بخروا للباطل»(٥) «شعب يغيظنى بوجهى دائماً يذبح فى الجنات، يبخر على الآجر(اللبن)»(٦) «ها اكتب أمامى، لا أسكت بل أجازى... الذين بخروا على الجبال وعيرونى على الآكام»(٧) ، «من أجل أنهم تركونى وأنكروا هذا الموضع وبخروا فيه لآلهة أخرى لم يعرفوها» (٨) «وأقيم دعواى على كل شرهم، لأنهم تركونى وبخروا لآلهة أخرى وسجدوا لأعمال أيديهم» (٩) «فينطلق مدن يهوذا وسكان أورشليم ويصرخون إلى الآلهة التى يبخرون لها فلن تخلصهم فى وقت بليتهم» (١٠) « من أجل شرهم الذى فعلوه ليغيظونى، إذ ذهبوا ليبخروا ويعبدوا آلهة أخرى لم يعرفوها» (١١) «فأرسلت... كل عبيدى الأنبياء.... فلم يسمعوا ولا أمالوا أذنهم ليرجعوا عن شرهم فلا يبخروا لآلهة أخرى.. لماذا أنتم فاعلون شرا عظيماً ضد أنفسكم لإغاظتى بأعمال أياديكم إذ تبخرون لآلهة أخرى فى أرض مصر (١٢)، «لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزى ومذابح للتبخير للبعل»(١٣) . «أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً وتبخرون للبعل»(١٤) .

على أن للوثنيين طقوساً خاصة بهم تعتبر ملازمة للعبادة عندهم اذا تقدموا لتقديم الذبائح على المذابح، هى أنهم يطوفون حول المذبح يرقصون، فإذا أبطأ الاله فى اجابة الصلاة، بدأوا

---

(١) هو ٤: ١٣.
(٢) هو ١١: ٢.
(٣) إر ١١: ١٧.
(٤) خر ١٦: ١٦، ١٨، ٢٣: ٤
(٥) إر ١٨: ١٥، حب ١: ١.
(٦) إش ٦٥: ٣.
(٧) إش ٦٥: ٦، ٧.
(٨) إر ١٩: ٤.
(٩) إر ١: ١٦.
(١٠) إر ١١: ١٢.
(١١) إر ٤٤: ٣.
(١٢) إر ٤٤: ٤، ٥، ٧، ٨.
(١٣) إر ١١: ١٣.
(١٤) إر ٧: ٩ راجع أيضاً إر ٤٤: ١٥ ـ ١٩، هو ٢: ١٣.

يصرخون بصوت عال ويقطعون أنفسهم بالسيوف والرماح، لعل الله أو الاله الذى يطلبونه ينصت إليهم ويغيثهم، قال الكتاب المقدس عن أنبياء البعل فى حادثة جبل الكرمل، فأخذوا الثور الذى أعطى لهم، وقربوه ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر قائلين: يا بعل أجبنا.. فلم يكن صوت ولا مجيب. وكانوا يرقصون حول المذبح الذى عمل. وعند الظهر سخر بهم ايليا، وقال: ادعوا بصوت عال لأنه إله، لعله مستغرق (أو متكلم) أو فى خلوة أو فى سفر، أو لعله نائم فيتنبه. فصرخوا بصوت عال، وتقطعوا حسب عادتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم»(١).

كتب هيرودوت يصف ما يتبعه المصريون من طقوس فى ذبائحهم يقول: ويعتقدون أن الثيران مقدسة لابافوس، وهم لذلك يفحصونها بالطريقة الآتية: اذا رأى الكاهن شعرة واحدة سوداء فى بدن الثور اعتقد أن الحيوان دنس، ويقوم واحد من الكهنة يوكل اليه هذا الأمر بفحص الحيوان حينما يكون الحيوان قائماً مرة وراقدا أخرى ويجذب لسانه ليرى اذا كان طاهراً بحسب سيمات معينة... ويفحص شعر الذيل كذلك ليرى اذا كان الشعر ينبت طبيعياً. فإذا كان الثور طاهرا من كل هذه الوجوه يختمه بأن يلف قطعة من البردى حول قرنيه ويلصقها بصلصال لزج ثم يضع عليها خاتمه. وهكذا يذهبون الثور. والموت هو العقوبة المقررة لمن يضحى بثور غير مختوم. هذه اذن طريقة فحص الحيوان.

أما طريقتهم فى تضحيته فهكذا...يسوقون الثور المختوم إلى المذبح حيث تكون التضحية ثم يشعلون نارا، وبعد ذلك يسكبون خمرا على المذبح فوق الضحية، ثم ينحرون داعين للإله، وبعد نحر الذبيحة يفصلون الرأس. أما الجسم فيسلخونه ويأخذونه. وبعد ذلك يستنزلون لعنات كثيرة على تلك الرأس. أما الذين لديهم سوق وتجار يونانيون فى مدينتهم فيحملون الرأس إليه ويبيعونه فى الحال. وأما الذين لا يعيش يونانيون بينهم فيلقون بالرأس فى النهر. وهذه هى اللعنات التى يتلونها على الرأس: «ان كانت مصيبة توشك أن تقل للمضحين أنفسهم أو لمصر على العموم فلتقطع على تلك الرأس. ويتبع المصريون كلهم فيما يتعلق برؤوس الحيوانات المضحى بها وتقريب الخمر هذه الشعائر نفسها ويطبقونها على كل الذبائح ووفقا لهذه السنة لا يذوق أحد من المصريين البتة رأس أى كائن ذى روح . وتختلف عندهم طريقة استخراج احشاء الضحية وحرقها باختلاف الضحية.

---

(١) ١. مل ١٨: ٢٦ – ٢٨ (ثم راجع ديانة فينيقية بكتاب الجغرافية الاجتماعية) ص ٢٧٤.

سابعاً: إمام الصلاة:

(١) وظيفة الكهنوت:

ما كان يقود الوثنيين فى صلواتهم غير فئة خاصة يسمونها الكهنة. هؤلاء الكهنة هم الذين يصلون عن الأمة كلها، وهم وحدهم الذين يحملون حق التقريب إلى الآلهة وتقديم الذبائح والمحرقات، فهم خدمة الآلهة، وكتمة أسرارهم، والشفعاء لدى العرش، والواقفون على أسرار العالم المجهول، والمقدرون لحظوظ البشر، وبأيديهم مفاتيح المعرفة(١)، وليس ثمة أمة تعبد الها ما إلا وقد عينت لخدمة الإله فيها طغمة قد أوقفت على هذه الوظيفة الخطيرة، وقد اشتهرت فى بلاد فارس ومادى طبقة المجوس، ولم يكن يسمح لأحد من غير هذه الطبقة أن يتوصل إلى الكهنوت.

وقد ورد فى الكتاب المقدس اشارات عدة إلى كهنة الأمم، فمن ذلك ملكى صادق ملك شاليم(٢) وكهنة آلهة مصر (٣) الذين تزوج يوسف بابنة أحدهم وهو فوطيفار كاهن أون(٤)، ثم «كاهن مديان» وقد تزوج موسى بابنته(٥)، «وكاهن زفس (أى المشترى)» وقد أراد أن يذبح لبولس الرسول(٦) كما أشار أيوب الصديق وهو من أرض عوص إلى «الكهنة»(٧) وعدا ذلك فالاشارات كثيرة إلى كهنة البعل(٨) وورد اسم أحدهم وهو «متان كاهن البعل» (٩) و «كهنة المرتفعات» (١٠) و «كهنة الأصنام» (١١).

وكان للكهنة شأن اجتماعى كبير، فقد كانوا المقربين لدى الآلهة يخبرون الناس وينبئونهم بإرادة الآلهة، وعلى ذلك كانوا مبجلين مكرمين من الشعب الذى كان يوقرهم لسمو مرتبتهم الدينية والعلمية، وأما الملوك فكانوا يخشون من نفوذهم فيفعلون ما يرضيهم اتقاء لغضب الآلهة

---

(١) راجع تاريخ الأمة القبطية، الحلقة الثانية (طبعة ثالثة سنة ١٩٢٥م، ص ٢٢) - تأليف لجنة التاريخ القبطى.
(٢) تك ١٤: ١٨، مز ١١٠: ٤، عب ٥: ٦، ١٠، ٢٠.
(٣) تك ٤٧: ٢٢، ٢٦.
(٤) تك ٤١ : ٤٥.
(٥) خر ٢: ١٦، ٣: ١، ١٨: ١.
(٦) أع ١٤: ١٣
(٧) أى ١٢: ١٩.
(٨) ٢ . مل ١٠: ١١، ١٩، ١ . مل ١٢: ٣١، ١ . مل ١٨: ٤٠، ١ . مل ١٣: ٣٣، ٣٤.
(٩) ٢ . مل ١٩: ١٨.
(١٠) ١ . مل ١٣: ٢، ٢ . مل ١٧: ٣٢، ٢ . مل ٢٣: ٢٠.
(١١) ٢ . مل ٢٣: ٥، هو ١٠: ٥، صف ١: ٤، ٢ . أى ١٣: ٩.

واحتراماً لإرادة الشعب، وإلا فيقتلون بأمر الكهنة وليس من يرد حكمهم كما كان الأمر فى بلاد الحبشة، وكانوا يمنحونهم الأراضى والاقطاعيات ويعفونهم من الضرائب. وقد ذكر الكتاب المقدس عن يوسف أنه اشترى من أهالى مصر أراضى المصريين لملك مصر فى أيام القحط ماعدا الكهنة فقد احتفظوا بأراضيهم وكانوا ينفقون مما كان ينعم الملك به عليهم كفريضة «إلا أن أرض الكهنة لم يشترها إذ كانت للكهنة فريضة من قبل فرعون، فأكلوا فريضتهم التى أعطاهم فرعون، لذلك لم يبيعوا أرضهم(١) ... ويقول أيضاً «إلا أن أرض الكهنة وحدهم لم تصر لفرعون» (٢).

وكان الكهنة يعيشون فى بيوت خاصة بهم حول المعابد وكان كل معبد له أرض زراعية واسعة وأملاك كثيرة. فكان الكهنة يزرعون هذه الأرض وينتفعون بهذه الأملاك، وكان رئيس الكهنة يأخذ الايراد فيصرف منه على المعبد ويعطى الكهنة مرتباتهم ثم يأخذ لنفسه ما يكفيه»(٣).

يقول هيرودوت عن الكهنة «وهم يتمتعون كذلك بامتيازات كثيرة: فهم لا يستهلكون ولا ينفقون شيئاً من دخلهم الخاص، بل يخبز لهم خبز مقدس، ويعطى كل واحد منهم كل يوم قدر كبير من لحم الثيران والأوز، والخمر التى تقدم لهم مصنوعة من العنب، ولا يجوز لهم تناول الأسماك. ولا يبذر المصريون الفول فى حقولهم مطلقاً. ولا يذوقون ما قد ينبت منه فجا أو مطبوخاً. أما الكهنة فلا يطيقون النظر إليه لأنهم يعتقدون أنه بقل دنس» (٤).

وبلغ من نفوذ الكهنة فى الأمم القديمة أن الملك كان يعتمد عليهم ويستشيرهم فى حل مشاكل الحكم وكانوا يرتبون شئون الملك فى الداخل والخارج بل وقد توصلوا إلى العرش فصاروا ملوكا، وقد تم ذلك فى مصر على يد حرحور (هر- هيرو) مؤسس الأسرة الحادية والعشرين، لقد اعتلى هو وأبناؤه من بعده أريكة الملك وكان رئيساً للكهنة، كما أن الإمبراطور آمن هتب أو آمنوفيس الرابع كان كاهناً للشمس قبل اعتلائه عرش مصر. كذلك الحال فى الصين، فقد كان

---

(١) تك ٤٧ : ٢٢.

(٢) تك ٤٧ : ٢٦.

(٣) كتاب المطالعة التاريخية تأليف محمد مصطفى زيادة، وزكى على، وأحمد نجيب هاشم، وسيد أحمد خليل..

(٤) هيرودوت فى مصر، الكتاب الثانى يوتربى ربة الشعر الغنائى: ٣٧.

الإمبراطور هو الحبر الأعظم الذى يقدم العبادة للمتعالى (الإله المتعالى) وليس غيره حق تقديم هذه العبادة.

وليس أدل على مكانة الكهنوت فى العالم القديم مما يقوله تأسيس فى كتابه عن عوائد الجرمانيين (١) «لا يسمح إلا للكهنة أن يحبسوا ويجلدوا ويحكموا وهذا ليس بنوع القصاص أو بأمر الأمير، بل كأن الله، أمر به. وعندهم الملك دون الكاهن فى الاعتبار، لأن الكاهن يفحص المشاكل وعلى ارادته يتوقف الشعب والملك» (٢).

«والمرأة عندهم (قدماء المصريين) لا تكون كاهنة لإله أو آلهة. أما الرجال فمنهم الكهنة لكل الآلهة والآلهات» (٣).

(٢) درجات الكهنوت:

كان الكهنوت فى سائر الأمم الوثنية وظيفة مقدسة موقوفة على أشخاص من فئة خاصة يفرزون لها، وكان عددهم فى كل أمة كبيرا، ومن ثم فكانوا مراتب ودرجات، **أما الدرجة الأولى** فى الاعتبار والمنزلة فقد كانت وظيفة رئاسة الكهنوت، وكان حاملها يسمى الكاهن الأكبر أو الحبر الأعظم أو رئيس الكهنة، وقد مر بنا أن حرحور الذى استل العرش من الأسرة الرمسيسية أو الأسرة العشرين، كان رئيساً للكهنة وأن الامبراطور فى الصين كان هو الحبر الأعظم عندهم. **أما الدرجة الثانية** فهى بالطبع درجة الكهنة الذين يخضعون لرياسة الحبر الأعظم، وأخيراً **فالدرجة الثالثة** هى درجة الشمامسة (وقد جاء فى تاريخ الملك أوبيليوس مقرونيوس أن فريقاً من الجنود الرومانية نزل بمدينة حمص وكان أهلها اذ ذاك صائبين يعبدون الشمس فوجدوا هناك كهنة لخدمة هيكلهم ومن بينهم: شماساً له من العمر ١٣ سنة، اسمه بسيانوس (٤).

ويقول هيرودوت «وليس لكل واحد من الآلهة كاهن واحد (عند قدماء المصريين) بل كثيرون، وأحدهم هو كبير الكهنة. وحينما يموت واحد من الكهنة، يعين ابنه فى مكانه» (٥).

---

(١) فصل ٧: ص ٣٨٤.

(٢) بحث فى حقيقة الايمان للشماس ابراهيم لوقا، ص ٣٩.

(٣) هيرودوت فى مصر، الكتاب الثانى، يوتربى ربة الشعر الغنائى. نقله الى اليونانية الأستاذ وهيب كامل - القاهرة ١٩٤٦، ص ٤٦ نمرة ٣٥.

(٤) الكافى مجلد ١ ص ٢٨٥.

(٥) هيرودوت فى مصر ك ٢: ٣٧.

(٣) طقوس السيامة :

ورد عن الأمم الوثنية أن من يتقلد وظيفة من وظائف الكهنوت فيها، تجرى له طقوس معينة، وتتلى فى يوم سيامته صلوات خاصة يصبح بموجبها صاحب سلطان فى درجته التى رقى إليها، مثال ذلك ما نقش على جدران هيكل خوفو بطيبة، حيث سجلت قمة (منخير رع) بن الكاهن بنزوم الأول، وقد سيم (منخير رع) رئيسا لكهنة الإله (آمون رع)، ومما جاء فى صلاته: «أيها السيد العظيم، لقد كثرت الشكوى من غضبك على الناس المنفيين فى الواحات. فأبتهل إليك، أيها المعبود المصور لكل موجود، ويا مخرج الغذاء للمعبودات والموجودات، ويانور الشمس فى النهار، وضياء القمر فى الليل، يا من يسرى فى السماء دون وقوف أو إمهال، أنظر إلى أولئك الذين تقيتهم بأمرك واشف مرضاهم، وارأف بهم لأنهم شعوبك العديدة، فهل يستطيع أحد أن يسكن غضبك اذا ما غضبت، أنت الشعاع المنير، استجب دعوتى، واعف عن الخدم الذين نفيتهم فى الواحات ليعودوا إلى مصر، «ثم أن الإله على ما ذكر استجاب لصلاته فعاد يصلى إليه ثانية ويقول: «أنا عبدك، النائب عنك فى مدينتك فى صغرى أنت صورتنى وأظهرتنى فى الوجود لمسرة خلقك. فأعطنى عيشة هنيئة فى خدمتك، وقداسة ووقاية من عذابك، وارشدنى إلى طريقك، وأهدنى سبيلك وحبب قلبى فى بيتك العظيم، ولا تحرمنى من فضلك» (١).

(٤) الملابس الكهنوتية :

لم يكن الكهنة يباشرون خدمتهم ووظيفتهم الكهنوتية بغير ملابس يرتدونها لهذا الغرض. ويتخذ الكهنة (عند المصريين) ثيابهم من الكتان وحده وأحذيتهم من البردى. ولا يسمح لهم بلبس غير ذلك من الملابس أو الأحذية» (٢).

«وكانوا يلبسون ثياباً خاصة طول السنة يلبسونها فى الصيف كما يلبسونها فى الشتاء وهى رداء واسع من الكتان الأبيض وحذاء بسيط مصنوع من نبات البردى».

«وكان الكاهن فى المعبد يلبس هذا الرداء البسيط من الكتان الأبيض، فإذا أراد الخروج إلى المدينة يلبس فوق هذا الرداء عباءة من الكتان».

---

(١) كافى مجلد ١ ص ١١٨.

(٢) هيرودوت فى مصر ـ الكتاب الثانى ـ بوتريى ربة الشعر الغنائى ٣٧.

«وأما رئيس الكهنة فكان يلبس على ملابسه عباءة من جلد الفهد، وهو حيوان يشبه القط الكبير»(١) وكانت عند الماديين والفرس بيضاء واسعة تشبه القفاطين، هذا وكانوا يلبسون فوق رؤوسهم طرطورا طويلاً كما كانوا يحملون فى أيديهم الأغصان، وإلا فلا يسمح لهم بتأدية شعائر الدين (٢).

ويظهر من سفر الملوك الثانى أن كهنة البعل كانوا يرتدون ملابس خاصة عند التعبد، ولذا لم يتعجبوا أو يعترضوا حين أمر ياهور فأعدوا لهم هذه الملابس» (٣).

ثامناً: الصوم:

(١) أنواع الصوم:

لم يفت الأمم الوثنية أن تصوم متذللة أمام معبودها فتعطف عليها بالرحمة واجابة سؤالاتها، فكان الصوم لديها طقساً معتبرا بأنواعه:

(١) الصوم فى الضيق: فإذا نقص منسوب النيل فى أرض مصر، كان المصريون ينادون بصوم عام مقترناً بالتضرعات والصلوات (٤). وقد جاء فى الكتاب المقدس عن الملك داريوس الفارسى إذ طرح دانيال فى جب الأسود أنه حزن لذلك، «حينئذ مضى الملك إلى قصره وبات صائماً» (٥)، وعن الراكبين والمسافرين فى السفينة مع بولس، اذ كانوا فى خطر وضيق، أنهم صاموا كثيراً (٦) حتى «كان بولس يطلب إلى الجميع أن يتناولوا طعاماً، بعد أن أرهقهم الصوم أياماً كثيرة قائلاً: هذا هو اليوم الرابع عشر، وأنتم منتظرون، لا تزالون صائمين ولم تأخذوا شيئاً، لذلك ألتمس منكم أن تتناولوا طعاماً» (٧) ولقد كان عددهم مائتين وستا وسبعين نفسا(٨).

ولا شك أن أغلبيتهم الساحقة كانوا من الأمم (٩).

---

(١) كتاب المطالعة التاريخية - تأليف محمد مصطفى زيادة وزكى على واحمد نجيب هاشم وسيد أحمد خليل.

(٢) راجع للجغرافية الاجتماعية ص ٢٩٨.

(٣) ٢ - مل ١٠ : ١٨، ١٩، ٢٢.

(٤) الكافى مجلد ١ ص ١٧٨.

(٥) دا ٦: ١٨.

(٦) أع ٢٧: ٢١.

(٧) أع ٢٧: ٣٣ - ٣٧.

(٨) أع ٢٧: ٣٧.

(٩) أع ٢٧: ١ - ٣، ٦، ٢٢، ٢٣، ٢٧، ٣٠ - ٣٢

(٢) **الصوم التذللى**: كان فى الأمم أن يصوموا تذللا واستمطاراً لمراحم الآلهة، إذا أحسوا أنها غاضبة عليهم، مثال ذلك ما فعله أهل نينوى وهم ليسوا من بنى اسرائيل بل من الأمم أو من مملكة آشور، بالحرى: قال الكتاب: «وصار قول الرب إلى يونان بن امتاى قائلاً: قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة، وناد عليها، لأنه قد صعد شرهم أمامى.. فابتدأ أن يدخل المدينة... ونادى وقال: بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى. فآمن أهل نينوى بالله، ونادوا بصوم، ولبسوا مسوحا من كبيرهم إلى صغيرهم، وبلغ الأمر ملك نينوى، فقام عن كرسيه، وخلع ردائه عنه وتغطى بمسح وجلس على الرماد، ونودى وقيل فى نينوى عن أمر الملك وعظمائه قائلاً: لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئا، لا ترع ولا تشرب ماء، وليتغط بمسوح الناس والبهائم، ويصرخوا إلى الله بشدة ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذى فى أيديهم. لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك (١).

(٣) **الصوم التعبدى**: وصوم التعبد صوم تقوى، ليس القصد منه خلاصا من ضيق أو تفريجا لكرب أو غم، أو تعبيراً عن حزن، وإنما هو فضيلة روحية يقوم بها الاتقياء الورعون زهداً وتقرباً إلى الإله وانصرافا لوجهه الكريم: وقد عرف الوثنيون هذا الصوم ومن الأمثلة على ذلك فى الكتاب المقدس كورنيليوس وهو قائد مائة من الكتيبة التى تدعى الايطالية (٢)، فكان يصوم هذا الرجل إلى الساعة التاسعة نهاراً وهى ما يقابل الثالثة بعد الظهر حسب التقويم الأفرنجى: «فقال كورنيليوس (للقديس بطرس الرسول) منذ أربعة أيام، إلى هذه الساعة (التاسعة) كنت صائماً» (٣).

وقد كان هذا الصوم التعبدى معروفاً عند كثير من الأمم الأخرى (٤)، فكان المصريون لا يأذنون للسحرة بادخال تلميذ فى مدارسهم إلا بعد أن يروض على طهارة النفس، ومقاومة الأهواء، ومغالبة الشهوات والامتناع عن لذائذ الأطعمة، وعن كل ذى روح أيضاً، حتى تصفو نفسه. وتطهر من أدران الشر والعلائق المادية بهذه الرياضات، كما أنه كذلك يمتحن ذاته وقتاً ما بالانزواء عن العالم والخلوات فى أماكن بعيدة عن الناس، حتى يكمل صقله وتهذيبه. وبعد

---

(١) يونان ١: ١، ٢، ٣: ١ ـ ٩.
(٢) أع ١٠: ١.
(٣) أع ١٠: ٣٠، ٣.
(٤) الكافى

ذلك يمكن الاطمئنان إليه والوثوق فيه ومكاشفته بأسرار العلوم والمعارف الروحية. وكان المصريون يصومون أياما كثيرة فى كل سنة، وكان الصيام يسبق عيد المعبودة ايزيس.

ولا يتعاطى الكهنة الخمور ولا يأكلون الفول والبصل لأنهما يساعدان على زيادة التبخر المعدى وتوليد الغازات، ولا يأكلون السمك أيضاً لأنه منبه للدم، فقد كانوا يمتنعون عن كل ما يثير حواسهم، لينقطعوا لأداء مهمتهم فى هدوء ودعة.

ويقول هيرودوت عن المصريين فى صدد حديثه عن الذبائح «وهم يصومون قبل التضحية» (١).

(٢) أقسام الصوم :

(١) **انفرادى**: كان الصوم إما انفرادياً، يفرضه المرء على نفسه، كما كان يفعل كورنيليوس الذى أشرنا إليه فى الفقرة السابقة (٢) أو .....

(٢) **صوم عام**: وفى هذه الحالة إما أن تفرضه جماعة صغيرة على نفسها كالعائلة مثلاً أو كما فعل المسافرون مع القديس بولس فى السفينة (٣) وأما أن تفرضه الأمة كلها أو رجال الكهنوت فى الأمة، كما كان يحدث عند المصريين اذ ألمت بهم ضائقة عامة أو نكبوا بنقص النيل أو الفيضان. وكما فعل أهل نينوى. ومن ذلك أيضاً ما يؤثر عن الصائبة فقد كانوا يصومون صوماً عاماً مرتباً فى أوقات خاصة، ثلاث مرات فى العام. فى المرة الأولى يصومون ثلاثين يوماً، وعنها أخذ صوم رمضان. وفى المرة الثانية يصومون تسعة أيام، وفى الثالثة يصومون سبعة أيام (٤).

(٣) شروط يجب توافرها فى الصوم:

(١) كانت الأمم الوثنية، وليست الاسرائيلية فحسب، تشترط فى الصوم **أن يكون مصحوباً بالصلاة** وهذا رأيناه فى كورنيليوس الذى يقول «إلى هذه الساعة (التاسعة) كنت صائماً، وفى الساعة التاسعة كنت أصلى فى بيتى وإذا رجل قد وقف أمامى بلباس لامع. وقال : يا كورنيليوس: سمعت صلاتك وذكرت صدقاتك أمام الله» (٥).

---

(١) هيرودوت فى مصر ـ الكتاب الثانى ـ يوتربى ربه الشعر الغنائى : ٤١.

(٢) أع ١٠: ٣٠، ٣.   (٣) أع ٢٧: ٢١، ٣٣

(٤) الكافى. مجلد ٢ ص ١٨ مقالة فى الاسلام ص ٣١، وبحث فى حقيقة الإيمان ص ٢٢.

(٥) أع ١٠: ٣٠، ٣١، ٢، ٤.

وقد جاء فى أمر ملك نينوى وعظمائه إلى الناس أن يصوموا: «ويصرخوا إلى الله بشدة»(١).

(٢) مصحوباً بالرجوع إلى الله والكف عن الخطيئة:

جاء أيضاً فى أمر الملك إلى أهل نينوى: «ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذى فى أيديهم، لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه، فلا نهلك» (٢).

(٣) الانقطاع عن الطعام وقتا من الزمن: أن الصوم بمعناه اللغوى معناه الانقطاع، فليس يعد المرء صائماً مالم ينقطع عن الطعام: وهكذا كانت تفعل الأمم الوثنية ، وقد مر بنا عن داريوس الملك الفارسى وكرنيليوس أنهما انقطعا عن الطعام فى الصوم.

وعلى هذه المنوال صام أهل نينوى «ونودى وقيل فى نينوى عن أمر الملك وعظمائه قائلاً: لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئاً، لا ترع ولا تشرب ماء... من كبيرهم إلى صغيرهم» (٣).

وعليه أيضاً صام المسافرون إلى رومة مع القديس بولس، فقد ورد فى حديثه اليهم «هذا هو اليوم الرابع عشر، وأنتم منتظرون لا تزالون صائمين، ولم تأخذوا شيئاً، لذلك ألتمس منكم أن تتناولوا طعاماً» (٤).

(٤) لبس المسوح: المسوح أقمشة خشنة غليظة تصنع من شعر الماعز يلبسها المرء فى حال ذله وانكسار نفسه، وقد كانت معروفة فى الأمم الوثنية وكانوا يلبسونها فى الصوم ويجلسون على الأرض فى التراب والرماد «فآمن أهل نينوى بالله، ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم. وبلغ الأمر ملك نينوى، فقام عن كرسيه، وخلع رداءه عنه، وتغطى بمسح وجلس على الرماد، ونودى وقيل فى نينوى عن أمر الملك وعظمائه قائلاً: «لا تذق الناس... وليتغط بمسوح الناس والبهائم» (٥).

(٥) الامتناع عن الاتصالات الجنسية: إن الاتصال الجنسى لا يلائم حالة الصوم وفيها تذلل وحزن وزهد. ولذلك قال الكتاب عن داريوس الفارسى أنه لما تألم بسبب دانيال عندما

---

(١) يونان ٣: ٨.
(٢) يونان ٣: ٧، ٥.
(٣) يونان ٣: ٧، ٥ .
(٤) أع ٢٧: ٣٣، ٣٤.
(٥) يونان ٣: ٥ – ٨.

طرح فى جب الأسود، أنه «بات صائماً، ولم يؤت قدامه بسرارية» (١). والواقع أن الصائم يمتنع عن الطعام والشراب وهما اللذان بهما تقوم حياة الإنسان، فبالأولى يمتنع عن كل إتصال جنسى.

تاسعاً: الأعياد والمواسم الدينية:

قدست جميع الأمم أياماً معينة لمناسبات خاصة تجرى فيها طقوساً ملائمة للغرض منها، ودعت هذه الأيام أو المناسبات أعياداً، وليس فى الوجود أمة قديمة أو حديثة متمدينة أو متحضرة إلا ولها أعيادها ومواسمها، وهى تقدسها وتحترمها وتعتبرها طقسا من طقوس عبادتها، وتقليداً من التقاليد التى تعتز بها وتفخر.

ومما ورد عن أعياد المصريين نعلم أنها أربعة أنواع: أعياد سنوية، وأعياد شهرية، وأعياد يومية ثم أعياد خصوصية، أما الأعياد السنوية فثلاثة: عيد رأس السنة، عيد السنة الكبيسة، عيد السنة البسيطة، وأما الأعياد الشهرية فاثنان: عيد الحر الكبير ويقع فى غرة أمشير، وعيد الحر الأصغر ويقع فى أول برمهات، ثم الأعياد اليومية أو أعياد الأيام وعددها عشرة، تقع فى أول الشهر ثم فى اليوم الثانى والرابع والخامس والثامن والخامس عشر والسابع عشر والتاسع عشر والثلاثين من الشهر. ثم عيد أيام النسيء. وأخيراً الأعياد الخصوصية وعددها تسعة.

وكان للمصريين أربعة وعشرون عيداً ثابتاً فى السنة. عدا أعياد أخرى تتصل بالزراعة والنيل و فيضانه، فضلا عن عيد كان يتكرر فى كل ثلاثين سنة مرة واحدة كما ذكر هيرودوتس.

وهكذا الحال لا فى الأمة المصرية وحدها، وجريا على ذلك «عمل يربعام (ملك اسرائيل الذى عبد البعل) عيدا فى الشهر الثامن فى اليوم الخامس عشر من الشهر.. . وأصعد على المذبح... فعمل عيدا لبنى اسرائيل، وصعد على المذبح ليوقد» (٢). وقال الكتاب كذلك عن ياهو ملك اسرائيل «ثم جمع ياهو كل الشعب وقال لهم: أن آخاب قد عبد البعل قليلاً، وأما ياهو فأنه يعبده كثيراً. والأن فادعوا إلىّ جميع أنبياء البعل وكل عابديه وكل كهنته، لا يفقد أحد، لأن لى ذبيحة عظيمة للبعل، كل من فقد لا يعيش، وقد فعل ياهو بمكر لكى يفنى عبدة البعل، وقال ياهو قدسوا اعتكافا للبعل، فنادوا به» (٣).

---

(١) دا ٦ : ١٨.

(٢) ١. مل ١٢ : ٣٢، ٣٣.

(٣) ٢. مل ١٠ : ١٨ ـ ٢٠.

وكانت بلاد اليونان دولا كثيرة، وكانت كل دولة من هذه الدول مستقلة عن الأخرى فى سياستها وادارتها، ومع ذلك تجمع بينها وحدة الجنس واللغة والدين، ففى الأعياد الكبرى كانوا يحجون جميعاً إلى أوليما بالمورة حيث معبد الاله الأكبر تزوس، ويبعثون بمندوبيهم يحملون إليه القرابين والتقدمات. وكانت هذه الأعياد أياما مقدسة يحرم فيها الحرب بين الدول، وينشط فيها التنافس فى الأدب والشعر والفن والتصوير والغناء ثم الألعاب الأولمبية.

وكانت الأعياد هى الفرص السعيدة التى تؤلف بين اليونان وتقربهم إلى بعضهم بعضا، فضلاً عن أنها كانت كذلك عاملاً فعالا فى انضاج الثقافة اليونانية واظهارها بتلك الصورة الحية التى امتازت بها على مسرح التاريخ.

ولعل فيما ذكرنا ما يكفى لتقرير هذه الحقائق التالية، أن للأمم الوثنية، وليس للأمة الاسرائيلية وحدها. أعياداً ثابتة تروح وتجىء فى مواعيد وأوقات محددة ثابتة، وأن لهم فى هذه الأعياد طقوساً تتفق والمناسبة التى أقيمت من أجلها هذه الأعياد، وأن أعياد الأمم ومواسمها مقدسة، وهى تؤلف نوعا من الطقوس التعبدية والتقاليد الاجتماعية: فيها تظهر روح الديانة فتحرق المحرقات وتنحر الذبائح وفيها تلتئم روح الأمة فى احتفالها بمناسبات ثابتة مقررة متفقة.

عاشراً: الحج:

فى ديانات الأمم القديمة أمكنه مقدسة يحج إليها الأفراد والجماعات للتبرك والتقديس، من ذلك أن الصابئة كانوا يحجون إلى مكان فيما بين النهرين على مقربة من حوران بالجزيرة، كذلك عرب الجاهلية، فيما يروى ديودوروس الصقلى فى كتابه الثالث والبيرونى عن أبى معشر البلخى كانوا يحجون إلى الكعبة والحجر الأسود لنوال البركة والتقديس (١).

وكان معبد أبولون فى مدينة دلف على سفح جبل برناس، فكان اليونان يحجون إليه يستنزلون منه الوحى، وكان أكبر آلهتهم هو تزوس، وكان هيكله أعظم جميع الهياكل، وكان فى أوليما بالمورة. وعلى الرغم من أنهم كانوا دولا مستقلة فى سياستها وادارتها إلا أنهم كانوا جميعاً يحجون إلى مكان الاله يعبدون فيه ويقربون إليه قرابينهم وضحاياهم.

---

(١) راجع مصادر الاسلام والكافى مجلد ٢، وبحث فى حقيقة الايمان ص ٢٢.

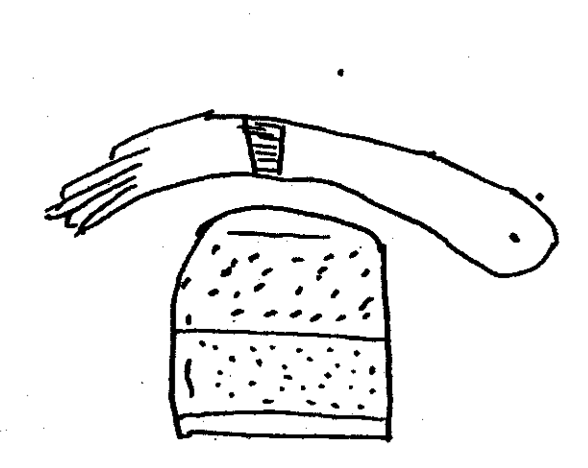
وكان الشعب المصرى كثير التعلق بأماكن التعبد، فعندما كان يشعر الفرد منهم بانحراف فى صحته أو أعتلال فى مزاجه كان يقصد إلى دور العبادة للتبرك بها وبمن بها.

حادى عشر: النذور:

اذا كان الناس يشعرون باقتدار الهتهم وعظيم فعلها، فكانوا لذلك ينذرون لها نذراً خوفا منها أو شعورا بالامتنان نحوها، ولسنا نجد مثالاً لهذا الطقس فى الكتاب المقدس خيرا مما أورده عن البحارة فى حادثة يونان النبى الذى طرحوه فى البحر فسكن هياجه عنهم «فخاف الرجال من الرب خوفاً عظيماً، وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذوراً» (١).

وكان المصريون ينذرون لآلهتهم نذوراً. ومن ذلك أن الفرد اذا مرض فاستجاب الاله لصلاته وشفاه، قدم للاله فى مكان التعبد ما نذره مصحوباً بصورة العضو الذى كان مريضا، مرسوماً على لوح من المعدن لتحفظ فى الهيكل تبركاً وتذكاراً....

* * *



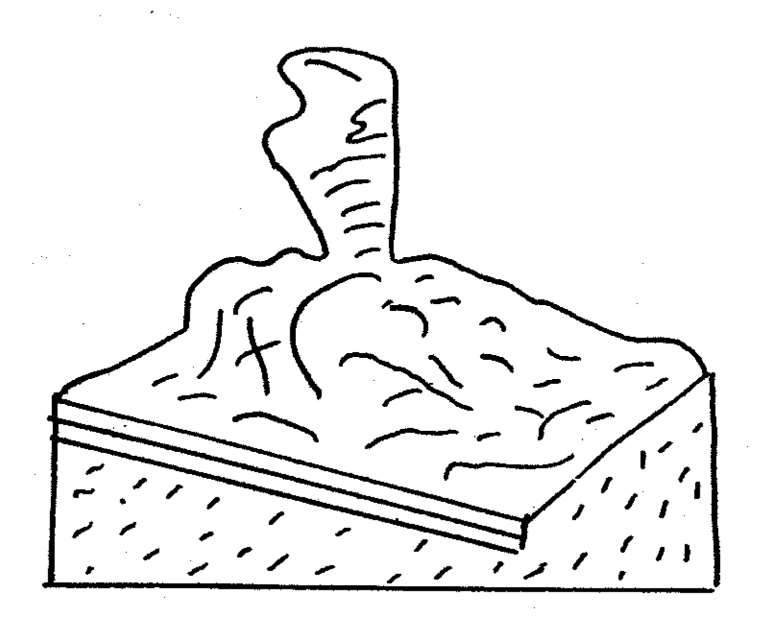
رسم تذكار هدايا (نذور) من الفضة قدمها قدماء المصريين للمعابد والهياكل عن كتاب الطب والتحنيط ص ٢٨ لأنطون زكرى تأليف د. يوليوس جيار والدكتور / لويس ريتر.

القاهرة ١٩٢٦م.

---

(١) يون ١: ١٦.

وكانوا يعطون الصدقات، وكانت لهم فى دور العبادة صناديق خاصة بذلك.



غطاء علبة للصدقة

منقول من معبد اسكولاب فى مدينة بطولمايس (بالوجه القبلى) وبه أثقب كان الشعب المصرى التقى يلقون فيها الدراهم للصدقة ،الأصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالقاعة رقم ٩٦٤

* * *

ثانى عشر: التمييز بين المحلل والمحرم، بين الطاهر والنجس:

وكما أن الإسرائيليين يفرقون بين الطاهر والنجس، هكذا الأمم الوثنية طرأت منذ أقدم العصور. فكان المصريون مثلاً يعتبرون اليونان أمة نجسة فلم يكونوا يتعاملون معهم ولا يأكلون أو يشربون معهم بل ولا يستعملوا حتى أدواتهم وسكاكينهم.

وقد وردت فى سفر التكوين إشارتان إلى اعتبار العبرانيين نجسين أمام المصريين: المرة الأولى فى الفصل الثالث والأربعين: «وقال (يوسف) قدموا طعاماً، فقدموا له وحده، ولهم (إخوته) وحدهم، وللمصريين الآكلين عنده وحدهم ، لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً

مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين» (١) والإشارة الثانية فى الفصل السادس والأربعين، «لأن كل راعى غنم رجس عند المصريين» (٢).

ثم هناك إشارة أخرى فى سفر الخروج: «فدعا فرعون موسى وهرون وقال اذهبوا اذبحوا لإلهكم فى هذه الأرض (مصر)، فقال موسى: لا يصلح أن نفعل هكذا، لأننا إنما نذبح رجس المصريين للرب إلهنا، إن ذبحنا رجس المصريين أمام عيونهم، أفلا يرجموننا؟» (٣).

يقول هيرودوت: «ويضحى المصريون كلهم بالثيران والعجول الطاهرة، ولا يحل لهم أن يضحوا بالأبقار فهى مقدسة لإيزيس وتمثال إيزيس على هيئة امرأة ولكن له قرنين.. ولا يقبل مصرى أو مصرية يونانياً فى فمه، ولا يستعمل سكين يونانى أو سفوده أو قدره، ولا يذوق لحم ثور طاهر إذا كان مقطوعاً بسكين يونانية» (٤).

وهذا التفريق بين الطاهر والنجس. طقس من الطقوس لأنه ينظم علاقة الإنسان بالناس والأشياء فضلاً عن الحيوانات والطيور، فما كان منها نجساً يحرم لمسه والاقتراب إليه، وما كان طاهراً جاز أكله أو ذبحه إن كان حيواناً أو طيراً، أو لمسه والاقتراب إليه إن كان إنساناً أو شيئاً.

ثالث عشر: طقس الزواج:

لم يكن الزواج يتم بغير إجراءات وطقوس خاصة. فالزواج فى مصر كان يعقد بعد أن يدفع الزوج مالاً هو ثمن الزوجة أو مهرها، وكان يجرى العقد أو طقس الزواج على يد الكهنة فى المعابد. وهذا يدل على أنه طقس دينى أو طقس مقدس فى نظر الدين لأنه يتم فى المعبد وبمعرفة الكهنة أو رجال الدين. وكأن نظام الأسرة نظام إلهى، ومن ثم فلا بد أن يكون رباطها بموجب عقد دينى ووثاق شرعى وطقس كهنوتى.

رابع عشر: طقوس الدفن والترحم على الموتى:

كانت الأمم الوثنية التى تعتقد فى الخلود وقيامة الموتى اعتقاداً واضحاً، تعنى بدفن موتاها وإجراء طقوس دينية تليق بكرامة الميت.

---

(١) تك ٤٣: ٣١، ٣٢.

(٢) تك ٤٦: ٣٤.

(٣) خروج ٨: ٢٥، ٢٦.

(٤) هيرودوت فى مصر ـ الكتاب الثانى ـ يوتربى: ٤١.

من ذلك ما يقال عن قدماء المصريين، وقد كانوا يعتقدون فى العجل أبيس وبحلول روح المعبود فيه، فإذا مات انتقلت إلى غيره من أبناء جنسه أى إلى عجل نظيره قريب الشبه إليه فى شكله الظاهرى وقد حددوا للعجل خمسة وعشرين عاماً فإذا لم يمت غرقوه فى النيل ثم حنطوه ودفنوه فى السرابيوم (مدفن العجول) بسقارة، ولبسوا عليه شعار الحداد، حتى يوفقوا إلى عجل نظيره (١).

وكان اعتقاد المصريين فى قيامة الموتى، عظيماً وعميقاً. يدل عليه إنهم كانوا يدفنون موتاهم فى مقابر عظيمة ومتينة يبنونها خصيصاً لهذا القصد وكانوا يزودونها بكل ما يحتاج إليه الميت من مأكل ومشرب وملبس فضلاً عن أنواع التسلية بل ورسوم من كان الميت يعزهم ويصادقهم حتى لا يضطر إلى أن يخرج خارج المقبرة فيزعج الأحياء ويجلب عليهم ضروب الأمراض.

ومن بين طقوسهم استدعاء الكهنة للصلاة على روح الموتى، ثم توزيع الصدقات على الفقراء عند مقابر الموتى ترحماً على الموتى، واستجلاباً لمراحم الآلهة نحوهم، وقد اختلطت هذه الفكرة الصالحة بتصورات أخرى مقتها الرب إله إسرائيل، وهى عبادة الموتى وتقديم الذبائح للموتى أنفسهم باعتبارهم آلهة. وقد سقط إسرائيل فى هذه العبادة المرذولة فقال النبى داود «وتعلقوا ببعل فغور وأكلوا ذبائح الموتى» (٢).

* * *

وبالإجمال، فإن جميع الأمم الإنسانية على إختلاف دياناتها وبيئاتها وعصورها وثقافاتها، لها فى عبادتها طقوس تكاد تحمل روحاً واحدة، تدل على أن المصدر الأول الذى استقت منه جميع الأمم عباداتها واحد، وهو آدم أبو الجنس البشرى كله.

---

(١) مختصر تاريخ الأمة القبطية - سليم سليمان ص ٥١.

(٢) مز ١٠٦ : ٢٨.

ثانياً

تاريخ الطقوس

قبل

عهد النبى موسى

ثانياً: الطقوس فى العهد القديم قبل النبى موسى

ما أكثر الطقوس فى الأمة الإسرائيلية، وربما يبدو للبعض أن الطقوس لم تعرف فى إسرائيل قبل موسى النبى، ولذا يجدر بنا أن نقوم بعرض بعض من هذه الطقوس كما يشير إليها الكتاب المقدس لنتحقق من أن فكرة الطقوس كانت واضحة فى الديانة القديمة منذ آدم حتى النبى موسى..

وتتمثل هذه الطقوس فى أمور منها:

(أ) الصلاة الإنفرادية:

(١) الصلاة:

صلى كثيرون قبل أن تجئ شريعة موسى، واعتقدوا أن صلتهم بالله تتوقف على الصلاة، وهى الطقس الأول من طقوس العبادة فلم ينكرها غير الأشرار، يقول أيوب بلسانهم « من هو القدير حتى نعبده وماذا ننتفع إن إلتمسناه» (١).

ولسنا نشك قط فى أن هناك صلوات كثيرة قد ارتفعت إلى السماء من قلوب الناس صالحين وأشراراً، ابتداء من آدم حتى موسى، وإن لم يسجلها الكتاب المقدس وإلا ضاقت به قدرة المطالعين والقراء. فإذا ذكرنا بعضاً من هذه الصلوات فلتكن كعينة فقط وكدليل على أن الصلاة أمر لم يفت السابقين على موسى، لأنه أولاً وقبل كل شئ تعبير طبيعى عن الحنين إلى الآلوهة وهى مصدر الإنسان ومرجعه...

ولعل أقوى تعبير عن حياة الصلاة قد قيل بصدد أخنوخ: « وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله نقله» (٢) كذا قيل عن نوح: « وسار نوح مع الله» (٣).

وقد ذكر الكتاب صلاة لإبراهيم تدل على ما كان لهذا النبى الكريم من إدراك عميق لمعنى الصلاة وروحها، فكان يقول «إنى قد شرعت أكلم المولى، وأنا تراب ورماد» (٤).

---

(١) أى ٢١: ١٥.

(٢) تك ٥: ٢٢، ٢٤.

(٣) تك ٦: ٩.

(٤) تك ١٩: ٢٧- ٣٢، راجع أيضاً تك ١٢: ٨.

وعن أليعازر الدمشقي أنه صلى «وقال أيها الرب إله سيدى إبراهيم، يسر لى اليوم واصنع لطفاً إلى سيدى إبراهيم. ها أنا واقف على عين المياه وبنات أهل المدينة خارجات ليستقين ماء. فليكن أن الفتاة التى أقول لها أميلى جرتك لأشرب فتقول اشرب وأنا أسقى جمالك أيضاً هى التى عينتها لعبدك اسحق، وبها أعلم أنك صنعت لطفاً إلى سيدى.

«وإذ كان لم يفرغ بعد من الكلام إذا رفقة التى ولدت لبتوئيل ابن ملكة إمرأة ناحور أخى إبراهيم خارجة وجرتها على كتفها، وكانت الفتاة حسنة المنظرجداً وعذراء لم يعرفها رجل، فنزلت إلى العين وملأت جرتها وطلعت، فركض العبد للقائها. وقال اسقينى قليل ماء من جرتك، فقالت اشرب يا سيدى، وأسرعت وأنزلت جرتها على يدها وسقته. ولما فرغت من سقيه قالت: استقى لجمالك أيضاً حتى تفرغ من الشرب، فأسرعت وأفرغت جرتها فى المسقاة وركضت أيضاً إلى البئر لتستقى فاستقت لكل جماله» (١).

وعن رفقة قال الوحى «وتزاحم الولدان فى بطنها، فقالت إن كان هكذا فلماذا أنا. فمضت لتسأل الرب، فقال لها الرب فى بطنك أمتان ومن أحشائك يفترق شعبان، شعب يقوى على شعب، وكبير يستعبد لصغير» (٢).

وعن يعقوب أنه صلى للرب وقال: «يا إله أبى ابراهيم، وإله أبى اسحق، الرب الذى قال لى: ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك، فأحسن إليك، صغير أنا عن جميع ألطافك، وجميع الأمانة التى صنعت إلى عبدك. فإنى بعصاى عبرت هذا الأردن، والآن قد صرت جيشين، نجنى من يد أخى من يد عيسو، لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين، وأنت قد قلت أنى أحسن إليك، وأجعل نسلك كرمل البحر الذى لا يعد للكثرة» (٣).

« فبقى يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر.. وقال (ليعقوب) أطلقنى لأنه قد طلع الفجر، فقال (يعقوب) لا أطلقك إن لم تباركنى، فقال له ما اسمك فقال يعقوب. فقال لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب وقال أخبرنى باسمك، فقال لماذا تسأل عن اسمى. وباركه» (٤).

---

(١) تك ٢٤ : ١٢، ٢٠.
(٢) تك ٢٥ : ٢٢، ٢٣.
(٣) تك ٣٢ : ٩ ـ ١٢.
(٤) تك ٣٢ : ٢٤ ـ ٢٩.

وقد خبر أليفاز التيمانى ثمر الصلاة فأنشد يقول لأيوب عن الله: « تصلى له فيستمع لك، ونذورك توفيها» (١) أى أنه يصلى فيستجيب الرب لصلاته، ولذا يقدم له ما تعهد به امتناناً وشكراً.

(ب) الصلاة العائلية:

(١) وقال الرب لإبرام: «اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك.. فأخذ ابرام ساراى امرأته ولوطا ابن أخيه وكل مقتنياتهما التى اقتنيا والنفوس التى امتلكا فى حاران، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى أرض كنعان» (٢).

(٢) ثم قال الله ليعقوب: قم اصعد إلى بيت إيل، وأقم هناك وأصنع هناك مذبحاً لله الذى ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك. فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه: اعزلوا الآلهة الغريبة التى بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم، ولنقم ونصعد إلى بيت إيل.. فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التى فى أيديهم والأقراط التى فى آذانهم ... ثم رحلوا .. هو وجميع القوم الذين معه» (٣).

(٣) «وكان لما دارت أيام الوليمة أن أيوب أرسل فقدسهم (أى بنيه) ويكر فى الغد وأصعد محرقات على عددهم كلهم، لأن أيوب قال: ربما أخطأ بنى وجدفوا على الله فى قلوبهم. هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام» (٤).

شروط الصلاة المستجابة:

(١) إعداد القلب بترك الشر والظلم:

«إن أعددت أنت قلبك وبسطت إليه يديك، إن أبعدت الإثم الذى فى يدك ولا يسكن الظلم فى خيمتك، حينئذ ترفع وجهك بلا عيب وتكون ثابتاً ولا تخاف، لأنك تنسى المشقة، كمياه عبرت

---

(١) أى ٢٢: ٢٧.

(٢) تك ١٢: ١، ٥.

(٣) تك ٣٥: ١ - ٥.

(٤) أى ١: ٥.

تذكرها، وفوق الظهيرة يقوم حظك، الظلام يتحول صباحاً، وتطمئن لأنه يوجد رجاء. تتجسس حولك وتضطجع آمناً، وتربض وليس من يزعج ويتضرع إلى وجهك كثيرون» (١).

« **إن رجعت إلى القدير تبنى، إن ابعدت ظلماً من خيمتك»** (٢) أما الذين فجروا فلا قبول لصلواتهم: «لأنه ما هو رجاء الفاجر عندما يقطعه، عندما يسلب الله نفسه، أفيسمع الله صراخه إذا جاء عليه ضيق» (٣).

لذا كان أيوب يطمئن إلى استجابة صلاته: «لا ظلم فى يدى وصلاتى خالصة» (٤).

(٢) الخضوع والاتضاع:

فأجاب إبراهيم وقال إنى قد شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد... فقال لا أهلك» (٥).

وجاء فى سفر أيوب أن الله يخلص المنخفض العينين (٦) أما المتكبرون المتغطرسون فلا يستجيب العلى صلاتهم. قال أليهو فى سفر أيوب «ثم يصرخون من كبرياء الأشرار ولا يستجيب» (٧).

(٣) الإلحاح واللجاجة:

وقال (الملاك ليعقوب) أطلقنى لأنه قد طلع الفجر، فقال (يعقوب) لا أطلقك إن لم تباركنى. فقال له (الملاك) ما اسمك؟ فقال يعقوب فقال : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت» (٨).

---

(١) أى ١١ : ١٣ – ١٩.

(٢) أى ٢٢ : ٢٣.

(٣) أى ٢٧ : ٨، ٩.

(٤) أى ١٦ : ١٧.

(٥) تك ١٨ : ١٧.

(٦) أى ٣٥ : ١٢.

(٧) أى ٣٥ : ١٢.

(٨) تك ٣٢ : ٢٦ – ٢٨.

موضوعات الصلاة:

(١) التعليم والارشاد:

يصلى أيوب لله ويقول «ما لم أبصره (أنا) فأرنيه أنت، إن كنت قد فعلت إثماً فلا أعود أفعله»(١).

«لا تستذنبنى، فهمنى لماذا تخاصمنى» (٢)، كم لى من الآثام والخطايا. أعلمنى ذنبى وخطيتى» (٣). لماذا تحجب وجهك عنى وتحسبنى عدواً لك» (٤).

(٢) طلب اتمام مواعيد الله:

«وقال يعقوب: يا إله أبى إبراهيم وإله أبى اسحق الرب الذى قال لى ارجع إلى أرضك وعشيرتك فأحسن إليك... نجنى من يد أخى، من يد عيسو، لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين، وأنت قد قلت إنى أحسن إليك وأجعل نسلك كرمل البحر الذى لا يعد للكثرة»(٥).

(٣) التضرع من أجل البركات الزمنية:

ونذر يعقوب نذراً قائلاً: إن كان الله معى وحفظنى فى هذا الطريق الذى أنا سائر فيه، وأعطانى خبزاً لآكل وثياباً لألبس، ورجعت بسلام إلى بيت أبى يكون الرب لى إلهاً، وهذا الحجر الذى أقمته عموداً يكون بيت الله، وكل ما تعطينى فإنى أعشره لك» (٦).

الشفاعة فى الغير وقبول الرب شفاعة قديسيه فى البشر:

(أ) شفاعة الأحياء المجاهدين فى المجاهدين:

وهذا طقس آخر كان معروفاً فى الأمة الإسرائيلية قبل عهد موسى النبى:-

---

(١) أى ٣٤: ٣٢.

(٢) أى ١٠: ٢.

(٣) أى ١٣: ٢٣.

(٤) أى ١٣: ٢٤.

(٥) تك ٣٢: ٩ - ١٢.

(٦) تك ٢٨: ٢٠ - ٢٢.

شفاعة ابراهيم فى اسماعيل:

وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش أمامك، فقال الله... وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا... اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة» (١).

بركة الرب لاسماعيل (من أجل ابراهيم) :

«وابن الجارية أيضا سأجعله امة لأنه نسلك» (٢).

شفاعة ابراهيم فى أهل سدوم :

فقال الرب هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله، وابراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض، لأنى عرفته لكى يوصى بنيه وبيته من بعده... وقال الرب ان صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدا... وأما ابراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب...

فتقدم ابراهيم وقال: أفتهلك البار مع الأثيم، عسى أن يكون خمسون بارا فى المدينة. فتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذى فيه، حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر: أن تميت البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم، حاشا لك، أديان كل الأرض لا يصنع عدلا؟... فقال الرب: ان وجدت فى سدوم خمسين بارا فى المدينة، فانى أصفح عن المكان كله من أجلهم : فأجاب ابراهيم وقال: انى قد شرعت أكلم المولى، وأنا تراب ورماد. ربما نقص الخمسون بارا خمسة، أتهلك كل المدينة بالخمسة؟ فقال : لا أهلك : ان وجدت هناك خمسة وأربعين. فعاد يكلمه أيضا وقال: عسى أن يوجد هناك أربعون. فقال لا أفعل من أجل الأربعين فقال: لا يسخط المولى فأتكلم: عسى أن يوجد هناك ثلاثون. فقال: لا أفعل ان وجدت هناك ثلاثين. فقال انى قد شرعت أكلم المولى: عسى أن يوجد هناك عشرون. فقال لا أهلك من أجل العشرين. فقال لا يسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط: عسى أن يوجد هناك عشرة. فقال: لا أهلك من أجل العشرة» (٣).

(١) تك ١٧ : ١٨ - ٢٠ يلاحظ أن الله بارك أولاد ابراهيم من أجل طاعة ابراهيم: «ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أنك سمعت لقولى» تك ٢٢ : ١٨.

(٢) تك ٢١ : ١٣.

(٣) تك ١٨ : ١٧- ٣٢.

وعلى هذا النص نلاحظ بضع ملاحظات :

أولا : أن ابراهيم يتمتع بمنزلة عظيمة عند الله، وهو لذلك صاحب دالة لديه، والدليل على ذلك قول الرب نفسه «هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله» (١) وهى عبارة لا تستعمل فى العادة الآ بالنسبة لصديق صدوق مع صديقه الحميم، ولذا دعى «ابراهيم الخليل».

ثانيا: نلاحظ أن ابراهيم فى صلاته وشفاعته يقف موقف الملّح الضارع الذى يرجو تنفيذ طلبه. وهو فى سبيل ذلك يستعمل عبارات تستدر عطف الله ومراحمه. لاحظ قوله: حاشا لك، أديان كل الأرض لا يصنع عدلا... ربما نقص الخمسون خمسة... أتهلك كل المدينة بالخمس «... عسى أن يوجد.. لا يسخط المولى فأتكلم، عسى أن... انى قد شرعت أكلم المولى، عسى... فقال لا يسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط، عسى...».

هذا الأسلوب فى الصلاة فيه محبة عظيمة، وتواضع صحيح، وثقة شديدة، وهى الصفات العالية التى يتصف بها الشفيع المقبول وهى أيضا الصفات الروحية العظيمة التى تشتمل عليها فكرة الشفاعة.

أما المحبة العظيمة، فظاهرة فى شعور ابراهيم نحو أهل سدوم فهو يلح من أجل خلاصهم برغبة شديدة وغيرة آكلة جعلته يثابر على الطلب، ويستعطف قلب الله نحوهم بمختلف العبارات والأساليب.

ثم التواضع الصحيح، يبرز فى ابراهيم الخليل، فمع أنه نبى ممتاز ومحبوب ومقبول أمام الله جدا، إلآ أنه كان يكلم الله بمنتهى التأدب والاحترام تاركا لله فرصة للاجابة عن شفاعته وفقا لمشيئة الله المقدسة، ومع أنه صار رأس الأمة الاسرائيلية، وكان غنيا وعظيما فى كل شئ، إلا أنه فى طلبه كان يشعر ويقول: «أنا تراب ورماد» ولم يكن يصلى ويقول: «اصفح عن المدينة من أجلى» ولكن من أجل الأبرار الذين فيها».

ثالثا : لقد قبل الله شفاعة ابراهيم، ودليلنا على ذلك أن الله كان يجيب ابراهيم إلى طلبه فى كل مرة، إلى أن وافقه على انقاذ المدينة اذا كان فيها عشرة أبرار...

رابعا : ان الله لم يقبل شفاعة ابراهيم فقط، ولكنه أوضح فى هذا النص مسألة أخرى جديرة بالاعتبار هى أن يصفح عن المدينة من أجل الأبرار الذين فيها : فقال الرب ان وجدت فى سدوم

---

(١) (تك ١٨ : ١٧).

خمسين بارا فى المدينة، فانى أصفح عن المكان كله من أجلهم... وقال: عسى أن يوجد هناك أربعون، فقال: لا أفعل من أجل الأربعين... فقال لا أهلك من أجل العشرين... فقال لا أهلك من أجل العشرة».

شفاعة ابراهيم فى لوط :

ويذكر الكتاب أن الرب أكرم لوطا وأنقذه من أجل ابراهيم أيضا، ولا شك أن لوطا وعائلته كانوا فى ذهن ابراهيم عندما مثل أمام الرب ليشفع فى سدوم وأهلها... قال الكتاب «وحدث لما دمّر الله مدن الدائرة أن الله ذكر ابراهيم وأطلق لوطا من وسط الانقلاب حين قلب المدن التى كان لوطا مقيما فيها» (١).

شفاعة ابراهيم فى أبيمالك :

قال الله لأبيمالك «فالآن ردّ امرأة الرجل (ابراهيم)، فانه نبى، فيصلى لأجلك فتحيا... فصلى ابراهيم إلى الله، فشفى الله أبيمالك وامرأته وجواريه فولدن، لأن الرب كان قد أغلق كل رحم لبيت أبيمالك بسبب سارة امرأة ابراهيم» (٢).

شفاعة لوط فى أهل صوغر :

فقال لهما لوط (أى للملاكين) لا ياسيّد هوذا عبدك قد وجد نعمة فى عينيك وعظمت لطفك الذى صنعت الّى باستبقاء نفسى، وأنا لا أقدر أن أهرب إلى الجبل. لعَل الشر يدركنى فأموت. هوذا المدينة هذه قريبة للهرب اليها وهى صغيرة أهرب إلى هناك، ألست هى صغيرة، فتحيا نفسى. فقال له: انى قد رفعت وجهك فى هذا الأمر أيضا، أن لا أقلب المدينة التى تكلمت عنها. أسرع أهرب إلى هناك، لأنى لا أستطيع أن أفعل شيئا حتى تجئ إلى هناك، لذلك دعى اسم المدينة صوغر» (٣).

شفاعة اسحق فى زوجته :

وصلى اسحق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقرا، فاستجاب له الرب، فحبلت رفقة امرأته» (٤).

---

(١) تك ١٩: ٢٩.
(٢) تك ٢٠: ٧، ١٧، ١٨.
(٣) تك ١٩: ١٨ - ٢٢.
(٤) تك ٢٥ : ٢١.

شفاعة أيوب فى اصحابه :

«وكان بعد ما تكلم الرب مع أيوب بهذا الكلام أن الرب قال لأليفاز التيمانى: قد احتمى غضبى عليك وعلى كلا صاحبيك، لأنكم لم تقولوا فىّ الصواب كعبدى أيوب. والآن فخذوا لأنفسكم سبعة ثيران وسبعة كباش، واذهبوا إلى عبدى أيوب، وأصعدوا محرقة لأجل أنفسكم وعبدى أيوب يصلى من أجلكم، لأنى أرفع وجهه، لئلا أصنع معكم حسب حماقتكم لأنكم لم تقولوا فىّ الصواب كعبدى أيوب. فذهب أليفاز التيمانى وبلدد الشوحى وصوغر النعمانى، وفعلوا كما قال الرب لهم. ورفع الرب وجه أيوب. وردّ الرب سبى أيوب لما صلّى لأجل أصحابه، وزاد الرب على كل ماكان لأيوب ضعفا» (١).

هنا فى هذا النص، وفى حادثة ابراهيم وأبيمالك نلاحظ أن الله يطلب بنفسه شفاعة قديسيه أيوب وابراهيم، وأنه لن يرضى عن الناس الاّ بصلواتهما، وهذا يفيد أن طقس الشفاعة ليس اختياريا فقط يقوم به المصلى من تلقاء ذاته، أو يطلبه المصلى عنه، ولكنه قد بدا أمرا واجبا ومحتوما، لفظه فم الله ذاته وأوجبه على الخطاة كيما يشعروا بكرامة القديسين بالنسبة لهم، وكيما يؤمنوا بما للقديسين من دالة عند الله هم فى حاجة إلى الافادة منها ليرضى الله عنهم.

ونلاحظ فى حادثة ابراهيم وأيوب أيضا أن تشفع القديسين فى الخطاة مقبول ومفيد، فقد عاد بالشفاء على أبيمالك ونسائه وبالرضى عن أصدقاء أيوب، ثم أن الشفاعة فى الخطاة ينال عنها القديسون أجرا صالحا لأنها دليل عميق لمحبتهم واهتمامهم بخلاص الخطاة، ودليل على صفحهم وعظيم احتمالهم حتى يصلوا من أجل الذين أساؤا اليهم...

ومهما يكن من أمر، فالشفاعة، طقس من الطقوس التى كانت معروفة فى العهد السابق على موسى. (٢).

(ب) شفاعة المنتقلين فى الأحياء المجاهدين :

ان شفاعة الراقدين فى الأحياء تشتمل على صلواتهم من أجل الأحياء ثم بركتهم التى تحل على الأحياء بعد رحيلهم، تكريما لهم من الله...

---

(١) أى ٤٢: ٧ – ١٠

(٢) يمكن أن نضيف إلى الأدلة السابقة على الشفاعة، استدلالا آخر نقتبسه من الإصحاح الثامن من سفر التكوين، حيث قدم نوح ذبيحة لله بعد خروجه من الفلك «فتنسم الرب رائحة الرضا، وقال.. فى قلبه، لا أعود ألعن الأرض» (تك ٨: ٢١).

وبهذا المعنى الأخير يبارك الرب فردا أو جماعة أكراما لأحد الراقدين القديسين مثال ذلك: **بركة ابراهيم التى شملت اسحق ابنه :** «فظهر له الرب فى تلك الليلة (التى حفر فيها بئر رحوبوت) وقال: أنا اله ابراهيم أبيك. لا تخف لأنى معك، وأباركك وأكثر نسلك من أجل ابراهيم عبدى (١) «وكان بعد موت ابراهيم أن الله بارك اسحق ابنه» (٢).

وقال أليفاز التيمانى لأيوب: «ادع الآن، فهل لك من مجيب، والى أى القديسين تلتفت» (٣).

(جـ) شفاعة الملائكة فى البشر :

وشفاعة الملائكة هى صلواتهم وضراعاتهم فى البشر، وهى أيضا معونتهم وارشادهم ومطاردة أعدائهم واخجال مقاوميهم.

«فقال لها (هاجر) ملاك الرب ارجعى إلى مولاتك (سارة) واخضعى تحت يديها» (٤).

«فجاء الملاكان إلى سدوم مساء... وقبلما اضطجعا، أحاط بالبيت (بيت لوط) رجال المدينة رجال سدوم من الحدث إلى الشيخ... فنادوا لوطا وقالوا له: أين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلة، أخرجهما إلينا لنعرفهما. فألحوا على الرجل لوط جدا وتقدموا ليكسروا الباب، فمد الرجلان أيديهما وأدخلا لوطا... وأما الرجال الذين على الباب، فضرباهم بالعمى من الصغير إلى الكبير، فعجزوا عن أن يجدوا الباب» (٥).

لا شك أن فى هذه الواقعة تظهر معونة الملائكة للبشر وسرعة القيام بتخليصهم من ضوائقهم.

بهذا المعنى قال ابراهيم لعبده: «الرب إله السماء الذى أخذنى من بيت أبى ومن أرض ميلادى، والذى كلمنى، والذى أقسم لى قائلا: لنسلك أعطى هذه الأرض، هو يرسل ملاكه أمامك، فتأخذ زوجة لابنى من هناك» (٦).

وبهذا المعنى أيضا تكلم يعقوب عن الملاك الذى خلّصه من كل شر (٧).

---

(١) تك ٢٦ : ٢٤.
(٢) تك ٢٥ : ١١.
(٣) أى ٥ : ١.
(٤) تك ١٦ : ٩.
(٥) تك ١٩ : ١ – ١١.
(٦) تك ٢٤ : ٧ راجع أيضا تك ٢٤ : ٤٠.
(٧) تك ٤٨ : ١٦.

فالملائكة يشفعون فى البشر، فيمدون اليهم يد المعونة والخلاص سواء كان ذلك بأمر خاص من الله، أو من تلقاء ذواتهم حبا فى خدمة البشر «وأما يعقوب فمضى فى طريقه ولاقاه ملائكة الله، وقال يعقوب إذ رآهم هذا جيش الله، فدعا اسم ذلك المكان، محنايم» (١).

كذلك الملائكة يشفعون فى البشر فيصلون لأجلهم أو يسألون لهم من الله العون، وبهذا المعنى قال يعقوب: «الملاك الذى خلصنى من كل شر، يبارك الغلامين» (٢) أى أنه يسأل الملاك أن يستمد للغلامين البركة من الله.

ولما كان الآباء يعتقدون فى شفاعة الملائكة أى يثقون فى معونتهم لهم واستمداد المعونة والبركة لهم من الله، لذلك كانوا عادة يسألون الملائكة ويستشفعون بهم، وها هوذا لوط يكلم الملاكين متوسلا: «فقال لهما لوط، لا ياسيد هوذا عبدك قد وجد نعمة فى عينيك وعظّمت لطفك الذى صنعت إلى باستبقاء نفسى، وأنا لا أقدر أن أهرب إلى الجبل، لعل الشر يدركنى فأموت، هوذا المدينة هذه قريبة للهرب إليها وهى صغيرة، أهرب إلى هناك، أليست هى صغيرة، فتحيا نفسى، فقال له انى قد رفعت وجهك فى هذا الأمر أيضا، أن لا أقلب المدينة التى تكلمت عنها»(٣).

شفاعة يعقوب فى لابان (أى بركته) :

«فقال له لابان : ليتنى أجد نعمة فى عينيك، قد تفاءلت فباركنى الرب بسببك» (٤).

شفاعة يوسف فى فوطيفار المصرى (أى بركته) :

ورأى سيده أن الرب معه... فوكله على بيته ودفع إلى يده كل ماكان له، وكان من حين وكله على بيته وعلى كل ما كان له أن الرب بارك بيت المصرى بسبب يوسف، وكانت بركة الرب على كل ما كان له فى البيت وفى الحقل» (٥).

(٣) تخصيص مكان للعبادة :

«فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران، وصادف مكانا وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت. وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه، فاضطجع فى ذلك المكان، ورأى

---

(١) تك ٣٢ : ١ ، ٢.   (٢) تك ٤٨ : ١٦.   (٣) تك ١٩ : ١٨ – ٢٢.

(٤) تك ٣٠ : ٢٧ راجع أيضا ما قاله يعقوب : ما كان لك قبلى قليل فقد اتسع إلى كثير، وباركك الرب فى أثرى تك ٣٠ : ٣٠.

(٥) تك ٣٩: ٣ – ٥.

حلما، واذا سلّم منصوبة على الأرض، ورأسها يمس السماء، وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهوذا الرب واقف عليها. فقال: أنا الرب إله ابراهيم أبيك وإله اسحق، الأرض التى أنت مضطجع عليها. أعطيها لك ولنسلك... .

فاستيقظ يعقوب من نومه، وقال : حقا إن الرب فى هذا المكان وأنا لم أعلم، وخاف وقال : ما أرهب هذا المكان... ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السماء... ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل (أى بيت الله) (١).

هذا معناه أن يعقوب قد رأى أن الله وإن كان موجودا فى كل مكان، لكنه يوجد على وجه الخصوص فى مكان بالذات يخصه بالتقديس والاكرام. ولذا خصص يعقوب هذا المكان الذى ظهر له الله فيه واتخذه مكانا لعبادة الله، وأطلق عليه «بيت الله» (٢) بل وإن الله نفسه دعا ذاته باسم هذا المكان، فقال ليعقوب «أنا إله بيت إيل» (٣)، ومنذ تلك اللحظة اتخذ يعقوب هذا المكان بيتا لله، وكان يصعد إليه فيقدم الذبائح (٤)، وقد ظل هذا المكان مكرما كبيت لله إلى أمد طويل بعد موسى وصموئيل (٥).

(٤) تدشين مكان العبادة :

لم يكتف يعقوب باتخاذ موضع الرؤيا مكانا للعبادة بمجرد اللفظ الشفاهى بل قام باجراء طقوس معينة يصبح بها المكان مخصصا ومكرسا لله وموقوفا على عبادته. كما نفعل نحن اليوم. «وبكر يعقوب فى الصباح، وأخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه، وأقامه عمودا، وصب زيتا على رأسه، ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل، ولكن اسم المدينة أولا كان لوز» (٦).

فما صنعه يعقوب من اتخاذه الحجر عينه الذى تقدس بالرؤيا، ونصبه اياه، وصبه الزيت على رأس العمود، ثم اطلاق اسم معين على المكان، هذه كلها طقوس باشرها يعقوب لا تختلف فى صميمها عما نفعله اليوم فى تدشين كنائسنا.

---

(١) تك ٢٨ : ١٠ - ١٩.

(٢) تك ٢٨ : ١٩.

(٣) تك ٣١ : ١٣.

(٤) راجع تك ٣٥ : ١.

(٥) راجع قض ٢٠ : ١٨، ٢١ : ٢، ١. صم ١٠ : ٣، ١. مل ١٢ : ٢٩.

(٦) تك ٢٨ : ١٨، ١٩، راجع كذلك تك ٣١ : ١٣، تك ٣٥ : ١٤، ١٥.

(٥) القيام باستعدادات خاصة تليق ببيت الله :

أمر الله يعقوب أن يصعد إلى بيت ايل ليقدم هناك ذبيحة، أما يعقوب فلم يستطع تقديم الذبيحة بل ولا المضى إلى بيت الله قبل أن يقوم باجراءات وطقوس معينة: فقال يعقوب لأهل بيته ولكل من كان معه: أعزلوا الآلهة الغريبة التى بينكم، وتطهروا وأبدلوا ثيابكم، ولنقم ونصعد إلى بيت إيل، فاصنع هناك مذبحا لله الذى استجاب لى فى يوم ضيقتى وكان معى فى الطريق الذى ذهبت فيه، فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التى فى أيديهم والأقراط التى فى آذانهم، فطمرها يعقوب تحت البطمة التى عند شكيم» (١).

لقد شعر يعقوب أن بيت الله تليق به القداسة، فمن ثمّ يجب أن يقترب إليه مع أهل بيته بطهارة الروح والجسم، لابد أذن أن يطرح الآلهة الغريبة اجلالا واكبارا لله صاحب الجلالة الأكبر، وحتى لا ينصرف فكر أحد إلى غير الله العظيم، ولابد أن تترك الزينات إذ لا يليق ببيت الله إلا روح الاحتشام والورع والتعبد، ثم لكى لا ينصرف الذهن إلى غير زينة الروح والعقل بالفضيلة والطهر، ولابد من طهارة الجسم كذلك بالاغتسال وابدال الثياب...

(٦) تقديم الذبائح :

لم نقرأ فى الكتاب المقدس أن الله أمر بأن يتقرب الناس إليه بذبائح ومحرقات، ومع ذلك نلاحظ أن الآباء ابتداء من آدم يقدمون لله ذبائح. أى أن هذا الطقس سابق على عهد موسى النبى. وليست شريعة موسى هى التى ابتكرته، وقد لاحظنا فيما سبق أن الأمم الوثنية كانت تقدم لآلهتها ذبائح ومحرقات.

ولسنا نشك فى أن آدم قد تلقى من الله أمرا بوجوب تقديم الذبائح تكفيرا عن خطيئته أو ترضيا وشكرا للاله. واذا لم يكن الكتاب المقدس قد صرح بهذا الأمر لكنه لا مفر من أنه ظل مرعيا عن طريق التقليد...

ومع أن الأمر بوجوب تقديم الذبائح لم يأت صريحا فى الفصول الأولى من التكوين على الأقل. إلاّ أننا نلتقى بنص لا سبيل إلى فهمه على معنى سليم إلا على ضوء الأمر بالذبيحة، هذا النص هو قول الوحى: «وصنع الرب الاله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهم» (٢) ... إن

---

(١) تك ٣٥ : ١- ٤.

(٢) تك ٣ : ٢١.

الجلد هو البشرة الخارجية للحيوان، ولا يصلح أن يكون لباسا إلا اذا كان الحيوان قد ذبح بطريقة مقصودة ولاسيما وأن الموت لم يكن بعد قد تسرّب إلى الخليقة «وبالخطيئة الموت» (١).

واذا كان آدم أو نسله لم يكن مباحا له أن يذبح الحيوان ليأكله وإنما قد صرّح له بذلك ولأول مرة بعد الطوفان حين قال الله لنوح فى الفصل السابع من سفر التكوين: «كل دابة حية يكون لكم طعاما، كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع غير أن لحما بحياته دمه لا تأكلوه» (٢).

فيتبقى اذن مبرر واحد وحيد لهذا الذبح المقصود، وهو أن يكون للتفكير عن الخطيئة أو تقربا إلى الله. ذلك أن الله قد وعد آدم بأن «نسل المرأة يسحق رأس الحية» فلابد أن كشف له وأشار عليه بتقديم الذبائح فيكون دم الذبيحة رمزا إلى دم المسيح الذى يسحق الشيطان ويكفر عن الخطيئة. فلما قدم آدم الذبيحة، صنع الرب من جلدها أقمصة وألبس الأبوين الأولين، ليقيهما الخزى والخجل فيدركا أنهما بحاجة إلى مخلص، يكون فى هرق دمه تكفير وغفران، وفى استحقاقاته وثمرات موته، بل فى صلبه وتعريته، اكتساؤهم بثوب البر والطهر الذى تعريا عنه بالخطيئة.

هذا كله ما كان ليتنبه إليه آدم وحواء لو لم يأمرهما الله أو يشر عليهما به، لأنهما عندما «علما أنهما عريانان، خاطا أوراق تين، وصنعا لأنفسهما مآزر» (٣).

فاذا كان هابيل «يقدم من أبكار غنمه ومن سمانها» (٤) فلابد أنه تسلّم ذلك كتقليد من أبيه، «فنظر الرب إلى هابيل وقربانه» (٥).

وعلى هذا التقليد سار نوح من بعد «فأصعد محرقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا، وقال الرب فى قلبه، لا أعود ألعن الأرض» (٦).

وعليه سار ابراهيم، فرفع ابراهيم عينيه ونظر واذا كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه، فذهب ابراهيم وأخذ الكبش، وأصعده محرقة عوضا عن ابنه» (٧).

وهكذا فعل يعقوب «فارتحل اسرائيل... وذبح ذبائح لإله أبيه اسحق» (٨).

---

(١) رو ٥ : ١٢.
(٢) تك ٩ : ٣، ٤.
(٣) تك ٣ : ٧.
(٤) تك ٤ : ٤.
(٥) تك ٤ : ٤.
(٦) تك ٨ : ٢٠، ٢١.
(٧) تك ٢٢ : ١٣، ١٤ وراجع أيضا تك ١٥ : ٩ – ١٧.
(٨) تك ٤٦ : ١.

وهكذا كان يفعل الاسرائيليون قبل شريعة موسى، حتى أن موسى كان يجابه فرعون ويقول له: أنت تعطى أيضا فى أيدينا ذبائح ومحرقات، لنصنعها للرب إلهنا، فتذهب مواشينا أيضا معنا، لا يبقى ظلف، لأننا منها نأخذ لعبادة الرب إلهنا» (١).

ولذا أراد يثرون أن يكرم إله اسرائيل «فأخذ يثرون حمو موسى، محرقة وذبائح لله» (٢).

وأيوب أيضا وقد كان - على الأرجح - فى زمان ابراهيم قدّم ذبائح ومحرقات لله الذى كان يعبده بسيرة كاملة، «وكان بنوه يذهبون ويعملون وليمة فى بيت كل واحد منهم فى يومه، ويرسلون ويستدعون أخواتهم الثلث ليأكلن ويشربن معهم، وكان لما دارت أيام الوليمة أن أيوب أرسل فقدسهم وبكر فى الغد، وأصعد محرقات على عددهم كلهم، لأن أيوب قال: ربما أخطأ بنّى وجدفوا على الله فى قلوبهم، هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام» (٣).

كذلك أصدقاء أيوب قد صدر إليهم الأمر من قبل الله أن يقدموا ذبائح «والآن فخذوا لأنفسهم سبعة ثيران، وسبعة كباش، واذهبوا إلى عبدى أيوب، واصعدوا محرقة لأجل أنفسكم» (٤).

(٧) اقامة المذابح :

واذا كان الآباء قبل موسى يقدمون لله ذبائح ومحرقات، فلابد أن يكون المذبح معروفا لديهم ولا سيما وأن المذبح هو مكان الذبيحة.

«وبنى نوح مذبحا للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح» (٥).

«وظهر الرب لابرام (فى بلوطة مورة)، وقال «لنسلك أعطى هذه الأرض فبنى هناك مذبحا للرب الذى ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل الشرقى... فبنى هناك مذبحا للرب. ودعا باسم الرب» (٦).

---

(١) خر ١٠ : ٢٥ – ٢٧، خر ٥ : ١ – ٣، خر ٨ : ٢٥ – ٢٨، خر ١٢ : ٢٧.

(٢) خر ١٨ : ١٢.

(٣) أى ١ : ٤، ٥.

(٤) أى ٤٢ : ٨.

(٥) تك ٨ : ٢٠.

(٦) تك ١٢ : ٧، ٨ راجع تك ١٣ : ٤.

«فنقل أبرام خيامه، وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التى فى حبرون وبنى هناك مذبحا للرب»(١).

ويظهر أن أمر الذبيحة والمذبح كان معروفا ومألوفا ومتداولا بين الجميع حتى أن اسحق يسأل أباه قائلا : «وكلّم اسحق ابراهيم أباه وقال: يا أبى فقال هأنذا يا ابنى، فقال هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة، فقال ابراهيم، الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابنى.

فلما أتيا إلى الموضع الذى قال له الله، بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب» (٢).

وقال يعقوب الرسول : ألم يتبرر ابراهيم أبونا بالأعمال، إذ قدم اسحق ابنه على المذبح» (٣).

اسحق ... «فظهر له الرب فى تلك الليلة، وقال : أنا إله ابراهيم أبيك، لا تخف لأنى معك، وأباركك، وأكثر نسلك من أجل ابراهيم عبدى، فبنى هناك مذبحا، ودعا باسم الرب» (٤).

يعقوب ... «ثم قال الله ليعقوب : قم اصعد إلى بيت ايل، وأقم هناك واصنع هناك مذبحا لله الذى ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك، فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه... لنقم ونصعد إلى بيت ايل، فاصنع هناك مذبحا لله الذى استجاب لى» (٥).

« فأتى يعقوب إلى لوز... وهى بيت إيل... وبنى هناك مذبحا، ودعا المكان إيل بيت الله»(٦).

«ثم أتى يعقوب سالما إلى مدينة شكيم... وأقام هناك مذبحا ودعا إيل إله اسرائيل» (٧).

---

(١) تك ١٣ : ١٨.

(٢) تك ٢٢ : ٧ - ٩.

(٣) يع ٢ : ٢١.

(٤) تك ٢٦ : ٢٥.

(٥) تك ٣٥ : ١ - ٣.

(٦) تك ٣٥ : ٦، ٧.

(٧) تك ٣٣ : ١٨ - ٢٠.

(٨) وظيفة الكهنوت :

والمقربون للذبائح كانوا كهنة، وكان الكاهن هو رب العشيرة أو الأسرة، فكان آدم وهابيل ونوح وأيوب وابراهيم واسحق ويعقوب هم الذين يبنون المذابح ويقربون الذبائح عن نفوسهم وعن أفراد اسرتهم أى عن زوجاتهم وأولادهم ذكورا وإناثا، وعن عيالهم...

ولم تكن وظيفة الكهنوت حديثة العهد، بل قد كان الكهنوت معروفا فى الأمة الاسرائيلية قبل موسى أو قبل الشريعة الموسوية، وكان هناك أشخاص يدعون باسم «الكهنة» وقد أشار الكتاب المقدس إليهم اشارة واضحة:

قال الوحى فى سفر التكوين: أن «ملكى صادق ملك ساليم، أخرج خبزا وخمراً، لأنه كان **كاهنا** لله العلى، وباركه. وقال : مبارك أبرآم من الله العلى» (١).

وبينما أن الرب لم يعين نظام الكهنوت اللاوى إلا ابتداء من الأصحاح الثامن والعشرين نجد أنه قد تكلم عن الكهنة قبل ذلك فى الأصحاح التاسع عشر، أى قبل أن يختار سبط لاوى ليكون سبط الكهنوت.

«وليتقدس أيضا الكهنة الذين يقتربون إلى الرب، لئلا يبطش بهم الرب، فقال موسى للرب لا يقدر الشعب أن يصعد إلى جبل سيناء... فقال له الرب: اذهب انحدر ثم أصعد أنت وهرون معك، وأما الكهنة والشعب فلا يقتحموا ليصعدوا إلى الرب لئلا يبطش بهم» (٢).

(٩) السجود :

السجود نوعان: سجود عبادة، وسجود اكرام، أما الأول فلله، وأما الثانى فيمكن أن يؤدى للملائكة أو لذوى الكرامة من البشر. وقد ورد هذا السجود وذاك فى تاريخ الأمة الاسرائيلية قبل موسى....

---

(١) تك ١٤ : ١٨، ١٩. وقد جاء كهنوت المسيح على طقس (نظام أو ترتيب) ملكى صادق، أى أنه كهنوت قائم على الخبز والخمر، وهو كهنوت أرفع وأسمى من الكهنوت اللاوى على دماء الحيوانات، ولا يمكن أن يفهم هذا السمو الا على أساس أن الخبز والخمر لا يبقيان على بسيط الحال، بل يتحولان إلى جسد ودم عمانوئيل. راجع مز ١١٠ : ٤، عب ٥ : ٦، ٧ : ١ ... الخ.

(٢) خر ١٩ : ٢٢ - ٢٤. راجع أيضا خر ٢٤ : ٥.

سجود التعبد :

فقال ابراهيم لغلاميه: أجلسا أنتما ههنا مع الحمار، وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك **ونسجد** ثم نرجع إليكما، (١).

فقالت له (لعبد ابراهيم) أنا (رفقة) بنت بتوئيل... عندنا تبن وعلف كثير ومكان لتبيتوا أيضا، فخر الرجل **وسجد** للرب، (٢).

وقال أليعازر عبد ابراهيم: ،وخررت **وسجدت** للرب: وباركت الرب إله سيدى ابراهيم الذى هدانى فى طريق أمين، لآخذ ابنة أخى سيدى لابنه، (٣).

وكان عندما سمع عبد ابراهيم كلامهم، أنه **سجد** للرب إلى الأرض، (٤).

،فقام أيوب، ومزق جبته، وجز شعر رأسه، وخر على الأرض **وسجد**، (٥).

،ولما قربت أيام اسرائيل أن يموت، دعا ابنه يوسف وقال له: ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك، فضع يدك تحت فخذى واصنع معى معروفا وأمانه، لا تدفنى فى مصر بل أضطجع مع آبائى، فتحملنى من مصر وتدفننى فى مقبرتهم. فقال أنا أفعل بحسب قولك. فقال احلف لى، فحلف له، **فسجد** اسرائيل على رأس السرير (عصاه) (٦).

،فآمن الشعب (عندما صنع موسى الآيات أمامهم) ولما سمعوا أن الرب افتقد بنى اسرائيل وأنه نظر مذلتهم، خروا **وسجدوا**، (٧).

،فدعا موسى جميع شيوخ اسرائيل، وقال لهم: .... اذبحوا الفصح... ويكون حين يقول لكم أولادكم: ما هذه الخدمة لكم، انكم تقولون، هى ذبيحة، فصح للرب الذى عبر عن بيوت بنى اسرائيل فى مصر، لما ضرب المصريين وخلص بيوتنا... فخر الشعب **وسجدوا**، (٨).

وبعد، فهذا سجود عبادة للرب، وهو تعبير ظاهرى عن شعور الخضوع والتعبد الباطنى، ويكون بالجثو على الركبتين إلى الأرض.

---

(١) تك ٢٢: ٥.
(٢) تك ٢٤: ٢٦.
(٣) تك ٢٤: ٤٨.
(٤) أى ١ : ٢٠.
(٥) تك ٤٨: ١٢.
(٦) تك ٢٧ : ٢٩ – ٣١.
(٧) خر ٤ : ٣١.
(٨) خر ١٢ : ٢٧.

سجود الاكرام :

«وظهر له (ابرام) الرب، عند بلوطات ممرا، وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر، ركض لاستقبالهم من باب الخيمة **وسجد إلى الأرض**» (١).

فجاء الملاكان إلى سدوم مساء، وكان لوط جالسا فى باب سدوم، فلما رآهما لوط، قام لاستقبالهما **وسجد** بوجهه على الأرض» (٢).

«فأجاب بنوحث ابراهيم قائلين له : اسمعنا ياسيدى. أنت رئيس من الله بيننا. فى أفضل قبورنا ادفن ميتك. لا يمنع أحد منا قبره عنك حتى لا تدفن ميتك، فقام ابراهيم **وسجد** لشعب الأرض، لبنى حث...

فأجاب عفرون الحثى ابراهيم فى مسامع بنى حث... قائلا.. يا سيدى اسمعنى : الحقل وهبتك اياه والمغارة التى فيه لك وهبتها لدى عيون بنى شعبك، وهبتك اياها، ادفن ميتك، **فسجد** ابراهيم أمام شعب الأرض» (٣).

فقال له اسحق أبوه (أى قال ليعقوب)... فليعطك الله من ندى السماء... ليستعبد لك شعوب، **وتسجد** لك قبائل. كن سيدا لاخوتك **وليسجد** لك بنو أمك» (٤).

«وأما هو (يعقوب) فاجتاز قدامهم **وسجد** إلى الأرض سبع مرات، حتى اقترب إلى أخيه»(٥).

«فاقتربت الجاريتان هما وأولادهما **وسجدتا** (لعيسو) ثم اقتربت ليئة أيضاً وأولادها **وسجدوا**، وبعد ذلك اقترب يوسف وراحيل **وسجدا**» (٦).

«وكان يوسف هو المسلط على الأرض وهو البائع لكل شعب الأرض، فأتى إخوة يوسف، **وسجدوا** له بوجوههم إلى الأرض» (٧).

«فلما جاء يوسف إلى البيت، أحضروا (اخوته) إليه الهدية التى فى أيديهم إلى البيت، **وسجدوا** له إلى الأرض، فسأل عن سلامتهم، وقال : أسالم أبوكم الشيخ الذى قلتم عنه؟ أحى هو بعد؟ فقالوا عبدك أبونا سالم. هو حى بعد، وخروا **وسجدوا**» (٨).

---

(١) تك ١٨ : ١، ٢.
(٢) تك ١٩ : ١.
(٣) تك ٢٣ : ٥، ٦، ٧، ١٢.
(٤) تك ٢٧ : ٢٩.
(٥) تك ٣٣ : ٣.
(٦) تك ٣٣ : ٦، ٧.
(٧) تك ٤٢ : ٦.
(٨) تك ٤٣ : ٢٦ – ٢٨ راجع أيضا تك ٣٧ : ٧، ٩، ١٠.

«وقال اسرائيل ليوسف: لم أكن أظن أنى أرى وجهك، وهوذا الله قد أرانى نسلك أيضا، ثم أخرجهما يوسف من بين ركبتيه، **وسجد** أمام وجهه إلى الأرض» (١).

«وبارك يعقوب يهوذا ولده وقال: «يهوذا اياك يحمد إخوتك، يدك على قفا أعدائك، **يسجد** لك بنو أبيك» (٢).

(١٠) الصوم :

يرى علماء اللاهوت أن مبدأ الصوم قد تقرر منذ البدء وأن أول من طُولب به ومارسه انما هو آدم : وأوصى الرب الاله آدم قائلا : من جميع شجر الجنة تأكل أكلا، **وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها،** لأنك يوم تأكل منها، موتا تموت» (٣).

---

(١) تك ٤٨ : ١٢.   (٢) تك ٤٩ : ٨.

(٣) تك ٢ : ١٦، ١٧.

ويرى بعد المفسرين المتقدمين أن الوصية تدعى إلى صوم لا عن الطعام بل عن العلائق الجنسية، ويفسر شجرة معرفة الخير والشر التى هى فى وسط الجنة بأنها الشهوة الجنسية وموضعها فى وسط الجسم الإنسانى (حيث أعضاء التناسل فى منتصف البدن).

ولقد تحركت شهوة المرأة أولا نحو الرجل باغراء الحية أو الشيطان ثم أغرت الرجل بذلك فقبل منها وسقط معها وكسر وصية الصوم. أى الانقطاع والامتناع عن الاتصال الجنسى.

ومما يؤيدون به صحة هذا التفسير قول الرب لحواء: «إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك... ثم قوله «تكثيرا أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادا» (تك ٣ : ١٦) وهما قولان يدلان على صلة العقوبة بنوع الخطية أو بنوع الوصية...

ويمكن أن نضيف إلى هذا ما يلاحظ من أن هذه الغريزة الجنسية هى التى تسيطر أكبر السيطرة على كل من الرجل والمرأة، وان الاغراء فيها أقوى منه فى أية ناحية أخرى، ومن أن الشر الناجم عن سوء استخدامها يكون أعظم وأشد من أى شر آخر لأنه يدنس النفس والجسد والمكان، ولذا طرد الأبوان الأولان.

وربما يجد هذا التفسير دليلا جديدا من قول الوحى: عن الأبوين بعد طردهما من الجنة، وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت «تك ٤ : ١» أى أنه اذا اشتعلت الشهوة وتدنس الفكر طردا من الجنة فتوالدا بالاسلوب الغريزى «بالأثام حبل بى وبالخطيئة اشتهتنى أمى» ومن يدرى فلولا خطيئة الدنس ربما كان يتم التوالد باسلوب آخر، وان الله الذى خلق حواء من جنب آدم لا يعجز عن أن يجد طريقة أخرى للإنسان غير طريق التوالد الحيوانى.

ومهما يكن من شأن هذا التفسير الذى يحتسب الطهارة الفكرية والجسمانية أول أمر يليق بالمواضع المقدسة، وأننا بدون الطهارة لا نليق بالفردوس أو الملكوت، وحتى أننا بالجسد (اللحم والدم) لا نستطيع أن نرث الملكوت مالم نلبس أجسادا أخرى طاهرة مقدسة نورانية تختلف عن تلك التى تدنست بالنجاسة والاثم ولذلك يحسب البتول «مقدسا جسدا وروحا» ١. كو ٧ : ٣٤ ويحتسب أهلا لكرامة مضاعفة فى السماء» إش٥٦:٣-٥، ١. كو ٧ : ٤٠، مهما يكن من أمر هذا التفسير، فالوصية تقتضى فكرة الصوم سواء عن الطعام أو عن الشهوة الجنسية، ومن ثم كان الصوم يقتضى بالضرورة انقطاعا عن الطعام من جهة وانقطاعا عن الاتصالات الجنسية من جهة أخرى وهو أمر ثابت بنصوص الكتاب المقدس بعهديه وبنصوص من التقليد الشريف» خر ١٩ : ١٥، ١. كو ٧ : ٥ - ٧.

(١١) التمييز بين المحلل والمحرم، والتفريق بين الطاهر والنجس :

كان الآباء قبل موسى يميزون بين الطاهر والنجس، ويعرفون الطهارة أنها واجبة والنجاسة أنها مرذولة ويفرقون في الحيوانات والطيور بين طاهر ونجس: «وقال الرب لنوح أدخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك، لأني إياك رأيت بارا لدي في هذا الجيل، من جميع البهائم التي ليست بطاهرة: اثنين ذكرا وأنثى (رجلا وامرأته)، ومن طيور السماء أيضا سبعة سبعة، ذكرا وأنثى لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض (١).

« ولما كان نوح ابن ست مائة سنة، صار طوفان الماء على الأرض، فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان، ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة، ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض، دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك، ذكرا وأنثى كما أمر الله نوحا» (٢).

وحقا انه من الغريب أن يعرف نوح الطاهر من غير الطاهر دون أن يحدد الله ذلك بصريح اللفظ، وهذا معناه أن نوحا كان يعرف ذلك من قبل، ولما كنا لا نلتقي بنص آخر يستدل منه أو يبين هذا التفريق، فلابد أن يكون معروفا بالتقليد، أي أنهم قد تسلموه ابنا عن أب ولذا نرى أن هابيل عندما قدم ذبيحة قدمها من الغنم (٣) وقدمها نوح من البهائم والطيور الطاهرة (٤) وقدم ابراهيم عجلة وعنزة وكبشا ويمامة وحمامة (٥)، أي أن الجميع كانوا يحرصون على مبدأ الطهارة، وعلى تقديم ذبائحهم من البهائم والطيور الطاهرة، بما تسلموه من التقليد الذي توارثوه وتناقلوه.

ولقد نبه يعقوب أهل بيته إلى مراعاة الطهارة قبل الانطلاق إلى بيت ايل (بيت الله) «فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه: اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم، وتطهروا» (٦).

وقد عرف ذلك أيوب أيضا فقال: «من يخرج الطاهر من النجس لا أحد» (٧) وقال: «أما الصديق فيستمسك بطريقه، والطاهر اليدين يزداد قوة» (٨)، مما يدل على أنه كان يميز بين الطاهر والنجس ويفرق بين المشروع والمحروم.

---

(١) تك ٧ : ١ - ٣.
(٢) تك ٧ : ٦ - ٩.
(٣) تك ٤ : ٤.
(٤) تك ٨ : ٢٠.
(٥) تك ١٥ : ٩، تك ٢٢ : ١٣.
(٦) تك ٣٥ : ٢.
(٧) أي ١٤ : ٤.
(٨) أي ١٧ : ٩.

(١٢) البكور :

وكانت البكور مقدسة عندهم، حتى أن الابن الأكبر هو صاحب البكورية الذى ينال بركة أبيه وسائر الامتيازات الأخرى، ويظهر أن هذه الامتيازات كانت عظيمة جدا حتى أن الكتاب المقدس حسبها من عيسو خطيئة كبيرة أن يستهين بها أو يحتقرها، (١).

ومن امتيازات البكر أنه يقدم على الباقين فى كل شئ (٢)، وأخيرا ينال بركة الأب، (٣).

وربما كانت فكرة البكورية فى البنين تحمل فى طياتها معنى تقديس البكور لله.

كذلك البكور فى ثمار الأرض ونتاج الحيوان. وقد حرص على تقديسها هابيل : «وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها» (٤).

(١٣) العشور :

كان السابقون على موسى يقدمون العشور لله، والعشور والبكور دليل آخر على أن الأقدمين كانوا يسيرون بموجب التقليد لأنه لم تكن بعد قد نصت الشريعة على مبدأ تقديس العشور...

قال الوحى عن ابراهيم أنه أعطى ملكى صادق كاهن الله عشرا من كل شئ كان معه (٥)، وقد أشار إلى ذلك القديس بولس فى رسالته قائلا: ثم انظروا ما أعظم هذا الذى أعطاه ابراهيم رئيس الآباء، عشرا أيضا من رأس الغنائم» (٦).

كذلك نذر يعقوب نذرا لله وقال «وكل ما تعطينى فانى أعشره لك» (٧).

(١٤) النذور :

والنذور فكرة انتقلت إلى يعقوب من غير الوحى المسطور، فاما أن يكون قد وفق إليها بارشاد باطنى فأخذها عنه غيره، وأما أن يكون قد اقتدى فيها بقدوة الآباء الذين سبقوه من غير أن

---

(١) (تك ٢٥ : ٣١ – ٣٤)، (٢٧ : ٢٦)، (عب ١٢ : ١٦).

(٢) (تك ١٩ : ٣١، ٣٣، ٣٧)، (٤٣ : ٣٣).

(٣) (تك ٢٧ : ١، ٣٣).

(٤) (تك ٤ : ٤).

(٥) (تك ١٤ : ٢٠).

(٦) عب ٧ : ٤ راجع أيضا عب ٧ : ٦، ٩.

(٧) تك ٢٨ : ٢٢.

يشير الوحى إلى ذلك، وعلى كل حال فالنذر طقس من الطقوس التى عرفها الآباء قبل عهد النبى موسى بزمان طويل.

قال الوحى: «ونذر يعقوب نذرا قائلا: ان كان الله معى وحفظنى فى هذا الطريق الذى أنا سائر فيه، وأعطانى خبزا لآكل وثيابا لألبس، ورجعت بسلام إلى بيت أبى يكون الرب لى إلها وهذا الحجر الذى أقمته عمودا يكون بيت الله، وكل ما تعطينى فانى أعشره لك» (١).

وقد اعتبر يوسف «نذير اخوته» (٢).

كذلك كان هذا الطقس مألوفا حتى لأصدقاء أيوب، إذ قال أليفاز التيمانى لأيوب «ترفع إلى الله وجهك، تصلى له فيستمع لك، ونذورك توفيها» (٣).

أترى هل استطعنا أن نثبت هنا جميع الطقوس التى كان يباشرها الآباء السابقون على موسى؟ قطعا لا... أجل فثمة طقوس أخرى كان يمارسها الآباء وقد توارثوها وتناقلوها بالتقليد، ولكن موسى لم يذكرها فى التوراة إما لأنها قد وردت فيما بعد مفصلة فى الشريعة الموسوية أو لأنها قد أبدلت بغيرها، فلم يجد ما يدعو إلى ذكرها.

* * *

فاذا أردنا نظرة عامة شاملة، فان تاريخ الطقوس يمتد إلى نشأة الجنس البشرى، وها نحن قد رأينا جميع الأمم الإنسانية اسرائيلية كانت أو وثنية، كانت دياناتها ديانات طقسية، وقد اتفقت فى طابعها العام وروحها العامة بل وفى شكلها العام، فلم تكن الديانة فى أى عصر من العصور عبادة فكرية بحتة، وانما كانت عبادة ملبسة بمظاهر جسمية مادية، ولم تخل البشرية زمنا ما من الطقوس الدينية...

وهذا الاتفاق من حيث الصلوات وسائر الطقوس الكهنوتية وجميع الرسوم والفروض الدينية، يدل - ولا شك - على أن هناك أصولا عامة واحدة قبلتها الأفراد والأمم فى مختلف العصور والبيئات وهذا بينة فى ذاته على أن هناك معتقدات ومباشرات كان يمارسها آبائى الجنس البشرى قبل أن يتفرعوا ويتوزعوا فى جميع البلاد والأقاليم وقبل أن ينقسموا إلى شعوب وجماعات ونحن نرى أن أكثر هذه الطقوس قد تلقاها آدم الأول بوحى إلهى أو إلهام سماوى.

---

(١) تك ٢٨ : ٢٠، ٢١ راجع أيضا تك ٣١ : ١٣.

(٢) تك ٤٩ : ٢٦، تث ٣٣ : ١٦.

(٣) أى ٢٢ : ٢٧.

ثالثاً

الطقوس فى العهد القديم

منذ موسى النبى

ثالثا : الطقوس فى العهد القديم (منذ موسى النبى)

ان أكبر عهد كان للطقوس فيه شأن عظيم هو عهد الأمة الاسرائيلية ابتداء من أيام النبى موسى صاحب الشريعة التى عرفت باسمه، فهى شريعة الطقوس بأجلى معانيها.

ولما كانت طقوس الأمة الاسرائيلية الموسوية واضحة على نوع ما فى التوراة والأنبياء، فسنجد مادة غزيرة لبحثنا فى نصوص الكتاب المقدس، ولذا سنعنى بايراد النصوص حتى تكون دراستنا للطقوس فرصة ملائمة لدراسة النصوص ذاتها، فنتأمل فى معانيها أو نقترب إلى روحها وقصدها.

(١) عبادة الله على وجه العموم :

حيث تكون ديانة فهنا عبادة للاله، ولكن الذى يختص بعنايتنا هو قضيتان أو ثلاث قضايا :

(١) ان الله يطالب بعبادته بأمر صريح :

«فقال (الله لموسى) انى أكون معك، وهذه تكون لك العلامة أنى أرسلتك، حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل» (١) «فتقول لفرعون: «هكذا يقول الرب: اسرائيل ابنى البكر، فقلت لك: أطلق ابنى ليعبدنى» (٢).

«وتقول له الرب إله العبرانيين أرسلنى إليك قائلا : اطلق شعبى ليعبدونى فى البرية» (٣). وقد تكرر هذا الأمر إلى موسى خمس مرات أخرى غير هذه» (٤).

«وتعبدون الرب الهكم، فيبارك خبزك وماءك وأزيل المرض من بينكم» (٥).

وأوصى يشوع بن نون الشعب قائلا: أحرصوا جدا أن تعملوا الوصية والشريعة التى آمركم بها موسى عبد الرب: أن تحبوا الرب الهكم، وتسيروا فى كل طرقه، وتحفظوا وصاياه وتلتصقوا به، وتعبدون بكل قلبكم وبكل نفسكم» (٦).

---

(١) خر ٣ : ١٢.

(٢) خر ٤ : ٢٢، ٢٣.

(٣) خر ٧ : ١٦.

(٤) خر ٨ : ١، خر ٨ : ٢٠، خر ٩ : ١، خر ٩ : ١٣، خر ١٠ : ٣.

(٥) خر ٢٣ : ٢٥، راجع أيضا أع ٧ : ٧.

(٦) يش ٢٢ : ٥.

«فالآن أخشوا الرب، واعبدوه بكمال وأمانة» (١).

ويقول داود النبى بروح الله : «فالآن أيها الملوك تعقلوا... اعبدوا الرب بخوف» (٢).

«اعبدوا الرب بفرح» (٣).

(٢) العبادة تجب لله وحده :

يقول الرب: أنا الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى أمامى، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن» (٤).

«لا تسجد لآلهتهم (الأمم) ولا تعبدها... وتعبدون الرب الهكم» (٥).

«الرب إلهك تتقى واياه تتعبد وباسمه تحلف» (٦).

«الرب إلهك تتقى، اياه تعبد وبه تلتصق وباسمه تحلف» (٧).

«ويقول يشوع بن نون «لا تذكروا اسم آلهتهم (الأمم) ولا تحلفوا بها، ولا تعبدوها، ولا تسجدوا لها، ولكن الصقوا بالرب إلهكم كما فعلتم إلى هذا اليوم، قد طرد الرب من أمامكم شعوبا عظيمة وقوية... حينما تتعدون عهد الرب الهكم الذى أمركم به وتسيرون، وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها يحمى غضب الرب عليكم فتبيدون سريعا عن الأرض الصالحة التى أعطاكم»(٨).

«انزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر وفى مصر واعبدوا الرب. وان ساء فى أعينكم أن تعبدوا الرب فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون: ان كان الآلهة الذين عبدهم آباؤكم

---

(١) يش ٢٤ : ١٤.

(٢) مز ٢ : ١١.

(٣) مز ١٠٠ : ٢، راجع خر ١٠ : ٤، خر ١٢ : ٣١.

(٤) خر ٢٠ : ٣ – ٥، راجع أيضا تث ٤ : ١٩، تث ٥ : ٦ – ٩.

(٥) خر ٢٣ : ٢٤، ٢٥.

(٦) خر ٢٣ : ٢٤.

(٧) تث ٦ : ١٣.

(٨) يش ٢٣ : ٧ – ١٦.

الذين فى عبر النهر وإن كان آلهة الأموريين.. وأما أنا وبيتى فنعبد الرب... فأجاب الشعب وقالوا حاشا لنا أن نترك الرب لنعبد آلهة أخرى، لأن الرب الهنا هو الذى أصعدنا وآباءنا من أرض مصر من بيت العبودية والذى عمل أمام أعيننا تلك الآيات العظيمة وحفظنا فى كل الطريق التى سرنا فيها وفى جميع الشعوب الذين عبرنا فى وسطهم... فنحن أيضا نعبد الرب لأنه هو الهنا. فقال يشوع للشعب لا تقدرون أن تعبدوا الرب لأنه إله قدوس واله غيور هو لا يغفر ذنوبكم وخطاياكم، واذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة يرجع فيسئ اليكم ويفنيكم بعد أن أحسن اليكم، فقال الشعب ليشوع، لا، بل الرب نعبد فقال يشوع للشعب أنتم شهود على أنفسكم أنكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه، فقالوا نحن شهود، فالآن انزعوا الآلهة الغريبة التى فى وسطكم وأميلوا قلوبكم إلى الرب إله اسرائيل، فقال الشعب ليشوع: الرب إلهنا نعبد ولصوته نسمه» (١).

«وعبد الشعب الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوع الذين طالت أيامهم بعد يشوع» (٢).

«وكلم صموئيل كل بيت اسرائيل قائلا: إن كنتم بكل قلوبكم راجعين إلى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروث من وسطكم»، وأعدوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده، فينقذكم من يد الفلسطينيين، فنزع بنوا اسرائيل البعليم والعشتاروث وعبدوا الرب وحده» (٣).

« وقالوا للملك نبوخذ نصر: أيها الملك عش إلى الأبد، أنت أيها الملك قد أصدرت أمرا بأن كل انسان يسمع صوت القرن والناى والعود والرباب والسنطير والمزمار وكل أنواع العزف يخر ويسجد لتمثال الذهب. ومن لا يخر ويسجد فانه يلقى فى وسط أتون نار متقدة. يوجد رجال يهود... شدرخ وميشخ وعبدنغو... آلهتك لا يعبدون ولتمثال الذهب الذى نصبت لا يسجدون...

«حينئذ أمر نبوخذ نصر بغضب وغيظ باحضار شدرخ وميشخ وعبدنغو... وقال لهم: تعمدا... لا تعبدون آلهتى... فان كنتم الآن مستعدين عندما تسمعون صوت القرن والناى والعود والرباب والسنطير والمزمار وكل أنواع العزف إلى أن تخروا وتسجدوا للتمثال الذى عملته، وإن لم تسجدوا ففى تلك الساعة تلقون فى وسط أتون النار المتقدة، ومن هو الاله الذى ينقذكم من يدى، فأجاب شدرخ وميشخ وعبدنغو، وقالوا للملك: يا نبوخذ نصر لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا

---

(١) يش ٢٤ : ١٤ – ٢٨.

(٢) قض ٢ : ٧.

(٣) ١. صم ٧ : ٣، ٤ راجع أيضا ١. صم ١٢ : ١٤، مز ١٠٢ : ٢٢.

الأمر، هوذا يوجد إلهنا الذى نعبده يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدة وأن ينقذنا من يدك أيها الملك، وإلا فليكن معلوما لك أيها الملك أننا لا نعبد آلهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذى نصبته» (١).

«فأجاب نبوخذ وقال، تبارك إله شدرخ وميشخ وعبدنغو الذى أرسل ملاكه وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه وغيروا كلمة الملك وأسلموا أجسادهم لكيلا يعبدوا ويسجدوا لإله غير إلههم» (٢).

(٣) العبادة الباطلة مرفوضة من الله :

فقال السيد لأن هذا الشعب قد اقترب إلىّ بفمه وأكرمنى بشفتيه، وأما قلبه فأبعده عنى، وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمة، لذلك ها أنذا أعود واصنع بهذا الشعب عجبا وعجيبا، فتبيد حكمة حكمائه ويختفى فهم فهمائه» (٣).

«ويأتون اليك كما يأتى الشعب ويجلسون أمامك كشعبى، ويسمعون كلامك ولا يعملون به لأنهم بأفواههم يظهرون أشواقا، وقلبهم ذاهب وراء كسبهم. وها أنت لهم كشعر أشواق لجميل الصوت، يحسن العزف، فيسمعون كلامك ولا يعملون به» (٤).

(٢) الصلاة :

(١) ان الله يوصى بأن نصلى إليه وأن نطلب منه :

«ادعنى فى يوم الضيق، أنقذك فتمجدنى» (٥).

«اطلبوا الرب مادام يوجد، ادعوه وهو قريب» (٦).

«ادعنى فأجيبك وأخبرك بعظائم وعوائص لم تعرفها» (٧).

---

(١) دا ٣ : ٩ – ١٨

(٢) دا ٣ : ٢٨ راجع أيضا دا ٦ : ١ – ٣، دا ٧ : ٢٧، صف ٣ : ٩.

(٣) إش ٢٩ : ١٣، ١٤.

(٤) حز ٣٣ : ٣١، ٣٢.

(٥) مز ٥٠ : ١٥.

(٦) إش ٥٥ : ٦.

(٧) إر ٣٣ : ٣.

(٢) القديسون يصلون إلى الله ويطلبون منه :

«لهذا يصلي لك كل تقي» (١).

موسى :

«فخرج موسى من لدن فرعون، وصلى إلى الرب» (٢).

«فصرخ موسى إلى الرب» (٣).

منوح :

«فصلى منوح إلى الرب» (٤).

حنة :

«فصلت (حنة) إلى الرب» (٥).

صموئيل :

«فدعا صموئيل الرب» (٦).

داود :

«لذلك وجد عبدك في قلبه أن يصلي لك هذه الصلاة» (٧).

«تراءف علي واسمع صلاتي» (٨).

«استمع لصوت دعائي يا ملكي، وإلهي، لأني إليك أصلي» (٩).

---

(١) مز ٣٢ : ٦.

(٢) خر ٨ : ٣٠.

(٣) خر ١٧ : ٤، ١١ – ١٣، تث ٩ : ٢٦.

(٤) قض ١٣ : ٨ راجع قض ٦ : ٢٢، ٣٦، ٣٩.

(٥) ١. صم ١ : ١٠، ١. صم ٢ : ١.

(٦) ١. صم ١٢ : ١٨.

(٧) ٢. صم ٧ : ٢٧، أي ١٧ : ٢٥.

(٨) مز ٤ : ١.

(٩) مز ٥ : ٢.

«استمع يارب، بصوتى أدعو فارحمنى» (١).

«استمع صلاتى يارب» (٢).

«استمع يا الله صلاتى» (٣).

«اصغ يا الله إلى صلاتى» (٤).

«اسمع يا الله صراخى واصغ إلى صلاتى» (٥).

«اصغ يارب إلى صلاتى» (٦).

«يارب استمع صلاتى» (٧).

«يارب اسمع صلاتى» (٨).

«أما أنا فلك صلاتى» (٩).

بنو قورح :

«يارب إله الجنود اسمع صلاتى» (١٠).

«عندى صلاة لإله حياتى» (١١).

«فلتأت قدامك صلاتى» (١٢).

سليمان :

«فالتفت إلى صلاة عبدك والى تضرعه أيها الرب الهى، واسمع الصراخ والصلاة التى يصليها عبدك أمامك اليوم» (١٣).

---

(١) مز ٢٧ : ٧.
(٢) مز ٣٩ : ١٢.
(٣) مز ٥٤ : ٢.
(٤) مز ٥٥ : ١.
(٥) مز ٦١ : ١.
(٦) مز ٨٦ : ٦.
(٧) مز ١٠٢ : ١.
(٨) مز ١٤٣ : ١.
(٩) مز ٦٩ : ١٣.
(١٠) مز ٨٤ : ٨.
(١١) مز ٤٢ : ٨.
(١٢) مز ٨٨ : ٢.
(١٣) ١ . مل ٨ : ٢٨، ٢ . أى ٦ : ٢٠.

أليشع النبى :

وصلى أليشع وقال: يارب افتح عينيه (جيحزى) فيبصر، (١).

،ولما نزلوا إليه (جنود ملك أرام) صلى اليشع إلى الرب وقال: اضرب هؤلاء الأمم بالعمى،(٢).

حزقيال الملك :

،وصلى حزقيا أمام الرب (بصدد كلام سنحاريب ملك أشور) (٣)، ،فوجه (حزقيا بصدد موته) وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب، (٤).

عزرا :

راجع عزرا ٩ : ٦ ـ الخ، ١٠ : ١.

نحميا :

،فلما سمعت هذا الكلام (عن أورشليم) جلست وبكيت ونحت أياما وصمت وصليت أمام إله السماء، (٥).

طوبيا :

،حينئذ أن طوبيا، طفق يصلى بدموع، (٦).

يهوديت :

،دخلت يهوديت معبدها ولبست مسحا، وألقت رمادا على رأسها، وخرت أمام الرب وصرخت إلى الرب، (٧).

---

(١) ٢ . مل ٦ : ١٧ .

(٢) ٢ . مل ٦ : ١٨ .

(٣) ٢ . مل ١٩ : ١٥ .

(٤) ٢ . مل ٢٠ : ٢، ٢ . أى ٣٢ : ٢٤ .

(٥) نح ١ : ٤، ٢ : ٤ .

(٦) طو ٣ : ١ .

(٧) يهو ٩ : ١، ٤ : ٨ – ١٧ .

أستير :

«وكانت تتضرع إلى الرب إله اسرائيل قائلة : أيها الرب الذى هو وحده ملكنا : أعنى أنا المنقطعة التى ليس لها معين سواك» (١) .

إرميا النبى :

«ثم صليت إلى الرب» (٢) .

« ها أنذا أصلى إلى الرب» (٣) .

دانيال النبى :

«فلما علم دانيال بامضاء الكتابة، ذهب إلى بيته وكواه مفتوحة فى عليته نحو أورشليم، فجثا على ركبتيه ثلاث مرات فى اليوم، وصلى وحمد» (٤) .

«فوجهت وجهى إلى الله السيد، طالبا بالصلاة والتضرعات» (٥) .

«وصليت إلى الرب الهى» (٦) .

«فاسمع الآن يا إلهنا صلاة عبدك وتضرعاته» (٧) .

سوسنة العفيفة (٨) :

يونان النبى :

«فصلى يونان إلى الرب الهه فى جوف الحوت» (٩) .

«فجاءت إليك صلاتى» (١٠) .، وصلى إلى الرب (١١) .

---

(١) إش ١٤ : ٣.
(٢) إر ٣٢ : ١٦ – ٢٥.
(٣) إر ٤٢ : ٤.
(٤) دا ٦ : ١٠.
(٥) دا ٩ : ٣.
(٦) دا ٩ : ٤.
(٧) دا ٩ : ١٧، دا ٩ : ٢٠.
(٨) دا ١٣ : ٤٢.
(٩) يون ٢ : ١.
(١٠) يون ٢ : ٧.
(١١) يون ٤ : ١.

حبقوق النبى :

«صلاة لحبقوق النبى» (١).

يهوذا المكابى :

«فاحتشدت الجماعة لتتأهب للقتال وتصلى وتسأل الرأفة، والمراحم... ورفعوا أصواتهم إلى السماء قائلين... فكيف نستطيع الثبات أمامهم إن لم تكن أنت فى نصرتنا» (٢)

«فلما علم أصحاب المكابى أنه يحاصر الحصون، ابتهلوا إلى الرب مع الجموع بالنحيب والدموع أن يرسل ملاكه الصالح لخلاص اسرائيل» (٣).

(٣) الرب يسر بصلوات الأبرار وبتسبيحهم :

«وأخذ قورح... وداثان وأبيرام... يقاومون موسى مع أناس من بنى اسرائيل مائتين وخمسين... فأرسل موسى ليدعو داثان وابيرام فقالا لا نصعد... فاغتاظ موسى جدا، وقال للرب: لا تلتفت إلى تقدمتهما، حمارا واحدا لم آخذ منهم ولا أسأت إلى أحد منهم... فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الأرض التى تحتهم (جماعة المقاومين) وفتحت الأرض فاها، وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال... وخرجت نار من عند الرب وأكلت المائتين والخمسين رجلا الذين قربوا البخور» (٤).

«وقال صموئيل لكل اسرائيل... أما هو حصار الحنطة اليوم، فانى أدعو الرب فيعطى رعودا ومطرا، فتعلمون وترون أنه عظيم شركم الذى عملتموه فى عينى الرب بطلبكم لأنفسكم ملكا، فدعا صموئيل الرب، فأعطى رعودا ومطرا فى ذلك اليوم، وخاف جميع الشعب الرب وصموئيل جدا» (٥).

---

(١) حب ١ : ٢، ٣ : ١.

(٢) ١ . مكا ٣ : ٤٤، ٥٠ – ٥٣.

(٣) ٢ . مكا ١١ : ٦.

(٤) عد ١٦ : ١ – ٣٥.

(٥) ١ . صم ١٢ : ١، ١٧، ١٨.

«وقال ايليا التشبى من مستوطنى جلعاد لآخاب: حى هو الرب إله اسرائيل الذى وقفت أمامه، أنه لا يكون طل ولا مطر فى هذه السنين إلا عند قولى» (١) .

«وأرسل إليه (أخزيا) رئيس خمسين مع الخمسين الذين له، فصعد إليه واذا هو جالس على رأس الجبل، فقال له يارجل الله، الملك يقول انزل فأجاب ايليا وقال لرئيس الخمسين: إن كنت أنا رجل الله فلتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك، فنزلت نار من السماء وأكلته هو والخمسين الذين له. ثم عاد وأرسل إليه رئيس خمسين آخر والخمسين الذين له، فأجاب وقال له: يا رجل الله، هكذا يقول الملك: اسرع وانزل. فأجاب ايليا وقال لهم إن كنت أنا رجل الله لتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك فنزلت نار من السماء وأكلته هو والخمسين الذين له» (٢) .

«ثم صعد (اليشع) من هناك إلى بيت ايل، وفيما هو صاعد فى الطريق اذ بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه وقالوا له: اصعد يا أقرع، اصعد يا أقرع، فالتفت إلى ورائه ونظر اليهم ولعنهم باسم الرب، فخرجت دابتان من الوعر وافترستا منهم اثنين وأربعين ولدا» (٣) .

«فقال له أليشع : من أين ياجيحزى، فقال: لم يذهب عبدك إلى هنا أو هناك فقال له: ألم يذهب قلبى حين رجع الرجل من مركبته للقائك، أهو وقت لأخذ الفضة ولأخذ نبات وزيتون وكروم وغنم وبقر وعبيد وجوار، فبرص نعمان يلصق بك وبنسلك إلى الأبد، فخرج من أمامه أبرص كالثلج» (٤) .

«ولما نزلوا إليه (جيوش ملك آرام) صلى اليشع إلى الرب وقال اضرب هؤلاء الأمم بالعمى، فضربهم بالعمى كقول أليشع، فقال لهم أليشع ليست هذه هى الطريق ولا هذه هى المدينة، اتبعونى فأسير بكم إلى الرجل الذى تفتشون عليه، فسار بهم إلى السامرة، فلما دخلوا السامرة، قال اليشع يارب افتح أعين هؤلاء فيبصروا، ففتح الرب أعينهم فأبصروا واذا هم فى وسط السامرة» (٥) .

«فسمع صوتهم (بنى اسرائيل) ودخلت صلاتهم إلى مسكن قدسه إلى السماء» (٦) .

---

(١) ١. مل ١٧ : ١.
(٢) ٢. مل ١ : ٩ – ١٢.
(٣) ٢. مل ٢٠ : ١٤، ٢٤.
(٤) ٢. مل ٥ : ٢٥ – ٢٧.
(٥) ٢. مل ٦ : ١٨ – ٢٠.
(٦) ٢. أى ٣٠ : ٢٧.

«لكن قد سمع الله، أصغى إلى صوت صلاتى» (١).

«الرب قريب لكل الذين يدعونه بالحق، يعمل رضى خائفيه ويسمع تضرعهم فيخلصهم» (٢).

«سمع الرب تضرعى، الرب يقبل صلاتى» (٣).

«يدعونى فأستجيب له، معه أنا فى الضيق» (٤).

«موسى وهرون بين كهنته، صموئيل بين الذين يدعون باسمه دعو الرب وهو استجاب لهم» (٥).

«وتصلّون إلى، فاسمع لكم» (٦).

(٤) يستجيب الرب صراخ المستغيثين :

بنو اسرائيل :

«وتنهد بنو اسرائيل من العبودية وصرخوا، وصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية، فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع ابراهيم واسحاق ويعقوب» (٧).

موسى :

«فصرخ موسى إلى الرب قائلا: ماذا أفعل بهذا الشعب، بعد قليل يرجموننى فقال الرب لموسى مر قدام الشعب وخذ معك من شيوخ اسرائيل، و... ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة، فى حوريب، فتضرب الصخرة، فيخرج منها ماء ليشرب الشعب» (٨).

داود :

«وبنى داود هناك (فى بيدر ارنان اليبوسى) مذبحا للرب... ودعا الرب فأجابه بنار من السماء على مذبح المحرقة» (٩).

---

(١) مز ٦٦ : ١٩. (٢) مز ١٤٥ : ١٨، ١٩. (٣) مز ٦ : ٩.
(٤) مز ٩١ : ١٥. (٥) مز ٩٩ : ٦. (٦) إر ٢٩ : ١٢.
(٧) خر ٢ : ٢٣، ٢٤. (٨) خر ١٧ : ٤ – ٦ راجع أيضا تث ٤ : ٧. (٩) ١. أى ٢١ : ٢٦.

«بصوتى إلى الرب أصرخ، فيجيبنى من جبل قدسه» (١).

«تأوه الودعاء، قد سمعت يارب» (٢).

«فى ضيقى دعوت الرب وإلى إلهى صرخت، فسمع من هيكله صوتى، وصراخى قدامه داخل أذنيه» (٣).

«عليك اتكل أباؤنا... فنجيتهم، إليك صرخوا فنجوا، عليك اتكلوا فلم يخزوا» (٤).

«مبارك الرب لأنه سمع صوت تضرعى» (٥).

«وأنا قلت فى حيرتى أنى قد انقطعت من قدام عينيك، ولكنك سمعت صوت تضرعى إذ صرخت إليك» (٦).

«ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الاثم لأن الرب قد سمع صوت بكائى سمع الرب تضرعى، الرب يقبل صلاتى» (٧).

«طلبت إلى الرب فاستجاب لى، ومن كل مخاوفى أنقذنى» (٨).

«هكذا المسكين صرخ والرب استمعه، ومن كل ضيقاته خلصه» (٩).

«انتظارا انتظرت الرب، فمال إلىّ وسمع صراخى وأصعدنى من جب الهلاك» (١٠).

«قد سمع الله، اصغى إلى صوت صلاتى، مبارك الله الذى لم يبعد صلاتى ولا رحمته عنى» (١١).

«كابدت ضيقا وحزنا، وباسم الرب دعوت. آه يارب نج نفسى... تذللت فخلصنى» (١٢).

«من الضيق دعوت الرب فأجابنى من الرحب» (١٣).

---

(١) مز ٣ : ٤.
(٢) مز ١٠ : ١٧.
(٣) مز ١٨ : ٦.
(٤) مز ٢٢ : ٤، ٥.
(٥) مز ٢٨ : ٦.
(٦) مز ٣١ : ٢٢.
(٧) مز ٦ : ٩.
(٨) مز ٣٤ : ٤.
(٩) مز ٣٤ : ٦.
(١٠) مز ٤٠ : ١.
(١١) مز ٦٦ : ١٩، ٢٠.
(١٢) مز ١١٦ : ٢.
(١٣) مز ١١٨ : ٥.

«فى يوم دعوتك أجبتنى، شجعتنى قوة فى نفسك» (١).

شمشون :

ثم عطش (شمشون) جدا، دعا الرب وقال انك قد جعلت بيد عبدك هذا الخلاص العظيم، والآن أموت من العطش وأسقط بيد الغليل فشق الله الكفة التى فى لحى، فخرج منها ماء فشرب ورجعت روحه فانتعش» (٢).

حنة :

وقالت (حنة لعالى الكاهن) .. حية هى نفسك ياسيدى.. أنا المرأة التى وقفت لديك هنا تصلى إلى الرب... لأجل هذا الصبى (صموئيل) صليت، فأعطانى الرب سؤلى» (٣).

سليمان :

«فى جبعون تراءى الرب لسليمان فى حلم ليلا، وقال الله اسأل ماذا أعطيك، فقال سليمان... فاعط عبدك قلبا فهيما لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر... فحسن الكلام فى عينى الرب لأن سليمان سأل هذا الأمر، فقال له الله: من أجل أنك قد سألت هذا الأمر... هوذا قد فعلت حسب كلامك، هوذا أعطيتك قلبا حكيما ومميزا حتى أنه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك» (٤).

ايليا النبى :

وكان عند اصعاد التقدمة أن ايليا النبى تقدم وقال أيها الرب إله ابراهيم... استجبنى يارب استجبنى ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الاله... فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة.. والحطب والحجارة والتراب، ولحست المياه التى فى القناة» (٥)

يهوآحاز الملك :

«وتضرع يهوآحاز إلى وجه الرب، فسمع له الرب» (٦).

---

(١) مز ١٣٨ : ٣.
(٢) قض ١٥ : ١٨، ١٩.
(٣) ١. صم ١ : ٢٦، ٢٧.
(٤) ١. مل ٣ : ٥ - ١٥.
(٥) ١. مل ١٨ : ٣٦ - ٣٨.
(٦) ٢. مل ١٣ : ٤.

حزقيا الملك :

«وصلى حزقيا أمام الرب وقال : أيها الرب إله اسرائيل الجالس فوق الكروبيم : أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض، أنت صنعت السماء والأرض، أمل يارب اذنك واسمع، افتح يارب عينيك وأنظر واسمع كلام سنحاريب الذى أرسله ليعير الله الحى ... والآن أيها الرب الهنا خلصنا من يده ... فأرسل إشعياء بن آموص إلى حزقيا قائلا : هكذا قال الرب إله اسرائيل الذى صليت إليه من جهة سنحاريب ملك أشور، قد سمعت» (١).

«فى تلك الأيام مرض حزقيا للموت، فجاء اليه إشعياء بن آموص النبى وقال له هكذا يقول الرب : أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش، فوجه حزقيا وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب وقال آه يارب أذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن فى عينيك، وبكى حزقيا بكاء عظيما ... فصار قول الرب إلى إشعياء قائلا : اذهب وقل لحزقيا : هكذا يقول الرب إله داود أبيك، قد سمعت صلاتك، قد رأيت دموعك، ها أنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة، ومن يد ملك آشور أنقذك وهذه المدينة» (٢).

بنو رأوبين والجاديون ونصف سبط منسى :

«... وعملوا حربا مع الهاجريين ويطور ... وناقيش ونوداب، فانتصروا عليهم، فدفع ليدهم الهاجريون وكل من معهم لأنهم صرخوا إلى الله فى القتال، فاستجاب لهم لأنهم اتكلوا عليه» (٣).

يعبيص :

«ودعا يعبيص إله اسرائيل قائلا : ليتك تباركنى وتوسع تخومى، وتكون يدك معى وتحفظنى من الشر حتى لا يتعبنى، فآتاه الله بما سأل» (٤).

---

(١) ٢. مل ١٩ : ١٥ : ١٥ : ٢٠ راجع أيضا إش ٣٧ : ١٥ – ٣٨.

(٢) إش ٣٨ : ١ – ٦.

(٣) ١. أى ٥ : ١٨ – ٢٠.

(٤) ١. أى ٤ : ١٠.

آسا الملك :

«ودعا آسا الرب إلهه، وقال : أيها الرب، ليس فرقا عندك أن تساعد الكثيرين ومن ليس لهم قوة، فساعدنا أيها الرب الهنا لأننا عليك اتكلنا وباسمك قدمنا على هذا الجيش، أيها الرب أنت إلهنا : لا يقو عليك انسان، فضرب الرب الكوشيين أمام آسا وأمام يهوذا فهرب الكوشيون، وطردهم آسا والشعب الذى معه إلى جرار وسقط من الكوشيين حتى لم يكن لهم حى لأنهم انكسروا أمام الرب وأمام جيشه» (١).

يهوشافاط الملك :

فوقف يهوشافاط... فى بيت الرب... وقال : يارب إله آبائنا أما أنت هو الله فى السماء، وأنت المتسلط على جميع ممالك الأمم، وبيدك قوة وجبروت وليس من يقف معك... والآن هوذا بنو عمون وموآب وجبل ساعير... يكافئوننا بمجيئهم لطردنا من ملكك الذى ملكتنا إياه، يا إلهنا أما تقضى عليهم لأنه ليس فينا قوة أمام هذا الجمهور الكثير الآتى علينا، ونحن لا نعلم ماذا نعمل، ولكن نحوك أعيننا... ولما ابتدأوا فى الغناء والتسبيح، جعل الرب أكمنة على بنى عمون وموآب وجبل ساعير الآتين على يهوذا فانكسروا... ولما جاء يهوذا إلى المرقب فى البرية تطلعوا نحو الجمهور واذا هم جثث ساقطة على الأرض ولم ينفلت أحد» (٢).

منسى الملك :

«ولما تضايق طلب وجه الرب إلهه وتواضع جدا أمام إله آبائه، وصلى إليه فاستجاب له وسمع تضرعه ورده إلى أورشليم إلى مملكته» (٣).

عزرا الكاهن :

«وناديت هناك بصوم على نهر أهوا لكى نتذلل أمام إلهنا لنطلب منه طريقا مستقيمة لنا ولأطفالنا ولكل مالنا.. فصمنا وطلبنا ذلك من إلهنا، فاستجاب لنا» (٤).

---

(١) ٢. أى ١٤ : ١١ - ١٣.

(٢) ٢. أى ٢٠ : ٣ - ٢٠.

(٣) ٢. أى ٣٣ : ١٢، ١٣ ثم ٢. أى ٣٣ : ١٨، ١٩.

(٤) عزرا ٨ : ٢١ - ٢٣.

نحميا :

«فصلينا إلى إلهنا... وأبطل الله مشورتهم» (١).

طوبيا :

حينئذ أن طوبيا طفق يصلى بدموع وقال : ... فالآن اذكرنى يارب ولا تنتقم عن خطاياى... والآن يارب بحسب مشيئتك اصنع بى... واتفق فى ذلك اليوم عينه أن سارة ابنة رعوئيل فى راجيس مدينة الماديين، وسمعت هى أيضا تعييرا من احدى جوارى أبيها لأنه كان قد عقد لها على سبعة رجال... وإذ كانت تنتهر الجارية لذنب أجابتها قائلة لا رأينا لك ابنا ولا ابنة على الأرض... يا قاتلة أزواجها، أتريدين أن تقتلينى كما قتلت سبعة رجال، فلما سمعت هذا الكلام صعدت إلى علية بيتها فأقامت ثلاثة أيام وثلاث ليال لا تأكل ولا تشرب، بل استمرت تصلى وتتضرع إلى الله بدموع أن يكشف عنها هذا العار... فى ذلك الحين استجيب صلوات الاثنين أمام مجد الله العلى فأرسل الرب ملاكه القديس رافائيل ليشفى كلا الاثنين الذين رفعت صلواتهما فى وقت واحد إلى حضرة الرب» (٢).

أشعياء :

يقول النبى إشعياء عن المصريين : يصرخون إلى الرب بسبب المضايقين، فيرسل لهم مخلصا ومحاميا وينقذهم» (٣).

«لا تبكى بكاء، يتراءف عليك عند صوت صراخك، حينما يسمع يستجيب لك» (٤).

«البائسون والمساكين طالبون ماء ولا يوجد. لسانهم من العطش قد يبس، أنا الرب استجيب لهم» (٥).

«حينئذ تدعو فيجيب الرب، تستغيث فيقول هأنذا (٦).

ويكون أنى قبلما يدعون أنا أجيب، وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع» (٧).

---

(١) نح ٤ : ٩ ، ١٥.

(٢) طو ٣ : ١ – ٢٥.

(٣) إش ١٩ : ٢٠.

(٤) إش ٣٠ : ١٩.

(٥) إش ٤١ : ١٧.

(٦) إش ٥٨ : ٩.

(٧) إش ٦٥ : ٢٤.

إرميا :

«دعوت باسمك يارب من الجب الأسفل، لصوتى سمعت، لا تستر أذنك عن زفرتى عن صياحى، دنوت يوم دعوتك، قلت لا تخف» (١).

دانيال :

«وبينما أنا أتكلم وأصلى وأعترف بخطيتى وخطية شعبى اسرائيل وأطرح تضرعى أمام الرب إلهى عن جبل قدس إلهى، وأنا متكلم بعد بالصلاة، إذا بالرجل جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا فى الابتداء مطارا واقفا، لمسنى عند وقت تقدمة المساء، وفهمنى وتكلم معى، وقال : يا دانيال، إنى خرجت الآن لأعلمك الفهم، فى ابتداء تضرعاتك خرج الأمر، وأنا جئت لأخبرك لأنك أنت محبوب» (٢).

«فقال لى (الملاك) لا تخف يا دانيال، لأنه من اليوم الأول الذى فيه جعلت قلبك للفهم ولاذلال نفسك قدام إلهك، سمع كلامك وأنا أتيت لأجل كلامك» (٣).

سوسنة :

«فصرخت سوسنة بصوت عظيم وقالت : أيها الاله الأزلى البصير بالخفايا العالم بكل شئ قبل أن يكون. أنت تعلم أنهما انما شهدا علىّ بالزور، وها أنا أموت ولم أصنع شيئا مما افترى علىّ هذان... فاستجاب الرب لصوتها، وإذ كانت تساق إلى الموت نبه الله روحا مقدسا لشاب حدث اسمه دانيال، فصرخ بصوت عظيم أنا برئ من دم هذه» (٤).

عاموص النبى :

«لأنه هكذا قال الرب لبيت اسرائيل : اطلبونى فتحيوا» (٥).

يونان النبى :

«فصلى يونان إلى الرب الهه من جوف الحوت، وقال : دعوت من ضيقى الرب، فاستجابنى، صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتى... وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر» (٦).

---

(١) مرا ٣ : ٥٥ – ٥٧. (٢) دا ٩ : ٢٠ – ٢٣. (٣) دا ١٠ : ١٢.

(٤) دا ١٣ : ٤٢ – ٤٦. (٥) عا ٥ : ٤. (٦) يون ٢ : ١ – ١٠.

زكريا النبى :

«هو يدعو باسمى وأنا أجيبه، أقول هو شعبى وهو يقول الرب إلهى» (١).

المكابيون :

«ورفعوا أصواتهم إلى السماء قائلين ما نصنع بهؤلاء وإلى أين تنطلق بهم... وها أن الأمم قد اجتمعوا علينا ليبيدونا، وأنت عليم بما يأتمرون علينا فكيف نستطيع الثبات أمامهم إن لم تكن أنت في نصرتنا... واقتتلوا فانكسرت الأمم وانهزمت» (٢).

«لكن هليودورس بناء على أمر الملك أصر على حمل الأموال إلى خزانة الملك، وعين يوما دخل فيه للفحص عن ذلك، فكان فى جميع المدينة ارتعاش شديد، وانطرح الكهنة أمام المذبح بحللهم الكهنوتية يبتهلون نحو السماء إلى الذى سن فى الودائع أن تصان لمستودعها.... وكان الناس يتبادرون من البيوت. أفواجا ليصلوا صلاة عامة لسبب الهوان المشرف على الموضع، وكانت النساء يزدحمن فى الشوارع وهن متحزمات بالمسوح... وكلهن باسطات أيديهن إلى السماء يتضرعن بالابتهال... وكانوا جميعا يتضرعون إلى الاله القدير... أما هليودورس فكان آخذا فى إتمام ما قضى به وقد حضر هناك مع شرطة فى الخزانة، فصنع رب آبائنا وسلطان كل قدرة آية عظيمة حتى أن جميع الذين اجترأوا على الدخول صرعتهم قدرة الله وأخذهم الانحلال والرعب. وذلك أنه ظهر لهم فرس عليه راكب مخيف وجهازه فاخر، فوثب وضرب هليودورس بحوافر يديه، وكانت عدة الراكب كأنها من ذهب، وتراءى أيضا لهليودورس فتيان عجيبا القوة بديعا البهاء حسنا اللباس، فوقفا على جانبيه يجلدانه جلدا متواصلا حتى أثخناه بالضرب، فسقط لساعته على الأرض، وغشيه ظلام كثيف فرفعوه وجعلوه على محمل، فاذا به بعد أن دخل الخزانة المذكورة فى موكب حافل وجند كثير، قد أصبح محمولا لا مغيث له، وقد تجلت لهم قدرة الله علانية، فكان مطروحا بالقوة الالهية أبكم منقطع الرجاء من الخلاص، واليهود يباركون الرب الذى مجد مقدسه، وقد امتلأ الهيكل ابتهاجا وتهللا» (٣).

---

(١) زك ١٣ : ٩.

(٢) ١. مكا ٣ : ٥٠ – ألخ،٤: ١ – ١٤.

(٣) ٢. مكا ٣ : ١٣ – ٣٠.

(٥) الرب يقبل ويستجيب شفاعة القديسين فى البشر، مجاهدين أو منتقلين :

(أ) شفاعة الأحياء فى الأحياء :

موسى (فى فرعون) :

«فدعا فرعون موسى وهرون، وقال صليا إلى الرب ليرفع الضفادع عنى وعن شعبى... ثم خرج موسى وهرون من لدن فرعون، ففعل الرب كقول موسى، فماتت الضفادع من البيوت والدور والحقول، وجمعوها كوما كثيرة حتى انتنت الأرض» (١).

«فقال فرعون أنا أطلقكم لتذبحوا للرب إلهكم فى البرية... صليا لأجلى... فقال موسى ها أنا أخرج من لدنك وأصلى إلى الرب... فخرج موسى من لدن فرعون، وصلى إلى الرب، ففعل الرب كقول موسى فارتفع الذبان عن فرعون وعبيده وشعبه، لم تبق واحدة» (٢).

«فأرسل فرعون ودعا موسى وهرون وقال لهما : أخطئت هذه المرة، الرب هو البار وأنا وشعبى الأشرار، صليا إلى الرب وكفى حدوث رعود الله والبرد فأطلقكم... فقال له موسى عند خروجى من المدينة أبسط يدى إلى الرب فتنقطع الرعود ولا يكون البرد... فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون، وبسط يديه إلى الرب، فانقطعت الرعود والبرد ولم ينصب المطر على الأرض» (٣).

«فدعا فرعون موسى وهرون مسرعا، وقال : أخطئت إلى الرب الهكما واليكما، والآن اصفحا عن خطيتى هذه المرة فقط، وصليا إلى الرب الهكما ليرفع عنى هذا الموت (الجراد) فقط. فخرج موسى من لدن فرعون وصلى إلى الرب، فرد الرب ريحا غربية شديدة جدا، فحملت الجراد وطرحته إلى بحر سوف، لم تبق جرادة واحدة فى كل تخوم مصر» (٤).

موسى (فى بنى اسرائيل) :

«وأتى عماليق وحارب اسرائيل فى رفيديم، فقال موسى ليشوع : انتخب لنا رجالا وأخرج حارب عماليق، وغدا أقف أنا على رأس التلة وعصا الله فى يدى، ففعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عماليق، وأما موسى وهارون وحور فصعدوا على رأس التلة وكان إذا رفع موسى يده أن

---

(١) خر ٨ : ٨ – ١٤.
(٢) خر ٨ : ٢٨ – ٣١.
(٣) خر ٩ : ٢٧ – ٣٣.
(٤) خر ١٠ : ١٦ – ١٩.

سرائيل يغلب، وإذا خفض يده أن عماليق يغلب، فلما صارت يد موسى ثقيلتين أخذا حجرا ووضعاه تحته فجلس عليه، ودعم هرون وحور يديه الواحد من هنا والآخر من هناك فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس، فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف» (١).

«فقال الرب لموسى : اذهب انزل، لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر، زاغوا سريعا عن الطريق الذى أوصيتهم به، صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له، وقالوا : هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر. وقال الرب لموسى، رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم، فأصيرك شعبا عظيما، فتضرع موسى أمام الرب إلهه، وقال: لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذى اخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة. لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض. أرجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك. أذكر ابراهيم واسحق واسرائيل (٢) عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم : أكثر نسلكم كنجوم السماء، وأعطى نسلكم كل هذه الأرض. فندم الرب على الشر الذى قال انه يفعله بشعبه» (٣).

«وكان فى الغد أن موسى قال للشعب : أنتم قد أخطأتم خطية عظيمة، فأصعد الآن إلى الرب، لعلى أكفر خطيتكم، فرجع موسى إلى الرب، وقال : آه قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب والآن... ان غفرت خطيتهم والآن فامحنى من كتابك الذى كتبت، فقال الرب لموسى : من أخطئ إلي أمحوه من كتابى» (٤).

وقد أورد النبى موسى هذه الواقعة فى سفر تثنية الاشتراع، قال : «أذكر لا تنس كيف اسخطت الرب إلهك فى البرية... حتى فى حوريب أسخطتم الرب فغضب الرب عليكم ليبيدكم، حين صعدت إلى الجبل لكى آخذ لوحى الحجر، لوحى العهد ... وفى نهاية الأربعين نهارا

---

(١) خر ١٧ : ٨ – ١٣.

(٢) يلاحظ فى هذا النص أن موسى وهو يشفع فى اسرائيل يستشفع بابراهيم واسحق واسرائيل وهو ما يفعله دائما قديسوا الأرض اذ يستشفعون بالمنتقلين إلى السماء.

(٣) خر ٣٢ : ٧ – ١٤.

(٤) خر ٣٢ : ٣٠ – ٣٣ (راجع ما كتبه داود النبى عن هذه الحادثة الاليمة) : «صنعوا عجلا فى حوريب، وسجدوا لتمثال مسبوك، نسوا الله مخلصهم فقام باهلاكهم لولا موسى مختاره وقف فى الثغر قدامه ليصرف غضبه عن اتلافهم» مز ١٠٦ : ١٩ – ٢٣.

والأربعين ليلة... فقال الرب لى قم أنزل عاجلا من هنا لأنه قد فسد شعبك... وكلمنى الرب قائلا : رأيت هذا الشعب واذا هو شعب صلب الرقبة، أتركنى فأبيدهم وأمحو اسمهم من تحت السماء وأجعلك شعبا أعظم وأكثر منه، فانصرفت ونزلت من الجبل، ثم سقطت أمام الرب كالأول أربعين نهاراً وأربعين ليلة لا آكل خبزا ولا أشرب ماء من أجل كل خطاياكم التى أخطئتم بها بعملكم الشر أمام الرب لاغاظته لأنى فزعت من الغضب والغيظ الذى سخطه الرب عليكم ليبيدكم، فسمع لى الرب تلك المرة أيضا، وعلى هرون غضب الرب جدا ليبيده، فصليت أيضا من أجل هرون فى ذلك الوقت» (١).

«وقال الرب لموسى : اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذى أصعدته من أرض مصر... وأنا أرسل أمامك ملاكا، فانى لا أصعد فى وسطك لأنك شعب صلب الرقبة، لئلا أفنيك فى الطريق...

وقال موسى للرب : أنظر، أنت قائل لى أصعد هذا الشعب وأنت لم تعرفنى من ترسل معى، وأنت قد قلت عرفتك باسمك، ووجدت أيضا نعمة فى عينى فالآن : ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك، فعلمنى طريقك حتى أعرفك لكى أجد نعمة فى عينيك، وأنظر أن هذه الأمة شعبك. فقال : وجهى يسير فأريحك. فقال له : أن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من ههنا فانه بماذا يعلم أنى وجدت نعمة فى عينيك أنا وشعبك، أليس بمسيرك معنا، فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.. فقال الرب لموسى : هذا الأمر أيضا الذى تكلمت عنه أفعله، لأنك وجدت نعمة فى عينى وعرفتك باسمك» (٢).

«وكان الشعب كأنهم يشتكون شرا فى أذنى الرب، وسمع الرب فحمى غضبه، فاشتعلت فيهم نار الرب وأحرقت فى طرف المحلة، فصرخ الشعب إلى موسى فصلى موسى إلى الرب، فخمدت النار» (٣).

«وقال الرب لموسى : حتى متى يهيننى هذا الشعب، وحتى متى لا يصدقوننى بجميع الآيات التى عملت فى وسطهم (لأنهم خافوا أن يدخلوا أرض كنعان وبكو وتذمروا) أن أضربهم بالوبأ

---

(١) تث ٩ : ٧ - ٢٩.

(٢) خر ٣٣ : ١ - ١٧ راجع أيضا خر ٣٤ : ٥ - ١٠.

(٣) عدد ١١ : ١ - ٣.

وأبيدهم وأصيرك شعبا أكبر وأعظم منهم، فقال موسى للرب : فيسمع المصريون الذين أصعدت بقوتك هذا الشعب من وسطهم، ويقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا أنك يارب في وسط هذا الشعب الذين أنت يارب قد ظهرت لهم عينا لعين وسحابتك واقفة عليهم، وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهارا وبعمود نار ليلا. فان قتلت هذا الشعب كرجل واحد، يتكلم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين : لأن الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التى حلف لهم قتلهم فى القفر، فالآن : لتعظم قدرة سيدى كما تكلمت قائلا : الرب طويل الروح كثير الاحسان يغفر الذنب والسيئة... اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك، وكما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى ههنا، فقال الرب : قد صفحت حسب قولك» (١).

«وكلم الرب موسى وهرون قائلا : «افترزا من بين هذه الجماعة فانى أفنيهم فى لحظة. فخرا على وجهيهما وقالا : اللهم إله أرواح جميع البشر، هل يخطأ رجل واحد فتسخط على كل الجماعة. فكلم الرب موسى قائلا : كلم الجماعة قائلا : اطلعوا من حوالى مسكن قورح وداثان وابيرام» (٢).

«فتذمر كل جماعة بنى اسرائيل فى الغد على موسى وهرون قائلين أنتما قد قتلتما شعب الرب... فكلم الرب موسى قائلا : اطلعا من وسط هذه الجماعة فانى أفنيهم بلحظة، فخرا على وجهيهما.. ثم قال موسى لهرون : خذ المجمرة واجعل فيها نارا من على المذبح وضع بخورا واذهب بها مسرعا إلى الجماعة وكفر عنهم لأن السخط قد خرج من قبل الرب، قد ابتدأ الوباء، فأخذ هرون كما قال موسى وركض إلى وسط الجماعة واذا الوباء قد ابتدأ فى الشعب، فوضع البخور وكفر عن الشعب، ووقف بين الموتى والأحياء فامتنع الوباء» (٣).

«وارتحلوا من جبل هور فى طريق بحر سوف ليدوروا بأرض أدوم، فضاقت نفس الشعب فى الطريق. وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين : لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت فى البرية لأنه لا خبز ولا ماء، وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف، فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة، فلدغت الشعب، فمات قوم كثيرون من اسرائيل. فأتى الشعب إلى موسى وقالوا قد

---

(١) عدد ١٤ : ١١ – ٢٠.

(٢) عدد ١٦ : ٢٠ – ٢٤.

(٣) عدد ١٦ : ٤١ – ٤٨.

خطئنا اذ تكلمنا على الرب وعليك، فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات، فصلى موسى لأجل الشعب، فقال الرب لموسى : اصنع لك حية محرقة وضعها على راية، فكل من لدغ ونظر إليها يحيا، فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية، فكان متى لدغت حية انسانا ونظر إلى حية النحاس يحيا» (١).

موسى (فى مريم أخته) :

«وتكلمت مريم وهرون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها فسمع الرب... فحمى غضب الرب عليهما ومضى، فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة اذا مريم برصاء كالثلج. فقال هرون لموسى أسالك يا سيدى لا تجعل علينا الخطية التى حمقنا وخطئنا بها، فلا تكن (مريم) كالميت الذى يكون عند خروجه من رحم أمه قد أكل نصف لحمه، فصلى موسى إلى الرب قائلا اللهم اشفها، فقال الرب لموسى ولو بصق أبوها فى وجهها أما كانت تخجل سبعة أيام، تحجز سبعة أيام خارج المحلة وبعد ذلك ترجع» (٢).

صموئيل (فى بنى اسرائيل) :

«فقال صموئيل : اجمعوا كل اسرائيل إلى المصفاة : فأصلى لأجلكم إلى الرب، فاجتمعوا إلى المصفاة، واستقوا ماء وسكبوه أمام الرب، وصاموا فى ذلك اليوم، وقالوا هناك : قد خطئنا إلى الرب... وقال بنو اسرائيل لصموئيل : لا تكف عن الصراخ من أجلنا إلى الرب فيخلصنا من يد الفلسطينيين فأخذ صموئيل حملا رضيعا وأصعده محرقة بتمامه للرب، وصرخ صموئيل إلى الرب من أجل اسرائيل، فاستجاب له الرب (٣)، وبينما كان صموئيل يصعد المحرقة تقدم الفلسطينيون لمحاربة اسرائيل فأرعد الرب بصوت عظيم فى ذلك اليوم على الفلسطينيين وأزعجهم فانكسروا أمام اسرائيل.. وكانت يد الرب على الفلسطينيين كل أيام صموئيل» (٤).

---

(١) عدد ٢١ : ٤ – ٩.

(٢) عدد ١٢ : ١ – ١٤.

(٣) لقد بكى الاسرائيليون وصاموا وسكبوا ماء الرب ضحية وقربانا، ولكنهم لم يشعروا أنهم فى غنى عن صلوات صموئيل النبى القديس من أجلهم، اذ أنهم يعلمون دالة صموئيل أمام الرب. ولذا فان الرب استجاب لصراخ صموئيل قبل أن يستجيب لهم. فلنصل اذن ولنصم ولنتصدق ولكن لا ننسى أيضا قبل ذلك أن نتضع فنشعر بخطايانا وقيمة ضراعة القديسين عنا.

(٤) ١. صم ٧ : ٥ – ١٣.

«وقال جميع الشعب لصموئيل : صل عن عبيدك إلى الرب إلهك حتى لا نموت، لأننا قد أضفنا إلى جميع خطايانا شرا بطلبنا لأنفسنا ملكا »... فقال صموئيل للشعب لا تخافوا، إنكم قد فعلتم كل هذا الشر ولكن لا تحيدوا عن الرب، بل أعبدوا الرب بكل قلوبكم... وأما أنا فحاشا لى أن أخطأ (١) إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم» (٢).

داود (فى شعبه) :

«فجعل الرب وباء فى اسرائيل من الصباح إلى الميعاد، فمات من الشعب... سبعون ألف رجل... فكلم داود الرب عندما رأى الملاك الضارب الشعب وقال: ها أنا أخطئت وأنا أذنبت وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا، فلتكن يدك على وعلى بيت أبى... فجاء جاد فى ذلك اليوم إلى داود وقال له اصعد وأقم للرب مذبحا فى بيدر ارونه اليبوسى، فصعد داود حسب كلام جاد كما أمر الرب (٣)... وبنى داود هناك مذبحا للرب وأصعد محرقات وذبائح سلامة، واستجاب الرب من أجل الأرض، فكفت الضربة عن اسرائيل... فندم الرب عن الشر وقال للملاك المهلك الشعب : كفى، الآن رد يدك» (٤).

رجل الله (فى يربعام الملك) :

واذا برجل الله قد أتى من يهوذا بكلام الرب إلى بيت إيل، ويربعام واقف لدى المذبح لكى يوقد، فنادى نحو المذبح بكلام الرب، وقال : يا مذبح، يا مذبح، هكذا قال الرب : هوذا سيولد لبيت داود ابن اسمه يوشيا. ويذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك... فلما سمع الملك كلام رجل الله الذى نادى نحو المذبح.. مد يربعام يده على المذبح قائلا : امسكوه، فيبست يده التى مدها نحوه، ولم يستطع أن يردها إليه... فأجاب الملك وقال لرجل الله : تضرع إلى وجه الرب الهك، وصل من أجلى فترجع يدى إلى... فتضرع رجل الله إلى وجه الرب، فرجعت يد الملك إليه، وكانت كما فى الأول» (٥).

---

(١) ياله من تصريح نبوى خطير يحدد فيه مدى مسئولية الراعى ازاء رعيته وكيف أنه من أوجب واجباته أن يصلى من أجلهم وإلا فيخطئ إلى الرب.

(٢) ١. صم ١٢ : ١٩ - ٢٣.

(٣) يلاحظ هنا أن الرب بذاته يطلب شفاعة داود فى شعبه باصعاد المحرقات وهذه ناحية تكشف لنا عن قيمة الشفاعة لدى الرب وأنها ليست جائزة ومستحبة ومقبولة بل وأيضاً واجبة على الرعاة والمعلمين والكهنة والملوك من أجل الرعية والشعب والمسئولين منهم..

(٤) ٢. صم ٢٤ : ١٥ - ٢٥.

(٥) ١. مل ١٣ : ١ - ٦.

ايليا النبى (فى ابن أرملة صرفة صيدون) :

وبعد هذه الأمور، مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جدا حتى لم تبق فيه نسمة... وصرخ (ايليا) إلى الرب وقال : أيها الرب إلهى، أأيضا إلى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأت باماتتك ابنها، فتمدد على الولد ثلاث مرات، وصرخ إلى الرب وقال : ياربِ إلهى، لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه، فسمع الرب لصوت ايليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش» (١).

يهوشافاط (فى ملك اسرائيل وملك أدوم) :

«فقال أليشع : حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه أنه لولا أنى رافع وجه يهوشافاط ملك يهوذا لما كنت أنظر إليك ولا أراك (ملك اسرائيل)» (٢).

أليشع النبى (فى المرأة الشونمية) :

«فقال لجيحزى غلامه : أدع هذه الشونمية فدعاها فوقفت أمامه. فقال له قل لها هوذا قد انزعجت بسببنا كل هذا الانزعاج، فماذا يصنع لك، هل لك ما يتكلم به إلى الملك أو إلى رئيس الجيش فقالت انما أنا ساكنة فى وسط شعبى، ثم قال : فماذا يصنع لها؟ فقال جيحزى أنه ليس لها ابن ورجلها قد شاخ. فقال ادعها، فدعاها فوقفت فى الباب. فقال فى هذا الميعاد نحو زمان الحياة تحتضنين ابنا، فقالت لا ياسيدى رجل الله لا تكذب على جاريتك. فحبلت المرأة وولدت ابنا فى ذلك الميعاد نحو زمان الحياة كما قال لها أليشع» (٣).

«ودخل أليشع البيت واذا بالصبى (ابن المرآة الشونمية) ميت ومضطجع على سريره. فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب. ثم صعد واضطجع فوق الصبى... فعطس الصبى سبع مرات ثم فتح الصبى عينيه، فدعا جيحزى وقال (له) ادع هذه الشونمية، فدعاها ولما دخلت إليه قال : احملى ابنك» (٤).

---

(١) ١ . مل ١٧ : ١٧ – ٢٤.

(٢) ٢ . مل ٣ : ١٤.

(٣) ٢ . مل ٤ : ١٢ – ١٧.

(٤) ٢ . مل ٤ : ٣٢ – ٣٦.

اليشع (فى خادمه جيحزى) :

«فبكر خادم رجل الله وقام وخرج، واذا جيش محيط بالمدينة وخيل مركبات، فقال غلامه له : آه ياسيدى كيف نعمل؟ فقال لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم وصلى أليشع وقال يارب افتح عينيه فيبصر، ففتح الرب عينى الغلام فأبصر، إذا الجبل مملوء خيلا ومركبات نار حول اليشع» (١).

إشعياء النبى (فى شعب اسرائيل) :

فلما سمع الملك حزقيا ذلك (أى كلام ربشاقى من قبل سنحاريب ملك أشور) مزق ثيابه وتغطى بمسح ودخل بيت الرب، وأرسل ألياقيم الذى على البيت وشبنة الكاتب وشيوخ الكهنة متغطين بمسح، إلى إشعياء النبى ابن آموص، فقالوا له : هكذا يقول حزقيا : هذا اليوم يوم شدة وتأديب واهانة، لأن الأجنة قد دنت إلى المولد ولا قوة للولادة، لعل الرب إلهك يسمع جميع كلام ربشاقى الذى أرسله ملك أشور سيده ليعير الله الحى. فارفع صلاة من أجل البقية الموجودة.

فجاء عبيد الملك حزقيا إلى إشعيا، فقال لهم إشعيا : هكذا تقولوا لسيدكم هكذا قال الرب : لا تخف.. ها أنذا أجعل فيه روحا فيسمع خبرا ويرجع إلى أرضه وأسقطه بالسيف فى أرضه» (٢).

«وكان فى تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مائة ألف وخمسمائة وثمانين ألفا، ولما بكروا صباحا إذا هم جميعا جثث ميتة فانصرف سنحاريب ملك أشور وذهب راجعا وأقام فى نينوى، وفيما هو ساجد فى بيت نسروخ إلهه ضربه أدرماك وشرآصر إبناه بالسيف» (٣).

داود (فى ابنه سليمان) :

وأما سليمان ابنى فاعطه قلبا كاملا ليحفظ وصاياك شهاداتك وفرائضك، وليعمل الجميع وليبنى الهيكل الذى هيأت له... وجلس سليمان على كرسى الرب ملكا مكان داود أبيه ونجح واطاعه كل اسرائيل وجميع الرؤساء والأبطال وجميع أولاد الملك داود أيضا خضعوا لسليمان الملك، وعظم الرب سليمان جدا فى أعين جميع اسرائيل وجعل عليه جلالا ملكيا لم يكن على ملك قبله فى اسرائيل» (٤).

---

(١) ٢. مل ٦ : ١٥ - ١٧. (٢) ٢. مل ١٩ : ١ - ٧.

(٣) ٢. مل ١٩ : ٣٥ - ٣٧، راجع أيضا ٢. مل ٢٠ : ١١ و٢. أى ٣٢ : ٢٠ - ٢٣ وإش ٣٧ : ١ ··· الخ.

(٤) ١. أى ٢٩ : ١٩ - ٢٥، راجع أيضا مز ٧٢ : ٩.

حزقيا الملك (فى شعبه) :

«كثيرين من الشعب : كثيرين من أفرايم ومنسى ويساكر وزبولون لم يتطهروا، بل أكلوا الفصح ليس كما هو مكتوب، إلا أن حزقيا صلى عنهم قائلا: الرب الصالح يكفر عن كل من هيأ قلبه لطلب الله الرب إله آبائه وليس كطهارة القدس، فسمع الرب لحزقيا وشفى الشعب» (١).

نحميا (فى اسرائيل) :

«فلما سمعت هذا الكلام، جلست وبكيت ونحت أياما وصمت وصليت أمام إله السماء، وقلت أيها الرب إله السماء الإله العظيم المخوف الحافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظى وصاياه، لتكن اذنك مصغية، وعيناك مفتوحتين لتسمع صلاةعبدك الذى يصلى اليك الآن نهارا وليلا، لإجل بنى اسرائيل عبيدك ويعترف بخطايا بنى اسرائيل التى خطئنا بها إليك... واعط النجاح اليوم لعبدك وامنحه رحمة أمام هذا الرجل (الملك)... فأعطانى الملك حسب يد إلهى الصالحة عليّ» (٢).

يهوديت (فى شيوخ اسرائيل) :

«فقال لها عزيا والشيوخ جميع كلامك حق ولا عيب فى كلماتك، فالآن صلى عنا لأنك امرأة قديسة متقية لله، فقالت لهم يهوديت... صلوا حتى يؤيد الله مشورتى» (٣).

داود (فى اسرائيل) :

«يا الله افد اسرائيل من كل ضيقاته» (٤).

«يارب إله الجنود، إلى متى تُدَخِّنُ على صلاة شعبك» (٥).

«لأن صلاتى بعد فى مصائبهم» (٦)

إرميا النبى (فى شعب اسرائيل) :

«يقول الرب : «طوفوا فى شوارع المدينة وانظروا واعرفوا وفتشوا فى ساحاتها هل تجدون انسانا، أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق، فأصفح عنها» (٧).

---

(١) ٢. أى ٣٠ : ١٨ – ٢٠. (٢) نح ١ : الخ ٢ : ١ – ٨ (٣) يهو ٨ : ٢٨ – ٣١.

(٤) مز ٢٥ : ٢٢. (٥) مز ٨٠ : ٤. (٦) مز ١٤١ : ٥ راجع أيضا مز ٧٢ : ١٥.

(٧) إر ٥ : ٦.

«هذا كلام الرسالة التى أرسلها إرميا النبى من أورشليم إلى بقية شيوخ السبى وإلى الكهنة والأنبياء وإلى كل الشعب الذين سباهم نبوخذ نصر من أورشليم إلى بابل بعد خروج يكنيا الملك والملكة... واطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم إليها، وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام» (١).

«وأرسل الملك صدقيا يهوخل بن شلميا وصفنيا بن معسيا الكاهن إلى إرميا النبى قائلا : «صل لأجلنا إلى الرب الهنا» (٢).

«فتقدم كل رؤساء الجيوش ويوحانان بن قاريح ويزنيا بن هوشعيا وكل الشعب من الصغير إلى الكبير، وقالوا لإرميا النبى : ليت تضرعنا يقع أمامك فتصلى لأجلنا إلى الرب إلهك لأجل كل هذه البقية، لأننا قد بقينا قليلين من كثيرين كما ترانا عيناك، فيخبرنا الرب إلهك عن الطريق الذى نسير فيه.. فقال لهم إرميا النبى : قد سمعت هأنذا أصلى إلى الرب الهكم كقولكم ويكون ان كل الكلام الذى يجيبكم الرب أخبركم به» (٣).

«وقالوا إنا قد أرسلنا إليكم فضة فابتاعوا بالفضة محرقات وذبائح للخطية ولبانا واصنعوا تقادم وقدموها على مذبح الرب الهنا، وصلوا من أجل حياة نبوخذ نصر ملك بابل وحياة بلشصر ابنه... فيؤتينا الرب قوة وينير عيوننا ونحيا... ونحن نائلون لديهما حظوة، وصلوا من أجلنا إلى الرب إلهنا، فانا قد خطئنا إلى الرب الهنا ولم يرتد سخط الرب وغضبه هنا إلى هذا اليوم» (٤).

يقول النبى حزقيال بلسان الله : «وطلبت من بينهم رجلا يبنى جدارا ويقف فى الثغر أمامى عن الأرض لكيلا أخربها، فلم أجد» (٥).

دانيال (فى مدينة أورشليم وبنى اسرائيل) :

«فوجهت وجهى إلى الله السيد طالبا بالصلاة والتضرعات بالصوم والمسح والرماد وصليت إلى الرب إلهى واعترفت وقلت.. يا سيد حسب كل رحمتك أصرف سخطك وغضبك عن مدينتك أورشليم جبل قدسك إذ لخطايانا ولآثام آبائنا صارت أورشليم وشعبك عارا عند جميع الذين حولنا، فاسمع الآن يا إلهنا صلاة عبدك وتضرعاته واضئ بوجهك على مقدسك الخرب

---

(١) إر ٢٩ : ١ – ٧.   (٢) إر ٣٧ : ٣.

(٣) إر ٤٢ : ١ – ٤.   (٤) باروخ ١ : ١٠ – ١٣.

(٥) حز ٢٢ : ٢٣.

من أجل السيد، أمل أذنك يا إلهى واسمع، افتح عينيك وأنظر خربنا والمدينة التى دعى اسمك عليها لأنه لا لأجل برنا نطرح تضرعاتنا أمام وجهك بل لأجل مراحمك العظيمة... ياسيد اسمع، ياسيد اغفر، ياسيد أصغ واصنع، لا تؤخر من أجل نفسك يا إلهى لأن اسمك دعى على مدينتك وعلى شعبك»...

وبينما أنا أتكلم وأصلى واعترف بخطيتى وخطية شعبى اسرائيل وأطرح تضرعى أمام الرب إلهى عند جبل قدس إلهى... إذا بالرجل جبرائيل لمسنى... وفهمنى وتكلم معى.. (١).

عاموص النبى (فى بنى اسرائيل) :

«هكذا أرانى السيد الرب وإذا هو يصنع جرادا فى أول طلوع خلف العشب... وحدث لما فرغ (الجراد) من أكل عشب الأرض أنى قلت أيها السيد الرب اصفح، كيف يقوم يعقوب فإنه صغير، فندم الرب على هذا، لا يكون قال الرب.

هكذا أرانى السيد الرب وإذا السيد الرب قد دعا للمحاكمة بالنار، فأكلت الغمر العظيم وأكلت الحقل، فقلت أيها السيد الرب: كف ، كيف يقوم يعقوب فانه صغير فندم الرب على هذا، فهو أيضا لا يكون، قال السيد الرب» (٢).

اليهود (فى بعضهم البعض) :

«إلى الأخوة اليهود الذين فى مصر سلام. إليكم من الأخوة الذين فى أورشليم وبلاد اليهودية أطيب السلام، ليبارككم الله... وليستجيب لصلواتكم... ونحن ههنا نصلى من أجلكم» (٣).

أونيا الكاهن الأعظم (فى هليودورس) :

«وتراءى أيضا لهليودورس فتيان عجيبا القوة بديعا البهاء حسنا اللباس، فوقفا على جانبيه يجلدانه جلدا متواصلا حتى أثخناه بالضرب، فسقط لساعته على الأرض....

فبادر بعض أصحاب هليودورس وسألوا أونيا أن يبتهل إلى العلى ويمن عليه بالحياة، إذ كان قد أصبح على آخر رمق، فخالج قلب الكاهن الأعظم أن الملك ربما اتهم اليهود بمكيدة كادوها لهليودورس، فقدم الذبيحة من أجل خلاص الرجل، وبينما الكاهن الأعظم يقدم الكفارة اذ عاد ذاك الفتيان فظهرا لهليودورس بلباسهما الأول ووقفا وقالا : عليك بجزيل الشكر لأونيا الكاهن الأعظم، فان الرب قد من عليك بالحياة من أجله» (٤).

---

(١) دا ٩ : ١ – ٢٧ (٢) عا ٧ : ١ – ٦. (٣) ٢ . مكا ١ : ١ – ٦. (٤) ٢ . مكا ٣ : ٢٦ – ٣٣.

شفاعة أو بركة البعض تنفع إخوتهم وبنيهم :

«يابنى اسرائيل إرجعوا إلى الرب إله ابراهيم واسحق واسرائيل، فيرجع إلى الناجين الباقين لكم من يد ملك أشور... لأنه برجوعكم إلى الرب يجد إخوتكم وبنوكم رحمة أمام الذين يسبونهم فيرجعون إلى هذه الأرض» (١).

ويقول الحكيم سليمان : ببركة المستقيمين تعلو المدينة (٢).

(ب) شفاعة المنتقلين فى المجاهدين :

هذه الشفاعة كما يتضح من طقوس الأمة الموسوية تتخذ صورتين :

الأولى : أن يستشفع المجاهدين بالمنتقلين، فيترضون وجه الرب بأن يذكر هؤلاء القديسين ويرحمهم من أجلهم.

والثانية : أن يتفضل الرب الإله فيبين كرامة المنتقلين فى عينيه، فيصفح أو يرحم المجاهدين من أجلهم.

(١) استشفاع الأحياء المجاهدين بالقديسين المنتقلين :

موسى بابراهيم واسحق ويعقوب :

«فتضرع موسى أمام الرب إلهه، وقال : لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك... ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك، اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك، وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها... فندم الرب على الشر الذى قال أنه يفعله بشعبه» (٣).

«وصليت للرب وقلت، ياسيد الرب : لا تهلك شعبك وميراثك الذى فديته بعظمتك. اذكر ابراهيم واسحق ويعقوب، لا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب واثمه وخطيته...» (٤).

إيليا النبى بابراهيم واسحق واسرائيل :

«وكان عند اصعاد التقدمة أن ايليا النبى تقدم وقال : أيها الرب إله ابراهيم واسحق واسرائيل... استجبنى يارب استجبنى ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله. فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة» (٥).

---

(١) ٢ . أى ٣٠ : ٦ - ٩.　(٢) أم ١١ : ١١.　(٣) خر ٣٢ : ١١ - ١٤.
(٤) تث ١٩ : ٢٦، ٢٧.　(٥) ١ . مل ١٨ : ٣٦ - ٣٨.

داود النبى بابراهيم واسحق واسرائيل :

«وبارك داود الرب... وقال... مبارك أنت أيها الرب إله اسرائيل أبينا من الأزل وإلى الأبد... ولكن من أنا ومن شعبى حتى نستطيع أن ننتدب هكذا... يارب إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل آبائنا، احفظ هذه إلى الأبد فى تصور أفكار قلوب شعبك وأعد قلوبهم نحوك» (١).

سليمان (بأبيه داود) :

«أيها الرب الإله : لا ترد وجه مسيحك، اذكر مراحم داود عبدك» (٢).

«من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك» (٣).

سليمان (بالقديسين جميعا) :

«يا إله الآباء (٤) ... يارب الرحمة، هب لى الحكمة... ولا ترذلنى من بين بنيك» (٥).

إشعياء النبى (بقديسى اسرائيل) :

«لماذا أضللتنا يارب عن طريقك... ارجع من أجل عبيدك أسباط ميراثك» (٦).

الفتية الثلاثة (بإبراهيم وإسحق وإسرائيل) :

«مبارك أنت أيها الرب إله آبائنا... والآن لنا أن نفتح أفواهنا، فقد صرنا خزيا وعارا لعبيدك فلا تخذلنا إلى الانقضاء لأجل اسمك ولا تنقض عهدك، ولا تصرف رحمتك عنا لأجل إبراهيم خليلك وإسحق عبدك وإسرائيل قديسك» (٧).

(٢) الرب يرحم ويخلص ويستجيب من أجل القديسين المنتقلين :

أولا : يبدو من نصوص الوحى أن السيد الرب يفخر بأنه إله القديسين تمجيدا لهم واعتزازا بهم واظهارا لكرامتهم عنده :

---

(١) ١. أى ٢٩ : ١٠ – ١٨ ، راجع ٢. أى ٦ : ١٢ ، ١٤. (٢) ٢. أى ٦ : ٤٢. (٣) مز ١٣٢ : ١٠.

(٤) فى قول سليمان يا إله الأباء، وقول موسى وايليا وداود : يا إله ابراهيم واسحق واسرائيل (يعقوب)، استعطاف واسترحام أن يجيب الرب من أجل هؤلاء المحبوبين لديه، فهو تذكير للرب بقديسيه فتفتح شهيته للرحمة لأن مسرته بهم. وهو دليل أيضا على روح الإتضاع فى الصلاة إذ أن المصلين يحسبون أنفسهم بلا دالة أمام الله وأن القديسين الآخرين خير منهم واقرب إلى الله منهم. فإذا كنا نقول فى العهد الجديد (يا إله مريم... يا إله مارجرجس) أعنا أجمعين فنحن لا نخرج عن مسلك رجال الكتاب المقدس وأنبيائه القديسين موسى وايليا وداود.

(٥) حك ٩ : ١ – ٤. (٦) إش ٦٣ : ١٧. (٧) دا ٣ : ٢٦ ، ٣٣ – ٣٥.

«ثم قال (لموسى) أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» (١).

ثانيا : ويبدو من النصوص أيضا أن الرب يصنع خيرا بالمجاهدين من أجل المنتقلين...

(يرحم سليمان من أجل داود) :

«فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فانى أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك. إلا أنى لا أفعل ذلك فى أيامك **من أجل داود** أبيك بل من يد ابنك أمزقها. على أنى لا أمزق منك المملكة كلها، بل أعطى سبطا واحدا لإبنك **لأجل داود عبدى** ولأجل أورشليم التى اخترتها» (٢).

«وقال (النبى أخيا الشيلونى) ليربعام خذ لنفسك عشر قطع (من الاثنتى عشرة قطعة التى مزق اليها ثوب يربعام) لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل : هأنذا أمزق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط ويكون له سبط واحد **من أجل عبدى داود** ومن أجل أورشليم المدينة التى اخترتها من كل أسباط إسرائيل، لأنهم تركونى وسجدوا لعشتروث إلاهة الصيدونيين... ولا آخذ كل المملكة من يده بل أصيره رئيسا كل أيام حياته **لأجل داود عبدى** الذى اخترته» (٣).

(يرحم أبيام من أجل داود) :

«ملك أبيام على يهوذا... وسار فى جميع خطايا أبيه التى عملها قبله ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه... **ولكن لأجل داود** أعطاه الرب إلهه سراجا فى أورشليم إذ أقام ابنه بعده وثبت أورشليم» (٤).

(يرحم سبط يهوذا من أجل داود) :

«ملك يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا... وسار فى طريق ملوك اسرائيل كما فعل بيت آخاب لأن بنت آخاب كانت له امرأة، وعمل الشر فى عينى الرب ولم يشأ الرب أن يبيد يهوذا **من أجل داود عبده** كما قال انه يعطيه سراجا ولبنيه كل الأيام» (٥).

---

(١) خر ٣ : ٦، خر ٤ : ٥ ، خر ٣ : ١٥ ، خر ٣ : ١٦.
(٢) ١ . مل ١١ : ١١ – ١٣.
(٣) ١ . مل ١١ : ٢٩ – ٣٤.
(٤) ١ . مل ١٥ : ١ – ٤.
(٥) ٢ . مل ٨ : ١٦ – ١٩ راجع أيضا ٢ . أى ٢١ : ٧.

(يقيم ميتا اكراما لأليشع النبى) :

«ومات أليشع فدفنوه، وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة، وفيما كانوا يدفنون رجلا إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل فى قبر أليشع فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه» (١).

(يخلص إسرائيل من أجل عهده مع إبراهيم) :

وأما حزائيل ملك آرام فضايق إسرائيل كل أيام يهوأحاز، فحن الرب عليهم ورحمهم، والتفت إليهم لأجل عهده مع إبراهيم وإسحق ويعقوب، ولم يشأ أن يستأصلهم ولم يطرحهم عن وجهه حتى الآن» (٢).

(يحمى أورشليم من أجل داود) :

«لذلك هكذا قال الرب عن ملك أشور (سنحاريب) لا يدخل هذه المدينة ولا يرمى هناك سهما ولا يتقدم عليها بترس ولا يقيم عليها مترسة... وأحامى عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسى **ومن أجل داود عبدى**» (٣).

«ارجع (يا إشعياء) وقال لحزقيا رئيس شعبى هكذا قال الرب إله داود أبيك، قد سمعت صلاتك، قد رأيت دموعك، هانذا أشفيك... وأنقذك من يد ملك أشور مع هذه المدينة، وأحامى عن هذه المدينة من أجل نفسى **ومن أجل داود عبدى** (٤).

ثالثا : ان المنتقلين يشفعون بالصلاة من أجل الأحياء المجاهدين:

«ثم قص (يهوذا المكابى) عليهم، رؤيا يقينية تجلت له فى الحلم فشرح بها صدورهم أجمعين، وهذه هى الرؤيا : قال رأيت أونيا الكاهن الأعظم رجل الخير والصلاح المهيب المنظر الحليم الأخلاق صاحب الأقوال الرائعة المواظب منذ صبائه على جميع ضروب الفضائل باسطا يديه ومصليا لأجل جماعة اليهود بأسرها. ثم تراءى لى رجل كريم الشيبه أغر البهاء، عليه جلالة عجيبة سامية. فأجاب أونيا وقال : هذا محب الإخوة المكثر من الصلوات لأجل الشعب والمدينة المقدسة إرميا نبى الله» (٥).

---

(١) ٢. مل ١٣ : ٢٠، ٢١.

(٢) ٢. مل ١٣ : ٢٢، ٢٣.

(٣) ٢. مل ١٩ : ٣٢ – ٣٤.

(٤) ٢. مل ٢٠ : ٥، ٦ راجع أيضا إش ٣٧ : ٣٥.

(٥) ٢. مكا ١٥ : ١١ – ١٤.

رابعاً : اكرامنا للقديسين ومناجاتنا لهم اكبار واجلال فى الآن نفسه لله الذى يحبونه :

«فلما رأى أحيور رأس اليفانا ارتاع خوفا وسقط بوجهه على الأرض وهلعت نفسه وبعدما ثابت إليه روحه وانتعش خر قدامها ساجدا لها، وقال : مباركة أنت من إلهك فى كل خيام يعقوب، **وفى كل أمة يسمع فيها باسمك يعظم لأجلك إله إسرائيل**» (١).

خامساً : المنتقلون يمكنهم أن يعرفوا ما يتصل بالأحياء، وبالتالى يعرفون أحوالنا فيشفعون فينا :

(١) فى حياتهم (الأرضية) :

«فضلت أتن قيس أبى شاول، فقال قيس لشاول ابنه خذ معك واحدا من الغلمان وقم اذهب فتش عن الأتن، فعبر فى جبل أفرايم ثم... فلم يجدها، ولما دخلا أرض صوف، قال شاول لغلامه الذى معه : تعال نرجع لئلا يترك أبى الأتن ويهتم بنا، فقال له هوذا رجل الله فى هذه المدينة والرجل مكرم، كل ما يقوله يصير، لنذهب الآن إلى هناك لعله يخبرنا عن طريقنا التى نسلك فيها..

فأجاب صموئيل شاول... وأما الأتن الضالة لك منذ ثلاثة أيام فلا تضع قلبك عليها لأنها قد وجدت» (٢).

«قال جيحزى غلام أليشع رجل الله هوذا سيدى قد امتنع عن أن يأخذ من يد نعمان الأرامى هذا ما أحضره حى هو الرب انى أجرى وراءه وآخذ منه شيئا، فسار جيحزى وراء نعمان ولما رآه نعمان راكضا وراءه نزل عن المركبة للقائه، وقال : أسلام. فقال : سلام ان سيدى قد ارسلنى قائلا : هوذا فى هذا الوقت قد جاء إلى غلامان من جبل افرايم من بنى الأنبياء فاعطهما وزنة فضة وحلتى ثياب، فقال نعمان اقبل وخذ وزنتين وألح عليه وصر وزنتى فضة فى كيسين وحلتى ثياب ودفعها لغلاميه فحملاها قدامه، ولما وصل إلى الأكمة أخذها من أيديهما وأودعها فى البيت وأطلق الرجلين فانطلقا. وأما هو فدخل ووقف أمام سيده فقال له اليشع : من أين ياجيحزى فقال لم يذهب عبدك إلى هنا أو هناك، فقال له : ألم يذهب قلبى حين رجع الرجل من مركبته للقائك» (٣).

---

(١) يهو ١٣ : ٢٩ – ٣١.   (٢) ١ . صم ٩ : ٣ – ٢٠.   (٣) ٢ . مل ٥ : ٢٠ – ٢٦.

«وأما ملك آرام فكان يحارب اسرائيل وتآمر مع عبيده قائلا : فى المكان الفلانى تكون محلتى. فأرسل رجل الله إلى ملك اسرائيل يقول : احذر من أن تعبر بهذا الموضع لأن الآراميين حالون هناك، فأرسل ملك اسرائيل إلى الموضع الذى قال له عنه رجل الله وحذره منه، وتحفظ هناك لا مرة ولا مرتين : فاضطرب قلب ملك آرام من هذا الأمر ودعا عبيده، وقال لهم : أما تخبروننى من منا هو ملك اسرائيل. فقال واحد من عبيده ليس كذا ياسيدى الملك، ولكن أليشع النبى الذى فى اسرائيل يخبر ملك اسرائيل بالأمور التى تتكلم بها فى مخدع مضجعك» (١).

(٢) بعد انتقالهم :

ومات صموئيل وندبه كل اسرائيل... فاجتمع الفلسطينيون وجاءوا ونزلوا فى شونم... ولما رأى شاول جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه جدا... فقال... لعبيده فتشوا لى على امرأة صاحبة جان فاذهب إليها وأسالها... فقالت المرأة من أصعد لك، فقال : اصعدى لى صموئيل، فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم... فعلم شاول أنه صموئيل فخر على وجهه إلى الأرض وسجد، فقال صموئيل لشاول لماذا أقلقتنى بإصعادك إياى، فقال شاول قد ضاق بى الأمر جدا... فقال صموئيل... ويدفع الرب اسرائيل أيضا معك ليد الفلسطينيين وغدا أنت وبنوك تكونون معى... ويدفع الرب جيش اسرائيل أيضا ليد الفلسطينيين» (٢).

«وأتت إليه (إلى الملك يهورام) كتابة من ايليا النبى (وكان قد صعد حيا إلى السماء) (٣) تقول : هكذا قال الرب إله داود أبيك من أجل أنك لم تسلك فى طرق يهوشافاط أبيك... بل سلكت فى طرق ملوك اسرائيل... وقتلت أيضا إخوتك من بيت أبيك الذين هم أفضل منك... هوذا يضرب الرب شعبك وبيتك ونساءك وكل مالك ضربة عظيمة، وإياك بأمراض كثيرة بداء امعائك حتى تخرج أمعاؤك بسبب المرض يوما فيوما.

وبعد هذا كله ضربه الرب في أمعائه بمرض ليس له شفاء وكان من يوم إلى يوم وحسب ذهاب المدة عند نهاية سنتين أن أمعاءه خرجت بسبب مرضه فمات بأمراض ردية ولم يعمل له شعبه حريقة كحريقة آبائه... وذهب غير مأسوف عليه» (٤).

---

(١) ٢. مل ٦ : ٨ - ١٢ راجع أيضا ٢. صم ١٢ : ١ - ١٤، دا٢ : ١٩.

(٢) ١. صم ٢٨ : ٣ - ٢٠ راجع أيضا ١. صم ٣١ : ١ - ٥.

(٣) ٢. مل ٢ : ١ (٤) ٢. أى ٢١ : ١٢ - ٢٠.

(جـ) شفاعة المجاهدين فى المنتقلين :

الصلاة من أجل الراقدين :

«ثم جمع يهوذا (المكابى) جيشه وسار به إلى مدينة عدلام، ولما كان اليوم السابع تطهروا بحسب العادة وقضوا السبت هناك. وفى الغد جاء يهوذا ومن معه ـ على ما تقتضيه السنة ـ ليحملوا جثث القتلى ويدفنوهم مع ذوى قرابتهم فى مقابر آبائهم، فوجدوا تحت ثياب كل واحد من القتلى أنواطا من أصنام يمنيا مما تحرمه الشريعة على اليهود، فتبين للجميع أن ذلك كا ن سبب قتلهم، فسبحوا كلهم الرب الديان العادل الذى يكشف الخفايا ثم انثنوا يصلون ويبتهلون أن تمحى تلك الخطيئة المرتكبة كل المحو... وكان يهوذا النبيل يعظ القوم أن ينزهوا أنفسهم عن الخطيئة.

ثم جمع من كل واحد تقدمة، فبلغ المجموع ألفى درهم من الفضة، فأرسلها إلى أورشليم ليقدم بها ذبيحة عن الخطيئة وكان ذلك من أحسن الصنيع وأتقاه... لاعتقاده قيامة الموتى، لأنه لو لم يكن مترجيا قيامة الذين سقطوا لكانت صلاته من أجل الموتى باطلا وعبثا، ولاعتباره أن الذين رقدوا بالتقوى قد ادخر لهم ثواب جميل، وهو رأى مقدس وتقوى، ولهذا قدم الكفارة عن الموتى ليحلوا من الخطيئة» (١).

شفاعة الملائكة فى البشر :

أما شفاعة الملائكة فذات معنيين، اذ لما كانت الشفاعة بمعناها الاشتقاقى تفيد الالحاق، فبناء على ذلك يكون العون الذى يسعفنا به الملائكة نوعا من الشفاعة لأنه جهد ملحق إلى جهدنا لغوثنا، هذا هو المعنى الأول أو المعنى العام، ولكن شفاعة الملائكة تتخذ معنى آخر من ذلك وهو توسلات الملائكة وضراعتهم عنا.

أولا : شفاعة الملائكة فى معونتهم :

(١) الملائكة يحرسون المؤمنين والقديسين :

«فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر اسرائيل، وسار وراءهم... فلم يقترب هذا إلى ذاك (المصريين إلى الاسرائيليين، على قرب البحر الأحمر) كل الليل» (٢).

---

(١) ٢ . مكا ١٢ : ٣٨ – ٤٦

(٢) خر ١٤ : ١٩ ، ٢٠ .

«فبكر خادم رجل الله وقام وخرج، وإذا جيش محيط بالمدينة وخيل ومركبات فقال غلامه له آه ياسيدى كيف نعمل، فقال لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم... ففتح الرب عينى الغلام فأبصر، وإذا الجبل مملوء خيلا ومركبات نار حول أليشع» (١).

«لا تدع فمك يجعل جسدك يخطئ، ولا تقل أمام الملاك أنه سهو» (٢).

(٢) الملائكة يحفظون القديسين ويهيئون الطريق أمامهم ويقودونهم :

«ها أنا مُرسل ملاكا أمام وجهك، ليحفظك فى الطريق، وليجئ بك إلى المكان الذى أعددته، احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه... لأن اسمى فيه» (٣).

والآن اذهب أهد الشعب إلى حيث كلمتك، هوذا ملاكى يسير أمامك» (٤).

«فقال له الملاك هأنذا آخذ ابنك سالما وسأعود به إليك سالما، قال طوبيا (لولده وللملاك - فقد كان يجهل أنه ملاك) انطلقا بسلام، وليكن الله فى طريقكما، وملاكه يرافقكما» (٥).

«قالت يهوديت : سبحوا الرب إلهنا الذى لم يخذل المتوكلين عليه... حى الرب أنه حفظنى ملاكه فى مسيرى من ههنا وفى اقامتى هناك (عند اليفانا قائد جيش ملك أشور) وفى إيابى إلى هنا (اليهودية)» (٦).

«لأنك قلت أنت يارب ملجأى، جعلت العلى مسكنك، لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك، لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك، على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك، على الأسد والصل تطأ، الشبل والثعبان تدوس» (٧).

(٣) يحملون إلى القديسين جواب طلباتهم :

«وصرخ بنو اسرائيل إلى الرب... وأتى ملاك الرب وجلس تحت البطمة... وجدعون كان يخبط حنطة فى المعصرة... فظهر له ملاك الرب وقال له : الرب معك ياجبار البأس... اذهب بقوتك هذه وخلص اسرائيل من كف مديان» (٨).

---

(١) ٢. مل ٦ : ١٥ - ١٧.
(٢) جا ٥ : ٦.
(٣) خر ٢٣ : ٢٠ ، ٢١.
(٤) خر ٣٢ : ٣٤.
(٥) طو ٥ : ٢٠ ، ٢١.
(٦) يهو ١٣ : ٢٠.
(٧) مز ٩١ : ٩ - ١٣.
(٨) قض ٦ : ٦ ، ١١ - ١٤.

«واذا بيد لمستنى وأقامتنى مرتجفا على ركبتى وعلى كفى يدى، وقال لى يادانيال : أيها الرجل المحبوب : افهم الكلام الذى اكلمك به وقم على مقامك، لأنى الآن أرسلت إليك، ولما تكلم معى بهذا الكلام قمت مرتعدا. فقال لى : لا تخف يادانيال لأنه من اليوم الأول الذى جعلت فيه قلبك للفهم ولاذلال نفسك قدام إلهك، سمع كلامك وأنا أتيت لأجل كلامك، ورئيس مملكة فارس وقف مقابلى واحدا وعشرين يوما، وهوذا ميخائيل من الرؤساء الأولين جاء لإعانتى، وأنا أبقيت هناك عند ملوك فارس، وجئت لأفهمك ما يصيب شعبك فى الأيام الأخيرة» (١).

(٤) الملائكة يطمئنون القديسين ويبشرونهم بالخير :

«فتراءى ملاك الرب للمرأة (أم شمشون) وقال لها : ها أنت عاقر لم تلدى ولكنك تحبلين وتلدين ابنا... وهو يبدأ يخلص اسرائيل من يد الفلسطينيين» (٢).

(٥) الملائكة يباركون القديسين :

«يعقوب... جاهد مع الملاك وغلب : بكى واسترحمه» (٣).

(٦) الملائكة يرشدون القديسين ويعلمونهم :

«وكان لما رأيت أنا دانيال الرؤيا وطلبت المعنى، إذا بشبه انسان واقف قبالتى، وسمعت صوت انسان بين أولاى، فنادى وقال : ياجبرائيل، فهم هذا الرجل الرؤيا، فجاء إلى حيث وقفت... فقال لى افهم يا ابن آدم. وقال هانذا أعرفك ما يكون فى آخر السخط..» (٤).

«وأنا متكلم بعد بالصلاة، إذا بالرجل جبرائيل... لمسنى عند وقت تقدمة المساء، وفهمنى وتكلم معى وقال : يا دانيال إنى خرجت الآن لأعلمك الفهم» (٥).

«رأيت فى الليل واذا برجل راكب على فرس أحمر وهو واقف بين الآس الذى فى الظل وخلفه خيل حمر وشقر وشهب، فقلت ياسيدى ما هؤلاء. فقال لى الملاك الذى كلمنى : أنا أريك هؤلاء» (٦).

---

(١) دا ١٠ : ١٠ - ١٤.
(٢) قض ١٣ : ٣ - ٢١.
(٣) هو ١٢ : ٤.
(٤) دا ٨ : ١٥ - ١٩.
(٥) دا ٩ : ٢١، ٢٢، دا١٠ : ١١، دا ١٢ : ٦.
(٦) زك ١ : ٨ - ١١.

«فرجع الملاك الذى كلمنى وأيقظنى كرجل أوقظ من نومه، وقال لى ماذا ترى؟ فقلت قد نظرت وإذا بمنارة كلها ذهب وكوزها على رأسها، وعندها زيتونتان احداهما عن يمين والكوز الأخرى عن يساره. فأجبت وقلت للملاك الذى كلمنى قائلا : ما هذهٓ ياسيدى، فأجاب الملاك الذى كلمنى وقال لى : أما تعلم ما هذه، فقلت لا ياسيدى، فأجاب وكلمنى قائلا : هذه كلمة الرب إلى زربابل قائلا : لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحى قال رب الجنود..» (١).

«فعدت ورفعت عينى ونظرت وإذا بأربع مركبات خارجات من بين جبلين والجبلان جبلا نحاس. فى المركبة الأولى خيل حمر وفى المركبة الثانية خيل دهم وفى المركبة الثالثة خيل شهب، وفى المركبة الرابعة خيل منمرة شقر، فأجبت وقلت للملاك الذى كلمنى ماهذه ياسيدى فأجاب وقال : هذه هى أرواح السماء الأربع خارجة من الوقوف لدى سيد الأرض كلها» (٢).

(٧) يهيئون للقديسين حاجات الجسد :

«واضطجع (ايليا النبى) ونام تحت الرتمة، وإذا بملاك الرب قد مسه وقال قم وكل، فتطلع وإذا كعكة رضف وكوز ماء عند رأسه، فأكل وشرب ثم رجع فاضطجع، ثم عاد ملاك الرب ثانية فمسه وقال : قم وكل، لأن المسافة كثيرة عليك، فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهارا وأربعين ليلة» (٣).

«وكان (دانيال) هناك (فى الجب) ستة أيام... وكان حبقوق النبى فى أرض يهوذا، وكان قد طبخ طبيخا وفت خبزا فى جفنه وانطلق إلى الصحراء ليحمله إلى الحصادين فقال ملاك الرب لحبقوق احمل الغذاء الذى معك إلى بابل إلى دانيال فى جب الأسود، فقال حبقوق : أيها السيد، إنى لم أر بابل قط ولا أعرف الجب، فأخذ ملاك الرب بجمته وحمله بشعر رأسه ووضعه فى بابل عند الجب باندفاع روحه، فنادى حبقوق قائلا : يا دانيال يا دانيال خذ الغذاء الذى أرسله لك الله فقال دانيال اللهم لقد ذكرتنى ولم تخذل الذين يحبونك، وقام دانيال وأكل ورد ملاك الرب حبقوق من ساعته إلى موضعه» (٤).

---

(١) زك ٤ : ١ – ٧ ، زك ٥ : ٥ – ١٠.

(٢) زك ٦ : ١ – ٨.

(٣) ١. مل ١٩ : ٥ – ٩.

(٤) دا ١٤ : ٣٠ – ٣٨.

(٨) يحاربون الشياطين فى سبيل معونة القديسين :

«فقال لى لا تخف يا دانيال : لأنه من اليوم الأول الذى فيه جعلت قلبك للفهم ولاذلال نفسك قدام الهك، سمع كلامك، وأنا أتيت لأجل كلامك، ورئيس مملكة فارس وقف مقابلى واحدا وعشرين يوما، وهوذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتى.. وجئت لأفهمك ما يصيب شعبك فى الأيام الأخيرة.

وقال لا تخف أيها الرجل المحبوب، سلام لك، تشدد تقو، ولما كلمنى تقويت وقلت ليتكلم سيدى لأنك قويتنى، فقال هل عرفت لماذا جئت إليك، فالآن أرجع وأحارب رئيس فارس، فاذا خرجت هوذا رئيس اليونان يأتى» (١).

«وأرانى يهوشع الكاهن العظيم قائما قدام ملاك الرب، والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه، فقال الرب للشيطان : لينتهرك الرب يا شيطان، لينتهرك الرب الذى اختار أورشليم» (٢).

(٩) الملائكة يطاردون أعداد القديسين :

«وقال الرب لموسى : اذهب اصعد من هنا... وأنا أرسل أمامك ملاكا، وأطرد الكنعانيين والأموريين...» (٣).

«فحمى غضب الله لأنه (بلعام بن بعور) منطلق (مع رؤساء موآب) ووقف ملاك الرب فى الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانه وغلاماه معه، فأبصرت الأتان ملاك الرب واقفا فى الطريق وسيفه مسلول فى يده، فمالت الأتان عن الطريق ومشت فى الحقل، فضرب بلعام الأتان ليردها إلى الطريق، ثم وقف ملاك الرب فى خندق للكروم له حائط من هنا وحائط من هناك فلما أبصرت الأتان ملاك الرب زحمت الحائط وضغطت رجل بلعام بالحائط فضربها أيضا، ثم اجتاز ملاك الرب أيضا ووقف فى مكان ضيق حيث ليس سبيل للنكوب يمينا أو شمالا، فلما أبصرت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام، فحمى غضب بلعام، وضرب الأتان بالقضيب... ثم كشف الرب عن عينى بلعام فأبصر ملاك الرب واقفا فى الطريق وسيفه مسلول فى يده، فخر ساجدا على وجهه، فقال له ملاك الرب : لماذا ضربت أتانك الآن ثلاث دفعات هأنذا قد خرجت للمقاومة لأن الطريق ورطة أمامى، فأبصرتنى الأتان ومالت من قدامى الآن ثلاث دفعات ولو لم تمل من قدامى لكنت الآن قد قتلتك واستبقيتها» (٤).

---

(١) دا ١٠ : ١١ – ٢٠.　　(٢) زك ٣ : ١، ٢.

(٣) خر ٣٣ : ٢.　　(٤) عدد ٢٢ : ٢٢ – ٣٣ (راجع يه : ١١).

«وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر، وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده، فسار يشوع إليه وقال له هل لنا أنت أو لأعدائنا؟ فقال كلا بل أنا رئيس جند الرب، الآن أتيت» (١).

«وكان فى تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مائة ألف وخمسة وثمانين ألفا، ولما بكروا صباحا إذا هم جميعا جثث ميتة» (٢).

«فصلى حزقيا الملك وإشعيا بن آموص النبى لذلك وصرخا إلى السماء فأرسل الرب ملاكا فأباد كل جبار بأس ورئيس وقائد فى محلة ملك أشور» (٣).

«ليخز ويخجل الذين يطلبون نفسى، ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكرون باساءتى ليكونوا مثل العصافة قدام الريح، وملاك الرب داحرهم، ليكن طريقهم ظلاما وزلقا، وملاك الرب طاردهم» (٤).

«أرسل عليهم حمو غضبه، سخطا ورجزا وضيقا، جيش ملائكة أشرار» (٥).

(١٠) الملائكة ينقذون القديسين من الشرور :

«فصرخنا إلى الرب، وأرسل ملاكا، وأخرجنا من مصر» (٦).

«فأجاب نبوخذ نصر وقال : تبارك إله شدرخ وميشخ وعبدنغو الذى أرسل ملاكه وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه» (٧).

«ثم قام الملك باكرا عند الفجر وذهب مسرعا إلى جب الأسود، فلما اقترب إلى الجب نادى دانيال بصوت أسيف. أجاب الملك وقال لدانيال : يا دانيال عبد الله الحى هل الهك الذى تعبده دائما قدر على أن ينجيك من الأسود ؟ فتكلم دانيال مع الملك : يا أيها الملك عش إلى الأبد، إلهى أرسل ملاكه، وسد أفواه الأسود فلم تضرنى» (٨).

---

(١) يش ٥ : ١٣ ، ١٤.
(٢) ٢. مل ١٩ : ٣٥.
(٣) ٢. أى ٣٢ : ٢٠ ، ٢١.
(٤) مز ٣٥ : ٤ – ٦.
(٥) مز ٧٨ : ٤٩.
(٦) عدد ٢٠ : ١٦.
(٧) دا ٣ : ٢٨.
(٨) دا ٦ : ١٩ – ٢٢.

(١١) الملائكة يخلصون القديسين من الشدائد والضيقات :

«ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم» (١).

«فى كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلصهم» (٢).

(١٢) الملائكة يستطيعون أن يعينوا البشر ويوجهوهم ويخلصوهم من الضوائق والشدائد :

أولا : إذ هم حكماء :

فلقد أراد يوآب أن يمتدح الملك داؤد فقال بلسان المرأة التى بعث بها إليه أو بما عبرت هى من قبل نفسها فقالت «وسيدى حكيم كحكمة ملاك الله ليعلم كل ما فى الأرض» (٣).

ثانياً : إذ هم أقوياء مقتدرون :

«باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه» (٤).

ثالثا : إذ هم يتصفون بالسرعة فى انجاز خدماتهم وصروف اعانتهم :

«باركى يا نفسى الرب. الصانع ملائكته رياحا، وخدامه نارا ملتهبة» (٥).

ثانياً : شفاعة الملائكة ووساطتهم فى الصلوات :

قضية لا جدال فيها أن الملائكة أرفع من البشر مرتبة من حيث طبيعتهم النورانية (٦) ومن حيث شرف حظوتهم بالقرب من العرش، فهم لذلك وسطاء السماء لدى الأرض، ووسطاء الأرض لدى السماء، يصعدون إلى الله بصلوات القديسين وينزلون منه إليهم بالغوث والنعمة والبركة، وهذا هو معنى الحلم الذى رآه أبونا يعقوب (٧)، ولهذا أيضا كان الملائكة واسطة تبليغ الناموس فى العهد القديم «مركبات الله ربوات ألوف مكررة، الرب فيها، سينا فى القدس(٨) وقد

(١، ٢) مز ٣٤ : ٧ و إش ٦٣ : ٩ فاذا كنا نناجى مثلا رئيس الملائكة ميخائيل قائلين «خلصنى يا ملاك ميخائيل، أو نجنى يارئيس الملائكة «فالمعنى هو طلب الخلاص من الشدائد الروحية أو الجسدية، ولا علاقة لهذا الخلاص بالخلاص الذى قام به السيد المسيح بعملية الصليب هذا وأسلوب المناجاة للملاك لا يخرج عن مضمون هاتين الآيتين اللتين أوردناهما فى المتن. فتأمل...

(٣) ٢. صم ١٤ : ٢٠ (٤) مز ١٠٣ : ٢٠.

(٥) مز ١٠٤ : ٤، ٢. مل ٢ : ١١، ٢. مل ٦ : ١٧. (٦) راجع مز ٨ : ٥.

(٧) تك ٢٨ : ١٢. (٨) مز ٦٨ : ١٧.

قال استفانوس رئيس الشمامسة موبخا اليهود : «الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه» (١) وقال القديس بولس : «وقد أعطى الناموس عن طريق ملائكة (٢)، وقال أيضا «لأنه إن كانت الكلمة التى تكلم بها ملائكة قد صارت ثابتة، وكل تعد ومعصية نال مجازاة عادلة، فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصا هذا مقداره، قد ابتدأ الرب بالتكلم به» (٣).

(١) الملائكة يرفعون صلوات القديسين إلى السماء، وإلى الله :

«فقال (جدعون لملاك الرب) : لا تبرح من ههنا حتى آتى اليك وأخرج تقدمتى وأضعها أمامك، فقال انى ابقى حتى ترجع، فدخل جدعون وعمل جدى معزى وأيفه دقيق فطيرا، أما اللحم فوضعه فى سل، وأما المرق فوضعه فى قدر، وخرج بها إليه إلى تحت البطمة وقدمها، فقال له ملاك الله : خذ اللحم والفطير وضعهما على تلك الصخرة واسكب المرق. ففعل كذلك، فمد ملاك الرب طرف العكاز الذى بيده ومس اللحم والفطير، فصعدت نار من الصخرة وأكلت اللحم والفطير، وذهب ملاك الرب عن عينيه، فرأى جدعون أنه ملاك الرب» (٤).

«فقال منوح لملاك الرب : دعنا نعوقك ونعمل لك جدى معزى. فقال ملاك الرب لمنوح : ولو عوقتنى لا آكل من خبزك، وإن عملت محرقة فللرب أصعدها، لأن منوح لم يعلم أنه ملاك الرب... فأخذ منوح جدى المعزى والتقدمة وأصعدهما على الصخرة للرب، فعمل عملا عجيبا - ومنوح وامرأته ينظران، فكان عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد فى لهيب المذبح، ومنوح وامرأته ينظران، فسقطا على وجهيهما إلى الأرض، ولم يعد ملاك الرب يتراءى لمنوح وامرأته، حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب. فقال منوح لإمرأته : نموت موتا لأننا قد رأينا الله، فقالت له إمرأته لو أراد الرب أن يميتنا لما أخذ من يدنا محرقة وتقدمة، ولما أرانا كل هذه» (٥).

«وحينئذ خاطبهما (الملاك رافائيل إلى طوبيا وإمرأته) : «أما أنا فأعلن لكما الحق وما أكتم عنكما أمرا مستورا، انك (ياطوبيا) حين كنت تصلى بدموع وتدفن الموتى، وتترك طعامك وتخبئ الموتى فى بيتك نهارا وتدفنهم ليلا، كنت أنا أرفع صلاتك إلى الرب» (٦).

---

(١) أع ٧ : ٥٣.
(٢) غل ٣ : ١٩.
(٣) عب ٢ : ٢ راجع أيضا خر ٣٣ : ٢.
(٤) قض ٦ : ١٨ - ٢٢.
(٥) قض ١٣ : ١٥ - ٢٣
(٦) طو ١٢ : ١٢.

(٢) الملائكة يشفعون فينا بضراعتهم وصلواتهم عنا :

جاء فى سفر دانيال : «وفى ذلك الوقت، يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبنى شعبك» (١).

وجاء فى سفر زكريا النبى : «فأجاب ملاك الرب وقال : يارب الجنود، إلى متى أنت لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التى غضبت عليها هذه السبعين سنة؟... فأجاب الرب الملاك الذى كلمنى بكلام طيب وكلام تعزية. فقال لى الملاك الذى كلمنى : ناد قائلا : هكذا قال رب الجنود: غرت على أورشليم وعلى صهيون غيرة عظيمة... لذلك هكذا قال الرب : قد رجعت إلى أورشليم بالمراحم، فبيتى يبنى فيها يقول رب الجنود، ويمد المطمار على أورشليم، ناد أيضا وقل: هكذا قال رب الجنود إن مدنى تفيض بعد خيرا، والرب يعزى صهيون بعد، ويختار بعد أورشليم» (٢).

---

(١) دا ١٢ : ١.

(٢) زك ١ : ١٢ – ١٧ راجع أيضا زك ٢ : ٣ ، ٤، ٥.

الصلاة وخصائصها العامة شكلا وموضوعا

الصلاة فى حقيقتها ومعناها :

(١) دعاء إلى الله :

«لأنه أى شعب هو عظيم، له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا فى كل أدعيتنا إليه» (١).

«عند دعائى استجب لى يا إله برى» (٢).

«الرب يسمع عندما أدعوه» (٣).

«استمع لصوت دعائى يا ملكى وإلهى» (٤).

«أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائى» (٥).

«يارب خلص، ليستجب لنا الملك فى يوم دعائنا» (٦).

«إلهى فى النهار أدعو فلا تستجيب، فى الليل أدعو فلا هدو لى» (٧).

«بصوتى أدعو فارحمنى واستجب لى» (٨).

«من أقصى الأرض أدعوك إذا غشى على قلبى» (٩).

«أمل إليك أذنك فى يوم أدعوك» (١٠).

«أحمدوا الرب، أدعوا باسمه» (١١).

«وباسم الرب دعوت، آه يارب نج نفسى» (١٢).

«وباسم الرب أدعو» (١٣).

«دعوتك خلصنى، فاحفظ شهاداتك» (١٤).

---

(١) تث ٤ : ٧. (٢) مز ٤ : ١. (٣) مز ٤ : ٣.
(٤) مز ٥ : ٢ راجع مز ١٤ : ٤. (٥) مز ١٨ : ٣. (٦) مز ٢٠ : ٩.
(٧) مز ٢٢ : ٢. (٨) مز ٢٧ : ٧. (٩) مز ٦١ : ٢ راجع مز ٧٩ : ٦.
(١٠) مز ١٠٢ : ١، ٢. (١١) مز ١٠٥ : ١. (١٢) مز ١١٦ : ٤.
(١٣) مز ١١٦ : ١٣، ١٧.
(١٤) مز ١١٩ : ١٤٦، إش ٤٣ : ٢٢، إش ٦٤ : ٧، إر ١٠ : ٢٥، هو ٧ : ٧.

«ويكون ان كل من يدعو باسم الرب ينجو» (١).

«حتى متى يارب أدعو وأنت لا تسمع» (٢).

(٢) رفع النفس إلى الله :

«إليك يارب أرفع نفسى» (٣).

«فرح نفس عبدك لأننى إليك يارب أرفع نفسى» (٤).

«عرفنى الطريق التى أسلك فيها، لأنى إليك رفعت نفسى» (٥).

(٣) رفع القلب إلى الله :

«لنرفع قلوبنا وأيدينا (أو على أيدينا) إلى الله فى السموات» (٦).

(٤) سكب القلب أو النفس قدام الله:

«فقال لها عالى : حتى متى تسكرين، انزعى خمرك عنك فأجابت حنه وقالت : لا ياسيدى، إنى إمرأة حزينة الروح ولم أشرب خمرا ولا مسكرا، بل أسكب نفسى أمام الرب» (٧).

«صارت لى دموعى خبزا، نهارا وليلا، إذ قيل لى كل يوم : أين الهك، هذه اذكرها، فاسكب نفسى علىّ» (٨).

«توكلوا عليه فى كل حين، ياقوم اسكبوا قدامه قلوبكم» (٩).

«قومى اهتفى فى الليل فى أول الهزع، اسكبى كمياه قلبك قبالة وجه السيد» (١٠).

(٥) سكب الشكوى أمام الله:

«اسكب أمامه شكواى، بضيقى قدامه أخبر» (١١).

---

(١) يو ٢ : ٣٢. (٢) حب ١ : ٢.

(٣) مز ٢٥ : ١. (٤) مز ٨٦ : ٤.

(٥) مز ١٤٣ : ٨. (٦) مز ٣ : ٤.

(٧) ١. صم ١ : ١٥. (٨) مز ٤٢ : ٤.

(٩) مز ٦٢ : ٨. (١٠) مز ٢ : ٩.

(١١) مز ١٤٢ : ٢ راجع مز ١٠٢ ، إش ٢٦ : ١٦.

(٦) طلب وجه الله:

«لك قال قلبى، قلت اطلبوا وجهى، وجهك يارب أطلب» (١).

«أطلبوا الرب وقدرته، التمسوا وجهه دائما» (٢).

(٧) تضرع إلى الله :

«فتضرع موسى أمام الرب إلهه» (٣).

«وتضرع يهوأحاز إلى وجه الرب، فسمع له الرب» (٤).

«إليك يارب أصرخ وإلى السيد أتضرع» (٥).

«اصغ يا الله إلى صلاتى ولا تتغاض عن تضرعى» (٦).

«اصغ يارب إلى صلاتى وانصت إلى صوت تضرعاتى» (٧).

«فاجتمع حينئذ هؤلاء الرجال فوجدوا دانيال يطلب ويتضرع قدام إلهه» (٨).

«فاسمع الآن يا الهنا صلاة عبدك وتضرعاته (٩) .... (١٠).

---

(١) مز ٢٧ : ٨

(٢) مز ١٠٥ : ٤، مز ٢٤ : ٦.

(٣) خر ٣٢ : ١١.

(٤) ٢. مل ١٣ : ٤.

(٥) مز ٣٠ : ٨.

(٦) مز ٥٥ : ١.

(٧) مز ٨٦ : ٦.

(٨) دا ٦ : ١١.

(٩) دا ٩ : ١٧.

(١٠) راجع أيضا : (١. صم ١٣ : ١٢)، (١. مل ٨ : ٢٨ ، ٣٠)، (١. مل ٩ : ٣)، (١. مل ١٣ : ٦)، (٢. أى ٦ : ٢١)، (مز ٢٨ : ٢)، (مز ١١٦ : ١)، (مز ١٣٠ : ٢)، (مز ١٤٠ : ٦)، (مز ١٤٢ : ١)، (مز ١٤٣ : ١)، (مز ١٤٥ : ١٩)، (إر ٣ : ٢١)، (إر ٣١ : ٩)، (إر ٣٦ : ٧)، (دا ٩ : ٣، ١٣، ١٨، ٢٠، ٢٣)، (صف ٣ : ١٠)، (زك ١٢ : ١٠)، (٢. مكا ٣ : ٢٢).

(٨) طلب من الله :-

«قد طلبنا الرب إلهنا، طلبناه فأراحنا من كل جهة» (١).

«طلبت إلى الرب فاستجاب لى، ومن كل مخاوفى أنقذنى» (٢).

«بكل قلبى طلبتك، لا تضلنى عن وصاياك» (٣) ..... (٤).

أو سؤال من الله :-

«فأجـاب عالى (حنة) وقال : اذهبى بسلام، وإله اسرائيل يعطيك سـؤلك الذى سألتهِ من لدنه» (٥).

واحدة سألت من الرب واياها التمس، أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى لكى أنظر إلى جمال الرب واتفرس فى هيكله» (٦).

«اثنتين سألت منك فلا تمنعها عنى قبل أن أموت : ابعد عنى الباطل والكذب، لا تعطنى فقرا ولا غنى، أطعمنى خبز فريضتى لئلا أشبع وأكفر وأقول من هو الرب أو لئلا افتقر وأسرق واتخذ اسم إلهى باطلا» (٧).

«ولما علمت بأنى لا أكون عفيفا مالم يهبنى الله العفة، وقد كان من الفطنة أن أعلم ممن هذه الموهبة، توجهت إلى الرب وسألته من كل قلبى» (٨) .... (٩).

---

(١) ٢. أى ١٤ : ٧. (٢) مز ٣٤ : ٤. (٣) مز ١١٩ : ١٠.

(٤) راجع أيضا (تث ٤ : ٢٩)، (٢. أى ١٥ : ٢)، (٢. أى ١٩ : ٣)، (عز ٦ : ٢١)، (مز ١٤ : ٢)، (مز ٢٢ : ٢٦)، (مز ٤٠ : ١٦)، (مز ٥٣ : ٣)، (مز ٦٩ : ٣٢)، (مز ٧٠ : ٤)، (مز ٨٩ : ٣٤)، (مز ٨٣ : ١٦)، (مز ١١٩ : ٢)، (أم ٧ : ١٥)، (أم ٢٨ : ٥)، (إش ١١ : ١٠)، (إش ٢١ : ١٢)، (إش ٤٥ : ١٩)، (إش ٥١ : ١)، (إش ٥٨ : ٢)، (إش ٦٥ : ١)، (إر٢٩ : ١٣)، (هو ٣ : ٥)، (هو ٥ : ٦،١٥)، (هو ٧ : ١٠)، (هو ١٠ : ١٢)، (عا ٥ : ٤)، (صف ١ : ٦)، (صف ٢ : ٣) (زك ٨ : ٢٢).

(٥) ١. صم ١ : ١٧. (٦) مز ٢٧ : ٤. (٧) أم ٣٠ : ٧.

(٨) حك ٨ : ٢١.

(٩) راجع أيضا : (١. مل ٣ : ٥)، (١. مل ٨ : ٢٢)، (٢. أى ١ : ٧)، (٢. أى ١٨ : ٧)، (عز ٧ : ٦)، (مز ٢ : ٨)، (مز ٢١ : ٤)، (مز ١٠٥ : ٤٠)، (جا ١ : ١٣)، (إش ٥٨ : ٢)، (إش ٦٥ : ١)، (حز ١٤ : ٣)، (حز ٢٠ : ١، ٣، ٣١).

(٩) ابتهال نحو السماء :-

«وانطرح الكهنة أمام المذبح بحللهم الكهنوتية يبتهلون نحو السماء إلى الذى سن فى الودائع أن تصان لمستودعها» (١).

(١٠) صراخ إلى السماء :-

«دخلت يهوديت معبدها ولبست مسحا وألقت رمادا على رأسها، وخرت أمام الرب وصرخت إلى الرب» (٢).

«فصلى حزقيا الملك وإشعياء بن آموص النبى ... وصرخا إلى السماء» (٣).

«أيها الرب القدير إله اسرائيل، قد صرخت إليك النفس فى المضايق والروح فى الكروب، فاسمع يارب وارحم» (٤).

«فصرخت سوسنة بصوت عظيم وقالت أيها الإله الأزلى» (٥).

الصلاة من حيث موضوعاتها :

إن الصلاة قد تكون تمجيدا أو شكرا أو استغاثة، وقد تكون هذه جميعا معا، وبعبارة أخرى أن المصلى قد يتخذ فى صلاته واحدا من هذه الموضوعات الرئيسية الثلاثة أو قد يجمعها كلها فى صلاة واحدة.

أولاً : صلاة التمجيد أو التعظيم أو التسبيح :

«الجلال والبهاء أمامه، العزة والبهجة فى مكانه، هبوا الرب يا عشائر الشعوب، هبوا الرب مجدا وعزة» (٦).

«يا خائفى الرب سبحوه، مجدوه ...» (٧).

«عظموا الرب معى، ولنعل اسمه معا» (٨).

---

(١) ٢. مكا ٣ : ١٥.
(٢) يهو ٩ : ١.
(٣) ٢. أى ٣٢ : ٢٠.
(٤) باروخ ٣ : ١.
(٥) دا ١٣ : ٤٢.
(٦) ١. أى ١٦ : ٢٨، ٢٩.
(٧) مز ٢٢ : ٢٣.
(٨) مز ٣٤ : ٣.

«يا رب أنت إلهى أعظمك، أحمد أسمك لأنك صنعت عجبا، مقاصدك منذ القديم أمانة وصدق» (١) .... (٢).

ثانياً : صلاة الشكر والحمد :-

«والآن يا إلهنا نحمدك ونسبح اسمك الجليل» (٣).

«وكان لما صوت المبوقون والمغنون كواحد صوتا واحدا لتسبيح الرب وحده ورفعوا صوتا بالأبواق والصنوج والآت الغناء والتسبيح للرب... أن البيت بيت الرب امتلأ سحابا» (٤)، «أحمدك لأنك استجبت لى وصرت لى خلاصا» (٥).

«أحمدوا الرب لأنه إلى الأبد رحمته» (٦).

«حسن هو الحمد للرب والترنم لإسمك أيها العلى... لأنك فرحتنى يارب بصنائعك بأعمال يديك أبتهج» (٧).

«إياك يا إله آبائى أحمد وأسبح الذى أعطانى الحكمة والقوة» (٨) .... (٩).

ثالثاً : صلاة الطلب أو الاستغاثة :-

(١) طلب اتمام مواعيد الله :-

«اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد» (١٠).

---

(١) إش ٢٥ : ١.
(٢) راجع أيضا (مز ٢٩ : ١، ٩)، (مز ٥٧ : ٥)، (مز ٦٩ : ٣٠)، (مز ٨٦ : ٩، ١٢)، (مز ١١٨ : ٢٨)، (إش ٤٢ : ١٢)، (إر ١٣ : ١٦)، ثم (دا ٣ : ٢٦ – ٩٠).
(٣) ١. أى ٢٩ : ١٣. (٤) ٢. أى ٥ : ١٣. (٥) مز ١١٨ : ١.
(٦) مز ١٣٦ ... (٧) مز ٩٢ : ١ – ٣. (٨) دا ٢ : ٢٣.
(٩) راجع أيضا (١. أى ٢٦ : ٧)، (١. أى ٢٣ : ٣٠)، (٢. أى ٣١ : ٢)، (نح ١١ : ١٧)، (نح ١٢ : ٣١، ٤٠)، (مز ١٨ : ٤٩)، (مز ٣٠ : ٤، ١٢)، (مز ٣٥ : ١٨)، (مز ٦٩ : ٣٠)، (مز ٧٥ : ١)، (مز ٩٥ : ٢)، (مز ٩٧ : ١٢)، (مز ١٠ : ٤)، (مز ١٠٥ : ١)، (مز ١٠٦ : ١)، (مز ١٠٧ : ١)، (مز ١١٦ : ١٧)، (دا ٦ : ١٠).
(١٠) خر ٣٢ : ١٣.

«والآن يا إله اسرائيل، فليتحقق كلامك الذى كلمت به عبدك داود أبى... لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلا ونهارا على الموضع الذى قلت إن اسمى يكون فيه» (١).

«أذكر لعبدك القول الذى جعلتنى أنتظره، هذه هى تعزيتى لأن قولك أحيانى» (٢).

(٢) طلب النعمة والبركة والخير :-

«ارفع علينا نور وجهك يارب» (٣).

«لا تطرحنى من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه منى» (٤).

«يا إله الجنود ارجعنا وأنر بوجهك فنخلص» (٥).

«فلتصر رحمتك لتعزينى حسب قولك لعبدك» (٦).

«توبنى فأتوب، لأنك أنت الرب إلهى» (٧).

(٣) طلب الارشاد والتعليم :-

«طرقك يارب عرفنى، سبلك علمنى، دربنى فى حقك وعلمنى» (٨).

«علمنى يارب طريقك، واهدنى فى سبيل مستقيم» (٩).

«عرفنى يارب نهايتى ومقدار أيامى كم هى، فأعلم كيف أنا زائل» (١٠).

«وأنظر إن كان فيّ طريق باطل، وأهدنى طريقا أبديا» (١١) ...... (١٢).

(٤) طلب السلام والفرح :-

«اسمعنى سرورا وفرحا فتبتهج عظام سحقتها» (١٣).

«ردّ لى بهجة خلاصك» (١٤)

«أما أنا فمسكين وكئيب، خلاصك يا الله فليرفعنى» (١٥)

---

(١) ١. مل ٨ : ٢٦، ٢. أى ٧ : ١٥، ٢. صم ٧ : ٢٥.
(٢) مز ١١٩ : ٤٩، ٥٠، مز ١١٩ : ٧٤، ٨١، ١١٤، ١٧٠.
(٣) مز ٤ : ٦. (٤) مز ٥١ : ١١. (٥) مز ٨٠ : ٧. (٦) مز ١١٩ : ٧٦.
(٧) أر ٣١ : ١٨. (٨) مز ٢٥ : ٤، ٥. (٩) مز ٢٧ : ١١. (١٠) مز ٣٩ : ٤.
(١١) مز ١٣٩ : ٢٤.
(١٢) راجع أيضا (مز ٥ : ٨)، (مز ١١٩ : ٢٧، ٣٢، ٣٣، ٦٤، ٦٨، ١٠٨، ١٢٤)، (مز ١٤٣ : ٨، ١٠).
(١٣) مز ٥١ : ٨ (١٤) مز ٥١ : ١٢ (١٥) مز ٦٩ : ٢٩

«اشبعنا بالغداة من رحمتك فنبتهج ونفرح كل أيامنا، فرحنا كالأيام التى فيها أذللتنا كالسنين التى رأينا فيها شرا» (١).

(٥) طلب الرحمة والمغفرة :ـ

أ ـ للنفس :

«يارب لا توبخنى بغضبك ولا تؤدبنى بسخطك، ارحمنى يارب لأنى ضعيف اشفنى يارب...» (٢).

«أنا قلت يارب ارحمنى، اشف نفسى لأنى قد أخطأت إليك» (٣).

«ارحمنى يا الله حسب رحمتك، حسب كثرة رأفتك أمح معاصى» (٤).

ب ـ للكنيسة والشعب :ـ

«لا تذكر علينا ذنوب الأولين، لتتقدمنا مراحمك سريعا لأننا قد تذللنا جدا، أعنا يا إله خلاصنا من أجل مجد اسمك ونجنا وأغفر خطايانا من أجل اسمك» (٥).

«أرجعنا يا إله خلاصنا وانف غضبك عنا، هل إلى الدهر تسخط علينا، هل تطيل غضبك إلى دور فدور. ألا تعود أنت فتحيينا فيفرح بك شعبك أرنا يارب رحمتك وأعطنا خلاصك» (٦).

«اسألوا سلامة أورشليم. ليسترح محبوك. ليكن سلام فى أبراجك راحة فى قصورك، من أجل إخوتى وأصحابى لأقولن سلام لك، من أجل بيت إلهنا ألتمس لك خيرا» (٧).

«من أجل صهيون لا أسكت ومن أجل أورشليم لا أهدأ حتى يخرج برها كضياء، وخلاصها كمصباح يتقد» (٨).

«على أسوارك يا أورشليم أقمت حراسا لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام، يا ذاكرى الرب لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت حتى يثبت ويجعل أورشليم تسبحه فى الأرض» (٩) *

---

(١) مز ٩٠ : ١٤، ١٥ (٢) مز ٦ : ٢. (٣) مز ٤١ : ٤.
(٤) مز ٥١ : ١، ٢ ... الخ. (٥) مز ٧٩ : ٨، ٩. (٦) مز ٨٥ : ٤ ـ ٦.
(٧) مز ١٢٢ : ٦ – ٩. (٨) إش ٦٢ : ١. (٩) إش ٦٢ : ٦، ٧.

* أرأيت قيمة الشفاعة فى نظر الرب، وكيف أنه يطلبها من قديسيه بالحاح على فم عبده إشعياء النبى؟ حقا إن سلامة الكنيسة قائمة على أساس ضراعة القديسين وشفاعتهم التى لا تنقطع لا بالليل ولا بالنهار.

«لا تسخط كل السخط يارب، ولا تذكر الاثم إلى الأبد، ها أنظر شعبك كلنا، مدن قدسك صارت برية، صهيون صارت برية، أورشليم موحشة، بيت قدسنا وجمالك حيث سبحك أباؤنا قد صار حريق نار وكل مشتهياتنا صارت خرابا، ألأجل هذه تتجلد يارب، أتسكت وتذلنا كل الذل» (١).

«يارب قد سمعت خبرك فجزعت، يارب عملك فى وسط السنين أحيه، فى وسط السنين عرف، فى الغضب أذكر الرحمة» (٢).

جـ - للأعداء :-

«وأطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم إليها، وصلوا لأجلها إلى الرب، لأنه بسلامها يكون لكم سلام» (٣).

(٦) طلب الخلاص من الضيق :-

أ - الضيق الروحى (الخطيئة) :

«افرج ضيقات قلبى، من شدائد اخرجنى».

«أنظر إلى ذلى وتعبى، وأغفر جميع خطاياى» (٤).

«ليست فى جسدى صحة من جهة غضبك، ليست فى عظامى سلامة من جهة خطيتى» (٥).

«من كل معاصىّ نجنى» (٦).

ب - الضيق المادى (الأعداء) «ويمكن أن ينصرف إلى الأعداء الروحيين» :

«والآن يا إلهنا الإله العظيم الجبار المخوف حافظ العهد والرحمة، لا تصغر لديك كل المشقات التى أصابتنا نحن وملوكنا ورؤساءنا وكهنتنا وأنبياءنا وآباءنا وكل شعبك ... ونحن فى كرب عظيم» (٧).

«ارحمنى يارب، أنظر مذلتى من مبغضى» (٨).

---

(١) إش ٦٤ : ٩ – ١٢. (٢) حب ٣ : ٢. (٣) إر ٢٩ : ٧.
(٤) مز ٢٥ : ١٨. (٥) مز ٣٨ : ٣. (٦) مز ٣٩ : ٨.
(٧) نح ٩ : ٣٢ – ٣٨. (٨) مز ٩ : ١٣.

«يارب لماذا تقف بعيدا، لماذا تختفى فى أزمنة الضيق» (١).

«لا تحجب وجهك عنى فى يوم ضيقى» (٢)، من أجل اسمك يارب تحيينى بعدلك تخرج من الضيق نفسى، وبرحمتك تستأصل أعدائى وتبيد كل مضايقى نفسى، لأنى أنا عبدك» (٣) ......

(٧) طلبات البركات الزمنية :-

«لا تعطنى فقرا ولا غنى، أطعمنى خبز فريضتى لئلا أشبع وأكفر وأقول من هو الرب، لئلا افتقر وأسرق واتخذ اسم إلهى باطلا» (٤).

ضمانات الصلاة :

(١) (اسم الله ومجده وعهده ورحمته وبره وأمانته وصدقه) :

«إرحمنى يا الله حسب رحمتك، حسب كثرة رأفتك، أمح معاصى» (٥).

«أعنا يا إله خلاصنا من أجل مجد اسمك، ونجنا واغفر خطايانا من أجل اسمك» (٦).

«أنا أنا هو الماحى ذنوبك لأجل نفسى وخطاياك لا أذكرها» (٧).

«وإن تكن آثامنا تشهد علينا يارب، فاعمل لأجل اسمك لأن معاصينا كثرت، إليك أخطأنا» (٨).

«يارب اسمع صلاتى واصغ إلى تضرعاتى بأمانتك، استجب لى بعدلك» (٩).

«لا ترفض لأجل اسمك، لاتهن كرسى مجدك، أذكر لا تنقض عهدك معنا» (١٠).

«يا سيد حسب كل رحمتك، اصرف سخطك وغضبك ... فاسمع الآن يا إلهنا صلاة عبدك وتضرعاته، وأضئ بوجهك على مقدسك الخرب من أجل السيد، أمل أذنك يا إلهى واسمع، افتح عينيك وأنظر خربنا والمدينة التى دعى اسمك عليها، لأنه لا لأجل برنا نطرح تضرعاتنا أمام وجهك بل لأجل مراحمك العظيمة، يا سيد اسمع، يا سيد أغفر يا سيد أصغ واصنع، لا تؤخر من أجل نفسك يا إلهى لأن اسمك دعى على مدينتك وعلى شعبك» (١١).

---

(١) مز ١٠ : ١. (٢) مز ١٠٢ : ٢.
(٣) مز ١٤٣ : ١١. راجع أيضا : (مز ١٧، ١٨، ١٩)، (ار ١٧ : ١٤) (مرا ٥ : ١).
(٤) أم ٣٠ : ٨، ٩. (٥) مز ٥١ : ١.
(٦) مز ٧٩ : ٩، ومز ٧٤ : ٢٠، مز ٣١ : ١، مز ٧١ : ٢، مز ١٠٦ : ٤٥.
(٧) إش ٤٣ : ٢٥. (٨) إر ١٤ : ٧. (٩) مز ١٤٣ : ١. (١٠) إر ١٤ : ٢١. (١١) دا ٩ : ١٦ - ١٩.

(٢) شفاعات القديسين :-

«ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك، أذكر ابراهيم واسحق واسرائيل» (١).

«من أجل داود عبدك. لا ترد وجه مسيحك» (٢).

«فلا تخذلنا إلى الانقضاء لأجل اسمك ولا تنقض عهدك، ولا تصرف رحمتك عنا لأجل ابراهيم خليلك واسحق عبدك واسرائيل قديسك» (٣).

«وأحامي عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسي ومن أجل داود عبدي» (٤).

الصلاة المقبولة :-

ليس كل من يصلي يستجاب، إذ الصلاة المقبولة هي التي :

(١) بروح الله (من أنفاس الله) :

«أحينا فندعو باسمك» (٥).

«ولا أحجب وجهي عنهم بعد، لأني سكبت روحي على بيت اسرائيل، يقول السيد الرب» (٦).

«وأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم، روح النعمة والتضرعات» (٧).

(٢) صلاة الأبرار :-

«عينا الرب نحو الصديقين، وأذناه إلى صراخهم .... صرخوا والرب سمع، ومن كل شدائدهم أنقذهم» (٨).

«لأنه تعلق بي أنجيه، أرفعه لأنه عرف اسمي، يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق، أنقذه وأمجده، من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي» (٩).

«الرب قريب لكل الذين يدعونه، الذين يدعونه بالحق، يعمل رضى خائفيه ويسمع تضرعهم فيخلصهم» (١٠).

---

(١) خر ٣٢ : ١٢، ١٣، تث ٩ : ٢٧ (٢) مز ١٣٢ : ١٠، أي ٦ : ٤٢. (٣) دا ٣ : ٣٤، ٣٥.
(٤) راجع ٢ . مل ١٩ : ٣٤، ٢ . مل ٢٠ : ٦، ١ . مل ١١ : ٢٢، ١٣، ٣٢، ٣٤، ١ . مل ١٥ : ٤.
(٥) مز ٨٠ : ١٨. (٦) حز ٣٩ : ٢٩. (٧) زك ١٢ : ١٠.
(٨) مز ٣٤ : ١٥، ١٧ (٩) مز ٩١ : ١٤، ١٥. (١٠) مز ١٤٥ : ١٨، ١٩.

«ذبيحة الأشرار مكرهة... وصلاة المستقيمين مرضاته» (١)

«الرب بعيد عن الأشرار. ويسمع صلاة الصديقين» (٢).

(٣) الصلاة التى من كل القلب :-

«وكانوا بجملتهم يصلون إلى الله من كل قلوبهم أن يفتقد شعبه اسرائيل» (٣).

«ترضيت وجهك بكل قلبى، إرحمنى حسب قولك» (٤).

«صرخت من كل قلبى، استجب لى يارب» (٥).

«وأعطيهم قلبا ليعرفونى أنى أنا الرب، فيكونوا لى شعبا وأنا أكون لهم إلها لأنهم يرجعون إلى بكل قلوبهم» (٦).

«فتدعوننى وتذهبون وتصلون إلىّ فاسمع لكم، وتطلبوننى فتجدوننى إذ تطلبوننى بكل قلوبكم» (٧).

«اسمع يارب للحق، انصت إلى صراخى اصغ إلى صلاتى من شفتين بلا غش» (٨).

«الرب قريب لكل الذين يدعونه، الذين يدعونه بالحق» (٩).

(٤) الصلاة بايمان وثقة :

«وعملوا (الرأوبينيون والجاديون ونصف سبط منسى) حربا مع الهاجريين... فانتصروا عليهم، فدفع ليدهم الهاجريون وكل من معهم، لأنهم صرخوا إلى الله فى القتال فاستجاب لهم لأنهم اتكلوا عليه» (١٠).

«أنا دعوتك لأنك تستجيب لى يا الله، أمل أذنيك إلىّ، اسمع كلامى» (١١).

«عليك اتكل أباؤنا، اتكلوا فنجيتهم، اليك صرخوا فنجوا، عليك اتكلوا فلم يخزوا» (١٢).

«حينئذ ترتد أعدائى إلى الوراء فى يوم أدعوك فيه، هذا قد علمته لأن الله لى» (١٣).

---

(١) أم ١٥ : ٨. (٢) أم ١٥ : ٢٩. (٣) يهو ٤ : ١٧.
(٤) مز ١١٩ : ٥٨. (٥) مز ١١٩ : ١٤٥. (٦) إر ٢٤ : ٧.
(٧) إر ٢٩ : ١٢، ١٣. (٨) مز ١٧ : ١. (٩) مز ١٤٥ : ٨.
(١٠) ١. أى ٥ : ٢٠. (١١) مز ١٧ : ٦.
(١٢) مز ٢٢ : ٤، ٥ - مز ٢٥ : ٢، ٣ - مز ٣١ : ١. (١٣) مز ٥٦ : ٩.

«فى يوم ضيقى أدعوك لأنك تستجيب لى» (١).

«لأنه أمال أذنه إلىّ فأدعوه مدة حياتى» (٢).

(٥) الصلاة لمجد الله :-

«وكان عند اصعاد التقدمة أن ايليا النبى تقدم وقال: أيها الرب إله ابراهيم واسحق واسرائيل، ليعلم اليوم أنك أنت الله فى اسرائيل، وأنى أنا عبدك، وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور استجبنى يارب استجبنى، ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله، وأنك أنت حولت قلوبهم رجوعا، فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التى فى القناة» (٣).

«فاسمع أنت من السماء مكان سكناك، وافعل حسب كل ما يدعو به إليك الأجنبى لكى يعلم كل شعوب الأرض اسمك فيخافوك كشعبك اسرائيل، ولكى يعلموا أنه قد دعى اسمك على هذا البيت الذى بنيت» (٤).

«والآن أيها الرب إلهنا خلصنا من يده (من يد سنحاريب) فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب الإله وحدك» (٥).

«أعنا يا إله خلاصنا من أجل مجد اسمك ونجنا وأغفر خطايانا من أجل اسمك» (٦).

«وإن تكن آثامنا تشهد علينا يارب، فاعمل لأجل اسمك، ... لا ترفض لأجل اسمك، لاتهن كرسى مجدك» (٧).

(٦) الصلاة بتأن :-

«لا تستعجل فمك ولا يسرع قلبك إلى نطق كلام قدام الله، لأن الله فى السموات وأنت على الأرض، فلذلك لتكن كلماتك قليلة» (٨).

---

(١) مز ٨٦ : ٧.

(٢) مز ١١٦ : ٢.

(٣) ١ . مل ١٨ : ٣٦ – ٣٨.

(٤) ١ . مل ٨ : ٤٣.

(٥) ٢ . مل ١٩ : ١٩، إش ٣٧ : ٢٠.

(٦) مز ٧٩ : ٩، مز ٤٢ : ١٠، مز ٤٣ : ١٨، مز ١١٥ : ٢.

(٧) إر ١٤ : ٧، ٢١.

(٨) جا ٥ : ٢.

(٧) الصلاة باتضاع (مع الاعتراف بالخطأ) :-

«فإذا تواضع شعبى الذين دعى اسمى عليهم وصلوا وطلبوا وجهى ورجعوا عن طرقهم الردية فانى اسمع من السماء وأغفر خطيتهم وأبرئ أرضهم» (١).

«ولما تضايق (منسى) طلب وجه الرب إلهه وتواضع جدا أمام إله آبائه، وصلى إليه فاستجاب له وسمع تضرعه ورده إلى أورشليم إلى مملكته» (٢).

«هذا المسكين صرخ، والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه» (٣).

«ولم ينس صراخ المساكين (الودعاء)» ، (٤).

«البائسون والمساكين طالبون ماء ولا يوجد، لسانهم من العطش قد يبس، أنا الرب استجيب لهم، أنا إله اسرائيل لا أتركهم» (٥).

«وصليت (نحميا) أمام إله السماء، وقلت ... لقد أفسدنا أمامك ولم نحفظ الوصايا والفرائض والأحكام» (٦).

«وصليت إلى الرب إلهى، واعترفت وقلت أيها الرب الإله العظيم المهوب حافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظى وصاياه، أخطأنا وأثمنا وعملنا الشر، وتمردنا، وحدنا عن وصاياك وعن أحكامك، وما سمعنا من عبيدك الأنبياء ... لك يا سيد البر، أما لنا فخزى الوجوه» (٧).

(٨) الصلاة بمثابرة والحاح :-

«استجبنى يارب استجبنى، ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله» (٨).

«لتكن أذنك مصغية وعيناك مفتوحتين لتسمع صلاة عبدك الذى يصلى إليك الآن نهاراً وليلا، لأجل بنى اسرائيل عبيدك» (٩).

«وجال الياقيم كاهن الرب العظيم فى جميع اسرائيل وكلمهم قائلا : اعلموا أن الرب يستجيب لصلواتكم إن واظبتم على الصوم والصلوات أمام الرب» (١٠).

---

(١) ٢. أى ٧ : ١٤.
(٢) ٢. أى ٢٣ : ١٢، ١٣.
(٣) مز ٣٤ : ٦.
(٤) مز ٩ : ١٢، ومز ٥١ : ١٧.
(٥) إش ٤١ : ١٧.
(٦) نح ١ : ٤، ٧.
(٧) دا ٩ : ٤ – ٧.
(٨) ١. مل ١٨ :٣٧.
(٩) نح ١ : ٦.
(١٠) يهو ٤ : ١١، ١٢.

«وصرخوا إلى الله بصوت واحد ساعات كثيرة» (١).

«استمع يارب، بصوتى أدعو، فارحمنى واستجب لى» (٢).

«اصغ يا الله إلى صلاتى، ولا تتغاض عن تضرعى، استمع لى، واستجب لى» (٣).

«عينى ذابت من الذل، دعوتك يارب كل يوم، بسطت إليك يدى» (٤).

«ارحمنى يارب ربى لأننى إليك أصرخ اليوم كله» (٥).

«لا تحجب وجهك عنى فى يوم ضيقى، أمل إلى أذنك فى يوم أدعوك، استجب لى سريعا» (٦).

«وتضرعوا إلى الرب الرحيم بالبكاء والصوم والسجود مدة ثلاثة أيام بلا انقطاع ... وثمت له هذه النصرة» (٧).

الصلاة المرذولة :-

(١) صلاة الأشرار المرتدين عن الله وشريعته :

«اذا حوكم (الشرير) فليخرج مذنبا، وصلاته فلتكن خطية» (٨).

«لأنى دعوت فأبيتم، ومددت يدى وليس من يبالى، بل رفضتم كل مشورتى، ولم ترضوا توبيخى، فأنا أيضا أضحك عند بليتكم، أشمت عند مجئ خوفكم، إذا جاء خوفكم كعاصفة وأتت بليتكم كالزوبعة، إذا جاءت عليكم شدة وضيق حينئذ يدعوننى فلا أستجيب يبكرون إلى فلا يجدوننى» (٩).

«ذبيحة الأشرار مكرهة الرب، وصلاة المستقيمين مرضاته» (١٠).

«الرب بعيد عن الأشرار، ويسمع صلاة الصديقين» (١١).

«ذبيحة الشرير مكرهة، فكم بالحرى حين يقدمها بغش» (١٢).

---

(١) يهو ٧ : ١٨.
(٢) مز ٢٧ : ٧.
(٣) مز ٥٥ : ١، ٢.
(٤) مز ٨٨ : ٩.
(٥) مز ٨٦ : ٣.
(٦) مز ١٠٢ : ٢، مز ١٤٣ : ١.
(٧) ٢. مكا ١٣ : ١٢، ١٧.
(٨) مز ١٠٩ : ٧.
(٩) أم ١ : ٢٤ - ٢٨.
(١٠) أم ١٥ : ٨.
(١١) أم ١٥ : ٢٩.
(١٢) أم ١١ : ٢٧.

«من يحول أذنه عن سماع الشريعة، فصلاته أيضا مكرهة» (١).

«اسمعى أيتها الأرض، ها آنذا جالب شرا على هذا الشعب، ثمر أفكارهم لأنهم لم يصغوا لكلامى، وشريعتى رفضوها، لماذا يأتى لى اللبان ... محرقاتكم غير مقبولة وذبائحكم لا تلذ لى» (٢).

«هكذا قال رب الجنود إلى اسرائيل : ضموا محرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحما لأنى لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر قائلا : اسمعوا صوتى فأكون لكم إلها، وأنتم تكونون لى شعبا ... فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم بل ساروا فى مشورات وعناد قلبهم الشرير، وأعطوا القفا لا الوجه» (٣).

«فأبوا أن يصغوا وأعطوا كتفا معاندة، وثقلوا أذانهم عن السمع، بل جعلوا قلبهم ماسا لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذى أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين، فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود، فكان كما نادى هو فلم يسمعوا، كذلك ينادون هم فلا أسمع قال رب الجنود» (٤).

(٢) الصلاة والقلب مدنس بالخطيئة :

«فسأل شاول من الرب، فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالاوريم ولا بالأنبياء» (٥).

«فسأل شاول الله : انحدر وراء الفلسطينيين، أتدفعهم ليد اسرائيل، فلم يجبه فى ذلك اليوم» (٦).

«إلهى فى النهار أدعو فلا تستجيب، فى الليل أدعو فلا هدو لى» (٧).

«إن راعيت إثما فى قلبى، لا يستمع لى الرب» (٨).

«أيضا حين أصرخ وأستغيث يصد صلاتى» (٩).

«لنفحص طرقنا ونمتحنها ونرجع إلى الرب، فنرفع قلوبنا وأيدينا إلى الله ... نحن أذنبنا وعصينا، أنت لم تغفر، التحفت بالغضب وطردتنا التحفت بالسحاب حتى لا تنفذ الصلاة» (١٠).

---

(١) أم ٢٨ : ٩. (٢) إر ٦ : ١٩، ٢٠. (٣) إر ٧ : ٢١ – ٣٤.

(٤) زك ٧ : ١١ – ١٣ راجع أيضا مز ٥٠ : ٩، إش ٦٦ : ٣، عا ٥ : ٢٢، مى ٦ : ٦، ٧.

(٥) ١. صم ٢٨ : ٦، ١٥. (٦) ١. صم ١٤ : ٣٧. (٧) مز ٢٢ : ٢.

(٨) مز ٦٦ : ١٨٧. (٩) مراثى ٣ : ٨. (١٠) مراثى ٣ : ٤٠ – ٤٤.

(٣) صلاة السفاحين والمنافقين :

«فحين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم، وان كثرتم الصلاة لا أسمع، أيديكم ملآنة دما» (١).

«ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع، بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم، حتى لا يسمع، لأن أيديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم، شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر، ليس من يدعو بالعدل، وليس من يحاكم بالحق» (٢).

«هكذا قال الرب لهذا الشعب : هكذا أحبوا أن يجولوا، لم يضعوا أرجلهم، ولم يمنعوا أرجلهم فالرب لم يقبلهم... حين يصومون لا أسمع صراخهم، وحين يصعدون محرقة وتقدمة لا أقبلهم» (٣).

«المبغضين الخير والمحبين الشر النازعين جلودهم عنهم ... والذين يأكلون لحم شعبى ويكشطون جلدهم عنهم ويهشمون عظامهم ... حينئذ يصرخون إلى الرب فلا يجيبهم بل يستر وجهه عنهم فى ذلك الوقت كما أساءوا أعمالهم» (٤).

(٤) صلاة الذين يسقطوا فى عبادة الأوثان :

«قد رجعوا إلى آثام آبائهم الأولين، الذين أبوا أن يسمعوا كلامى وقد ذهبوا وراء آلهة أخرى ليعبدوها ... لذلك هكذا قال الرب : هأنذا جالب عليهم شرا لا يستطيعون أن يخرجوا منه، ويصرخون إلى فلا أسمع لهم» (٥).

«فجاء بى إلى دار بيت الرب الداخلية، وإذا عند باب هيكل الرب، بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلا ظهورهم نحو هيكل الرب، ووجوههم نحو الشرق، وهم ساجدون للشمس نحو الشرق، وقال لى : أرأيت يا ابن آدم؟ أقليل لبيت يهوذا عمل ا لرجاسات التى عملوها هنا... فأنا أيضا أعامل بالغضب... لا تشفق عينى ولا أعفوا، وان صرخوا فى اذنى بصوت عال، لا أسمعهم» (٦).

---

(١) إش ١ : ١٥. (٢) إش ٥٩ : ١ - ٤. (٣) ار ١٤ : ١٠ - ١٢.
(٤) ميخا ٣ : ٢ - ٤. (٥) إر ١١ : ١٠، ١١. (٦) خر ٨ : ١٦ - ١٨، راجع أيضا حز ٢٠ : ٣.

(٥) صلاة الذين بلا رحمة :

«من يسد أذنيه عن صراخ المسكين، فهو أيضا يصرخ ولا يستجاب» (١).

(٦) صلاة المناهضين للقديسين :-

««تمنطقنى بقوة للقتال، تصرع تحتى القائمين على، وتعطينى أقفية أعدائى، ومبغضى أفنيهم، يصرخون ولا مخلص، إلى الرب فلا يستجيب لهم» (٢).

(٧) الصلاة من أجل قوم مصرين على خطيتهم :-

«أما أنا ففى مرضهم كان لباسى مسحا، وصلاتى إلى حضنى ترجع» (٣).

«وأنت (يا إرمياء) فلا تصل لأجل هذا الشعب ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة، ولا تلح علىّ لأنى لا أسمعك» (٤).

«وأنت (يا إرمياء) فلا تصل لأجل هذا الشعب، ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة، لأننى لا أسمع فى وقت صراخهم إلىّ من قبل بليتهم» (٥).

وقال الرب لى : لا تصل لأجل هذا الشعب للخير» (٦).

«ثم قال الرب لى : وان وقف موسى وصموئيل أمامى، لا تكون نفسى نحو هذا الشعب» (٧).

من هم الذين يهملون الصلاة ؟:

«قال الجاهل فى قلبه ليس إله، فسدوا ورجسوا بأفعالهم، ليس من يعمل صلاحا، الرب من السماء أشرف على بنى البشر، لينظر هل من فاهم طالب الله... الكل قد زاغوا معا فسدوا، ليس من يعمل صلاحا، ليس ولا واحد، ألم يعلم كل فاعلى الإثم الذين يأكلون شعبى، كما يأكلون الخبز والرب لم يدعوا؟ (٨).

---

(١) أم ٢١ : ١٣.　　(٢) مز ١٨ : ٤٠، ٤١.　　(٣) مز ٣٥ : ١٣.

(٤) إر ٧ : ١٦.　　(٥) إر ١١ : ١٤.　　(٦) إر ١٤ : ١١.

(٧) إر ١٥ : ١ - «ولئن كان الرب يقبل شفاعة قديسيه أحيانا ويأمر بها أحيانا أخرى، إلا أن قبوله للشفاعة فى حدود معينة، فاذا كان المشفوع فيهم مصرين على خطيتهم فربما يرفض الرب كل شفاعة فيهم حتى ولو كان مقدمها أحد كبار القديسين، أى أن الشفاعة قد تقبل وقد ترفض بحسب إرادة الله اولا وبحسب استعداد المشفوع فيه للعدول عن شره ثانيا».

(٨) مز ١٤ : ١ - ٤، مز ١٠ : ٤، مز ٥٣ : ١ - ٤.

«كلهم فاسقون ... جميع ملوكهم سقطوا، ليس بينهم من يدعو إليّ» (١).

أشكال وأوضاع الصلاة :-

(١) الوقوف على القدمين :

«وقال الرب لموسى : هوذا أيامك قد قربت لكى تموت أدع يشوع وقفا فى خيمة الاجتماع لكى أوصيه، فانطلق موسى ويشوع ووقفا فى خيمة الاجتماع» (٢).

«وحول الملك (سليمان) وجهه وبارك اسرائيل وكل جمهور اسرائيل واقف» (٣).

«ووقف سليمان أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة اسرائيل وبسط يديه إلى السماء» (٤).

«هوذا باركوا الرب يا جميع عبيد الرب الواقفين فى بيت الرب، بالليالى» (٥).

«هلليلويا. سبحوا اسم الرب، سبحوا يا عبيد الرب، الواقفين فى بيت الرب فى ديار بيت إلهنا» (٦).

«اذكر (يارب) وقوفى أمامك لأتكلم عنهم بالخير، لأرد غضبك عنهم» (٧).

(٢) الركوع والجثو والسجود والخرور :

(أ) الركوع (وهو الانحناء نحو الأرض) :

«هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا» (٨).

(ب) الجثو (وهو وضع الركبتين على الأرض) :

«ثم جثا (سليمان) على ركبتيه تجاه كل جماعة اسرائيل وبسط يديه» (٩).

«وعند تقدمة المساء قمت من تذللى، وفى ثيابى وردائى الممزقة، جثوت على ركبتى وبسطت يدى إلى الرب الهى» (١٠).

---

(١) هو ٧ : ٧، راجع أيضا إش ٩ : ١٣، إش ٤٣ : ٢٢، إش ٦٤ : ٧، دا ٩ : ١٣.

(٢) تث ٣١ : ١٤. (٣) ١ . مل ٨ : ١٤. (٤) ١ . مل ٨ : ٢٢، ٢. أى ٦ : ١٢.

(٥) مز ١٣٤ : ١. (٦) مز ١٣٥ : ١.

(٧) إر ١٨ : ٢٠ راجع أيضا خر ٢٠ : ١٨، تث ٢٩ : ١٠، عز ٩ : ١٥، مز ٨٤ : ١٠، مز ١٣٠ : ٣، إر ١٥ : ١٩، إر ٣٥ : ١٩، زك ٤ : ١٤.

(٨) مز ٩٥ : ٦. (٩) ٢ . أى ٦ : ١٣، راجع أيضا ١ . مل ٨ : ٥٤، ١ . مل ١٩ : ١٨. (١٠) عز ٩ : ٥.

«قدامه يجثوا كل من ينحدر إلى التراب» (١).

«أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب» (٢).

«بذاتى أقسمت، خرج من فمى الصدق، كلمة لا ترجع : أنه لى تجثو كل ركبة» (٣).

«فلما علم دانيال بامضاء الكتابة، ذهب إلى بيته... فجثا على ركبتيه ... وصلى» (٤).

(ج) الخرور : (السقوط فى الأرض) :

«فأسرع موسى وخر إلى الأرض وسجد» (٥)

«ولما سمعوا أن الرب افتقد بنى اسرائيل وأنه نظر مذلتهم، خروا وسجدوا» (٦).

«وكلم الرب موسى وهرون قائلا : افترزوا من بين هذه الجماعة، فانى أفنيهم فى لحظة، فخرا على وجهيهما وقالا : اللهم إله أرواح جميع البشر، هل يخطئ رجل واحد فتسخط على كل الجماعة» (٧).

«وأما ايليا فصعد على رأس الكرمل، وخر إلى الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه» (٨).

«ثم قال داود لكل الجماعة : باركوا الرب إلهكم، فبارك كل الجماعة الرب إله آبائهم وخروا وسجدوا للرب وللملك» (٩).

«وكان جميع بنى اسرائيل ينظرون عند نزول النار ومجد الرب على البيت، وخروا على وجوههم إلى الأرض على البلاط المجزع وسجدوا وحمدوا الرب» (١٠).

«وقال حزقيا الملك والرؤساء، للاويين أن يسبحوا الرب بكلام داود وآساف الرائى فسبحوا بابتهاج وخروا وسجدوا» (١١).

«وبارك عزرا الرب الإله العظيم، وأجاب جميع الشعب آمين آمين، رافعين أيديهم، وخروا وسجدوا للرب على وجوههم إلى الأرض» (١٢).

---

(١) مز ٢٢ : ٢٩.
(٢) مز ٧٢ : ٩.
(٣) إش ٤٥ : ٢٣.
(٤) دا ٦ : ١٠ راجع أيضا مز ٩٥ : ٦.
(٥) خر ٣٤ : ٨.
(٦) خر ٤ : ٣١.
(٧) عدد ١٦ : ٢٢، عدد ١٦ : ٤٥.
(٨) ١. مل ١٨ : ٤٢.
(٩) ١. أى ٢٩ : ٢٠.
(١٠) ٢. أى ١٧ : ٣.
(١١) ٢. أى ٢٩ : ٣٠.
(١٢) نح ٨ : ٦.

«حينئذ لبثوا ثلاث ساعات منطرحين على وجوههم يباركون الله» (١).

«دخلت يهوديت معبدها ولبست مسحا وألقت رمادا على رأسها وخرت أمام الرب وصرخت إلى الرب» (٢).

«فقمت وخرجت إلى البقعة وإذا بمجد الرب واقف هناك كالمجد الذى رأيته عند نهر خابور، فخررت على وجهى» (٣).

(د) السجود (وهو وضع الجبهة على الأرض) :

«فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفا عند باب الخيمة، ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد فى باب خيمته» (٤).

«فرجع صموئيل وراء شاول، وسجد شاول للرب» (٥).

«فقام داود عن الأرض واغتسل وادهن وبدل ثيابه ودخل بيت الرب وسجد» (٦).

«وانما اتقوا الرب ... وله اسجدوا وله اذبحوا» (٧)

«أما أنا فبكثرة رحمتك، أدخل بيتك، أسجد فى هيكل قدسك بخوفك» (٨).

«قدموا للرب مجدا لإسمه، أسجدوا للرب فى زينة مقدسة» (٩).

«علوا الرب إلهنا واسجدوا عند موطئ قدميه» (١٠).

«كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يارب ويمجدون اسمك» (١١).

---

(١) طو ٢ : ٢٢.   (٢) يهو ٩ : ١

(٣) حز ٣ : ٢٣، راجع أيضا حز ١ : ٢٨، حز ٩ : ٨، حز ١١ : ١٣، حز ٤٣ : ٣، حز ٤٤ : ٤، دا ٨ : ١٧.

لاحظ أن هناك خرورا آخر يكون ازاء المكرمين من بنى البشر، أو الملائكة : «ثم قام داود بعد ذلك وخرج من الكهف ونادى وراء شاول قائلا يا سيدى الملك ولما التفت شاول إلى ورائه خر داود على وجهه إلى الأرض وسجد» ١. صم ٢٤ : ٨، فعلم شاول أنه صموئيل، فخر على وجهه إلى الأرض وسجد ١. صم ٢٨ : ١٤ فخرت بتشبع وسجدت للملك (١. مل ١ : ١٦، ١. مل ١ : ٣١).

وفيما كان عوبديا فى الطريق إذا بايليا قد لقيه، فعرفه وخر على وجهه ١. مل ١٨ : ٧.

حينئذ خر نبوخذ نصر على وجهه وسجد لدانيال (دا ٢ : ٤٦).

(٤) خر ٣٣ : ١٠.   (٥) ١. صم ١٥ : ٣١.   (٦) ٢. صم ١٢ : ٢٠.

(٧) ٢. مل ١٧ : ٣٦.   (٨) مز ٥ : ٧.   (٩) مز ١٩ : ٢.

(١٠) مز ٩٩ : ٥.   (١١) مز ٨٦ : ٩.

«كل ذى جسد ليسجد أمامى، قال الرب» (١).

«الرب مخيف... لأنه يهزل جميع آلهة الأرض، فسيسجد له الناس : كل واحد من مكانه، كل جزائر الأمم» (٢).

(٣) رفع العينين نحو السماء :-

«فوقف يهوشافاط ... وقال ... والآن هوذا بنو عمون وموآب وجبل ساعير ... يكافئوننا بمجيئهم لطردنا من ملكك.. يا إلهنا أما تقضى عليهم لأنه ليس فينا قوة أمام هذا الجمهور الكثير الآتى علينا، ونحن لا نعلم ماذا نعمل ولكن نحوك أعيننا» (٣).

«عيناى دائما إلى الرب، لأنه هو يخرج رجلى من الشبكة» (٤).

«أرفع عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى» (٥).

«اليك رفعت عينى يا ساكنا فى السموات، هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدى ساداتهم كما أن عينى الجارية نحو يد سيدتها، هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يتراءف علينا» (٦).

---

(١) اش ٦٦ : ٢٣. (٢) صف ٢ : ١١.

راجع أيضا حز ٢٤ : ١، تث ٢٦ : ١٠، قض ٧ : ١٥، ١. صم ١ : ٣، ١٩، ١. صم ١ : ١٢، ١. صم ١٥ : ٢٥. ٢. صم ١٥ : ٣٢، ١. مل ١ : ٤٧، ٢. مل ١٧ : ٣٦، ١. أى ٢٦ : ٢، نح ٩ : ٦، يهو ٦ : ١٤، مز ٢٢ : ٢٧، ٢٩، مز ٤٥ : ١١، مز ٧٢ : ١١، مز ٦٦ : ٤، مز ٩٥ : ٦، مز ٩٧ : ٧، مز ٩٩ : ٩، مز ١٣٢ : ٧، إش ٢٧ : ١٣، إش ٣٦ : ٧، إش ٤٩ : ٧، إر ٧ : ٢، حز ٤٦ : ٢، ٩، زك ١٤ : ١٦، ١٧.

وثمة نوع آخر من السجود، هو سجود الاكرام يقدم للقديسين والعظماء : «فخرج موسى لاستقبال حميه وسجد وقبله... خر ١٨ : ٧.

فسقطت (راعوث) على وجهها، وسجدت إلى الأرض، وقالت له :كيف وجدت نعمة فى عينيك حتى تنظر إلى وأنا غريبة را ٢ : ١٠.

فجاء مفيبوشت بن يوناثان بن شاول إلى داود وخر على وجهه وسجد، ٢. صم ٩ : ٦. فدخلت بتشبع إلى الملك سليمان لتكلمه عن أدونيا، فقام الملك للقائها وسجد لها، ١. مل ٢ : ١٩.

ولما رآه بنو الأنبياء ... قالوا قد استقرت روح ايليا على اليشع، فجاءوا للقائه وسجدوا له على الأرض ٢. مل ٢ : ١٥ حينئذ خر نبوخذ نصر على وجهه وسجد لدانيال دا ٢ : ٤٦. راجع أيضا خر ١١ : ٨، ١. صم ٢٥ : ٣٢، ٤١، ٢. صم ٩ : ٨، ٢. صم ١٤ : ٤، ٢٢، ١. مل ١ : ٥٣، ٢. مل ٤ : ٣٧، ٢. صم ١٥ : ٥، ٢. صم ١٦ : ٤، إش ٤٥ : ١٤، إش ٤٩ : ٢٣.

(٣) ٢. أى ٢٠ : ٥، ٦، ١٠ – ١٢. (٤) مز ٢٥ : ١٥.

(٥) مز ١٢١ : ١. (٦) مز ١٢٣ : ١، ٢.

«لأنه إليك ياسيد يارب عيناى» (١).

«ارفعوا إلى السموات عيونكم» (٢).

«وعند انتهاء الأيام أنا نبوخذ نصر رفعت عينى إلى السماء، فرجع إلىّ عقلى، وباركت العلى وسبحت وحمدت الحى إلى الأبد» (٣).

(٤) رفع اليدين نحو السماء أو بسطهما :-

«وأما موسى وهرون وحور فصعدوا على رأس التلة. وكان اذا رفع موسى يده أن اسرائيل يغلب واذا خفض يده أن عماليق يغلب، فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذا حجرا ووضعاه تحته فجلس عليه، ودعم هرون وحور يديه الواحد من هنا والآخر من هناك، فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس، فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف» (٤).

«استمع صوت تضرعى إذ استغيث بك وأرفع يدى إلى محراب قدسك» (٥).

«هكذا أباركك فى حياتى، باسمك أرفع يدى» (٦).

«ارفعوا أيديكم نحو القدس، وباركوا الرب» (٧).

«لتستقم صلاتى كالبخور قدامك، ليكن رفع يدى كذبيحة مسائية» (٨).

«قومى اهتفى فى الليل فى أول الهزع، اسكبى كمياه قلبك قبالة وجه السيد، ارفعى إليه يديك لأجل نفس أطفالك المغشى عليهم من الجوع» (٩).

بسط الأيدى :

فقال له موسى عند خروجى من المدينة أبسط يدى إلى الرب، فتنقطع الرعود ولا يكون البرد ... فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون وبسط يديه إلى الرب، فانقطعت الرعود والبرد» (١٠).

---

(١) مز ١٤١ : ٨.
(٢) إش ٥١ : ٦.
(٣) دا ٤ : ٣٤.
(٤) خر ١٧ : ١٠ – ١٣.
(٥) مز ٢٨ : ٢.
(٦) مز ٦٣ : ٤.
(٧) مز ١٣٤ : ٢.
(٨) مز ١٤١ : ٢.
(٩) مز ٢١ : ١٩ راجع مز ١١٩ : ٤٨، حب ٣ : ١٠.
(١٠) خر ٩ : ٢٩، ٣٣.

«ووقف سليمان أمام مذبح الرب ... وبسط يديه إلى السماء» (١).

«وعند تقدمة المساء قمت من تذللى ... وبسطت يدى إلى الرب إلهى» (٢).

«فى يوم ضيقى التمست الرب، يدى فى الليل انبسطت ولم تخدر» (٣).

«دعوتك يارب كل يوم، بسطت إليك يدى» (٤).

«بسطت إليك يدى، نفسى نحوك كأرض يابسة» (٥).

«فحين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم» (٦).

«لأنى سمعت صوتا كماخضة ضيقا مثل ضيق بكرية، صوت ابنة صهيون تزفر، تبسط يديها قائلة : ويل لى لأن نفسى قد أغمى عليها بسبب القاتلين» (٧).

«بسطت صهيون يديها، لا معزى لها» (٨).

أمور يندب* اليها فى الصلاة :-

(١) البكاء أو النوح أو ذرف الدموع :

أ- ذرف الدموع :

«فى تلك الأيام مرض حزقيا للموت، فجاء اليه أشعياء بن آموص النبى، وقال له : هكذا قال الرب، أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش، فوجه (حزقيا) وجهه الى الحائط وصلى الى الرب قائلا : آه يارب أذكر كيف سرت أمامك بالأمانه وبقلب سليم وفعلت الحسن فى عينيك، وبكى حزقيا بكاء عظيما. ولم يخرج أشعيا الى المدينة الوسطى حتى كان كلام الرب اليه قائلا : ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبى : هكذا قال الرب اله داود أبيك : قد سمعت صلاتك، قد رأيت دموعك، هأنذا أشفيك» (٩).

---

(١) ١- مل ٨ : ٢٢. (٢) عز ٩ : ٥. (٣) مز ٧٧ : ٢.

(٤) مز ٨٨ : ٩. (٥) مز ١٤٣ : ٦. (٦) إش ١ : ١٥.

(٧) إر ٤ : ٣١.

(٨) مرا ١ : ١٧، راجع أيضا ١- مل ٨ : ٣٨، ٥٤، ٢. أى ٦ : ١٢، مز ٤٤ : ٢٠، مز ٦٨ : ٣١، إش ٢٥ : ١١، إر ٨ : ٢.

* المندوب إليه، ما يثاب (المصلى) على فعله، ولايعاقب على تركه. أو بعبارة مسيحية المندوب إليه أمر يفضل فعله ولا يحرم تركه (بالاقتران مع الصلاة).

(٩) ٢- مل ٢٠ : ٥، إش ٣٨ : ٥.

«تعبت في تنهدى، أعوم فى كل ليلة سريرى بدموعى، أذوب فراشى أبعدوا عنى يا جميع فاعلى الاثم لأن الرب قد سمع صوت بكائى» (١).

«استمع صلاتى يارب واصغ إلى صراخى، لاتسكت عن دموعى» (٢).

«صارت لى دموعى خبزا نهارا وليلا إذ قيل لى كل يوم أين إلهك» (٣).

«حينئذ أن طوبيا طفق يصلى بدموع» (٤).

«بل استمرت (سارة) تصلى وتتضرع إلى الله بدموع أن يكشف عنها هذا العار» (٥).

ب ـ البكاء :

«وجاء الشعب إلى بيت أيل، وأقاموا هناك (فى المصفاة) أمام الله، ورفعوا صوتهم وبكوا بكاء عظيما» (٦).

«فلما صلى عزرا واعترف وهو باك وساقط أمام بيت الله، اجتمع إليه من اسرائيل جماعة كثيرة جدا من الرجال والنساء والأولاد لأن الشعب بكى بكاء عظيما» (٧).

«ولنسأل الرب باكين أن يؤتينا رحمته بحسب مشيئته» (٨).

«بالبكاء يأتون وبالتضرعات أقودهم وأسيرهم إلى أنهار ماء فى طريق مستقيمة لا يعثرون فيها لأنى صرت لاسرائيل أبا» (٩).

«فى تلك الأيام وفى ذلك الزمان يقول الرب، يأتى بنو اسرائيل هم وبنو يهوذا معا يسيرون معا، ويبكون ويطلبون الرب إلههم» (١٠).

«وليبك الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح ويقولوا : اشفق يارب على شعبك، ولا تسلم ميراثك للعار حتى تجعلهم الأمم مثلا، لماذا يقولون بين الشعوب أين إلههم» (١١).

---

(١) مز ٦ : ٦، ٨. (٢) مز ٣٩ : ١٢. (٣) مز ٤٢ : ٣.
(٤) طو ٣ : ١. (٥) طو ٣ : ١١.
(٦) راجع أيضا مز ٥٦ : ٨، مز ٨٠ : ٥، مز ١٠٢ : ٩، مز ١١٦ : ٧٨، مز ١٢٦ : ٥، جا ٤ : ١، إش ٢٥ : ٨، إر ١٩ : ١، إر ١٣ : ٢٧، إر ٣١ : ١٦، مر ١١ : ٢، مر ٢١ : ١١، ١٨، حز ٢٤ : ١٦، مل ٢ : ١٣.
(٧) عز ١٠ : ١. (٨) يهو ٨ : ١٧. (٩) إر ٣١ : ٩.
(١٠) إر ٥٠ : ٤، راجع أيضا هو ٣ : ٥.
(١١) يؤ ٢ : ١٧، راجع أيضا : مز ٣٠ : ٥، مز ٦٩ : ١٠، إش ٣٠ : ١٩، مز ١١ : ٢، زك ٧ : ٣، مل ٢ : ١٢.

ج - النوح :

«وناح كل بيت اسرائيل وراء الرب» (١).

«فلما سمعت هذا الكلام جلست وبكيت ونحت أياما وصمت وصليت أمام إله السماء» (٢).

«فلما قص عليهم (بنى اسرائيل) أحيور (قائد بنى عمون) جميع ذلك، خر الشعب كلهم على وجوههم ساجدين للرب ورفعوا صلواتهم إلى الرب بالبكاء والعويل عامة بقلب واحد» (٣).

«فى تلك الأيام، أنا دانيال كنت نائحا ثلاثة أسابيع أيام» (٤).

(٢) الصوم :-

«وضرب الرب الولد الذى ولدته امرأة أوريا لداود فثقل، فسأل داود الله من أجل الصبى، وصام داود صوما، ودخل وبات مضطجعا على الأرض. فقام شيوخ بيته عليه ليقيموه عن الأرض، فلم يشأ ولم يأكل معهم خبزا» (٥).

«فجاء أناس وأخبروا يهوشافاط قائلين قد جاء عليك جمهور كثير من عبر البحر من آرام ... فخاف يهوشافاط وجعل وجهه ليطلب الرب ونادى بصوم فى كل يهوذا واجتمع يهوذا ليسألوا الرب» (٦).

«وناديت هناك بصوم على نهر أهوا لكى نتذلل أمام الهنا لنطلب منه طريقا مستقيمة لنا ولأطفالنا ولكل مالنا» (٧).

«فصمنا وطلبنا ذلك من إلهنا فاستجاب لنا» (٨).

«فلما سمعت هذا الكلام جلست وبكيت ونحت أياما وصمت وصليت أمام إله السماء» (٩).

«فلما سمعت (سارة) هذا الكلام (أى تعيير جاريتها لها) صعدت إلى علية بيتها، فأقامت ثلاثة أيام وثلاث ليال لا تأكل ولا تشرب بل استمرت تصلى وتتضرع إلى الله بدموع أن يكشف عنها هذا العار» (١٠).

---

(١) ١ - صم ٧ : ٣. (٢) نح ١ : ٤. (٣) يهو ١٤ راجع أيضا يهو ٣ : ١٨، ٢٢.

(٤) دا ١٠ : ٢ راجع أيضا إش ٢٢ : ١٢، عزا ١٠ : ٦، مز ٥٥ : ١٧، زك ٧ : ٥، عا ٥ : ١٦، عا ٨ : ١٠.

(٥) ٢ - صم ١٢ : ١٥ - ١٧، ٢٢. (٦) ٢ - أى ٢١ : ٢ - ٤. (٧) عز ٨ : ٢١.

(٨) عز ٨ : ٢٣. (٩) نح ١ : ٤. (١٠) طو ٣ : ١٠ - ١٢.

«وصرخ كل الشعب إلى الرب بابتهال عظيم وذللوا نفوسهم بالصوم والصلاة هم ونساؤهم» (١).

«وجال الياقيم كاهن الرب العظيم فى جميع اسرائيل وكلمهم قائلا : اعلموا أن الرب يستجيب لصلواتكم إن واظبتم على الصوم والصلوات أمام الرب» (٢).

«فوجهت وجهى إلى الله السيد طالبا بالصلاة والتضرعات بالصوم» (٣).

«قدسوا صوما، نادوا باعتكاف، اجمعوا الشيوخ جميع سكان الأرض إلى بيت الرب إلهكم واصرخوا إلى الرب» (٤).

«ولكن الآن يقول الرب : ارجعوا إلىّ بكل قلوبكم، وبالصوم والبكاء والنوح، ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم، وارجعوا إلى الرب إلهكم... اضربوا بالبوق فى صهيون، قدسوا صوما، نادوا باعتكاف، اجمعوا الشعب، قدسوا الجماعة، احشدوا الشيوخ... ليبك الكهنة ويقولوا أشفق يارب على شعبك» (٥).

«فآمن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ... وقيل فى نينوى عن أمر الملك وعظمائه قائلا لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئا لا ترع ولا تشرب... ويصرخوا إلى الله بشدة» (٦).

«وتضرعوا إلى الرب الرحيم بالبكاء والصوم والسجود مدة ثلاثة أيام بلا انقطاع» (٧).

(٣) المسوح والرماد :-

«فمزق يشوع ثيابه وسقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب إلى المساء هو وشيوخ إسرائيل ووضعوا ترابا على رؤوسهم» (٨).

«وفى اليوم الرابع والعشرين ... اجتمع بنو إسرائيل بالصوم وعليهم مسوح وتراب ... و ... وكانوا يحمدون ويسجدون للرب إلههم» (٩).

---

(١) يهو ٤ : ٨. (٢) يهو ٤ : ١٢، راجع أيضا يهو ٦ : ٢٠. (٣) دا ٩ : ٣.

(٤) يؤ ١ : ١٤. (٥) يؤ ٢ : ١٢ – ١٧. (٦) يون ٣ : ٥ – ٨.

(٧) ٢. مكا ١٣ : ١٢، راجع أيضا إش ٤ : ٣، ١٦، إش ٩ : ٣١، مز ٣٥ : ١٣، مز ٦٩ : ١٠، مز ١٠٩ : ٢٤، إر١٤ : ١٢، إر ٣٦ : ٦، ٩.

(٨) يش ٧ : ٦. (٩) نح ٩ : ١.

«ولبس الكهنة المسوح وطرحوا الأطفال أمام هيكل الرب وغطوا مذبح الرب بمسح، وصرخوا جملة إلى الرب إله اسرائيل» ... وكان الذين يقدمون المحرقات إلى الرب لابسين المسوح... والرماد على رؤوسهم وكانوا بجملتهم يصلون إلى الله من كل قلوبهم أن يفتقد شعبه إسرائيل» (١).

«فوجهت وجهى إلى الله السيد طالبا بالصلاة والتضرعات، بالصوم والمسح والرماد وصليت إلى الرب» (٢).

«تمنطقوا ونوحوا أيها الكهنة، ولولوا ياخدام المذبح، ادخلوا بيتوا بالمسوح ياخدام إلهى... وأصرخوا إلى الرب» (٣).

اتجاه الصلاة :-

(١) صوب هيكل أورشليم :-

«اذا انكسر شعبك إسرائيل أمام العدو لأنهم أخطأوا إليك ثم رجعوا إليك واعترفوا باسمك، وصلوا وتضرعوا إليك نحو هذا البيت فاسمع أنت من السماء وأغفر ...

«إذا أغلقت السماء ولم يكن مطر لأنهم أخطأوا إليك ثم صلوا فى هذا الموضع... إذا صار فى الأرض جوع، إذا صار وباء، إذا صار لفح أو يرقان أو جراد جردوم أو إذا حاصره عدوه فى أرض مدنه فى كل ضربة وكل مرض فكل صلاة وكل تضرع تكون من أى انسان كان من كل شعبك إسرائيل... فيبسط يديه نحو هذا البيت، فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر...

إذا خرج شعبك لمحاربة عدوه فى الطريق الذى ترسلهم فيه، وصلوا إلى الرب نحو المدينة التى اخترتها والبيت الذى بنيته لاسمك، فاسمع من السماء صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم. إذا أخطأوا إليك لأنك ليس انسان لا يخطئ، وغضبت عليهم ودفعتهم أمام العدو، وسباهم سابوهم إلى أرض بعيدة أو قريبة، فاذا ردوا إلى قلوبهم فى الأرض التى يسبون إليها، ورجعوا وتضرعوا إليك فى أرض سبيهم قائلين : قد أخطأنا وعوجنا وأذنبنا، ورجعوا إليك من كل قلوبهم ومن كل أنفسهم فى أرض أعدائهم الذين سبوهم، وصلوا إليك نحو أرضهم التى أعطيت لآبائهم نحو

---

(١) يهو ٤ : ٩، ١٠، ١٦، ١٧ راجع أيضا يهو ٨ : ٦، مز ٣٥ : ١٣، مز ٦٦ : ١٠، إش ٥٨ : ١٥، إش ٤ : ٣.

(٢) دا ٩ : ٣.

(٣) يوئيل ١ : ١٣، ١٤.

المدينة التى اخترت والبيت الذى بنيت لاسمك، فاسمع فى السماء مكان سكناك صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم» (١).

«استمع صوت تضرعى إذ استغيث بك وأرفع يدى إلى محراب قدسك» (٢).

«فلما علم دانيال بامضاء الكتابة، ذهب إلى بيته، وكواه مفتوحة فى عليته نحو أورشليم فجثا على ركبتيه... وصلى وحمد قدام إلهه» (٣).

«فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت، وقال : دعوت من ضيقى الرب فاستجابنى، صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتى، لأنك طرحتنى فى العمق فى قلب البحار... فقلت قد طردت من أمام عينيك، ولكننى أعود أنظر إلى هيكل قدسك ... نزلت إلى أسفل الجبال... حين أعيت فى نفسى ذكرت الرب فجاءت إليك صلاتى إلى هيكل قدسك» (٤).

(٢) نحو الشرق :-

«لذلك فى المشارق مجدوا الرب، فى جزائر البحر» (٥).

«هكذا قال السيد الرب : باب الدار الداخلية المتجهة للمشرق يكون مغلقا ستة أيام العمل وفى السبت يفتح وأيضا فى يوم رأس الشهر يفتح. ويدخل الرئيس... ويقف عند قائمة الباب، وتعمل الكهنة محرقته وذبائحه السلامية فيسجد على عتبة الباب ثم يخرج، أما الباب فلا يغلق إلى المساء، ويسجد شعب الأرض عند مدخل هذا الباب قدام الرب فى السبوت وفى رؤوس الشهور.

«وإذا عمل الرئيس ناقلة محرقة أو ذبائح سلامة، ناقلة للرب، يفتح له الباب المتجه للمشرق، فيعمل محرقته وذبائحه السلامية كما يعمل فى يوم السبت ثم يخرج وبعد خروجه يغلق الباب» (٦).

«تطلعى يا أورشليم من حولك نحو المشرق، وانظرى المسرة الوافدة عليك من عند الله. ها أن بنيك الذين ودعتهم قادمون، يقدمون مجتمعين من المشرق إلى المغرب، بكلمة القدوس مبتهجين بمجد الله» (٧).

---

(١) راجع ١. مل ٨ : ٣٣ – ٢،٥٥. أى ٦ : ٢٤ ـ ٢،٤٠. أى ٢٠ : ٩، عز ١٠ : ١، مز ٥ : ٧.

(٢) مز ٢٨ : ٢. (٣) دا ٦ : ١٠. (٤) يون ٢ : ١ – ٧.

(٥) إش ٢٤ : ١٥. (٦) حز ٤٦ : ١ – ١٢، حز ٤٤ : ١، ٢. (٧) بار ٤ : ٣٦، ٣٧.

«ثم ذهب بى إلى الباب، الباب المتجه نحو الشرق، وإذا بمجد إله اسرائيل جاء من طريق الشرق وصوته كصوت مياه كثيرة، والأرض أضاءت من مجده ... فخررت على وجهى، فجاء مجد الرب إلى البيت من طريق الباب المتجه نحو الشرق» (١).

أوقات الصلاة :-

(أ) يصلى الاسرائيليون ثلاث مرات فى اليوم :-

«أما أنا فإلى الله أصرخ والرب يخلصنى : مساء وصباحا وظهرا (٢)، أشكو وأنوح فيسمع صوتى» (٣).

«فلما علم دانيال بامضاء الكتابة، ذهب إلى بيته، وكواه مفتوحة فى عليته نحو أورشليم فجثا على ركبتيه ثلاث مرات فى اليوم وصلى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك... حينئذ أجابوا وقالوا قدام الملك، ان دانيال الذى من بنى سبى يهوذا لم يجعل لك أيها الملك اعتبارا ولا للنهى الذى أمضيته بل ثلاث مرات فى اليوم يطلب طلبته» (٤).

(ب) لكن داود النبى كان يصلى سبع مرات فى اليوم :-

«سبع مرات فى النهار، سبحتك على أحكام عدلك» (٥).

(١) صلاة باكر أو صلاة الغداة :-

«يارب بالغداة تسمع صوتى بالغداة، أوجه صلاتى نحوك وأنتظر» (٦).

أما أنا فأغنى بقوتك، وأرنم بالغداة برحمتك» (٧).

«يا الله الهى أنت، اليك أبكر» (٨).

«اذا ذكرتك على فراشى، فى المهد الهج بك» (٩).

«أما أنا فإليك يارب صرخت، وفى الغداة صلاتى تتقدمك» (١٠).

---

(١) حز ٤٣ : ١ - ٤.

(٢) يبدأ اليوم حسب التقويم العبرى بعد غروب الشمس، وينتهى فى غروب شمس اليوم التالى، لذا قال داود : مساءً وصباحا وظهرا.

(٣) مز ٥٥ : ١٦، ١٧، مز ٨٨ : ١. (٤) دا ٦ : ١٠ - ١٣. (٥) مز ١١٩ : ١٦٤.

(٦) مز ٥ : ٣. (٧) مز ٥٩ : ١٦. (٨) مز ٦٣ : ١.

(٩) مز ٦٣ : ٦. (١٠) مز ٨٨ : ١٣.

«أشبعنا، بالغداة، من رحمتك فنبتهج ونفرح كل إيامنا» (١).

«اسمعنى رحمتك فى الغداة لأنى عليك توكلت» (٢).

(٢) صلاة الصبح (الثالثة) :-

«عند المساء يبيت البكاء، وفى الصباح ترنم» (٣).

«تقدمت فى الصبح وصرخت، كلامك انتظرت» (٤).

(٣) صلاة الظهر (نصف النهار) :-

«أما أنا فإلى الله أصرخ والرب يخلصنى، مساءً وصباحا وظهرا، أشكو وأنوح، فيسمع صوتى» (٥).

«ثم فى الغد ... صعد بطرس على السطح ليصلى نحو الساعة السادسة» (٦).

(٤) صلاة الساعة التاسعة :-

«فقال ايليا لأنبياء البعل : اختاروا لأنفسكم ثورا واحدا وقربوا أولا ... وادعو باسم آلهتكم ... فأخذوا الثور الذى أعطى لهم وقربوه ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر قائلين : يابعل أجبنا، فلم يكن صوت ولا مجيب.. ولما جاز الظهر وتنبأوا إلى حين اصعاد التقدمة ولم يكن صوت ولا مجيب ولا مصغ، قال ايليا لجميع الشعب : تقدموا إلىّ فتقدم جميع الشعب إليه، فرمم مذبح الرب المتهدم... وكان عند اصعاد التقدمة : أن ايليا النبى تقدم وقال : أيها الرب إله ابراهيم ... استجبنى يارب استجبنى» (٧).

---

(١) مز ٩٠ : ١٤.

(٢) مز ٩٢ : ١، ٢ راجع مز ١٤٣ : ٨، مز ١١٩ : ١٤٨، إش ٣٣ : ٢، صف ٣ : ٥.

(٣) مز ٣٠ : ٥.

(٤) مز ١١٩ : ١٤٧.

(٥) مز ٥٥ : ١٧.

(٦) يصلى مار بطرس الرسول صلاة الساعة السادسة أى صلاة الظهر بوصفه يهوديا أو بصفته مسيحيا ... أع ١٠ : ٩ راجع أيضا دا ٩ : ١٠، ١٣.

(٧) ١. مل ٢٨ : ٢٥ – ٣٧.

«وأنا (عزرا) جلست متحيرا إلى تقدمة المساء، وعند تقدمة المساء (١) قمت من تذللى وفى ثيابى وردائى الممزقة جثوت على ركبتى وبسطت يدى إلى الرب إلهى» (٢).

«وصعد بطـرس ويوحنا معا إلى الهيكل فى ساعة الصلاة، (وقد كانت) التاسعة (من النهار)» (٣).

«وكان فى قيصرية رجل يسمى كورنيليوس، قائد مئة (لفرقة) من الكتيبة التى تدعى الايطالية، (كان) تقيا يخاف الله (هو) وجميع بيته. فرأى بوضوح، فى رؤيا، نحو الساعة التاسعة من النهار، ملاكا من الله قد أتى إليه وقال له : ياكورنيليوس...

«فأجابه كورنيليوس، منذ أربعة أيام خلت، كنت صائما أصلى فى بيتى فى الساعة التاسعة وبغتة وقف أمامى رجل فى لباس بهى» (٤).

(٥) صلاة الغروب :-

«وأتى عماليق وحارب اسرائيل ... وأما موسى وهرون وحور فصعدوا على رأس التلة، وكان إذا رفع موسى يده أن اسرائيل يغلب، واذا خفض يده أن عماليق يغلب. فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذا حجرا ووضعاه تحته فجلس عليه، ودعم هارون وحور يديه : الواحد من هنا والآخر من هناك. فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس» (٥).

«لتستقم صلاتى كالبخور قدامك، ليكن رفع يدى كذبيحة مسائية» (٦).

---

(١) المساء عند العبرانيين ينقسم الى مسائين : الأول يمتد ما بين غروب الشمس والظلام، ويسمى الزمن الذى يمتد بينهما «بين العشائين» لا ٢٣ : ٥، عد ٩ : ٣، ٢٨ : ٤ والثانى: يمتد ما بعد ظهور الظلام.

«أما المساء الأول فيبتدئ من الساعة الثالثة بعد الظهر (أى الساعة التاسعة من النهار) وينتهى عند الغروب. وأما المساء الثانى فيبتدئ منذ الغروب، أى يبتدئ حيث ينتهى المساء الأول ويلاحظ أن تقدمة المساء تكون فى العشية أو بين العشائين (حسب التقويم والاصطلاح العبرانى) وبعبارة أخرى بين الساعة التاسعة من النهار والساعة الحادية عشرة أى بعد الغروب.

(٢) عز ٩ : ٤، ٥.

(٣) أع ٣ : ١.

(٤) أع ١ : ١ - ٣.

(٥) خر ١٧ : ٨ - ١٢.

(٦) المساء هنا ينصرف الى ساعة الغروب، وليس الى الليل (مز ١٤١ : ٢).

(٦) صلاة الليل أو النوم :-

«فالتفت إلى صلاة عبدك ... لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت نهارا وليلا ... لتسمع الصلاة» (١).

«تعبت فى تنهدى، أعوم فى كل ليلة سريرى بدموعى أذوب فراشى» (٢).

«إلهى أدعو فى النهار فلا تستجيب، فى الليل أدعو فلا هدو لى» (٣).

«وبالليل تسبيحة عندى، صلاة لإله حياتى» (٤).

«فى يوم ضيقى التمست الرب، يدى فى الليل انبسطت ولم تخدر» (٥).

«أذكر ترنمى فى الليل، مع قلبى أناجى» (٦).

«يارب إله خلاصى، بالنهار والليل صرخت أمامك، فلتأت قدامك صلاتى» (٧).

«فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى» (٨).

«بنفسى اشتهيتك فى الليل، أيضا بروحى فى داخلى إليك أبتكر» (٩).

(٧) صلاة نصف الليل :-

«وقال موسى هكذا يقول الرب، انى نحو نصف الليل أخرج فى وسط مصر... فحدث فى نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر فى أرض مصر» (١٠).

«فى منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك» (١١).

---

(١) ٢. أى ٦ : ٢٠.
(٢) مز ٦ : ٦.
(٣) مز ٢٢ : ٢.
(٤) مز ٤٢ : ٨.
(٥) مز ٧٧ : ٢.
(٦) مز ٧٧ : ٦.
(٧) مز ٨٨ : ١.
(٨) نش ٣ : ١.
(٩) إش ٢٦ : ٩، راجع مز ١٦ : ٧، مز ١٧ : ٣، مز ٣٢ : ٤، مز ٤٢ : ٣، مز ١٢ : ٢، مز ١١٩ : ٥٥، مز ١٣٤ : ١، جا ٨ : ١٦.
(١٠) خر ١١ : ٤، خر ١٢ : ٢٩.
ما أنفع الصلاة فى هذه اللحظة التى يخرج فيها السيد أو ملاكه ليتمشى بين الناس، وما أحوج النفس إليها ليرتد حمو غضب الرب عنها وعن سائر الشعب.
(١١) مز ١١٩ : ٦٢.

أنواع الصلاة :-

الصلاة انفرادية أو عائلية أو جمهورية :-

أولاً : الصلاة الانفرادية :-

إذا صلى الفرد فى خلوة صلاة لا يشاركه فيها أحد، فصلاته تسمى انفرادية ومثالها فى العهد القديم - ابتداء من عهد موسى - موسى ومنوح وحنة وصموئيل وداود، وسليمان وأليشع، وحزقيا، وعزرا، ونحميا، وطوبيا، ويهوديت، وأستير، وإرمياء، ودانيال، وسوسنة، ويونان، وحبقوق، ويهوذا المكابى ..... (١).

ثانياً : الصلاة العائلية :-

«وقال يشوع ... وأما أنا وبيتى فنعبد الرب» (٢).

«اسكب غضبك علىّ ... وعلى العشائر التى لم تدع باسمك» (٣).

ثالثاً : الصلاة الجمهورية :-

«فى كل الأماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكرا، آتى إليك وأباركك» (٤).

---

(١) راجع خر ٨ : ٢٩، ٣٠ - خر ١٧ : ٤، خر ١٧ : ١١ - ١٣، تث ٩ : ٢٦، قض ٦ : ٢٢، ٣٦، ٣٩ - قض ١٣ : ٨، ١ . صم ١ : ١٠، ١ . صم ٢ : ١، ١ . صم ١٢ : ١٨، ٢ . صم ٧ : ٢٧، إش ١٧ : ١٥، مز ١٤، مز ٥ : ٢، مز ٢٧ : ٧، مز ٣٩ : ١٢، مز ٥٤ : ٢، مز ٥٥ : ١، مز ٦١ : ١، مز ٨٦ : ٦، مز ٦٩ : ١٣، مز ٨٤ : ٨، مز ٤٢ : ٨، مز ٨٨ : ٢، مز ١٠٢ : ١، مز ١٤٣ : ١، ١ . مل ٨ : ٢٨، ٢ . أى ٦ : ٢٠، ٢ . مل ٦ : ١٧، ٢ . مل ٦ : ١٨، ٢ . مل ١٩ : ١٥، ٢ . مل ٢٠ : ٢، ٢ . أى ٣٢ : ٢٤، عز ٩ : ٦ ... الخ، ١٠ : ١، نح ١ : ٤، ٢ : ٤، طو ٣ : ١، يهو ٩ : ١، يهو ٤ : ٨ - ١٧، إش ١٤ : ٣، إر ٣٢ : ١٦ - ٢٥، إر ٤٢ : ٤، دا ٦ : ١٠، دا ٩ : ٣، ٤، دا ٩ : ١٧، ٢٠، دا ١٣ : ٤٢، يون ٢ : ١، يون ٢ : ٧، يون ٤ : ١، حب ١ : ٢، حب ٣ : ١، ١ . مكا ٣ : ٤٤ - ٥٠، ٥٣، ٢ . مكا ١١ : ٦.

(٢) يش ٢٤ : ١٥، راجع ٢ . صم ٦ : ٢٠، مز ٣٠.

(٣) إر ١٠ : ٢٥.

(٤) ترى إذن أن للصلاة فى الأماكن المقدسة المكرسة والمدشنة لله، بركة من الله نتيجة حضور الله فى هذه الأماكن، وتحقيقا لوعده الكريم، خر ٢٠ : ٢٤.

«فمزق يشوع ثيابه وسقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب الى المساء هو وشيوخ إسرائيل ووضعوا ترابا على رؤوسهم، وقال يشوع آه يا سيد الرب...» (١).

«وبارك داود الرب أمام كل الجماعة، وقال داود : مبارك أنت أيها الرب إله إسرائيل أبينا من الأزل وإلى الأبد ....» (٢).

«ووقف (سليمان) أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة إسرائيل وبسط يديه ... وقال : أيها الرب إله إسرائيل، لا إله مثلك ...» (٣).

«وتراءى الرب لسليمان ليلا وقال له ... فاذا تواضع شعبى الذين دعى اسمى عليهم وصلوا وطلبوا وجهى ورجعوا عن طرقهم الردية فانى أسمع من السماء وأغفر خطيتهم وأبرئ أرضهم، الآن عيناى تكونان مفتوحتين وأذناى مصغيتين إلى صلاة هذا المكان» (٤).

«واجتمع يهوذا ليسألوا الرب، جاءوا أيضا من كل مدن يهوذا ليسألوا الرب...

«فوقف يهوشافاط فى جماعة يهوذا وأورشليم فى بيت الرب أمام الدار الجديدة، وقال يارب إله ابائنا، أما أنت هو الله فى السماء» (٥).

«وفى اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر اجتمع بنو اسرائيل بالصوم وعليهم مسوح وتراب ووقفوا واعترفوا بخطاياهم وذنوب آبائهم، وأقاموا فى مكانهم وقرأوا فى سفر شريعة الرب إلههم ربع النهار، وفى الربع الآخر كانوا يحمدون ويسجدون للرب إلههم..

«ووقف على درج اللاويين يشوع وبانى ... وصرخوا بصوت عظيم إلى الرب إلههم» (٦).

وصرخ كل الشعب إلى الرب بابتهال عظيم، وذللوا أنفسهم بالصوم والصلاة هم ونساؤهم ولبس الكهنة المسوح وطرحوا الأطفال أمام هيكل الرب وغطوا مذبح الرب بمسح، وصرخوا

---

(١) فى الصلاة الجمهورية يرتفع صوت النائب (كاهنا كان أو نبيا أو ملكا) ويتابعه الجمهور باحساسه وقلبه وشعوره. يش ٧ : ٦ - ٩.

(٢) ١. أى ٢٩ : ١٠ - ١٦.

(٣) ٢. أى ٦ : ١٢ .. الخ، راجع أيضا ١. مل ٨ : ٢٢.. الخ.

(٤) ٢. أى ١٧ : ١٢ - ١٥.

(٥) ٢. أى ٢٠ : ٣، ٤، ٥ - ١٣.

(٦) نح ٩ : ١ - ٤.

جملة إلى الرب إله إسرائيل أن لا يجعل أطفالهم غنيمة ونساءهم مقتسما للأعداء ومدنهم خرابا، وأقداسهم نجاسة، وإياهم عارا بين الأمم، وجال الياقيم كاهن الرب العظيم فى جميع إسرائيل وكلمهم قائلا : اعلموا أن الرب يستجيب لصلواتكم إن واظبتم على الصوم والصلوات أمام الرب» (١) .

«وإذا خاطبهم بهذا الكلام تضرعوا إلى الرب وكانوا لا يبرحون من أمام الرب. وكان الذين يقدمون المحرقات إلى الرب لابسين المسوح يقربون ذبائح للرب والرماد على رؤوسهم، وكانوا بجملتهم يصلون إلى الله من كل قلوبهم أن يفتقد شعبه إسرائيل» (٢) .

«فلما قالوا هذا حدث بكاء وعويل عظيم فى الجماعة كلها، وصرخوا إلى الله بصوت واحد ساعات كثيرة قائلين : قد خطئنا نحن وآباؤنا وصنعنا الظلم والاثم. ارحمنا لأنك رحيم أو فانتقم عن آثامنا بأن تعاقبنا أنت ولا تسلم المعترفين بك إلى شعب لا يعرفك، لئلا يقال فى الأمم أين إلههم : ثم انهم كلّوا من الصراخ وخاروا من البكاء» (٣) .

«ورفعوا صلواتهم إلى الرب بالبكاء والعويل عامة بقلب واحد قائلين : أيها الرب إله السماء والأرض : أنظر إلى عتوهم والتفت إلى تذللنا ولا تغفل وجوه قديسيك» (٤) .

«هذه أذكرها فاسكب نفسى علىّ، لأنى كنت أمر مع الجُمّاع، أتدرج معهم إلى بيت الله بصوت ترنم وحمدو جمهور معيّد» (٥) .

«فرحت بالقائلين لى، إلى بيت الرب نذهب» (٦) .

«وتسير شعوب كثيرة ويقولون : هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا من طرقه ونسلك فى سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب» (٧) .

لاحظ ترتيب العبادة الجمهورية فهو قسمان «الأول، قسم تعليمى والثانى قسم عبادى : يصلون فيه ويسجدون، ومهمة الشمامسة واللاويين هنا هى الانذار بصوت مرتفع عال.

(١) ان الشعب مع كثرته لم يصل كل منهم كما اتفق بل قد اتحدت كلمتهم وبروح وقلب متحد كانوا يصلون جملة إلى الله، ومما هو جدير بالذكر فى ترتيبات العبادة أن الوعظ والارشاد جزء منها يقوم به المرشد الدينى أو الكاهن فيستثير شعور الشعب نحو العبادة والجهاد الروحى فيثابروا عليه بصبر واحتمال.

(٢) يهو٤ : ١٥ - ١٧ . (٣) يهو٧ : ١٨ - ٢٢ . (٤) يهو٦ : ١٤، ١٥ .

(٥) مز٤٢ : ٤ . (٦) مز١٢٢ : ١١ . (٧) إش ٢ : ٣ .

«آتى بهم إلى جبل قدسى، وأفرحهم فى بيت صلاتى، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحى لأن بيتى بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب» (١).

«وكان الناس يتبادرون من البيوت أفواجا ليصلوا صلاة عامة لسبب الهوان المشرف على الموضع» (٢).

مكان الصلاة الجمهورية ـ بيت الله :ـ

«بل المكان الذى يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه، سكناه تطلبون وإلى هناك تأتون، وتقدمون إلىّ هناك محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم ونذوركم ونوافلكم وأبكار بقركم وغنمكم، وتأكلون هناك أمام الرب إلهكم وتفرحون» (٣).

«فالمكان الذى يختاره الرب إلهكم ليحل اسمه فيه، تحملون إليه كل ما أنا أوصيكم به محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفع أيديكم وكل خيار نذوركم» (٤).

«اذا كان المكان الذى يختاره الرب إلهك ليضع اسمه فيه بعيدا عنك فاذبح من بقرك وغنمك التى أعطاك الرب كما أوصيتك وكل فى أبوابك من كل ما اشتهت نفسك» (٥).

«وتأكل أمام الرب إلهك فى المكان الذى يختاره ليحل اسمه فيه : عشر حنطتك وخمرك وزيتك وأبكار بقرك وغنمك، لكى تتعلم أن تتقى الرب إلهك كل الأيام، ولكن إذا طال عليك الطريق حتى لا تقدر أن تحمله، إذا كان بعيدا عليك المكان الذى يختاره الرب إلهك ليحل اسمه فيه إذ يباركك الرب إلهك، فبعه بفضة وصر الفضة فى يدك واذهب إلى المكان الذى يختاره الرب إلهك، وانفق الفضة فى كل ما تشتهى نفسك فى البقر والغنم والخمر والمسكر وكل ما تطلب منك نفسك، وكل هناك أمام الرب الهك وافرح أنت وبيتك واللاوى الذى فى أبوابك» (٦).

---

(١) إش ٥٦ : ٧ راجع أيضا زك ٨ : ١١، ٢٢.

(٢) ٢ ـ مكا ٣ : ١٨.

(٣) تث ١٢ : ٥ – ٧.

(٤) تث ٥ : ١١.

(٥) تث ١٢ : ٢١.

(٦) تث ١٤ : ٢٢ – ٢٧.

«لا يحل لك أن تذبح الفصح فى أحد أبوابك التى يعطيك الرب إلهك بل فى المكان الذى يختاره الرب إلهك ليحل اسمه فيه، هناك تذبح الفصح مساء نحو غروب الشمس فى ميعاد خروجك من مصر، وتطبخ وتأكل فى المكان الذى يختاره الرب إلهك ثم تنصرف فى الغد وتذهب إلى خيامك» (١).

«وكان لما أكمل سليمان بناء بيت الرب... أن الرب تراءى لسليمان ثانية كما تراءى له فى جبعون، وقال له الرب : قد سمعت صلاتك وتضرعك الذى تضرعت به أمامى، قدست هذا البيت الذى بنيته لأجل وضع اسمى فيه إلى الأبد، وتكون عيناى وقلبى هناك كل الأيام» (٢).

«وان رجعتم إلىّ وحفظتم وصاياى وسلمتموها، ان كان المنفيون منكم فى أقصاء السموات فمن هناك أجمعهم وآتى بهم إلى المكان الذى اخترت لإسكان اسمى فيه» (٣).

«فقال الرب لداود ... من أجل أنه كان فى قلبك أن تبنى بيتا لاسمى قد أحسنت بكونه فى قلبك، إلا أنك أنت لا تبنى البيت بل إبنك الخارج من صلبك هو يبنى البيت لإسمى» (٤).

«أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك، أسجد فى هيكل قدسك بخوفك» (٥).

«يارب أحببت محل بيتك وموضع مسكن مجدك» (٦).

«ما أكرم رحمتك يا الله، فبنوا البشر فى ظل جناحيك يحتمون، يروون من دسم بيتك ومن نهر فمك تسقيهم» (٧).

«طوبى للذى تختاره وتقربه ليسكن فى ديارك، لنشبعن من خير بيتك، قدس هيكلك» (٨).

«أدخل إلى بيتك بمحرقات» (٩).

«لأن غيرة بيتك أكلتنى» (١٠).

---

(١) ٢. مل ٩ : ١ - ٣.
(٢) ٢. أى ٧ : ١٥، ١٦ راجع عز ٦ : ١٢.
(٣) نح ١ : ٩.
(٤) ١. مل ٨ : ١٩.
(٥) مز ٥ : ٧.
(٦) مز ٢٦ : ٨.
(٧) مز ٣٦ : ٧، ٨.
(٨) مز ٦٥ : ٤.
(٩) مز ٦٦ : ١٣.
(١٠) مز ٦٩ : ٩.

«طوبى للساكنين فى بيتك أبدا يسبحونك... طوبى لأناس عزهم بك، طرق بيتك فى قلوبهم» (١).

«ببيتك تليق القداسة يارب إلى طول الأيام» (٢).

«أذكر يارب داود وكل ذله، كيف حلف للرب نذر لعزيز يعقوب، لا أدخل خيمة بيتى، لا أصعد على سرير فراشى، لا أعطى وسنا لعينى ولا نوما لاجفانى أو أجد مقاما للرب مسكنا لعزيز يعقوب» (٣).

«فنظرت وإذا بمجد الرب قد ملأ بيت الرب، فخررت على وجهى» (٤).

«فكانت كلمة الرب عن يد حجى النبى قائلا : هل الوقت لكم أن تسكنوا فى بيوتكم المغشاة وهذا البيت خراب.. هكذا قال رب الجنود... أصعدوا إلى الجبل وأتوا بخشب وأبنوا البيت فأرضى عليه وأتمجد، قال الرب» (٥).

«ولماذا يقول رب الجنود، لأجل بيتى الذى هو خراب، وأنتم راكضون كل إنسان إلى بيته، لذلك منعت السموات من فوقكم الندى، ومنعت الأرض غلتها ودعوت بالحر على الأرض وعلى الجبال وعلى الحنطة وعلى المسطار وعلى الزيت وعلى ما تنبته الأرض وعلى الناس وعلى البهائم وعلى كل أتعاب اليدين حينئذ سمع زربابل بن شالتئيل ويهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم وكل بقية الشعب صوت الرب إلههم وكلام حجى النبى كما أرسله الرب إلههم، وخاف الشعب أمام وجه الرب، ونبه الرب روح زربابل ... فجاءوا وعملوا الشغل فى بيت رب الجنود إلههم» (٦).

«لذلك هكذا قال الرب، قد رجعت إلى أورشليم بالمراحم، فبيتى يبنى فيها يقول رب الجنود» (٧).

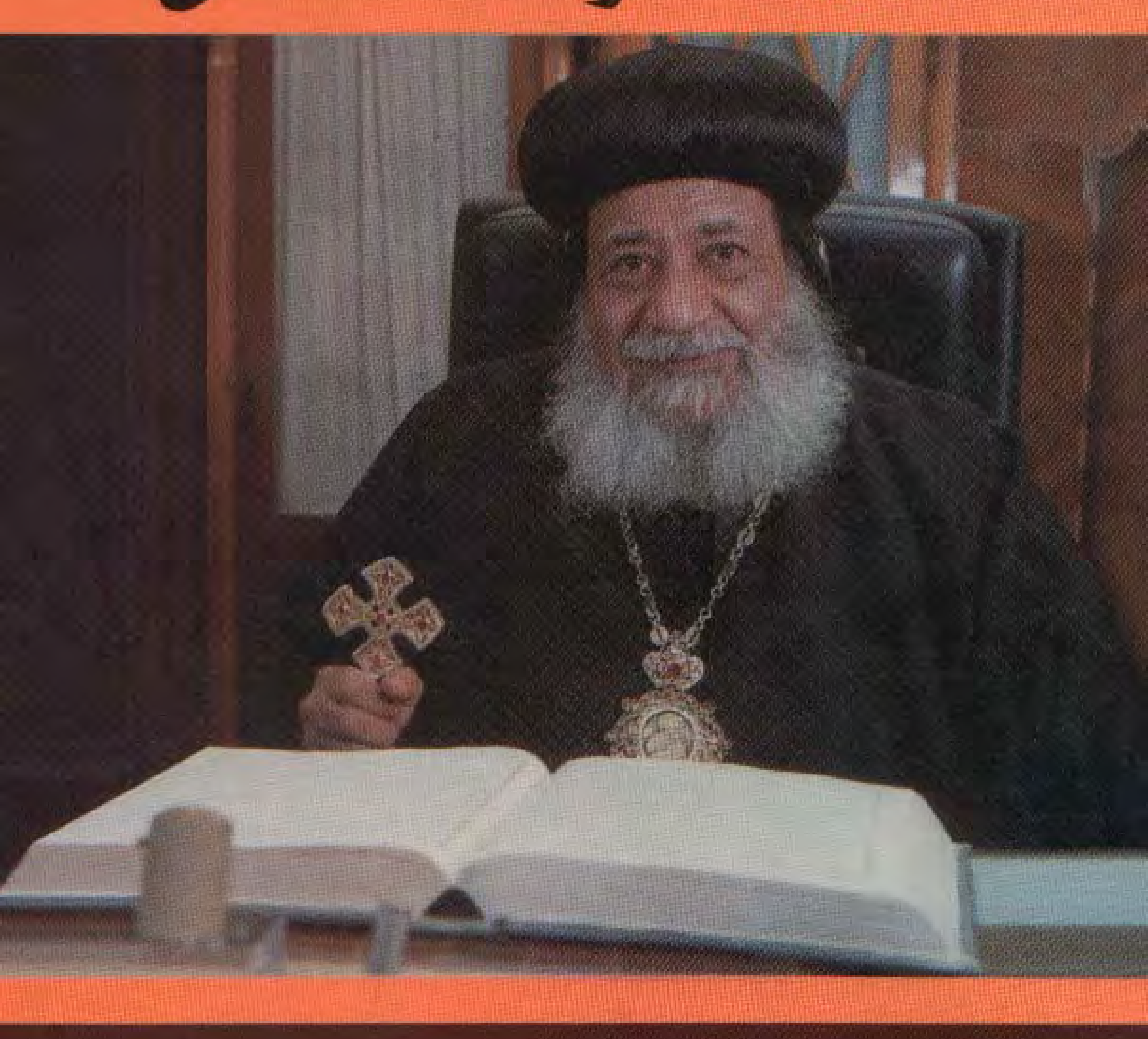
---

(١) مز ٨٤ : ٤، ٥.
(٢) مز ٩٣ : ٥.
(٣) مز ١٣٢ : ١ - ٥.
(٤) حز ٤٤ : ٤.
(٥) حج ١ : ٣ - ٨.
(٦) حج ١ : ٩ - ١٤.
(٧) زك ١ : ١٦، راجع أيضا ٢ . صم ٧ : ٥، ٢٧ - ١ . مل ٥ : ٣، ١ . مل ٦ : ١، ١ . أى ١٧ : ٤، ١ . أى ٢٢ : ٦، ٨، ١ . أى ٢٨ : ٣، ١ . أى ٣٦ : ٢٣، يهو ٤ : ٩، ١٥، ١٦، مز ٧٤ : ٧، إش ٦٦ : ١، إر ٧ : ١٠ - ١٢، حج ٢ : ٣، ٤، ٧، ٩، زك ٩ : ٨.

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٥- اللاهوت الطقسي



للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمي

موضوعـــات وإجابـــات على أسئـــلة

١ ـ الطقوس بين القاعدة والتطبيق(١)

مقدمة

ليست هذه المحاضرة درساً فى العقيدة، أو درساً فى الطقس، وإنما المقصود منها أن تكون مجرد تأملات فى نقاط متفرقة، وملاحظات للإكليريكيين الذين يعرفون الطقوس.

إن كنيستنا كنيسة طقسية نظامية تقليدية، والطقوس فيها ليست أموراً شكلية مادية جافة كما يظنها بعض الخارجين على الكنيسة، وإنما الطقوس لها معان روحية عظيمة. ولكل طقس، بل ولكل جزء من كل طقس، حكمة روحية، والذى لا يعرف حكمة الطقس لا يعرف للطقس معنى ويمسى الطقس بالنسبة له جسداً بلا روح.

وحتى الذين درسوا الطقوس، ولكنهم مع الأيام نسوا حكمة ترتيبها، والمعانى الروحية المنطوية وراءها، هم أيضاً بدأوا شيئاً فشيئاً يغفلون حكمتها ومعانيها الروحية، وأخذ يضعف إيمانهم شيئاً فشيئاً بقيمة الطقوس. ثم شرعوا شيئاً فشيئاً يهملون الطقوس. وأمسى عند البعض سواء أن يؤدى الطقس بهذه الصورة أو بتلك، طالما تحولت الطقوس بالنسبة لهذا البعض إلى مجرد رسوم خارجية شكلية جسدية مادية لا روح فيها.

وعلى ذلك فالذين صاروا يفهمون الطقوس على هذا النحو قد أساءوا إلى الطقوس وإلى كنيستهم، ولذلك بتنا فى حاجة إلى أن نراجع أنفسنا بإزاء هذا الواجب المقدس.

ورجال الدين والإكليريكيون أولى من غيرهم أن يعرفوا الحكمة المنطوية وراء كل طقس، وهم أيضاً أولى من غيرهم حرصاً على سلامة الطقوس وأدائها، بالروح والحق وبالدقة التى يجب أن تؤدى بها.

صدقونى إننا لو أدينا كل طقوسنا بروحانية وبتقوى وخشوع، ولو أديناها أيضاً بدقة وسلامة وأمانة كما وضعتها الكنيسة، لأظهرنا الطقوس فى صورتها الجميلة الجذابة التى تستهوى القلب وتؤثر فى أعماق النفس.

إن الطقوس لغة، وإذا أديت على صورتها الصحيحة كانت لحناً جميلاً، ولغة مفهومة قادرة على أن تصل إلى قلوب الناس، ولكن إذا لم يؤد الطقس على

---

(١) محاضرة ألقيت فى الحلقات الدراسية لخريجى الكلية الإكليريكية من ٦ – ٩ فبراير سنة ١٩٦٧م.

صورته السليمة الصحيحة الدقيقة فهو يتحول فى نظر البعض إلى رسوم لا قيمة لها ولا مغزى فيها. وبهذا نسئ إلى الطقوس وإلى كنيستنا، وبهذا تمسى سبباً لنفور الناس من الكنيسة بدلاً من أن تكون - كما قصد بها - وسيلة سهلة جذابة تجعل الدين سهلاً إلى قلوب الناس.

وعلى قول القديس الذهبى فمه «أيها المسيحى لو كنت روحاً خالياً من الجسد لكانت عطايا الله تمنح لك على هذا النمط، ولكن حيث أن روحك متحدة بجسد فلزم أن الله يعطيك بعلامات محسوسة ما لا يدرك بالعقل».

من هنا كانت ديانتنا عقيدة وطقساً فى نفس الوقت. أما العقيدة فهى يقينية الإيمان، وأما الطقس فهو التعبير الذى يعبر به الإنسان عن عقيدته. وكلما كان هذا التعبير له قوالب مرسومة صار وسيلة إيضاح سهلة ومفهومة، وأمكن أن يكون الطقس وهو صامت لغة تنقل فى يسر إلى قلوب الناس ونفوسهم وعقولهم العقائد الدينية التى تعبر عنها هذه الطقوس.

ومن هنا كانت جاذبية الطقوس بالنسبة للأطفال الذين يحبون الكنيسة مع أنهم لا يفهمون كلمة واحدة من الوعظ أو القراءات. فالكنيسة جذابة للطفل جداً لأن فيها طقوسها التى تشبع نفسياتهم واحتياجاتهم، ولذلك فإن أكبر عقوبة يعاقب بها الطفل هى حرمان أحد والديه له من ذهابه إلى الكنيسة.

لو لم تكن كنيستنا جذابة فى طقوسها للطفل، فلماذا يبكى الطفل إذا حرم من ذهابه إلى الكنيسة، مع أنه لا يفهم شيئاً من الوعظ أو من التعليم أو من القراءات أو ما إلى ذلك؟..

وليس حضور الطفل إلى الكنيسة عبثاً حتى ولو كان رضيعاً على كتف أمه، لأن الطفل ينتفع انتفاعاً كبيراً من حضوره إلى الكنيسة ووجوده فيها أكثر مما ينتفع الرجل البالغ والمرأة البالغة.

وقد أثبتت التجارب والعلوم التجريبية، وأثبت علماء الاجتماع على الخصوص، أن الديانات ذات الطقوس أثبت على الأيام من الديانات التى ليست لها طقوس. والديانات التى لها طقوس عزيزة على أصحابها بحيث يصبح من غير السهل عليهم أن ينسوا ديانتهم حتى لو أرادوا هم ذلك، لأن الطقوس تربطهم بالديانة وتثبت العقائد الدينية فى نفوسهم.

وكلما كان الطفل صغيراً كان أثر الطقوس فى نفسه كبيراً، ومن هنا كان رسوخ العقيدة الدينية إذا بدأت أن تدخل للطفل وهو فى سن الرضاعة.

ليس هذا درساً فى أهمية الطقوس بالنسبة إلى الأطفال، وليس حديثنا اليوم درساً ولا محاضرة فى الطقوس وصحتها، كما قلنا فى بدء الحديث. ولكنها ملاحظات قصدت أن أظهر بها الفرق بين الطقوس فى أصولها والطقوس وقد أهملت حكمتها فى بعض الأحايين، فأهمل بالتالى ترتيبها، وضاعت عند بعض الناس ، وبهذا أتلفنا قيمة الطقوس.

فإذا لم يهتم حماة الطقوس، وهم رجال الدين أولاً، بأن يصونوا كنيستهم وطقوسهم من الضياع والإهمال والاستهتار فى تتميمها على صورتها الدقيقة، فإن الكنيسة تصيبها أضرار بالغة.

فرجائى إلى رجال الدين أن يتخذوا حيطتهم وحرصهم على أن يرعوا للطقوس كرامتها، وأن يعرفوا كيف يمارسونها بوجه دقيق، أولاً بروحانية وتقوى، وثانياً أن يعرفوا الحكمة فى كل حركة، وثالثاً أن ينفذوا كل طقس بحذافيره كما أرادته الكنيسة أن يكون.

بعض ملاحظات من جهة مبنى الكنيسة

تعلمون أن الكنيسة ليست بيتاً كبيوت الناس ولا عمارة سكنية أو مدينة من أى نوع. إنها بيت لله يبنى وفقاً لتصميم خاص، وأكثرهم يعرف هذا التصميم وقد درسه. وأنا لا أريد أن أدخل فى هذه التفصيلات، ولكنى أريد أن أقول أننى بدأت أتخوف من عمارات بعض الكنائس الحديثة التى خرجت كثيراً أو قليلاً عن الأوضاع القديمة وعن الحكمة فى ترتيب كل جزء من بناء الكنيسة.

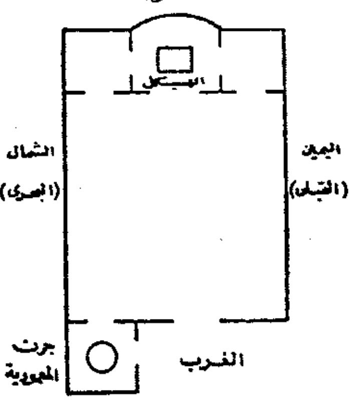
إنى أرى أن الجمعيات والهيئات ولجان الكنائس عند بناء الكنيسة يلجأون إلى مهندس لم يدرس على الغالب طقوس الكنيسة، وإنما درس العمارة فى كلية الهندسة أو فى كلية الفنون التطبيقية العليا. ولهذا تتحول الكنيسة فى نظره إلى عمارة يبنيها على نفس النمط، وحتى لو كان له بعض المعرفة يرشده إليها الكاهن، مع هذا يظل فارق بين الكنيسة كما يجب أن تبنى والكنيسة كما تبنى الآن بالفعل.

فى كل مرة دعيت أن أدخل إلى أى كنيسة من الكنائس الجديدة ودعيت أن أبدى رأياً، وجدت لى دائماً بعض الملاحظات، وللأسف بعد فوات الأوان، لدرجة أن الكاهن يقول لى أننا لا

نستطيع أن نعمل الآن أى تغيير! ولماذا كل هذا؟! لأن المهنس عادة ليست له معرفة كاملة بطقوس الكنيسة، كما أن المسئولين لا يقدمون له مواصفات كافية عن الكنيسة كما يجب أن تكون فى وضعها الكنسى الأصيل.

١ - وضع المعمودية :

خذ مثلاً لذلك جرن المعمودية، فطقس الكنيسة يتطلب أن يقام جرن المعمودية فى الجهة البحرية الغربية من الكنيسة، (انظر كتاب الدسقولية الباب ٣٥) ، ذلك لأن غير المعمد يكون خارج دائرة الإيمان، وبالمعمودية ينتقل إلى داخل هذه الدائرة، أو بالحرى بالمعمودية يدخل إلى ملكوت السماوات وأعنى بها الكنيسة.



فلابد أن يكون فى الغرب ثم ينتقل بعد المعمودية إلى الشرق، ولابد أن يكون إلى جهة الشمال (البحرى) بالنسبة إلى الداخل إلى الكنيسة فى اتجاه الهيكل ثم ينتقل بالمعمودية إلى جهة اليمين على النحو الآتى:

هذا هو الوضع الأصيل، ولكن كم من كنائسنا تراعى هذا الوضع أو تهتم به، أن عدداً كبيراً من كنائسنا تبنى بدون مراعاة للوضع الطقسى الأصيل.

وغالباً ما تقام المعمودية فى وضع يتعارض مع الطقس، بحيث يختفى تماماً المعنى الروحى العميق الذى يحمله وضع جرن المعمودية كما تعلم به الكنيسة المقدسة.

٢ ـ سمك حوائط الكنيسة :

خذ مثلاً آخر. كانت الكنائس القديمة تبنى حوائطها سميكة على الطريقة الفرعونية القديمة، حتى يكون عازلاً جيداً من حرارة وبرودة الجو الخارجى، فضلاً عن أن يكون عازلاً عن وصول الأصوات الخارجية فيتوافر للعابدين جو من الهدوء والسكون، والصمت المناسب للعبادة.

أما اليوم فقد تجاهلنا هذه الحكمة. وصرنا نبنى كنائسنا كما نبنى عمارات البيوت السكنية بحوائط نصف طوبة، ففقدنا الجو الذى كنا ولا زلنا نجده فى كنائسنا القديمة ذوات الحوائط

السميكة التى تغنى بطريقة بنائها عن تكييف الهواء، والتى يتوافر فيها حقاً الهدوء والسكون والصمت والعزلة التامة عن كل صوت من الأصوات الخارجية.

٣ - النوافذ والشبابيك :

خذ أيضاً مثلاً ثالثاً - كانت كنائسنا القديمة تتميز بخاصية الإضاءة الخافتة، فكانت النوافذ قليلة وعالية، وغالباً كان زجاجها غير شفاف أو مغطى بالزجاج الملون برسوم دينية جميلة كما فى كنيسة المعلقة مثلاً. والحكمة فى ذلك روحية وذهنية. **فالضوء الخافت مريح للأعصاب، ويساعد على تركيز الانتباه فى الصلاة، كما أنه يدعو إلى التهيب والوقار اللائقين بالمكان الطاهر.**

أما كنائس اليوم فما أكثر نوافذها، وما أوسع هذه النوافذ. كما أنها منخفضة، فتسمح بالضوء القوى الشديد، كما أنها تفتح العالم الخارجى على الكنيسة. فبتنا اليوم نسمع ونحن فى الكنيسة أصوات الباعة وأصوات الأغانى من المذياع فى البيوت المجاورة، ونظراً لانخفاض النوافذ واتساعها، صار من الميسور لمن فى الكنيسة أن يرى الناس الذين فى شرفات البيوت المجاورة. كما أن كثرة الإضاءة تساعد على تشتيت الانتباه وعدم التركيز فى الصلاة.

هل تعلمون أن تسليط أضواء قوية على عينى مجرم عنيد يحل شخصيته فينسى ما قاله أولاً، فينهار ثم يعترف بعد أن كان مصراً على الإنكار؟.. وهكذا يستعان فى التحقيقات القضائية بتسليط أضواء كهربائية قوية على عيون المجرمين العنيدين فيضطرونهم إلى الاعتراف.

ومن هنا نفهم خطأ الإضاءة القوية فى أماكن العبادة، لأنها تساعد على تشتيت الانتباه وعدم التركيز فى الصلاة وإثارة الأعصاب. وهى عكس الأمور المفروض توافرها فى الصلاة الخصبة المعزية.

وبعض كنائسنا الحديثة لم تكتف بكثرة النوافذ العريضة بل زادت عليها بإضاءة لمبات كهربائية ملونة. رصتها فى صفوف على كل حجاب الهيكل بصورة تتنافى مع الذوق الدينى، والوقار اللائق بأماكن العبادة. فضلاً عن أنها تمنع العابدين من الصلاة وتركيز الانتباه بما تحدثه من إضاءة قوية على عيونهم ووجوههم.

وماذا أقول عن خطأ النوافذ المنخفضة! إنها أيضاً لا تساعد على انصراف الذهن إلى العبادة بل تسمح للعين أن تتطلع إلى خارج، والذهن أن يشرد.

إن فى بعض كنائسنا الحديثة يستطيع المصلى وهو داخل الكنيسة أن يرى الناس فى شرفات المنازل المجاورة، فيتشتت انتباهه وينصرف بعيداً عن جو العبادة والخشوع، وإذا فتحت هذه

المنافذ ولا سيما فى الصيف فإنها نظراً لانخفاضها، كثيراً ما تسبب للمصلين أمراضاً كالزكام وأحياناً الروماتيزم بسبب تيارت الهواء التى تحدث نتيجة لهذه النوافذ المنخفضة والمتقابلة معاً.

وهكذا نرى أن انصرافنا عن الأوضاع الطقسية القديمة له مضاره الروحية والصحية أيضاً.

يجب أن تكون النوافذ قليلة ومرتفعة، والإضاءة عموماً فى الكنيسة يجب أن تكون خافتة تدعو إلى التهيب والوقار، وإلى تركيز الانتباه.

٤ ـ أبواب الكنيسة:

خذ مثلاً رابعاً ـ فى ترتيب الكنيسة الأصيل: **يجب أن تكون للكنيسة ثلاث أبواب: الباب الغربى ويدخل منه الشعب، والباب القبلى وكانت تدخل منه القرابين**. وكان هذا الباب عليه ستائر، ويقف عنده شماس يتلقى قرابين ونذور العابدين. ويكتب أسماءهم لينقلها إلى الأسقف أو الكاهن، ليذكرهم فى أوشية القرابين، ويصلى من أجلهم. والحكمة فى أن تدخل القرابين من باب خاص مستور عن عيون الناس هو أن تكون العطايا فى الخفية «وأبوك الذى يرى فى الخفية يجازيك علانية» كما يقول رب المجد.

وأما الباب الثالث، وهو فى الجهة البحرية فيدخل منه الإكليروس، مباشرة إلى الهيكل أو إلى الخوروس الأمامى.

هذا هو الوضع الأصيل المنصوص عنه فى الباب ٣٥ من الدسقولية. أما اليوم فكنائسنا بها حقاً ثلاثة أبواب، ولكنها صارت أبواباً مفتوحة فى صحن الكنيسة، وتفتح خصوصاً عند خروج الشعب من الكنيسة فصارت أشبه بأبواب المسارح ودور السينما، وفقدت الأبواب معناها الطقسى الأصيل.

٥ ـ الهيكل:

يقضى الطقس الكنسى أن لا يُسمح أن يدخل أحد إلى الهيكل أو يتناول القربان منه ما لم يكن على الأقل شماساً. وأما من الشعب فلا يسمح لأحد إلا للملك إذا كان مسيحياً وممسوحاً مسحة الملوك بالميرون المقدس (انظر قانون ٢٨ من قوانين مجمع اللاذقية).

وفى الكنائس القديمة طاقتان تطلان من الهيكل على الخوروس الأول وكان يسمى بخوروس المتناولين، كان الكاهن يحمل الصينية ويقرب من إحدى هاتين الطاقتين. وكان الكاهن الشريك أو الشمامسة إذا كان بدرجة دياكون يحمل الكأس ويقرب الشعب من الطاقة الأخرى.

أما اليوم فقد أغفلنا الحكمة من وجود هاتين الطاقتين وبالتالى نسينا الحاجة إلى وجودهما. وشيئاً فشيئاً زال وجودهما من كنائسنا الحديثة، **وصار الشعب من غير حملة الدرجات الكهنوتية يدخلون إلى الهيكل المقدس ويتقربون من داخل الهيكل، وكسرنا القانون الكنسى، ودسنا بأقدامنا مقدساتنا!** وذهبت هيبة الهيكل والأسرار المقدسة وضاعت حرماتها!!

٦ ـ هل تكشف الأسرار لغير المتناولين:

خذ مثلاً جديداً على انحرافاتنا الجديدة عن طقوسنا القديمة:

كانت الأسرار لا تكشف إلا للمتناولين فقط. وكان الكاهن يقدس وستائر المذبح مسدولة ونازلة من قبة المذبح، بحيث لا يكشف الكاهن وعمل التقديس لسائر الناس.

وكما جاء فى الدسقولية: «**ويكون المذبح فى وسط (الهيكل) وله ستارة تحوطه**» (باب ٣٥)، وجاء فيها: «**ويكون حول المذبح ستور من ثياب مطرزة مطهرة**» (باب ٣٥). وعند نهاية القداس، وعندما يحمل الكاهن القربان الطاهر ليقرب المؤمنين كان يقول الكاهن:

«**من كان طاهراً فليدن من الأسرار المقدسة. ومن كان غير طاهر فلا يدن منها لئلا يحترق بنار اللاهوت**».

وإذن فالكاهن لا يخرج بالذبيحة إلى كل الشعب وإنما لخوروس المتناولين فقط. وقد كان خوروس المتناولين هو الخوروس الأمامى، الذى يلى الهيكل مباشرة، والذى تشرف عليه الطاقتان الموجودتان بحجاب الهيكل. وكما قلنا كان الكهنة يناولون المستحقين للتناول منها.

وفى الكنائس الأولى يوجد حجاب آخر يفصل بين خوروس المتناولين وخوروس السامعين (وهو الخوروس الثانى). وهذا يؤكد أن الذبيحة كانت لا تكشف لغير المتناولين.

أما إن خوروس المتناولين قد تغير وضعه فى كنائسنا الحديثة، وصار على جانبى الهيكل، كما هو الحال فى أكثر كنائسنا. **فكان يجب عند نهاية القداس أن يسدل ستار الهيكل وتكشف الأسرار للمتناولين على جانبى الهيكل، حيث أن الباقين فى الكنيسة من**

غير المتناولين يعدون فى صف السامعين. وهؤلاء لا يجوز كشف الأسرار لهم خاصة وأن بينهم غير مؤمنين وفاترين، وغير مستحقين.

جاء فى الدسقولية «وليقدس الأسقف (أو الكاهن) وهو قائم على المذبح والستارة مرخية وداخلها معه القسوس والشمامسة...» (باب ٣٨).

ويلاحظ أن هذا المبدأ متبع عند الكنائس الأرثوذكسية الأخرى التى تتفق معنا فى العقيدة.

أما الآن فالمتبع فى كنائسنا الحديثة أنه على الرغم من نقل خوروس المتناولين من أمام الهيكل إلى جانبى الهيكل، لا يزال ستر الهيكل مرفوعاً والهيكل مكشوفاً. **بل يخرج الكاهن بالذبيحة المقدسة، وأحياناً يخرج بها مكشوفة من غير القبة واللفافة على الصينية، ويبارك الشعب، الأمر الذى لا أساس له من الطقس، وليس فيه حكمة**. ولست أفهم معنى خروج الذبيحة بهذه الصورة إلى غير المتناولين.

لقد نسينا الأصل، وأبقينا على الشكل من دون إلتفات إلى أننا غيرنا وضع خوروس المتناولين من الأمام إلى الجانبين!!

٧ ـ الأدوات والأشياء التى تدخل الهيكل:

من الحقائق المقررة فى الكتاب المقدس أن كل آلة أو إناء يدخل إلى هيكل الرب يصبح مقدساً. ولا يجوز أن يخرج منه ولا أن يستخدم فى أى غرض آخر.

ومن بينات ذلك أنه عندما قدم مائتان وخمسون رجلاً من بنى إسرائيل البخور فى مجامر، وخرجت نار من عند الرب فأكلت المئتين والخمسين رجلاً الذين قربوا البخور، «كلم الرب موسى قائلاً «مر ألعازر بن هرون الكاهن بأن يرفع المجامر من الحريق لأنها قد تقدست.. وأما مجامر أولئك المجرمين على نفوسهم فتصنع صفائح مطروقة غشاء للمذبح لأنهم قدموها أمام الرب فصارت مقدسة» (العدد ١٦ : ٣٥ – ٣٨).

وقد قال مخلصنا «ما الأعظم الذهب أم الهيكل الذى يقدس الذهب» (متى ٢٣ : ١٧). فكل ما يدخل هيكل الرب يصير مقدساً.

أما الآن فنرى عند قدوم أحد الأساقفة يجيئون له بكرسى خاص من خارج ويدخلونه إلى الهيكل ، وبعد أن تنتهى خدمة القداس يخرجون الكرسى من الهيكل ويذهبون به إلى حيث أتى.

أقول أن هذا غير جائز، لأن هذا الكرسى بدخوله الهيكل قد تقدس، فلا يجوز إخراجه ولا يجوز استخدامه فى غرض آخر.

وعلى هذا القياس، يجب أن يراعى فى القداسات المتنقلة التى تقام فى القرى فى بعض بيوت المؤمنين، أن تخصص قاعة أو حجرة لهذا الغرض. ويجب أن تغلق ولا تستخدم بعد ذلك فى غرض آخر.

والطاولة التى يستخدمونها بمثابة مذبح يوضع عليه لوح العهد يجب أن تكرس وتوقف لهذا الغرض، ولا تستخدم لغرض آخر. وإلا فإننا نجلب على أنفسنا دينونة عظيمة.

٨ - هل يجوز إقامة حفلات أو محاضرات غير دينية فى الكنيسة:

أقول كلا. هذا لا يجوز. المحاضرات غير الدينية، علمية كانت أو اجتماعية، والحفلات حتى لو كانت دينية، والروايات التمثيلية والأفلام الدينية ولو كانت أفلاماً تختص بالسيد المسيح نفسه، لا يجوز بتاتاً أن تقام أو تعرض فى الكنيسة.

إن الكنيسة مخصصة للعبادة والطقوس الدينية. أما المحاضرات غير الدينية والحفلات حتى لو كانت دينية، فتقام فى قاعات مخصصة لذلك.

وبهذه المناسبة أقول أننى أتمنى لو أن دروس مدارس التربية الكنسية يكون لها غرف خاصة من بين ملحقات الكنيسة، يتلقى فيها الأطفال دروسهم. حيث أن للدروس بالنسبة للطفل جواً لا يتناسب مع وقار الكنيسة. إنى أرجو أن تكون لكل كنيسة غرف ملحقة بها يتلقى فيها الأطفال دروسهم الدينية الكنسية.

أما الكنيسة فيدخلها الأطفال مع مدرسيهم فى بدء الدرس ليسجدوا أمام الهيكل المقدس، ويقفوا بأدب وخشوع واحترام يصلون ويرتلون ثم يسجدون ويخرجون إلى فصولهم الدراسية. وبعد الفراغ من الدروس يعودون مرة أخرى إلى الكنيسة ويسجدون أمام الهيكل ثم يصلون ويرتلون وينصرفون إلى بيوتهم فى هدوء وخشوع. بهذا نحتفظ للكنيسة فى ذهن الطفل بالوقار اللائق بها.

٩ - هل يجوز إقامة قاعات للوعظ:

أقول أن الوعظ جزء من أعمال الكهنوت، وهو كما يقول الرسول أنه «خدمة إنجيل الله الكهنوتية» (رومية ١٥ : ١٦). وعلى ذلك فهو يقام فى الكنيسة إذا

وجدت. فإذا أقيمت قاعة للوعظ فى مكان ليست به كنيسة، فيجب أن تعتبر هذه القاعة مقدمة لكنيسة فى مستقبل الأيام. لأنها قد تقدست بكلمة الله والصلاة. وكل شئ يقدس بكلمة الله والصلاة (تيموثيئوس الأولى ٤ : ٥).

ولهذا أوصى مخلصنا تلاميذه «وقال لهم أى بيت دخلتموه فكونوا فيه حتى تخرجوا من هناك» (مرقس ٦ : ١٠)، (لوقا ٩ : ٤) «وامكثوا فى ذلك البيت.. لا تنتقلوا من بيت إلى بيت» (لوقا ١٠ : ٧).

وقد احترم الرسل وصية معلمهم. وتحولت نفس هذه البيوت إلى كنائس فيما بعد.

وهنا أقول مرة أخرى يجب أن يراعى هذا الأمر فى البلاد أو القرى التى ليست بها كنائس. لا ننسى أن ننظر إلى الوعظ على أنه جزء من أعمال الكهنوت. **وهذا هو السبب فى أن الوعظ لا يقوم به غير حملة الدرجات الكهنوتية.**

وقديماً كانت كنيستنا أشد حرصاً على احترام هذا المبدأ حتى أن أوريجينوس مدير المدرسة اللاهوتية حوكم لأنه وعظ بالكنيسة ولم يكن من حملة الدرجات الكهنوتية.

١٠ ـ هل يجوز الإقامة بالكنيسة:

قديماً كانت الكنائس تقام فى مكان بعيد عن المساكن. لا كلفاً بالهدوء فقط، ولكن مراعاة لقداسة الكنيسة أيضاً. وكان المسيحيون يخافون من الإقامة بعائلاتهم إلى جوار الكنيسة، خوفاً من أن يكون فى بيوتهم شئ مما لا يليق بقدسية المكان الطاهر، فيقعون تحت طائلة القصاص الإلهى كما حدث لبيوت الفلسطينيين من الخراب والأمراض والموت، بسبب دخول تابوت عهد الرب بينهم ولم يكونوا مستحقين (صموئيل الأول ٥ : ١ – ١٢).

والكهنة أيضاً إذا كانوا متزوجين فيقيمون بعائلاتهم خارج الكنيسة.

١١ ـ لغة القداس:

فهناك اتجاه عند بعض الناس المتحمسين للغة القبطية، لغة آبائنا وأجدادنا مؤداه أنهم يرون أن القداس يجب أن يقال كله باللغة القبطية، ويقدمون على ذلك أدلة تاريخية وأدلة قومية وأدلة فنية.

وهناك اتجاه آخر على عكس الإتجاه الأول مؤداه أن اللغة القبطية لم تعد لغة مفهومة من الشعب، وعلى ذلك يرون أن الصلاة ينبغى أن تكون كلها باللغة العربية، وأن الصلاة باللغة القبطية منفر للشعب يسبب انصراف الشعب عن الكنيسة وانضمامه إلى الطوائف الأجنبية.

وفى اعتقادى أن كلا الاتجاهين متطرف. وربما كان الأفضل أن يصلى القداس بعضه باللغة القبطية وبعضه باللغة العربية.

ولا شك أن اللغة القبطية هى لغتنا ولغة بلادنا، ولغة آبائنا وأجدادنا، والاحتفاظ بها يصون وحدتنا، ويصون رابطتنا بكنيستنا. فاللغة القبطية تراث ثمين يجب أن نعتز به، وهو رباطنا بالماضى العريق. **ولكن احتفاظنا باللغة لا يكون على حساب الفهم، ولا على حساب العبادة.**

وقديماً كانت كنيستنا فى أول عهدها بالمسيحية تصلى باللغة اليونانية، لأنها كانت اللغة العالمية التى يفهمها جميع المؤمنين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، والكنيسة بطبيعتها جامعة رسولية. وجامعية الكنيسة تقتضى أن تكون الصلاة بلغة جامعة يفهمها الجميع. فلما بدأ الأقباط يترجمون القداس من اللغة اليونانية إلى اللغة القبطية احتفظوا مع ذلك ببعض الصلوات فى لغتها اليونانية ولم يترجموها إلى اللغة القبطية كما ترجموا غيرها من الصلوات.

فمردات الشماس معظمها لا زال حتى اليوم يقال باللغة اليونانية لا اللغة القبطية، ذلك لأن الشماس كان ينادى الشعب وينبههم إلى الوقوف مثلاً أو إلى أن يطلبوا إلى الله من أجل المرضى أو من أجل المسافرين أو من أجل الراقدين.. إلخ. فلابد أن يكون النداء بلغة يفهمها كل المصلين فى الجامعة الرسولية على اختلاف أجناسهم ولغاتهم.

ويقول القديس بولس: «وإن أبدى البوق صوتاً غير بين فمن يستعد للقتال. فكذلك أنتم إن لم تبدوا باللسان كلاماً مفهوماً، فكيف يعرف ما يقال، إذن يكون كلامكم فى الهواء.. **فإن كنت لا أعرف قوة الصوت أكون عند الناطق به أعجمياً ويكون الناطق أعجمياً عندى» (كورنثوس الأولى ١٤ : ٨ - ١١).**

وكذلك احتفظ الأقباط ببعض مردات الشعب باللغة اليونانية. وهى المردات التى يجب أن

يشارك فيها جميع المصلين بالكنيسة على اختلاف لغاتهم، من ذلك «كيرياليصون» وما ترجمته «كرحمتك يا رب وليس كخطايانا». وما ترجمته «بموتك يا رب نبشر.. إلخ».

ومن هنا نفهم أن آباء الكنيسة كانوا يفضلون المعنى على اللفظ، وكانوا يضحون باللغة من أجل الفهم، ولكى تكون العبادة عبادة عقلية صادرة عن فهم وعن وعى.

لذلك أرى أنه من الأنسب أن يصلى القداس بعضه بالقبطية وبعضه بالعربية، **خاصة ابروسات الشماس أو مردات الشماس يجب أن تقال كلها باللغة العربية** مادامت هى لا باللغة القبطية بل باللغة اليونانية، وما دام مفروضاً أن الشماس ينذر بها الشعب ويبلغهم أمراً بالنيابة عن الكاهن بالوقوف أو السجود أو الطلب من أجل المرضى أو المسافرين، أو الراقدين أو مقدمى القرابين.. إلخ.

وكذلك مردات الشعب التى بالرومية تقال أيضاً باللغة العربية ليعبر بها كل الشعب عن شكره وطلب الرحمة والغفران.

وأما الأجزاء الأخرى من القداس فلا بأس من أن يصلى الكاهن بعضها بالقبطية وبعضها بالعربية، وفى القداس التالى يصلى بالقبطية ما صلاه بالعربية، وبالعربية ما صلاه أولاً باللغة القبطية. وبهذا نجمع بين احتفاظنا باللغة القبطية وبين فائدة الشعب الذى يجب أن يكون متابعاً لمعانى الصلوات باللغة التى يفهمها والتى يفهم قوة مدلولاتها اللفظية.

١٢ ـ لغة الإذاعة:

هذا يقودنى إلى أن أبدى رأياً فيما يتصل بإذاعة القداس الإلهى. والمعروف أن القداس صلوات لها قدسيتها وكرامتها، ويجب احترامها والحذر من ابتذالها. **ولقد كان آباؤنا لا يسمحون لغير المؤمنين أن يحضروا صلوات القداس**. وكانت الكنيسة تغلق أبوابها ابتداء من لحظة رفع الابروسفارين (ستر المذبح). وكان الشماس ينادى بصوت عال ويقول «إن كان هنا موعوظ أو غير مؤمن فليخرج خارجاً». وإلى اليوم لا زال عند اليونان يقول الشماس عند بدء القداس «الأبواب الأبواب»، وهو تنبيه إلى الإيبودياكونيين الذين كان عملهم حراسة الأبواب أن يتولوا إخراج الموعوظين وغير المؤمنين من الكنيسة، ثم يغلقون الأبواب فلا يدخل أحد بعد ذلك إلى الكنيسة. وكل هذا يدل على حرص الكنيسة على احترام المقدسات.

وعلى ذلك فإنى أرى أن تذاع بعض الأجزاء باللغة العربية كالقراءات والعظة وبعض الأواشى والصلوات. أما الأجزاء الأخرى فيجب أن يشدد على تلاوتها باللغة القبطية ولا سيما عبارات التقديس والاعتراف الأخير.

١٣ ـ ثلاث القداسات المستعملة:

احتفظت كنيستنا إلى اليوم بثلاث قداسات:

١ ـ أما القداس الأول فهو القداس المرقسى، ويسمى أيضاً القداس الكيرلسى فهو القداس المرقسى لأنه قداس القديس مرقس الرسول وهو الذى صلى به، وسلمه إلى كنيستنا منذ الابتداء. وظل يسلم من جيل إلى جيل بالتقليد الشفاهى، إلى أن دونه البابا كيرلس الأول (الرابع والعشرون من بابوات الأسكندرية) المعروف بعمود الدين. ولذلك نسب أيضاً إلى القديس كيرلس، فصار يسمى بالقداس الكيرلسى، ولو أنه هو أصلاً قداس القديس مرقس الرسول.

٢ ـ أما القداس الثانى فهو القداس الباسيلى، والمنسوب إلى القديس باسيليوس الكبير.

٣ ـ وأما القداس الثالث فهو القداس الغريغورى، والمنسوب إلى القديس غريغوريوس الثيولوغوس (الناطق بالإلهيات)، المعروف بالنازيانزى.

ويتضح من كتب الكنيسة وأقوال الآباء أن القداس الباسيلى كان يصلى به فى الأيام السنوية. والقداس الغريغورى يصلى به فى الأعياد السيدية لأنه موجه إلى أقنوم الابن. وأما القداس الكيرلسى فكان يصلى به فى الأصوام العامة، ولاسيما فى الصوم الكبير نظراً لطول هذا القداس.

وفى الأصوام يميل العابدون إلى أن يقضوا فى الكنيسة وقتاً أطول.

ومع بالغ الأسف أهمل القبط القداس المرقسى أو الكيرلسى مع أنه قداسهم الأول، وقداس كاروز الديار المصرية مؤسس كنيستهم. وقد كتب المستشرقون والباحثون فى العلوم القبطية عن هذا القداس، ومدحوه كثيراً ووجدوا فى صلواته عمقاً روحانياً أكثر مما فى القداسين الآخرين. **وقد أبدى بعض هؤلاء العلماء أسفاً بالغاً لأن قبط اليوم أهملوا هذا القداس الروحانى العميق واكتفوا بالقداسين الآخرين. بل وأجرؤ وأقول أننا نوشك أيضاً أن نهمل القداس الغريغورى أيضاً. وكهنتنا اليوم يكتفون بالقداس الباسيلى وبعض أجزاء من القداس الغريغورى.**

ولذلك نحاول نحن فى الكلية الإكليريكية وفى قسم الموسيقى والألحان بمعهد الدراسات القبطية الاهتمام بإحياء الصلاة بالقداس الكيرلسى والقداس الغريغورى كاملاً إلى جانب تسجيل القداس الباسيلى. هذا وليس استطراداً أن أذكر أنه من المسلم به أن **جميع الأواشى المعروفة الكبيرة والصغيرة كلها مأخوذة أصلاً من القداس المرقسى أو الكيرلسى وهى المستعملة أيضاً فى القداسين الآخرين.**

يا ليتنا نهتم جميعاً بهذا الأمر، إحياء القداس الكيرلسى والتقديس به وكذلك أن نصلى به فى الأصوام، وبالقداس الغريغورى فى الأعياد السيدية وبالقداس الباسيلى فى الأيام السنوية.

١٤ ـ هل يجوز إقامة قداس يومى:

نعم يجوز. وترتيب فصول الكنيسة يدل على أنه يمكن أن يقام قداس فى كل يوم. والحق أن إقامة قداس يومى أمر نافع، لأنه شفاعة قائمة متصلة. وكم هو قوة للشعب وحصن للكنيسة يدفع عنها شروراً كثيرة، وهو غوث للمرضى وللمشرفين على الموت وللمسافرين ولكل من يريد أن يتقدم إلى الأسرار المقدسة.

على أن إقامة قداس كل يوم تتطلب أن يكون بالكنيسة عدد من الكهنة يكفى لهذا الغرض. ولما كان التقديس مهمة خطيرة وتتطلب استعداداً كاملاً فى بلدة بها قسيس واحد. لذلك ينبغى أن يراعى لتحقيق النفع من إقامة القداس يومياً أن يكون بالبلدة عدد من الكهنة يتبادلون الخدمة. وما لم يتوافر هذا الشرط يكتفى بإقامة القداس فى ثلاثة أيام وهى الأحد والأربعاء والجمعة. أما فى الأصوام فيمكن إضافة أيام أخرى حسب الإمكانيات وكما ترى الرياسة الدينية موافقاً للصالح العام من كل الوجوه.

١٥ ـ قربان الحمل:

يقضى القانون الكنسى أن القيِّم هو الذى يصنع القربان. والقيم ليس هو فراش الكنيسة، ولكنه رجل نال رتبة كنسية أقامه فيها أسقف. فالشماسية درجة لها سبع رتب، ولكل رتبة فيها اختصاص، أولها رتبة القيم وهو ما يعرف بالقرابنى الذى يصنع القربان، وهو أيضاً الذى يقوم بتنظيف الكنيسة. ومن لم يكن مقاماً بمعرفة الأسقف فى درجة قيم لا يجوز له أن يصنع القربان ولا أن يمس تراب المذبح ولا التراب الذى على حوائط الكنيسة ونوافذها.

وعلى القيم الذى يصنع القربان أن يكون طاهراً روحاً وجسداً، وأن يصنعه من دقيق السميذ النقى، وأن يصلى كل المزامير فى أثناء عجن الدقيق (١٥٠ مزموراً) . وأن يقدم قربان الحمل بلا عيب، ولا يخلط به الملح.

هذا ما تأمر به الكنيسة فى قوانينها وطقوسها، ولكن كنائسنا اليوم تعين فراشاً فى الكنيسة ويصير بحق تعيينه فراشاً، قيماً يخول له حق صنع القربان وتنظيف الكنيسة من دون أن يقيمه الأسقف فى رتبة القيم. وهذا القيم هل يصنع القربان طبقاً للطقس الكنسى؟ وهل يصنعه من دقيق السميذ النقى بلا ملح؟ وهل يصلى المزامير أثناء صنعه وهل يصنعه سليماً بلا عيب؟ هذه الأسئلة من يجيب عليها؟ ومن المسئول عن الإشراف على هذه العملية أن تجرى طبقاً للقانون الكنسى الكائن.

فى كثير من الأحيان لا يجد الكاهن قربانة واحدة تصلح أن تكون حملاً بلا عيب لأن القربان الذى يقدم للكاهن كله كسور وعيوب وحروق.

وهنا قُدّم إلى سؤال هل يجوز لزوجة القيم أن تصنع معه القربان؟ والجواب واضح أن هذا لا يجوز، لأن عمل القربان عمل من اختصاص رجل أقيم فى رتبة كنسية خاصة.

*** رتب درجة الشماسية هى:**

١ ـ القيم ٢ ـ الأناغنوستيس (القارئ).

٣ ـ الأبصلتس (المرتل) ٤ ـ الإيبودياكون (نائب الشماس).

٥ ـ الشماسة المرأة وهى فى درجة إيبودياكون ٦ ـ الشماس (الدياكون).

٧ ـ الأرشيدياكون (رئيس الشمامسة).

١٦ ـ البخور:

المفروض أن يكون البخور مركباً من مواد إذا أُحرقت خرجت منها رائحة زكية ترمز إلى الصلوات النقية، كما يقول النبى فى المزمور «لتقم صلاتى كالبخور أمامك» (مز ١٤٠(١٤١): ٢) ولذلك يسمى فى الكتاب المقدس «بالبخور العطر» (الخروج ٢٥: ٦)، (٣٥: ٨)، (٣٧: ٢٩)، (٣٩: ٢٨)، (اللاويين ١٦: ١٢).

وقد أمر الرب أن يركب البخور من مجموعة مواد وبنسب مخصوصة، «وقال الرب لموسى: **خذ لك أعطاراً صموغاً (أو أظفاراً) وميعة وقنة عطرة، ولباناً نقياً، أجزاء متساوية تكون. واصنعها بخوراً عطراً صنعة عطار مملحاً نقياً مقدساً**. وتسحق منه ناعماً.. قدس أقداس يكون عندكم.. والبخور الذى تصنعه على مقاديره لا تصنعوا لأنفسكم يكون عندك مقدساً للرب» (الخروج ٣٠: ٣٤ - ٣٧).

أما بخورنا اليوم فأقل ما يقال فيه أنه ليس مركباً كأمر الرب، ولذلك فإن رائحته ليست زكية، ولا ينطبق عليه أنه بخور عطر. وفى بعض الأحيان يكاد الكاهن الذى يستعمله أن يختنق برائحته غير المقبولة والضارة بالحنجرة وأوتار الصوت.

١٧ - الجمر:

إن المجمرة أو الشورية سميت كذلك نسبة إلى جمر النار الذى فيها. وكما أن الجمرة ترمز إلى العذراء التى حل فيها جمر اللاهوت، فالجمر يرمز إلى مخلصنا الذى حل فى أحشاء مريم البتول وولد منها. **والجمر هو الفحم المتوهج بالنور وهو يرمز إلى اللاهوت متحداً بالناسوت فى ربنا يسوع المسيح. والمفروض أن تكون مادة الجمر فحماً (أمثال ٢٦ : ٢١) من مادة قوية تحتفظ بالنار أطول مدة ممكنة حتى يستمر توهجها، وتقدم بذلك صورة الجمر.**

لكننا اليوم أتلفنا الطقس إذ يكتفى البعض منا بنوع من الأعواد سريعة الاحتراق ولا تكاد تضئ حتى تنطفئ وتتحول سريعاً إلى تراب. وهكذا فقد الطقس معناه، ولم يعد وسيلة إيضاح كافية للمعنى اللاهوتى والروحى المنطوى وراءه. هل يجرؤ أحد أن يسمى تلك الأعواد الضعيفة أو القطع الصغيرة من البرشام الصغير المستدير الرقيق النحيل، أن يسميها جمرة كتلك الجمرة التى أخذها أحد السيرافيم بملقط من على المذبح ومس بها شفتى إشعياء النبى (إشعياء ٦: ٦، ٧)؟ وقد استعارها القداس الكيرلسى فى صلاة «القسمة» للإشارة بها إلى سر القربان المقدس حيث اللاهوت متحداً بالناسوت.

١٨ - تحليل الخدام:

من الذى يتلو تحليل الخدام؟

إن لكنيستنا آداباً يجب أن نراعيها. فإذا كان البابا البطريرك حاضراً فهو الذى يتلوا التحليل

حتى لو كان بين المطارنة والأساقفة أو القسوس من هو أكبر منه سناً. وإذا كان المطران أو الأسقف هو أكبر الخدام، فهو الذى يتلو تحليل الخدام حتى لو كان بالكنيسة قمص أو قسيس أكبر من المطران أو الأسقف سناً.

فالقاعدة أن صاحب الدرجة الكهنوتية الأعلى هو الذى يعطى التحليل بغض النظر عن سنه. فإذا تساوت الدرجة الكهنوتية عند إثنين أو أكثر، قُدم الأقدم رسامة فإذا تساوت الدرجة الكهنوتية والأقدمية فيها قُدم الأكبر سناً.

لكننا نلاحظ أحياناً أن القسيس يعطى التحليل بينما يكون القمص موجوداً وهذا لا يليق. بل صدقونى أننى رأيت مرة كاهناً مسناً فى درجة قمص طلب من ابنه القسيس أن يتلو تحليل الخدام.

لا تقولوا أن هذه مسألة غير ذات أهمية، ولا تُدخلوا الاتضاع فى حساب الموضوع، فالأمر يتعلق أولاً بكرامة الكهنوت. والكتاب المقدس يقرر أن الأصغر يُبَارَك من الأكبر (عبرانيين ٧ : ٧). لقد كان إبراهيم أبو الآباء خليل الله وكان أيضاً كاهناً بل بطريركاً لكنه خضع لملكى صادق لأن كهنوته أكبر وأعظم من كهنوت إبراهيم (التكوين ١٤ : ١٨ - ٢٠)، عبرانيين (٧:١، ٢، ٦ - ١٠).

١٩ - من الواعظ:

هنا يجب أن نقرر أن الوعظ جزء أساسى من اختصاصات الكهنوت. ولا يجوز لمن لم يحمل درجة الكهنوت أن يعظ أو يعلم، ذلك لأن الكتاب يقول «كيف يبشرون إن لم يرسلوا» (رومية ١٠ : ١٥) ومخلصنا أوضح أن اختصاص الكهنوت الأول هو الكرازة والتبشير والتعليم، ولذلك قال لتلاميذه، لا للناس جميعاً، «اذهبوا وتلمذوا كل الأمم» (مت ٢٨ : ١٩)، «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مر ١٦ : ١٥) ويقول الإنجيل «وعين منهم إثنى عشر ليكونوا معه وليرسلهم للكرازة» (مر ٣ : ١٤)، ويقول مار لوقا «ودعا الإثنى عشر وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين.. وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويبرئوا المرضى» (لو ٩ : ١، ٢).

ولذلك فهم الآباء الرسل أن عملهم الأول هو الكرازة والتعليم. حتى أنهم لما وجدوا أن خدمة الموائد - وهو ما نسميه الخدمة الإجتماعية - ستعطلهم عن مهمتهم الأولى وأعنى بها الكرازة والتعليم. أقاموا شمامسة للخدمة الإجتماعية حتى يتفرغوا هم للتعليم «فدعا الإثنى عشر جمهور التلاميذ وقالوا لا يحسن أن نترك كلمة الله ونخدم الموائد. فاختاروا أيها الإخوة

سبعة رجال منكم يشهد لهم بالفضل قد ملأهم الروح والحكمة، فنقيمهم على هذه الحاجة. ونحن نواظب على الصلاة وخدمة الكلمة» (أعمال الرسل ٦ : ٢ – ٤).

ولما رأى الرسل أن وضع اليد للتثبيت من اختصاصهم ورأوا أن عدد المؤمنين المعتمدين قد كثر، وأن وضع اليد على هذا العدد الضخم المتزايد من المؤمنين سيعطلهم عن عمل الكرازة والتبشير وهو اختصاصهم الأول. لذلك صنعوا الميرون وقدسوه بكلمة الله والصلاة، وبعد أن دشنوه منحوا القسوس حق دهن المعمدين بالميرون الذى دشنوه هم. وإلى ذلك أشار يوحنا الرسول بقوله «وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس» (يوحنا الأولى ٢ : ٢٧).

ولبيان أهمية الكرازة والتعليم بالنسبة لأصحاب الدرجة الأولى فى الكهنوت، يقول ماربولس الرسول «لأنى إذا بشرت فليس لى فخر، لأن ذلك ضرورة موضوعة علىّ، والويل لى إن لم أبشر» (كورنثوس الأولى ٩ : ١٦).

لهذا فإن أول مؤهل اشترطه الوحى الإلهى بالنسبة للأسقف وللكاهن هو أن يكون «قادراً على التعليم» (تيموثيئوس الأولى ٣ : ٢)، ولذلك فإن الخدمة الرسولية رقم ١ التى ذكرها فى صلوات الكنيسة بالنسبة إلى الأساقفة هى خدمة الكرازة والتعليم.

من هنا تقضى القوانين الكنسية أنه عندما يكون الأسقف موجوداً فى الكنيسة، فهو الذى يقوم بخدمة الوعظ والتعليم لأنها اختصاصه الأول. فإذا لم يكن موجوداً قام بها القسيس. ويمكن فى بعض الأحوال أن يقوم بها الشماس على أن يكون شماساً حقيقياً أى مقاماً فى درجة الشماسية بوضع اليد كما وعظ استفانوس. أما من لم يكن على الأقل شماساً فلا يجوز له أن يعظ فى الكنيسة لأنه «كيف يبشرون إن لم يرسلوا» (رومية ١٠ : ١٥).

وهنا أسأل هل يجوز لفرد من الشعب ما لم يكن كاهناً أن يقيم القداس؟ ستقولون على التو: كلا. أقول إن خدمة الوعظ أيضاً جزء من عمل الكهنوت، بل هى عمل الكهنوت الأول، فكيف يعظ بالكنيسة من لم يكن حاملاً إحدى درجات الكهنوت؟ يقول مار بولس الرسول «وأباشر خدمة إنجيل الله الكهنوتية» (رومية ١٥ : ١٦) فخدمة الإنجيل عمل كهنوتى، لا يحق لأحد أن يقوم به ما لم يكن قد نال إحدى درجات الكهنوت.

لقد كانت كنيستنا شديدة الحرص فى هذا الأمر فى العصور القديمة. حتى أن أوريجينوس وقد كان مدير المدرسة الإكليريكية اللاهوتية بالأسكندرية فى زمانه، حرمه البابا ديمتريوس لأنه باشر خدمة الوعظ فى كنيسة أورشليم من دون أن

يكون فى إحدى درجات الكهنوت مع أنه فعل ذلك بإذن خاص من أسقف المدينة الذى كان تلميذاً له. فقد كان قانون كنيسة الأسكندرية لا يسمح لأحد ما لم يكن حاملاً لإحدى درجات الكهنوت، على الأقل شماساً، أن يباشر خدمة الوعظ أو التعليم فى الكنيسة. كان يمكنه أن يعلم فى مدرسة لكن لا فى الكنيسة.

أما فى هذه الأيام فقد تساهلنا فى احترام هذا القانون، وصار الوعظ مباحاً لكل إنسان. بل انعكست الآية وصار الكاهن يباشر الأسرار ولكنه لا يعظ. ولم يصر من كرامة الأسقف أن يعلم، كأن التعليم صار فى نظرنا عملاً خسيساً لا يقوم به الأسقف. وهكذا انقلب الوضع فى كنيستنا التى كانت معلمة المسكونة. ولم تعد القدرة على الوعظ والتعليم شرطاً أساسياً عندنا لاختيار أصحاب الدرجات الكهنوتية والأسقفية على الخصوص. المهم أن يكون الأسقف راهباً، أما أن يكون قادراً على التعليم فلم تعد هذه المسألة ذات أهمية في كنيستنا اليوم !! وهذا هو سر الفارق الضخم بين ما كنا عليه فى الخمسة قرون الأولى وما صرنا إليه فى القرون المتأخرة. كنا نؤمن بالعلم وبالتعليم، أما فى قروننا المتأخرة فصرنا زاهدين في العلم زهد الرهبان فى أباطيل العالم!!

٢٠ ـ هل يجوز للمرأة أن تعلم؟

أقول لا. ليس للمرأة أن تعلم فى الكنيسة. ولسبب بسيط، لأن الوعظ أو التعليم فى الكنيسة هو كما قلنا من اختصاص الكهنوت، ولا كهنوت للمرأة.

يقول الكتاب المقدس «لتصمت نساؤكم فى الكنائس، فإنه لا يباح لهن أن يتكلمن.. فإنه عار على النساء أن يتكلمن فى الكنيسة» (كورنثوس الأولى ١٤ : ٣٤، ٣٥)، ويقول أيضاً «ولست أبيح للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل، بل تكون فى سكوت، فقد جبل آدم أولاً ثم حواء ولم يكن آدم الذى أغوى لكن المرأة أغويت» (تيموثيئوس الأولى ٢ : ١٢ ـ ١٤).

إن للمرأة أن تعلم أولادها فى البيت، وقد تعلم فى مدرسة، وقد يسمح لها أيضاً كشماسة أن تنوب عن الكاهن فى بيوت النساء تفتقدهن وترشدهن فى بيوتهن أو فى اجتماعات خاصة بهن. لكن ليس لها أن تعلم فى الكنيسة لا سيما فى اجتماع يضم الرجال والنساء، لأن التعليم فى الكنيسة هو بسلطان لمن وهب درجة كهنوتية.

٢ـ القداس وثيقة عقائدية روحية ثمينة

العزيز المحترم الشيخ الوقور السيد فايز مفتاح كاراس (٧٥ سنة) ـ سوهاج.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، راجياً لكم موفور الصحة والعمر الطويل فى روحانية سعيدة مباركة.

شكراً لكم على خطابكم المفعم بالتقوى والإحساس الروحى بجمال وروحانية القدّاس الإلهى.

لقد أعجبنى وأثارنى روحياً قولكم بكل صدقٍ وإيمان (يوجد فكر يدور فى نفسى وهو موضوع القُدّاسات الإلهية المباركة: الكيرلسى، والغريغورى، والباسيلى، وعند سماعها فى الكنيسة صباح الأحد أجد أنّ ما يقال فيها شئ عظيم، وكأن السّماء قد حلّت على الأرض، وإنّنى أشعر بحنين شديد نحو الأعالى، وأقول فى نفسى إذا كانت هذه هى حال الروحيات على الأرض، فكم يكون الفرح السمائى للمؤمنين فى السماء؟ حقاً ما جاء بالكتاب المقدس (الذى ما رأته عين، ولا سمعت به أذن، ولا خطر على قلب بشرٍ أعدّه الله للذين يحبونه) (١. كورنثوس ٢ : ٩). والآن **السؤال**: إن القديسين الذين كتبوا هذه القدّاسات الثلاثة لم يكونوا أصحاب مؤهلاتٍ عليا من كليات الفلسفة أو الصحافة أو الآداب.. فمن أين جاءت لهم هذه المعرفة السمائية؟

الجواب:

هو حقاً إنّ هذه القداسات عميقة وروحانية، وكل منها فى الواقع هو **وثيقة عقائدية روحانية**. وحقاً إنّ كل قداس منها هو سيمفونية روحانية سماوية، وإذا توافر للمصلين من الكهنة والشمامسة والشعب، **دقة الأداء، وروحانية الأداء**، فإنّ القداس كفيل بأن يرفع المصلين من الأرض إلى السماء.

واعلم أن **القداسات أصولها واحدة، وهى تسليم رسولى، أخذه الآباء الرسل فى أصوله عن السيد المسيح له المجد، وقد سلّمه كل رسول إلى الكنيسة، فى البلاد التى ذهب إليها وكرز فيها باسم المسيح**، حسب وصية مخلّصنا له المجد لتلاميذه «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلّموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به» (متى ٢٨ : ١٩، ٢٠).

---

(١) كتب فى ١٥ نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٩١م ـ ٥ هاتور لسنة ١٧٠٨ش.

والدليل على ذلك **اتفاق جميع القداسات فى الروح العامة وفى ترتيبها ونظامها وفى ما اشتملت عليه من حقائق التعليم المسيحى اللاهوتية والعقائدية والطقسية والروحية والإيمانية**، ففيها الإيمان بالله الواحد، الآب والابن والروح القدس، وأن المسيح هو الله وقد تجسّد وتأنس، وقدّم ذاته ذبيحة لفداء المؤمنين، بصلبه وموته، ثمّ صعد إلى السماء، وجلس على العرش، واسترد صورة المجد التى أخلى ذاته منها بنزوله من السماء من أجل خلاص الإنسان، وهو سيأتى فى مجيئه الثانى ليدين المسكونة ويجازى كل واحد على حسب أعماله. ونحن جميعاً ننتظر القيامة العامة، قيامة الأجساد، ثم الدينونة، والجزاء الأخروى، والمصير الأبدى..

ولابدّ أنّ الآباء الرسل صاغوا، بما لهم من سلطان إلهى، حقائق الإيمان والتقوى فى القدّاس الذى سلّموه للمؤمنين فى البلاد التى انتقلوا إليها، صياغة أرشدهم إليها وألهمهم بها الروح القدس لتتلاءم مع احتياجات الشعوب التى نقلوا إليها رسالة الخلاص.

وكما رأينا إنجيل ربنا يسوع المسيح فى أربعة بشائر كتبها بالروح القدس إثنان من الإثنى عشر، وهما متى ويوحنا، وإثنان من السبعين وهما مرقس ولوقا، تميز كل منها بتفصيلات فى سيرة المسيح له المجد وأقواله وأعماله، بحيث قدّمت فى تمايزها بحسب الشعوب الذين كتبت لهم، وهم اليهود، والرومان، واليونان ثم بعد ذلك كل المسكونة، صورة متكاملة لحياة المسيح له المجد وأعماله وأقواله، **ولكن من زوايا أربعة**. هكذا جاءت القداسات التى سلّمها الآباء الرسل فى البلاد التى كرزوا فيها برسالة الخلاص، **متمايزة عن بعضها بعض التمايز وإن كانت تتفق فى روحها وفى نظامها وما اشتملت عليه من حقائق التعليم المسيحى اللاهوتية والعقائدية والطقسية والروحية والإيمانية بعامة.**

ومن ذلك أن القديس مرقس الرسول، وهو الذى كتب بإرشاد الروح القدس إنجيل ربنا يسوع المسيح المنسوب إليه، هو بنفسه القديس مرقس الذى سلّم الكنيسة فى الأسكندرية القداس فى صياغته التى وصلت إلينا فى القداس المسمّى بالقداس الكيرلسى.

والمعروف والمقرر **أنّ القداس الكيرلسى هو بعينه القداس الذى سلّمه القديس مرقس**، وباشره بنفسه عندما جاء إلينا ببشارة الخلاص، وظل يُسلّم شفاهاً بالتقليد الرسولى من جيل إلى جيل حتى عهد البابا كيرلس الكبير، أو كيرلس الأول المعروف بعمود الإيمان (٣٦٦ – ٤٤٤م).

ولابّد أن البابا كيرلس الكبير قد رتّبه فى الصورة التى وصلت إلينا، ولذلك صار يسمّى بالقداس الكيرلسى، نظراً لأن البابا كيرلس الكبير هو الذى دوّنه، فنُسب إليه، وهو فى الوقت نفسه، قدّاس القديس مرقس الرسول الذى باشره ومارسه فى تقديس سرّ الشكر والقربان، وأخذه عنه الأساقفة والكهنة من بعده إلى عهد البابا كيرلس الأول الذى له فضل تدوينه وكتابته.

وهذه هى القاعدة التى اتبعها الآباء الرسل فى إنجيل ربنا يسوع المسيح. **فالإنجيل واحد.** وأمّا إنجيل متى فهو إنجيل ربنا يسوع المسيح كما كتبه القديس متى. وإنجيل مرقس هو إنجيل ربنا يسوع المسيح كما كتبه القديس مرقس. وإنجيل لوقا هو أيضاً إنجيل ربنا يسوع المسيح كما كتبه القديس لوقا. وأخيراً إنجيل يوحنا هو بعينه إنجيل ربنا يسوع المسيح كما دوّنه القديس يوحنا الرسول.

كذلك نقول عن القداس الباسيلى أنه هو القداس نفسه كما رتّبه ودوّنه القديس باسيليوس الكبير (٣٢٩ – ٣٧٩م).

ثمّ القدّاس الغريغورى هو بعينه القدّاس كما رتّبه ودوّنه القديس غريغوريوس الثيئولوغوس الناطق بالإلهيات (توفى ٣٨٩م).

وحسب تقليد كنيستنا القبطية، نصلى القداس الكيرلسى المرقسى فى الصوم الكبير على الخصوص.

ونصلّى القداس الغريغورى فى الأعياد وفى خميس العهد وأحد الشعانين وأيام الخمسين المقدسة.

ونصلّى القداس الباسيلى فى غير ذلك.

أما فى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية فيصلّون القدّاس المسلّم لهم من القديس يعقوب الرسول أحد الإثنى عشر، المعروف بيعقوب الصغير بن حلفى وهو يعقوب البار الذى عُرف بأنه أسقف أورشليم.

وأما كنائس الروم والرّوس وجميع الكنائس التى تتبع الطقس البيزنطى فيصلّون القدّاس المعروف بترتيب القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧ ـ ٤٠٧م).

مع تحيات المحبة فى المسيح يسوع، أرجو لكم موفور الصحة وأطيب التمنيات،،،،

٣ ـ القداس ترتيب إلهى، وتقليد رسولى مقدس

سؤال: من السيد/م. ع. ج. بالمنيا

هل القدّاس مكتوب بالوحى؟

الجواب:

القداس ترتيب رسولى، وتسليم مقدس، وتقليد سلّمه الآباء الرسل فى الكنائس التى أسسوها، والتى سميت من بعدهم بالكنائس الرسولية. . ولقد قال الرسول القديس بولس فى إحدى رسائله «تجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى تسلمه منا» (٢. تسالونيكى ٢: ٦). وقال أيضاً «فاثبتوا إذن أيها الإخوة وتمسكوا بالتقاليد التى تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا» (٢. تسالونيكى ٢: ١٥). مبيناً أن التقليد الشفاهى هو بمركز التقليد الكتابى. وقال للمؤمنين المسيحيين فى كنيسة كورنثوس: « فأمدحكم أيها الإخوة على أنكم تذكروننى فى كل شئ، وتحفظون التقاليد كما سلمتها إليكم» (١. كورنثوس ١١: ٢) وعاد يقول لهم فى نفس الرسالة «لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً» (١. كورنثوس ١١: ٢٣، ٢٤). على أنه أورد لهم بعد ذلك تسليم القداس ذاته « سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم...».

فالقداس إذن ترتيب إلهى، وتقليد رسولى، مسلّم للكنيسة من الرسل، عن المسيح له المجد الذى قال لرسله «اصنعوا هذا لذكرى» (لوقا ٢٢: ١٩)، (١. كورنثوس ١١: ٢٤، ٢٥).

والمتأمل فى ترتيب القداس يلمس مطابقته التامة للتعليم المسلم لنا فى الكتاب المقدس وفى التقليد الرسولى. والمتتبع لكل لفظ من ألفاظه يتبين أن كل ما جاء فيه منتقى ومختار من تعاليم الوحى المقدس. وإنك لواجد فى نص القداس وثيقة دينية عقائدية روحانية، تعبر تماماً عن إيمان الكنيسة الجامعة الرسولية. ويمكننا أن نثبت كل كلمة جاءت فى نصوص القداس بنصوص من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. إن القداس ترتيب إلهى، وهو تراث ثمين سليم كل السلامة، مطابق للتعليم المسيحى الصافى، وهو رابطتنا الروحية بماضى الكنيسة، وحاضرها ومستقبلها إلى مجئ المسيح الثانى.

٤ ـ صلة المسيحى بالكنيسة

إذا كان كل إنسان إجتماعياً بطبعه، ولا يستطيع أن يحيا حياة إنسانية كاملة فى غير مجتمع، فالمسيحى له مجتمعه الدينى يحيا فيه دينياً، كما أن له مجتمعه العام الذى يحيا فيه كمواطن فى الدولة، ومجتمعه الإنسانى الأعم الذى يحيا فيه كواحد من بين الناس الذين يعيشون على هذا الكوكب الذى نسميه بالأرض.

وليس المجتمع الدينى بالنسبة للمسيحى مجرد مجال عام يمارس فيه الصلاة العامة التى يشارك فيها غيره ممن يدينون دينه المسيحى، وإنما هو بالإضافة إلى ذلك مجال لممارسة عواطفه الدينية الإجتماعية، فيه يتعلم تعاليم دينه وأحكامه ومراسمه وطقوسه، من رجال دين هم أعلم منه بتلك التعاليم والأحكام والطقوس، وفيه يساهم مع الجماعة فى واجبات العبادة لله. فإن الله لم يخلق الفرد فقط بل خلق المجتمع أيضاً، فمن حق الله على المجتمع أن يشكر الله على ما أسبغ به على الجماعة البشرية من خيرات، ومن مقومات جعلت هذا المجتمع البشرى ممكناً وفعالاً.

وفى المجمتع الدينى يستطيع الفرد المسيحى أن يمارس فضائل الدين من محبة وعطف ورحمة وتسامح واحتمال، وأن يمارس كذلك فضائل التعاون والمشاركة الوجدانية والتضامن والتكافل الإجتماعى، بل وفيه يمارس فضيلة العمل بروح الفريق لتحقيق خير عام لفائدة أعم.

١ ـ هذا المجتمع الدينى الخاص، بالنسبة للمسيحى، هو ما نسميه بالكنيسة، فالكنيسة هى جماعة المؤمنين بالمسيح رباً وإلهاً وفادياً وديّاناً، والمعمّدين باسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس، والمشتركين فى أسرار خلاصية واحدة، يجمعهم الإيمان الواحد ويخضعون لرئاسة كهنوتية شرعية.

وبهذا المعنى ذكر المسيح له المجد، كنيسة العهد الجديد، فى تصريحه الذى حدد فيه الإيمان الحقيقى بأنه «هو المسيح ابن الله الحى». قال «وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى. وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (متى ١٦ : ١٦، ١٨). هنا فى هذا النص القدسى يتكلم المسيح له المجد عن الكنيسة، وينسبها إلى شخصه المبارك، فيقول «كنيستى». هذه الكنيسة قائمة بالمسيح (سأبنى كنيستى) على صخرة الإيمان بلاهوته «أنت هو المسيح ابن الله الحى». وعلى ذلك فالكنيسة تتألف من جميع المؤمنين بأن «المسيح هو ابن الله الحى».

٢ ـ ولما كان لابد لجماعة المؤمنين بالمسيح رابطة تجمعهم، رابطة إيمان، وسلوك يطابق الإيمان، ولابد لهذه الرابطة من قيادة مسئولة تسهر على سلامة الإيمان، وسلامة ممارسته وتطبيقه، وتكون حارسة للإيمان ومعطياته ومسلماته، فإن المسيح له المجد لم يترك كنيسته بغير قيادة، وإنما أقام له تلاميذ وسمّاهم رسلاً، ليكونوا وكلاء عنه، ائتمنهم على رعاية كنيسته وحراستها، وحراسة تعاليمها وسائر معطيات الإيمان ومسلماته، وجعلهم مسئولين أمامه، وسيحاسبهم عن ذلك فى يوم الدين حساباً عسيراً. هؤلاء الوكلاء عنه، كان لابد أن يمنحهم تفويضاً رسمياً، ويوشحهم بسلطان خاص، ليصير لعملهم فاعلية بالنسبة لسائر المؤمنين، وهذا السلطان هو سلطان «الحل والعقد» وما يسمى «بمفاتيح ملكوت السماوات».

قال الرب يسوع لتلاميذه ورسله فى شخص القديس بطرس الذى ناب عنهم جميعاً فى اعترافه بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى: «وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يُربط فى السماوات، وكل ما تحلّه على الأرض يُحل فى السماوات» (متى ١٦ : ١٩).

وقد أعاد الرب يسوع منح هذا السلطان عينه لجميع الآباء الرسل، ولخلفائهم من بعدهم ممن ينالون بوضع أيديهم الخلافة الرسولية بقوله، عن المارق من الكنيسة والمخالف لتعاليمها والخارج على سلطانها: «فإن رفض أن يسمع للكنيسة فليكن بالنسبة إليك كوثنى وعشار. الحق أقول لكم إن كل ما تربطونه على الأرض يُربط فى السماوات، وكل ما تحلّونه على الأرض يُحل فى السماوات» (متى ١٨ : ١٧، ١٨).

من هذا النص نتبين أن «الكنيسة» أخذت معنى جديداً مضافاً إلى معناها فى النص الأول. الكنيسة فى قوله «على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» معناها جميع المؤمنين ـ رعاة ورعية ـ ممن يؤمنون بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى». وأما فى النص الآخر، فمعناه «قيادة الكنيسة ورئاستها الموكول إليها حماية الإيمان، وحراسة معطيات الإيمان». ولهذه القيادة الروحية منح المسيح له المجد سلطان الحل والربط، ليكون لها حق التصرف نيابة عن المسيح بمثابة «الوكيل المؤتمن» (متى ٢٤ : ٤٥)، (١ . كورنثوس ٤ : ١)، (تيطس ١ : ٧).

٣ ـ أخيراً فإن المبنى الذى يجتمع فيه المؤمنين تحت قيادتهم الروحية الشرعية، ويطلق عليه اسم «الكنيسة». وبهذا المعنى يقال «كنيسة مارمرقس بشارع .. ببلدة .... » أو «كنيسة العذراء ..» وما إلى ذلك. جاء فى سفر أعمال الرسل: «فحدث إنهما اجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة» (أعمال الرسل ١١ : ٢٦).

على أن تخصيص مكان العبادة أو مبنى الكنيسة، هو من وصية الرب يسوع لتلاميذه «وأية مدينة أو قرية دخلتموها، فابحثوا فيها عمن هو مستحق وأقيموا عنده حتى ترحلوا» (متى ١٠ : ١١).

وقال لهم «حيثما دخلتم بيتاً فأقيموا فيه حتى تخرجوا من هناك» (مرقس ٦ : ١٠)، (لوقا ٩ : ٤). ولقد تحولت تلك البيوت التى دخلها الآباء الرسل وبشروا فيها وصلّوا، إلى كنائس، لأن كل شئ «يقدس بكلمة الله وبالصلاة» (١ . تيموثيئوس ٤ : ٥). وهذا هو ما يحصل فى «تدشين الكنيسة» إنها تقدس بالقراءات من كلمة الله، وبالصلاة، فتصير مدشنة أو مقدسة ومخصصة ومكرسة لله ولعبادته.

* * *

بعد هذا العرض الموجز لمعانى كلمة الكنيسة، عليك أن تلاحظ:

أولاً: إنك كعضو فى الكنيسة، آمن بالمسيح أنه ابن الله الحى، ونلت العماد باسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس، يلزم أن تعرف حقائق الإيمان الذى صادقت عليه واعترفت به وتحفظها بكل أمانة وبغير انحراف عنها، وإلا صار إيمانك فاسداً.

وليس إيمانك وحده كافياً، فالشياطين يؤمنون بالله ويرتعدون أيضاً. بل ينبغى أن تمارس الإيمان، وتسلك فى روحه وحرفه بأمانة وبكل تدقيق، فللسائرين فى طريق السماء خطان متوازيان تجرى عليهما قاطرة حياتهم وأعنى: أرثوذكسية الإيمان، وأرثوذكسية السيرة المسيحية.

ثانياً: أن تحترم قواعد الكنيسة وأحكامها وطقوسها، وتخضع لتدبير رعاتها وكهنتها. ويلزم أن يكون لك كاهن مرشد، يسمع اعترافك ويوجه حياتك وعليك أن تخضع لتدبيره، فهو حارس الشريعة المؤتمن على روحك. فلا تستقل بتدبير نفسك، بل اخضع لتدبير مرشدك الروحى، فإن ذلك ينفعك لحياتك الأبدية ويبنيك روحياً.

ثالثاً: لا تهمل أن تواظب على الكنيسة، بيت الله، لسماع القداس وكلمة الإنجيل ، والتقرب من الأسرار المقدسة. يقول النبى: «فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب» (مزمور ١٢١ : ١). وعندما تدخل الكنيسة عليك أن تدخل بالوقار والأدب والاحترام اللائق ببيت الله. هيئ فكرك وقلبك وجهّز ذهنك وروحك لحضرة الله. وادخل بجسم نظيف، وملابس نظيفة، واخضع

برأسك أمام هيكل الرب وقل مع النبى « وأنا بكثرة رحمتك ادخل بيتك، وأسجد أمام هيكل قدسك بمخافتك» (مزمور ٥ : ٧) . واجلس فى هدوء، وقف مع الواقفين، واسجد مع الساجدين، ولا تلتفت يميناً أو شمالاً بل احصر ذهنك فى متابعة الصلاة وسماع كلمة الله. ولا تخرج قبل نهاية الصلاة إلا للضرورة القصوى. ولا تتكلم مع أحد، ولا تهمس لأحد. ولا تضحك أو تسخر من أحد، ولا تحاول أن تلفت نظر أحد إليك، بل الزم الورع والأدب الروحانى اللائق بحضرة رب الجنود.

٥ - طقس الإكليل (١)

سرّ الزيجة فى الكنيسة الأرثوذكسية هو هذه الرابطة الروحية المقدسة التى تتم بفاعلية نعمة الروح القدس التى تنحدر من السماء بناء على استدعاء الكاهن، فتؤلف بين العروسين، الرجل والمرأة، وتوحّد بينهما، وتصيّرهما جسداً واحداً، فيكون كل منهما ملكاً للآخر، وقفاً عليه وحراماً على غيره، وذلك لإقامة أسرة طاهرة تحيا بالتعاون والحب، ولإيلاد أولاد طاهرين، وإنماء الكنيسة وملكوت الله على الأرض.

يقول السيد المسيح له المجد «يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط بزوجته فيصير الإثنان جسداً واحداً، فلا يكونان بعد اثنين إذن وإنما جسداً واحداً. ومن ثمّ فما جمعه الله لا يفرقه الإنسان» (متى ١٩ : ٥، ٦)، (مرقس ٧ : ٧ – ٩). وجاء على فم القديس بولس الرسول فى الرسالة إلى أفسس «يترك الرجل أباه وأمه ويرتبط بزوجته، فيصير الإثنان جسداً واحداً. إن هذا السرّ لعظيم» (أفسس ٥ : ٣١، ٣٢).

فالزيجة المسيحية ليست مجرد عقد أو اتفاق يُبرم بين رجل وإمرأة يريدان أن يعيشا معاً ويشارك أحدهما الآخر، الحياة كلها أو فترة منها، كما هو الحال فى العقد المدنى، أو ما هو فى حكمه. إنّما هو رباط إلهى بل اتحاد مقدّس يعقده الروح القدس، بطريقة روحية، وفاعلية سرّية غير منظورة، إذ تنحدر فيه على العروسين، الرجل والمرأة، نعمة الروح القدس بصورة سرّية غير منظورة، فيصيران بها جسداً واحداً على الرغم من تمايزهما الظاهر. وبهذا يصير جسد المرأة للرجل كجسده تماماً. ويصير جسد الرجل للمرأة كجسدها تماماً. وعلى هذا الأساس يصبح للرجل سلطان على جسد المرأة لأنه قد صار بفعالية السرّ الإلهى جسد الرجل أيضاً، ويصبح للمرأة سطان على جسد الرجل لأنه قد صار بفعالية سر الزيجة جسد المرأة أيضاً. فقد جاء على لسان الرسول بولس قوله « لا سلطة للزوجة على جسدها فإنما هو لزوجها، وكذلك الزوج لا سلطة له على جسده، فإنما هو لزوجته» (١ . كورنثوس ٧ : ٤).

والكاهن فى سرّ الزيجة هو الممثل الشرعى للسلطة الإلهية، وعندما يبارك بالصليب العروسين، ويضم يمين العروس إلى يمين العريس وينطق بالبركة وكلمات التقديس وهو بكامل ملابسه الكهنوتية، وأمام المذبح المقدس فى الكنيسة، إنما يمثل الجانب المنظور الذى تنحدر عن طريقه ومن خلاله نعمة الروح القدس غير المنظورة.

وهذا ينبغى أن نشير إلى الحكمة فى إجراء قداس الإكليل فى الكنيسة، وأمام الهيكل المقدس، والكاهن ملتحف بكامل ملابس الخدمة الكهنوتية، وقد خلع حذاءه من قدميه، لأنه يباشر خدمة قدّاس كامل، وذلك لإبراز كرامة سرّ الزيجة، وبيان أنه رابطة إلهية.

---

(١) كتب الخميس ٢٣ من مايو- أيار لسنة ١٩٨٥م - ١٥ من بشنس لسنة ١٧٠١ش.

لذلك، وتوكيداً لهذه النظرة العالية لسر الزيجة، وأنها رباط إلهى، ينادى الكاهن فى مطلع قداس الإكليل. وقد أمسك بخاتمى الذهب الخاصّين بالعروسين أو الدبلتين مع الإكليلين، وجميعها تلف مع الشملة أو اللَمَط الذى يوضع على رأسى العروسين. وبعد تلاوة الصلاة الربانية يقول الكاهن: «باسم ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، مشرّع شريعة الفضل والكمال، نعقد عقد إملاك، وقران الابن المبارك الأرثوذكسى البكر (فلان) على مخطوبته الابنة المباركة الأرثوذكسية البكر (فلانة)، ويعقد برسم الصليب قائلاً (بالقبطية أو العربية) «باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد. تبارك الله الآب القادر على كل شئ آمين» ويجاوبه المرتلون قائلين ثلاثاً: «آمين» .... ويصلى جميع الحضور الصلاة الربانية.. ثم يقول الكاهن للمرة الثانية: «باسم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، مشرّع شريعة الفضل والكمال، نعقد عقد إملاك وقران الابنة المباركة الأرثوذكسية البكر (فلانة) على مخطوبها الابن المبارك الأرثوذكسى البكر (فلان)» ثم يرسم الصليب للمرة الثانية وهو يقول بالقبطية أو العربية «تبارك ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا، آمين» فيجاوبه المرتلون قائلين ثلاثاً: (آمين). ويصلى الجميع مرة أخرى الصلاة الربانية. ثم يقول الكاهن ثالثة (بالقبطية أو العربية): «باسم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، مشرّع شريعة الفضل والكمال، نعقد عقد إملاك وقران الابن المبارك الأرثوذكسى البكر (الفلان) على عروسه الابنة المباركة الأرثوذكسية البكر (فلانة). ويرسم الصليب وهو يقول (بالقبطية أو العربية): تبارك الروح القدس المعزّى، آمين». فيجاوبه المرتلون قائلين ثلاث مرات (آمين)، ويصلّى جميعهم الصلاة الربانية، ثم يكمّل الكاهن قائلاً (بالقبطية أو العربية): مجداً وإكراماً، إكراماً ومجداً للثالوث القدوس، الآب والابن والروح القدس، آمين.

وهذا كله توكيد لكرامة سرّ الزيجة، وأنه رباط إلهى مقدس، ولذلك يُعقد باسم الثالوث القدوس، ويقوم به الكاهن ممثلاً للسلطة الإلهية وهو مرتدٍ كامل ملابسه الكهنوتية، ويباشره فى الكنيسة، بيت الله المقدس، وقدّام هيكله المقدس والمذبح الإلهى. ويقول الكاهن فى وصيّته الختامية للعروسين: «والآن، وقد حضرتما فى هذه الساعة المباركة قدام هيكل رب الجنود (الصابؤوت)، وأمام مذبحه المقدس، فى هذا المحفل الأرثوذكسى وجمعتكما هذه الزيجة المباركة والإكليل الشريف...).

أما عن **الخاتم**، فيقول القديس أكليمنض الإسكندرى (نحو ١٥٠ ـ ٢٢٠م): ينبغى للعريس أن يعطى عروسه خاتماً من ذهب.. على أن خاتم العرس لا يرمز إلى الأمانة فقط، بل ويشير أيضاً إلى الحقوق الخاصة بالزوجة التى هى ربّة البيت وأم العائلة، ويدل أيضاً على الكرامة التى نالتها

المرأة لدى رجلها كما يقول الكتاب المقدس بملاخ زربابل «يقول الرب: **وأجعلك كخاتم** لأنى قد اخترتك يقول رب الجنود» (حجى ٢ : ٢٣)، (إرميا ٢٢ : ٢٤)، (إشعياء ٤٩ : ١٦). ويدل عدا ذلك جميعه على أن العروس زينة في يد عريسها، أنها ساعده الأيمن فى تدبير المنزل وتربية البنين، والتعاون على كل أمور الحياة. والمرأة تلبس الخاتم دلالة على أنها فى طاعة رجلها وكأنه مالك عليها كشئ فى قبضة يده، وأنها صارت فى حوزته. ومن هذا جاءت تسمية القسم الأول من الإكليل عقد الإملاك، فالإملاك هو عقد الزواج. ويقال فى اللغة: «أملكه الشئ أى جعله مِلكاً له ـ وأملكه المرأة زوّجه إياها».

أما عن الدبلتين، فالدُبلة فى الغالب مأخوذة عن الكلمة الفرنسية Doublé أى الملتبس بالذهب أو الفضة أو عن Doublet بمعنى (صِنو) وهو أحد شيئين متماثلين أو زوج مؤلف من شيئين متماثلين.

وأما **الإكليلان** فهما مثنى إكليل وهو التاج. يقال فى العربية كلّلَ الكاهن العروسين فتكللا، لأنه يضع على رأسيهما إكليلين فى أثناء صلاة الزواج. والإكليل أو التاج هو رمز الجلال والكرامة والمجد، لأن الرجل يصير بالزواج ملِكَ الأسرة، والمرأة ملِكة الأسرة. جاء فى سفر نشيد الأناشيد «اخرجن يا بنات صهيون، وانظرن الملك سليمان **بالتاج** الذى توّجته به أمه فى يوم عرسه، وفى يوم فرح قلبه» (نشيد الأناشيد ٣ : ١١) وجاء فى سفر الأمثال «المرأة الفاضلة إكليل لرجلها» (الأمثال ١٢ :٤).

وأما (**اللّمَط**) فهو قطعة من القماش الحرير طولها ١٥٠ مائة وخمسون سنتيمتراً، وعرضها أربعون سنتيمتراً، مطرز بها صليبان بمثابة وشاح توضع على رأسِى العروسين. وقال عنها القديس إيرونيموس (إنها علامة النقاوة والعفاف). ولذلك فإنّ (اللّمط) يرجع إلى الكلمة اليونانية λᾶμμα,ατος وهى عصابة للرأس يلبسها الأبكار والعذارى، رمزاً للعفة. جاء فى سفر إشعياء «فرحاً أفرح بالرب، تبتهج نفسى بإلهى لأنه قد ألبسنى ثياب الخلاص، **وشملنى برداء البرّ**، مثل عريس يتزين بالتاج، وكالعروس التى تتحلى بزينتها» (إشعياء ٦١ : ١٠). انظر (التكوين ٢٤ : ٦٥)، (أفسس ٥ : ٢٥، ٢٧)، (الرؤيا ١٩ : ٧، ٨).

* * *

إن طقس الإكليل فى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية غاية فى الروعة والجمال، وتظهر روعته بالأكثر مع روحانية الأداء، ودقة الأداء، لفظاً ومعنى، وغناء ولحناً. وألحانه بهجة تهز المشاعر والأحاسيس، وترفع القلب والروح إلى معانى الزيجة الروحانية، لتنمية الترابط الروحى والنفسى

والذهنى بين العروسين، واستدعاء موهبة الروح القدس لتنحدر على العروسين فتجمع بينهما، وبهذا يصبح الزواج رابطة روحية مقدسة تجعل الرجل والمرأة جسداً واحداً.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه يجب أن تمارس جميع صلوات الإكليل كاملة وينبغى أداء الإكليل بروحانية وتؤدة وتقوى، وأن تؤدى جميع الألحان والمردات والتسابيح وسائر الطقوس والممارسات المنصوص على أدائها فى كتاب صلوات الإكليل المرتب من الكنيسة المقدسة وعدم إهمال شئ منها: الرشوم، وعقد الإملاك بجميع صلواته، وصلوات الإكليل، والقراءات، والأواشى، والطلبات، ودهن العروسين بالزيت، وإلباس الدبلتين، وكذلك وضع اللَّمط على رأسى العروسين والأكاليل ثم الوصية، والتحاليل والبركة الختامية..

ولا نهمل الإشارة إلى أن الأيام المفضلة حسب ترتيب الكنيسة الأصيل لعقد الإكليل، هى يوم السبت مساء أو يوم الأحد بعد رفع بخور باكر، وذلك حتى يتمكن العروسان من التناول من الأسرار المقدسة، ويقول القانون الكنسى «ويتناولان بعد الإكليل». وقد يمكن عند الضرورة أن يتم عقد الإكليل مساء الأحد أو الإثنين. أما الإكليل الذى يعقد مساء الثلاثاء أو مساء الخميس فهو يتعارض مع ترتيب الكنيسة فى أيام الصوم، إذ المفروض أن يوم الأربعاء يبدأ طقسياً من الساعة السادسة من يوم الثلاثاء، ويوم الجمعة يبدأ طقسياً من الساعة السادسة من مساء الخميس. فمن المتعارض مع نظام الكنيسة وترتيبها عقد صلوات الإكليل بعد السادسة من مساء الثلاثاء أو بعد السادسة من مساء الخميس.

كذلك نصّت قوانين الآباء على عدم عقد الإكليل فى مساء اليوم السابق على أى من الأصوام العامة، ومنها الصوم الكبير، وصوم الميلاد، وصوم الرسل، وصوم العذراء.. وقد كان يراعى وقف منح التصاريح بالزواج أسبوعاً كاملاً قبل بدء أحد الأصوام العامة.

وقوانين الآباء أيضاً تمنع التزويج فى أيام الخمسين المقدسة إلا للضرورة القصوى.

ومن تراثنا القبطى فى الزيجة المسيحية أن لا يمنح الكاهن الحلّ للعروسين للعلاقة الزوجية إلا فى اليوم الثانى أو الثالث لعقد الإكليل احتراماً خاصاً لسرّى التناول والزيجة، ويتخذون من قول الملاك رافائيل لطوبيا قاعدة لها حكمتها العالية التى يؤيدها اليوم علماء النفس وخبراء الحياة الزوجية «فقال له الملاك رافائيل: استمع فأخبرك من هم الذين يستطيع الشيطان أن يقوى عليهم. إنّ الذين يتزوجون فينفون الله من قلوبهم ويتفرغون لشهوتهم كالفرس والبغل اللذين لا فهم لهما، أولئك للشيطان عليهم سلطان. فأنت إذا تزوجتها ودخلت المخدع فإمسك عنها (العروس) ثلاثة أيام ولا تتفرغ معها إلاّ للصوات... وبعد إنقضاء الليلة الثالثة تتخذ البكر بخوف الرب وأنت راغب فى البنين أكثر من الشهوة لكى تنال بركة ذرية إبراهيم فى بنيك» (طوبيا ٦: ١٦ – ٢٢).

٦ - طقس التمجيد

التسبيح والتمجيد من مراسم العبادة، يلتقيان ويتفقان، ولا يفترقان.

هما لغة الملائكة في السماء ولغة الروحانيين من بين الناس على الأرض وفي السماء. كانا منذ القديم العتيق، ولا يزالان، وسوف يظلان لغة العبادة إلى دهر الدهور وأبد الآبدين.

هما لغة الملائكة ولغة الناس، وهما أيضاً لغة الكون كلّه: لغة المجرّات الهائلة في دورانها حول سديم النور الأعظم والأول، ولغة النجوم في دورانها حول المجرّات، ولغة الكواكب في دورانها حول النجوم، ولغة الأقمار في دورانها حول الكواكب...

هما لغة الأليكترونيات في دورانها حول النواة في كل ذرة، ولغة الفوتونات في دورانها حول الأليكترونات..

الكون كلّه من المجرّة إلى الذّرة يُغني ويتغنى بمجد الخالق، ويدور في حلقة تسبيح وتمجيد حول الواحد الذي لا أول له ولا آخر، الأزلي الأبدي، السرمَد والسرمديّ. «السموات تُحدّث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلاماً، وليل إلى ليل يُبدي علماً» (مزمور ١٨: ١، ٢).

والطيور أيضاً تغرّد، وفي تغريدها تسبيح وتمجيد، والدواجن أيضاً تغني أيضاً معبّرة عن سرورها أو احتياجاتها، والنحل وكلّ الحشرات والهوام، تُحدث أصواتاً منغّمة فيها إيقاع وتآلف وتوافق.

والأسماك في البحر أيضاً تغني وتُسبح، وفي حركاتها رقص متوافق، وفي أصواتها تناسق وانسجام.

إنّ كلّ الكون يُغني، من الملائكة إلى الناس، إلى النجوم والكواكب والأقمار، إلى الطيور والهوام والحشرات والأسماك....

والغناء والتسبيح والتمجيد نسمعه في رتابة وإيقاع وتوافق وانسجام حتى في نقيق الضفادع، وفحيح الأفاعي، وحفيف الشجر...

كلّ الكون من أضخم جِرم إلى أصغر ذرة.. كلّ شئ في الوجود يُغني بلغته ويُسبّح ويُمجّد في أصواتٍ، لها إيقاع ولها نغم ولحن..

فمن الطبيعى جداً أن يتوافق الدين مع فن الغناء والتسبيح والتمجيد. وأرقى الغناء ما كان تسبيحاً وتمجيداً للإله على نعمائه وآلائه وخيراته، وإشادة بأفضاله وآيات إبداعه..

وفى كنيستنا القبطية يحتل التمجيد والتسبيح لله جلّ جلاله مكانة كبيرة وعالية.

وبين أسفار الكتاب المقدّس، سفر المزامير، وهو كلّه، أو فى مجمله، تسبيح وتمجيد.. وغير المزامير أسفار أخرى كُتبت شعراً، ومنها أسفار إشعياء، وإرمياء، ومراثى إرميا، فضلاً عن سفر أيوب، وأسفار الحكمة، والجامعة، ونشيد الأناشيد، وأغانى أخرى مبثوثة هنا وهناك حتى فى الأسفار التاريخية.. والشعر فنٌ عظيم يقدّم المعنى العميق فى ألفاظ لها جرس وكلمات تنتظم معاً فى جمال وتوافق واتّساق، وتُنطق فى إيقاع واتفاق وموسيقى تَخلبُ الروح وتسبى الشعور والإحساس.

على أنّ طقس التمجيد قد امتدّ فى كنيستنا للتغنّى بسرّ التجسد الإلهى، وسرّ الفداء، والقيامة، وغيرها من الحقائق الإلهية وعقائدنا الكنسية، فى مختلف الاحتفالات الدينية، ولا سيما فى الأعياد والأصوام وسائر المناسبات الطقسية، المفرحة والحزينة.. ومن بينها الاحتفال برأس السنة، والاحتفال بالعماد، وبالزواج، وأعياد القديسين وما يعرف بالميامر الكنسية..

من هنا كان التسبيح والتمجيد الذى نتغنّى فيه بمدح القديسين على فضائلهم، وصالح أعمالهم، وتكريماً لطهارتهم وقداسة سيرتهم، وأمانتهم لسيدهم وربّهم، وما برز فى حياتهم من أفعال البطولة والشجاعة والثبات على الإيمان، وما بذلوه من تضحيات فى الزهد والنسك، وقبول الموت وكل صنوف العذاب، بصبر واحتمال وشجاعة وقوة فى سبيل إيمانهم بالمسيح.

والكنيسة إذ تمجّد القديسين، تمجّدهم على فضائلهم وتمدح صفاتهم وتتغنى بأعمالهم الصالحة، تكريماً للفضيلة التى تمثلت فيهم، وأداء لواجب مقدّس نحو الذين حملوا الصليب حتى الموت، إيماناً وأمانة وصدقاً ووفاء.

ولقد مدح المسيح له المجد المرأة التى سكبت الطيب على رأسه، بل أمر أن يُخبّر بصنيعها الحسن فى الإنجيل المقدّس، وفى كل مكان تذهب إليه بشرى الخلاص فى كلّ العالم، وذلك تكريماً للمرأة وإشادة بعملها وإحياءً لذكرها. قال المسيح له المجد : «الحق أقول لكم إنه حيثما يُبشر بهذا الإنجيل فى العالم كلّه، يُحدّث أيضاً بما فعلته هذه المرأة إحياء لذكرها» (مرقس ١٤ : ٩)، (متى ٢٦ : ١٣)، (يوحنا ١٢ : ٧، ٨).

فمدح القديسين وتمجيدهم واجب مقدس يأمرنا الله به، تحية وإكراماً للقديسين كآباء لنا ومعلّمين، وإعلاء لشأن الفضيلة التى تمثّلت فيهم، وتشجيعاً للصغار والكبار من المؤمنين للاقتداء بسيرتهم.

من هنا يحتل تمجيد العذراء مريم والدة الإله مكاناً بارزاً فى طقوسنا الدينية وكل خدمات الكنيسة، فى القداسات، وفى رفع البخور عشية وباكراً ، وفى جميع الخدمات الأخرى فى جميع المناسبات الدينية.

وكذلك يحتل تمجيد الرسل والشهداء والقديسين مكانه المناسب خصوصاً فى أعيادهم وفى أوقات ذكراهم.

ومع ذلك، فهذه التماجيد للعذراء مريم وللشهداء والقديسين، هى متجهة أولاً وبالذات إلى الله، شكراً وتسبيحاً لعظمته تعالى، فإنه هو بذاته الذى منحهم معونته وقوّته حتى أتمّوا مسيرتهم بنجاح، وأكملوا جهادهم بأمانة وتقوى، وعبروا إلى عالم الخلود تاركين لنا من بعدهم سيرتهم المقدسة نموذجاً وأمثولة، لنسلك فى طريقهم ونتمثل بإيمانهم وفضيلتهم.

هذه التماجيد هى قصائد مدح من الشعر والنثر المنظوم أكثره بترتيب الحروف الهجائية باللغة القبطية - وبعد ذلك تُرجم منه ما تُرجم إلى اللغة العربية - مع إضافات وُضعت فيما بعد بالعربية رُوعى فيها إلى جمال النغم مطابقتها للعقيدة الأرثوذكسية والروحانية القبطية نصاً وروحاً مع إلتزامٍ أمينٍ بأحداث التاريخ والتراث المجيد.

٧ ـ لماذا نصلى نحو الشرق ؟ (١)

سؤال : من الابن الأستاذ أليشع القمص يوسف ـ نجع حمادى.

يقول لماذا نصلى نحن ووجوهنا نحو الشرق رغم أن الله موجود فى كل مكان؟

ومن الابن السيد نصيف مسيحة أيوب ـ القاهرة

الجواب :

نعم، إن الله كائن في كل مكان، وهو يملأ بوجوده السماوات وكل الكون. ونحن المسيحيين، وإن كنا نؤثر أن تكون قِبلتنا واتجاهنا فى صلواتنا، إلى الشرق دائماً، لكننا فى يوم الجمعة العظيمة من أسبوع الآلام، نتجه فى سجداتنا (وهى أربعمائة ركعة أو ميطانية) إلى جميع الاتجاهات الأصلية، فنتجه إلى الشرق أولاً ثم إلى الغرب ثم إلى الشمال ثم إلى الجنوب، نستمطر مراحم الرب على كل الخليقة، فى جميع الاتجاهات، فى الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب.

فإذا كنا، فى تقليد كنيستنا نتجه فى صلواتنا إلى الشرق، دائماً، فلأن للشرق عندنا نظرة روحية، فهو يذكّرنا بالشمس فى شروقها. والشرق مطلع النور الذى يضئ على المسكونة كلها، والشمس عطية عظيمة من الله فيها النور، وفيها الجمال، وفيها الحياة لكل الخليقة.

ثم إننا باتجاهنا إلى الشرق فى صلواتنا نذكر أحداثاً دينية مثيرة، وفى تذكرها تذوب قلوبنا خشوعاً وتعبداً وشكراً لله.

فجنة عدن خلقها الله فى الشرق «وغرس الرب الإله جنة فى عدن، **شرقاً**، ووضع هناك آدم الذى جبله. وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، وشجرة الحياة فى وسط الجنة» (التكوين ٢ : ٨).

ثم إنّ النجم الذى ظهر للمجوس عند ميلاد المسيح له المجد، وقادهم إلى أورشليم ظهر لهم فى **المشرق**، يقول الإنجيل «وإذ ولد يسوع فى بيت لحم التى بإقليم اليهودية .. إذا مجوس جاءوا من المشرق إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود، فإننا **رأينا نجمه فى المشرق**، وأتينا لنسجد له» (متى ٢ : ١، ٢).

وهكذا ارتبط مجئ المسيح إلى العالم، بشروق شمس البر «ولكم أيها المتقون اسمى **تشرق**

---

(١) كتب فى ٢٦ من مايو ـ آيار لسنة ١٩٩٣م ـ ١٨ من بشنس لسنة ١٧٠٩ش.

شمس البرّ، والشفاء فى أجنحتها» (ملاخى ٤ : ٢) وكما أنبأ زكريا الكاهن بالروح القدس بقوله «بفضل رحمة إلهنا تفقّدنا **المشرق من العلاء ليضئ للجالسين فى الظلمة وظلال الموت**، ويقود خُطانا فى طريق السلام» (لوقا ١ : ٧٨ ـ ٨٠) انظر (إشعياء ١١ : ١)، (زكريا ٣ : ٨)، (٦ : ١٢).

وتمشياً مع هذا الفهم الروحى يرد فى كتاب التسابيح التى نستخدمها خصوصاً فى شهر كيهك الذى نحتفل فيه بميلاد المسيح أو بالحرى تجسّده «**النور أشرق** من مريم» والنور هنا هو المسيح.

ثم إنّ أورشليم السمائية يصفها سفر الجليان ـ الرؤيا ـ «لها سور عظيم وعال ولها إثنا عشر باباً.. **من الشرق** ثلاثة أبواب ومن الشمال ثلاثة أبواب، ومن الجنوب ثلاثة أبواب، ومن الغرب ثلاثة أبواب» (٢١ : ١٢، ١٣) فالبدء من الشرق، دائماً.

وجاء فى سفر المزامير قوله «صعد إلى سماء السماوات نحو **المشارق**» (مزمور ٦٧ : ٣١).

هذه بعض الأسباب التى من أجلها نتجه إلى الشرق فى صلواتنا.

أما بالنسبة إلى الهنود أو إلى أى شعب آخر، فالشرق عندهم يكون وفقاً لشروق الشمس عندهم، حتى لو اختلف موضعه بالنسبة للبلاد الأخرى.

وعلى الإجمال، فالإتجاه إلى الشرق هو من حيث المعانى التى يثيرها الشرق فى نفوس العابدين، سواء بالنسبة للطبيعة الكونية فى شروق الشمس ، أو من حيث المعانى الروحية التى يستدعيها فى نفوس العابدين الإتجاه إلى الشرق.

٨ - الموضع الذى ينبغى فيه السجود (١)

سؤال: جاءنا فى صور مختلفة من عدد كبير من المسيحيين ممن يشاهدون البرنامج الدينى فى تليفزيون جمهورية مصر العربية، يدور حول الموضع الذى ينبغى فيه السجود كما جاء فى الحوار الذى جرى بين المرأة السامرية والمسيح له المجد على ما ورد فى الإنجيل للقديس يوحنا، والأصحاح الرابع؟

الجواب:

عندما تبيّنت المرأة السامرية أنّ يسوع المسيح حدّثها عن أسرار حياتها الخاصة، مع أنها لم تلتقِ به من قبل، حتى شهدت عنه لأهل مدينتها السامرة: «هلمّوا انظروا ذلك الرجل الذى قال لى كل شئ فعلتُ. أيكون هذا هو المسيح؟» (يوحنا ٤: ٢٩) اعتقدت فيه بادئ ذى بدء أنه نبىّ وقالت له: «يا سيد أرى أنك نبىّ» (يوحنا ٤: ١٩).

من هنا أرادت أن تنتهز الفرصة لتسأله عن مشكلة عقائدية، جرى فيها خلاف طويل بين السامريين وبين اليهود على مدى بضعة قرون. ولم يظهر نبىّ بعد ليحسم هذا الخلاف، قالت فى وضوح وهى تشير إلى الجبل القريب منها وهو (جبل جرزيم): «لقد كان آباؤنا يسجدون فى هذا الجبل، وأنتم تقولون إنّ فى أورشليم الموضع الذى ينبغى فيه السجود» (يوحنا ٤: ٢٠).

وسؤال السامرية سؤال محدود ومحدّد: هى تريد من السيد يسوع المسيح الذى اعتقدت فيه أنه نبّى، أن يفتيها بصفته هذه، أى الموضعين أجدر بأن يكون مكان السجود الذى ترتضيه الإرادة الإلهية وتأمر به؟، وبالتالى أى الشعبين على حق فى دعواه؟ هل الشعب اليهودى الذى يذهب إلى أنه فى أورشليم، وأورشليم وحدها، الهيكل القائم على جبل صهيون، وهو جبل المريا الذى قدم من فوقه إبراهيم أبو الأنبياء ابنه إسحق ذبيحة «وإن كان قد افتدى بكبش» أو هو شعب السامرة الذى يزعم منذ بضعة قرون خلت أنّ جبل (جرزيم) الذى أقام عليه أهل السامرة هيكلهم هو الموضع الوحيد الذى يرتضيه الله ويريده؟

رأيان متعارضان:

إذن هناك رأيان مختلفان ومتعارضان، وكل رأى له حجته، ويستند إلى تاريخ قديم هو تاريخ الشعب القائل به، والآباء والأجداد الذين صنعوا هذا التاريخ، وبالتالى خلقوا هذا الخلاف وتركوه تراثاً للأبناء والأحفاد.

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٢٨ من يونيه - حزيران لسنة ١٩٨١م - ٢١ من بؤونه لسنة ١٦٩٧ش.

ومن الأمانة للحق أن يرجع الباحث إلى هذا التاريخ لكى يضع المشكلة فى مكانها الصحيح، حتى يتبيّن معنى سؤال السامرية، وأين تكمن المشكلة الحقيقية فى سؤالها الذى قدمته فى صورة استفتاء للسيد المسيح بوصفه المتحدث باسم الله والذى يمكن أن ينبئها بالجواب الصحيح.

إنّ سؤال المرأة السامرية، يكشف مبدئياً عن التعارض بين اليهود من جهة والسامريين من جهة أخرى وذلك يتضح من قولها «لقد كان آباؤنا - أى آباء المرأة السامرية - يسجدون فى هذا الجبل (المجاور لها وهو جرزيم) وأنتم (اليهود) تقولون إنّ فى أورشليم الموضع الذى ينبغى فيه السجود (يوحنا ٤ : ٢٠).

ثانياً: تقول المرأة السامرية للمسيح له المجد عندما طلب منها أن تعطيه ليشرب، بُغية أن يستدرجها فى الحديث: «كيف تطلب منّى لتشرب، وأنتَ يهودى وأنا سامرية، واليهود لا يخالطون السامريين؟» (يوحنا ٤ : ٧ - ٩).

جذور الخلاف بين اليهود والسامريين:

فإذا رجعنا إلى التاريخ علمنا جذور هذا الخلاف، بل هذا العداء المستحكم الذى اقتضى القطيعة بين الشعبين.

المعروف أنّ السامرة هى إحدى مقاطعات فلسطين الثلاثة: مقاطعة الجليل فى الشمال، ومقاطعة السامرة فى الوسط، ومقاطعة اليهودية فى الجنوب.. وجميع السكان فى هذه المقاطعات الثلاث كانوا من شعب بنى إسرائيل، وكانت لهم مملكة واحدة عاصمتها أورشليم. القدس، وذلك إلى عهد سليمان بن داود. فلما صار رحبعام بن سليمان ملكاً بعد أبيه سليمان، انقسمت المملكة بسبب حماقة رحبعام وإنحيازه إلى مشورة الشباب الطائش، إلى مملكتين غير متعادلتين: ذلك أنّ عشرة أسباط من الإثنى عشر سبطاً من أسباط بنى إسرائيل انفضّوا عن رحبعام بن سليمان وأسّسوا لأنفسهم مملكة بذاتها فى السامرة، أسموها مملكة (إسرائيل)، وجعلوا عاصمتها شكيم (وهى الآن نابلس) وأقاموا ياربعام بن نباط ملكاً عليهم، وبذلك لم يبقَ مع رحبعام إلاّ سبط واحد، هو سبط يهوذا ومعهم سبط الكهنوت (لاوى). وإلى سبط يهوذا يرجع فى الواقع اسم (اليهود)، وهؤلاء احتفظوا باسم (أورشليم) عاصمة لمملكتهم. وقصة هذا الانقسام الخطير نجدها تفصيلياً فى (سفر الملوك الأول: ١٢).

السامريون يسجدون على جبل جرزيم:

ولكى يضمن ياربعام ولاء مملكة (إسرائيل) (المؤلفة من عشرة الأسباط) له، واستمرار إنفصالها عن مملكة (يهوذا) رأى أن يمنع ذهاب شعب إسرائيل إلى أورشليم للحج أو للسجود هناك حيث الهيكل «فاستشار الملك، وعمل عجلين من الذهب. وقال لهم: لا حاجة لكم بعد بالصعود إلى أورشليم. هذه آلهتكم يا إسرائيل التى أخرجتكم من مصر. وجعل أحدهما فى بيت إيل والآخر وضعه فى دان. فكان هذا الأمر عثرة. وكان الشعب يذهبون إلى أمام أحدهما حتى إلى دان. وبنى بيت المرتفعات، وأقام كهنة من لفيف الشعب لم يكونوا من بنى لاوى. وأقام ياربعام عيداً فى الشهر الثامن، فى اليوم الخامس عشر من الشهر، كالعيد الذى فى يهوذا، وأصعد على المذبح. وكذلك عمل فى بيت إيل، وذبح للعجلين اللذين عملهما، وأقام فى بيت إيل كهنة المرتفعات التى عملها، وأصعد على المذبح، الذى عمله فى بيت إيل، فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن فى الشهر الذى عيّنه من نفسه، وأقام عيداً لبنى إسرائيل وصعد على المذبح ليوقد». (١ .الملوك ١٢: ٢٥ ـ ٣٣) . انظر أيضاً (٢ . الملوك ١٠: ٢٩)، (١٧: ١٦)، (هوشع ٨: ٤ – ٧) . وبعد ذلك بُنيت (السامرة) أو جُدِّدت فى أيام عُمرى أبى آخاب ملك إسرائيل (٨٧٦ ـ ٨٤٢ ق. م) وصارت هى عاصمة مملكة إسرائيل من الأسباط العشرة إلى زمن السبى أو الجلاء، يقيم فيها الملوك ويدفنون بها عند موتهم (١ . الملوك ١٦: ٢٣ – ٢٨)، ومن بعد عُمرى جاء ابنه آخاب وأقام فيها مذبحاً للبعل فى هيكل البعل (الذى بناه بالسامرة) (١ . الملوك ١٦: ٣٢) فصارت السامرة منذ البدء مدينة وثنية. وعلى الرغم مما قام به ياهو ملك إسرائيل من ثورة قتل فيها جميع عبدة البعل ليحارب الوثنية (٢ . الملوك ١٠: ١٨ – ٢٨) إلاّ أنّ الوثنية عادت فاستفحلت فى السامرة (هوشع ٨: ٤ – ٦)، (عاموس ٨: ١٤) .

أجانب يختلطون بالسامريين:

بالإضافة إلى كلّ ذلك حدث أن هاجم (شلمناصر) ملك أشور مدينة السامرة فى سنة ٧٢٤ ق. م واستعبد (ياهو) ملكها، وحاصرها لمدة ثلاث سنوات وفى عام ٧٢٢ ق. م غزا سرجون (إشعياء ٢٠: ١) خليفة شلمناصر، السامرة، وسبى من أهلها ٢٧٢٨٠ شخصاً إلى أشور وأسكنهم فى حلَحَ وعلى خابور نهر جوزان وفى مدائن مادى (٢ . الملوك ١٧: ٥، ٦) وترك الباقين الضعفاء من سكانها، ولكى يضمن خضوع أهل السامرة له بعد أن سبى من سباهم من أهلها، نقل إليها شعباً من الأجانب، (وأتى ملك أشور بقوم من بابل وكوث وعوّا وحماة وسفروايم

وأسكنهم فى مدن السامرة مكان بنى إسرائيل، فامتلكوا السامرة واستوطنوا مدنها. وكان أنّهم فى مبدأ إقامتهم هناك لم يتّقوا الرب.. فكلّموا ملك أشور قائلين إنّ الأمم الذين جلوتهم وأسكنتهم فى مدن السامرة لم يعرفوا حكم إله الأرض .. فأمر ملك أشور قائلاً: ابعثوا إليهم واحداً من الكهنة الذين جلوتهم من هناك، فيذهب ويقيم هناك ويعلّمهم حكم إله الأرض. فأتى واحد من الكهنة الذين جلاهم من السامرة، وأقام ببيت إيل، وأخذ يعلّمهم كيف يتّقون الرب. فأخذت كل أمة تعمل آلهتها وتضعها فى بيوت المرتفعات التى عملها السامريون، كل أمّة فى مدنها التى سكنتها. فعمل أهل بابل سكّوث بنوث، وأهل كوث عملوا نرجل، وأهل حماة عملوا أشيما، والعويّون عملوا نبجز وترتاق، والسفروائيميون كانوا يحرقون بنيهم بالنار لأدرملّك وعنملّك إلهى سفروائيم. فكانوا يتقون الرب ويقيمون لأنفسهم من لفيفهم كهنة مرتفعات يقرّبون لأجلهم فى بيوت المرتفعات. وكانوا يتّقون الرب ويعبدون آلهتهم كعادة الأمم الذين جلوهم من بنيهم. وهم إلى هذا اليوم يعملون كعاداتهم الأول. لا يتقون الرب ولا يعملون بحسب سننهم وعوائدهم ولا بحسب الشريعة والوصية التى أمر الرب بها بنى يعقوب الذى سمّاه إسرائيل. وقد قطع الرب معهم عهداً وأمرهم قائلاً: لا تتّقوا آلهة أخرى ولا تسجدوا لها، ولا تعبدوها، ولا تذبحوا لها، بل الرب الذى أخرجكم من أرض مصر بقوة عظيمة وذراع مبسوطة، إياه فاتقوا، وله فاسجدوا واذبحوا.. ولا تتقوا آلهة أخرى.. بل الرب إلهكم فاتّقوا، فهو ينقذكم من أيدى جميع أعدائكم. فلم يسمعوا، بل بحسب عادتهم الأولى كانوا يعملون. فكان هؤلاء الأمم يتقون الرب ويعبدون تماثيلهم وكذلك بنوهم وبنو بنيهم، كما صنع آباؤهم يصنعون هم أيضاً إلى هذا اليوم» (٢. الملوك ١٧ : ٢٤ – ٤١).

وقد ظل أهل السامرة يمارسون هذه العبادة المزدوجة أيضاً فى عهد (اسرحدون) ملك أشور حتى سقوط أورشليم فى عام ٥٨٦ ق. م (عزرا ٤ : ٢)، (٢. الملوك ١٩ : ٣٧).

اشتداد القطيعة بين اليهود والسامريين:

كذلك فعل الأسكندر المقدونى (٣٥٦ ـ ٣٢٤) ق. م عندما استولى على السامرة فى عام ٣٣٢ق. م، ونقل سكانها إلى شكيم، وأتى بمقدونيين وسوريين وأسكنهم فيها.

ولقد اشتدت القطيعة بين اليهود من سبط يهوذا، وبين السامريين، حتى إنه عندما عاد المسبيّون من اليهود إلى أورشليم فى أيام زربابل، طلب السامريون أن يشتركوا معه فى بناء الهيكل فى أورشليم بزعم أنهم مثلهم يعبدون الرب إله إسرائيل، لكن زربابل رفض طلبهم، فلم يسمح لهم بالاشتراك معه فى البناء. فحنق السّامريون على اليهود، وجعلوا يحاربونهم ويقاومونهم وانضمّوا إلى أعداء اليهود فى تعطيل بناء الهيكل ثم فى تعطيل بناء سور أورشليم.

جاء فى سفر نحميا: «ولمّا سمع سنبلّط أننا آخذون فى بناء السور غضب وحنق حنقاً شديداً وسخر من اليهود. وتكلّم أمام إخوته وجيش السّامرة وقال: ماذا يفعل أولئك اليهود الضعفاء؟ ... فبنينا السّور، واتصل السور كله إلى نصفه، وكان للشعب عزيمة فى العمل. ولمّا سمع سنبلّط وطوبيا والعرب والعمونيون والأشدوديون بأن أسوار أورشليم قد رفعت، وأن قد أُخذ فى سدّ الثغر، غضبوا جداً، وتحالفوا كلّهم يداً واحدة على أن يأتوا ويحاربوا أورشليم وينزلوا بها شراً .. (نحميا ٤: ١ - ٢١).

هيكل على جبل جرزيم:

واستفحل العداء أكثر عندما طرد نحميا من الكهنوت منسّى الكاهن على ما يروى يوسيفوس المؤرخ اليهودى. لأنّه تزوج من ابنة سنبلّط الحورونى، فلما لجأ منسى إلى سنبلّط حميه. وعده هذا ببناء هيكل على جبل جزريم، إذا احتفظ بابنته زوجة ولم يطلقها كطلب شيوخ أورشليم (١). وقد برّ سنبلّط بوعده فبنى هيكلاً على جبل جرزيم (فى عهد الأسكندر المقدونى) ضد هيكل أورشليم، وذلك نحو سنة ٤٣٢ ق. م وسمى بالهيكل السّامرى. وقد صار جبل جرزيم (Gerrizzim) مقدّساً عند السامريين نظراً لبناء الهيكل من فوقه، وظل كذلك مقدّساً حتى بعد أن هدم يوحنا هركانوس الهيكل سنة ١٢٨ ق. م (٢) ومع ذلك استمر السامريون يقدمون قرابينهم على جبل جرزيم حيث كان الهيكل.

وعندما نجّس أنطيوخوس ابيفانيوس اليونانى (توفى ١٦٣ ق. م) هيكل أورشليم بأن قدّم على مذبحه خنزيرة، أعلن السامريون أنهم لا ينتمون إلى اليهود أصلاً، وزادوا على ذلك بأن ألقى بعض السامريين فى هيكل أورشليم عظاماً نجسة، وذلك فى السنة السادسة قبل الميلاد. فاشتد تبعاً لذلك كره اليهود للسامريين حتى صار اليهودى يحسب طعام السامرى نجساً بمثابة لحم الخنزير، بل لقد غالى اليهود فى احتقارهم للسامريين حتى صار اسم السامرى ذاته نجساً عند اليهودى، وكان يستنكف من أن ينطق به لئلا تتنجس بذكر اسمه شفتاه. وبالتالى صار العداء مستحكماً بين اليهودى والسامريين، وانقطعت بينهما كل صلة ولم يعد بينهما أية علاقات دينية أو اجتماعية. وهو ما عبّرت عنه المرأة السامرية، وقد أذهلها أن يطلب السيد المسيح منها أن تعطيه ليشرب، فقالت له على الفور: «كيف تطلب منى لتشرب، وأنت يهودى وأنا سامرية،

---

(١) انظر كتاب (تاريخ اليهود) ليوسيفوس اليهودى، الجزء ١١، الفصل ٧ الفقرة ٢ ـ ثم الجزء ١٢، فصل ٤ فقرة ١.

(٢) انظر كتاب (تاريخ اليهود) ليوسيفوس ـ الجزء ١٣ فصل ٩ فقرة ١.

واليهود لا يخالطون السامريين؟» (يوحنا ٤: ٩). انظر (متى ١٠: ٥)، (لوقا ٩: ٥٢، ٥٣)، (يوحنا ٨: ٤٨)، (أعمال١٠: ٢٨).

السؤال من جديد:

نعود بعد ذلك إلى سؤال المرأة السامرية الذى وجهته إلى السيد المسيح له المجد: «لقد كان آباؤنا يسجدون فى هذا الجبل، وأنتم تقولون إنّ فى أورشليم الموضع الذى ينبغى فيه السجود؟» (يوحنا ٤: ٢٠).

ولا شك أن المرأة السامرية عندما قالت «لقد كان آباؤنا يسجدون فى هذا الجبل» كانت تشير إلى آبائها من أهل السامرة الذين كانوا ومازالوا على قولها يسجدون فى جبل جرزيم الذى تعنيه بقولها (هذا الجبل)، وأعنى به الجبل القريب منها، ويسمّى الآن (جبل الطور)، وهو الذى يكّون الحد الجنوبى للوادى العميق الضيق الذى تقع فيه شكيم (وهى الآن نابلس)، ويقف فى مواجهته جبل (عيبال) فى الجانب الشمالى من الوادى، وفى سفح جبل جرزيم توجد بئر يعقوب التى جلس عندها السيد المسيح وإلتقى بالمرأة السامرية التى جاءت لتستقى ماء من تلك البئر (يوحنا ٤: ٦، ٧، ١٢). والمعروف أنه على جبل جرزيم كان يقف نصف أسباط بنى إسرائيل يهتفون بالبركات لمن يحفظ وصايا الرب، بينما كان يقف النصف الآخر من أسباط بنى إسرائيل ينطقون باللعنات على من يعصى أوامر الرب. انظر (سفر التثنية ١١: ٢٩)، (٢٧: ١٢). (يشوع ٨: ٣٣ – ٣٥)، (القضاة ٩: ٧ – ٢١).

جواب المسيح:

فماذا كان جواب المسيح له المجد على سؤال المرأة السامرية؟

«قال لها يسوع: أيتها المرأة صدّقينى إنه تأتى ساعة فيها، لا فى هذا الجبل، ولا فى أورشليم، تسجدون للآب.. ولكن تأتى ساعة، وقد أتت الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب يبتغى مثل هؤلاء الساجدين له. فإنّ الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا» (يوحنا ٤: ٢١ – ٢٤).

ومن هذه الإجابة القدسية من فم السيد المسيح له المجد على سؤال السامرية تتضح الحقائق الآتية:

أولاً: إن العبادة الحقيقية فى العهد المسيحى لا ترتبط بالمكان، بل بالأحرى إنها تُقوّم بالروحانية وبالصدق. فليس المهم، وفقاً لتعليم المسيح، أين يكون السجود؟ أو أين

تكون العبادة؟، وإنما المهم فى العبادة المسيحية أن تمارس (بالرّوح والحق). وبعبارة أخرى ليس المهم (أين) يسجد العابد، بل (كيف) يسجد، و(كيف يتعبد).. ليكن المكان أى مكان، هذا لا يهم، وإنما الذى يهم فى الحقيقة هو (**روح العبادة**)، وأن تكون (**عبادة صادقة وحقيقية، عبادة حقّة من أعماق القلب والروح والنفس**)، وليس مجرد عبادة شكلية مظهرية رسمية.. والدليل على أن هذا هو المقصود هو قوله له المجد «الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالرّوح الحق، لأن الآب يبتغى مثل هؤلاء الساجدين له. فإنّ الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا» (يوحنا ٤: ٢٣، ٢٤). انظر أيضاً (غلاطية ٥: ٢٥)، (فيلبى ٣: ٣)، (١. تيموثيئوس ٢: ٨)، (يعقوب ٤: ٨)، (١. بطرس ١: ٢٢).

ثانياً: إن العبادة (والسجود لله) تبعاً لتعليم المسيح له المجد لم تعد مرتبطة بمكان معين، وإنّما صارت العبادة لله الآب عبادة محرّرة من الارتباط بالمكان المحدود، وهذا يتمشى مع منطق تعليم المسيح فى العهد الجديد الذى نقل الكنيسة إلى كل امتداد، فلم تعد كما كانت فى المفهوم اليهودى القديم كنيسة عنصرية تتألف من شعب بذاته، وهو الشعب اليهودى الذى كان يسمّى بالشعب المختار، وإنما صارت فى العهد الجديد كنيسة جامعة مسكونية تضم المؤمنين بالمسيح من كل شعب وأمّة ولسان فى كل مكان «ولا فرق بين يهودى وغير يهودى، بين عبد وحرّ، بين رجل وإمرأة، فأنتم كلكم واحد فى المسيح يسوع» (غلاطية ٣: ٢٨). وعن هذا المفهوم للعبادة المسيحية جاء فى نبوءة النبى ملاخى «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمى عظيم فى الأمم، وفى كل مكان يقرّب لإسمى بخور وتقدمة طاهرة، لأن اسمى عظيم فى الأمم، قال ربّ الجنود» (ملاخى ١: ١١). وهذا هو النص القدسى الذى نردده فى القداس للدلالة على امتداد العبادة المسيحية الروحانية إلى كل مكان.

ثالثاً: إن هذا المفهوم الجديد للكنيسة بامتدادها المسكونى الجامعى هو المفهوم الذى قدّمه المسيح بنفسه. وقد بدأ فعلاً بمجئ المسيح وصار مرتبطاً أساساً بالدعوة المسيحية والرسالة المسيحية. وهذا يتضح من تصريحه له المجد «تأتى ساعة ـ وقد أتت الآن» (يوحنا ٤: ٢٣). وإذن فلقد بدأت ممارسة هذا المفهوم بمجرد النطق الإلهى «وقد أتت الآن»، أى أنّ المسيح لا يحيلنا على المستقبل البعيد، إنما يحسم القضية ببيان أن هذا المفهوم الجديد قد صار «الآن».

وبعد، فهذا المقال أيضاً نهديه لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى لعل له فيه منفعة.

٩ ـ الميامر الكنسية

سؤال: من الأب المحترم القس ميخائيل جبانيه ـ الغردقة

يقول: نريد كلمة فى جريدة وطنى لمنفعة الجميع من الكهنة والشعب عن الميامر وأصلها التاريخى والأسلوب الأمثل للاحتفال بها.

الجواب:

الميامر جمع (ميمر) وهى كلمة من أصل سريانى تفسيرها (سيرة) والميامر احتفالات دينية سنوية بأعياد القديسين، وفيها تتلى (سيرة) القديس المحتفى به، للتكريم، وللاقتداء به فى فضيلته، والتمثل بأعماله. وفيها يقيمون ولائم المحبة (الأغابى) للفقراء والمساكين والأرامل واليتامى، وتوفى النذور باسم قديس اليوم، تطبيقاً لتعليم المسيح له المجد «من قَبِلَ نبياً لأنّه نبىٌّ، فأجر نبىّ يأخذ. ومَن قَبِلَ باراً لأنّه بار فأجر بارٍ يأخذ. ومَن سقى أحد هؤلاء الصغارِ ولو كوب ماءٍ باردٍ لأنّه تلميذ فالحق أقولُ لكم إنّه لا يضيعُ أجره». (متى ١٠: ٤١، ٤٢).

وقوله «ومن ثم فإنّ من سقاكم كأس ماءٍ باسمى على اعتبار أنكم تنتمون إلى المسيح. فالحق أقول لكم إنه لن يضيع أجره» (مرقس ٩: ٤١).

قال المسيح له المجد «إذا أولمت وليمة غذاء أو عشاء فلا تدع أصدقاءك ولا إخوتك، ولا أقرباءك، ولا جيرانك الأثرياء لئلا يدعوك هم أيضاً، فتكون قد نلت منهم المكافأة وإنما إذا أولمت وليمة فادع الفقراء والضعفاء والمقعدين والعميان، فتكون مغبوطاً، لأنّهم لا يملكون ما يكافئونك به، ومن ثم تنال مكافأتك عند قيامة الأبرار» (لوقا ١٤: ١٢ – ١٤).

ويقرأون فى هذه المناسبة وأثناء تناول الطعام سيرة القديس الذى يحتفلون بذكراه. أما بالنسبة للمرضى والعاجزين عن الحضور لتلك الولائم، فيرسلون لهم نصيبهم من الخبز والطعام... فى بيوتهم.

ومازال الأقباط، ولا سيما فى الريف، يقيمون لهذه الاحتفالات أهمية خاصة، ويخبزون لهذه المناسبة خبزاً خاصاً، يعجنونه بالزيت والسكر أو العسل وينحرون الذبائح، ويطبخون لحم العجول والخراف وأحياناً السمك وفاكهة الموسم إلى جانب الخضروات المناسبة.

ولهذه الاحتفالات مزايا اجتماعية وعائلية جميلة، يشارك فيها أعضاء الأسرة من رجال ونساء وأطفال بنصيب وافر من الجهد لإعداد لوازم العيد، وتجهيز الموائد، والتوزيع على المرضى والعاجزين والأيتام فى بيوتهم.

فينشأ الأطفال على محبة العطاء والتوزيع، فضلاً عن تعلمهم بأسلوب عملى عن تراجم حياة القديسين وفضائلهم وما قاموا به من أعمال، ولهذا قيمة تربوية جميلة وتدريب عملى على فضيلة الرحمة والبرّ بالمساكين والفقراء.

ومن بين الأعياد التى ما زال الأقباط يحتفلون بها حتى فى المدن، عيد الملاك ميخائيل، وله عيدان أحدهما يقع فى ١٢ من هاتور، والثانى فى ١٢ من بؤونة. ولكل من هاتين المناسبتين ميمر خاص يُتلى أثناء تناول الطعام، وفيها قصة روحية جميلة تتحدث عن معجزات أجراها رئيس الملائكة ميخائيل لمن يحافظ على عهده بإقامة العيد على الصورة الروحية المرضية.

وهناك كتب خاصة لهذه الميامر ، لعلّ من بينها كتاب ميامر العذراء مريم، وميامر أعياد الملائكة وميامر الشهداء والقديسين، مجتمعة فى كتاب واحد، أو منفصلة فى عدد من الكتب متفرقة وهناك أيضاً كتب فى مدح ومديح القديسين، وما يتعلّمه الإنسان من فضائلهم.

ولقد رأينا بعض القديسين قد توسع فى مفهوم الميامر، فنجد فى عدد منها الميمر، وقد تحوّل إلى عظة روحية كاملة، وهذا توسع فى استخدام كلمة (ميمر) فصارت الميامر مرادفة للعظات، ومن ذلك ما يعرف بميامر السروجى وميامر القديس افرام السريانى، وديونيسيوس الأريوباغى، وميامر باسيليوس الكبير ويوحنا ذهبى الفم وغيرهم من آباء الكنيسة الكبار.

ونحن نرجو أن نعمل جميعاً على تشجيع هذه الاحتفالات، وما يصاحبها من أعمال الرحمة والبرّ بالفقراء وأصحاب الحاجات، وما تثيره وتتطلبه من قراءات عن القديسين أصحاب السيرة العطرة، وما تدفع إليه مثل تلك الاحتفالات من نشاطات روحية يُسهم فيها الصغار مع الكبار، وتكون فرصة تربوية واجتماعية وروحية يتعلّم فيها الجميع ويتدربون على ممارسة الحياة الاشتراكية بمفهومها المسيحى العريض والعميق.

١٠ ـ ملابس الكهنة (١)

سؤال من ص. ف

يقول إنه سئل من ذوى الحساسيات الذين يعمل معهم سؤالاً لم يعرف له جواباً، فأرسله إلينا:

هل هناك تطور فى ملابس الكهنة، ففى الخمسينات والستينات والسبعينات كان الكاهن لا يخرج من منزله إلاّ وهو مرتدٍ كامل ملابسه ومن فوقها الجبة وهى ما تسمّى بالفراجية، وتلك الملابس تكسبه هيبة ووقارا أمام الجميع. وكان الأسقف أيضاً لا يخرج من المطرانية إلاّ بملابسه كاملة ومن فوقها الجبة أو الفراجية بأكمامها الواسعة. أما الآن ففيما عدا مطرانية أسيوط المحافظة على التراث القديم اختفت الفراجية من الكهنة، وهى فى طريقها إلى الاختفاء والزوال من عند الأساقفة. وقد سألتُ أحد الكهنة : لماذا تخرج يا أبانا من غير الفراجية؟ فأجاب قائلا: مادام الأسقف نفسه لا يلبس الفراجية، فهل يمكنه أن يلزمنى بارتدائها؟ وسؤالى، وسؤال آخرين معى: هل حدث تطور فى ملابس الكهنة؟

الجواب :

ربما نشأ التخفف من ارتداء الجبة أو الفراجية بسبب حرارة الجو فى الصيف، خصوصا فى بعض بلاد الصعيد حيث تصل درجة الحرارة إلى درجات عالية. ولعله لهذا السبب رأينا رجال الدين فى بلاد الهند وفى بلاد الحبشة (أثيوبيا) يلبسونها فى الصيف بيضاء.

أما فى غير الهند والحبشة فنحن نرى أن رجال الدين جميعا وبغير استثناء، أساقفة وقسوسا وشمامسة أيضا، يرتدون الفراجية المشقوقة من الأمام ويظهرون بها فى داخل الكنائس وفى خارجها. فرجال الدين فى جميع الكنائس الأرثوذكسية القديمة، والكنائس الأرثوذكسية التى تسير على الطقس البيزنطى، وهى فى بلاد اليونان وقبرص وبلغاريا ورومانيا وروسيا وغيرها فى كل بلاد أوربا وآسيا وأفريقيا وامريكا، يرتدون الفراجية المشقوقة فى داخل كنائسهم وخارجها.

فالفراجية المشقوقة من الأمام هى الخاصة برجال الدين منذ القديم لأنها زى العلماء والفلاسفة.. ولذلك كانت الأرواب الجامعية وهى زى العلماء دائما مشقوقة من الأمام، وكذلك

(١) كتب الثلاثاء ١٤ من أكتوبر ـ تشرين أول لسنة ١٩٨٦م ـ ٤ من بابه لسنة ١٧٠٣ش.

أرواب المحامين ووكلاء النيابة ورجال القضاء. وفى الكنائس الانجليكانية بانجلترا، يرتدى الفراجية المشقوقة من الأمام الشمامسة الذين يقرأون الفصول المقدسة والذين يقومون بالإشراف على النظام وذلك فى داخل الكنيسة.

وقد رأينا فى أوكسفورد وكيمبريدج بانجلترا أنه محظور حتى على الطلبة (فضلاً عن أعضاء هيئة التدريس) أن يسير طالب فى الشارع أو يدخل مطعما فى المدينة من غير الروب الجامعى المشقوق من الأمام. ولو فعل لوقع تحت طائلة المساءلة عن تصرف لا يليق بشرف أسرته الجامعية.

وبهذه المناسبة، نقول إن الفراجية المشقوقة من الأمام هى الزى الرسمى للكاهن والأسقف والشماس (الدياكون). أما (الزعبوط) المغلق من الأمام فهو زى عامة الشعب فى الريف، من غير الكهنة. وقد صار يرتديه الرهبان فى الأديرة من الوبر أو الصوف البنّى اللون. وعندما كنا نزور الأديرة فى الثلاثينيات والأربعينيات كنا نرى الرهبان يرتدون هذا الزعبوط البنّى اللون صيفا وشتاء.

والخلاصة أن الفراجية السوداء والمشقوقة من الأمام هى زى رجال الدين، جميعا، أساقفة وكهنة، يرتدونها فى داخل الكنيسة وخارجها.

أما رجال الدين الذين يتخففون عن هذه الفراجية بسبب حرارة الصيف أو بسبب ركوب الحافلات (الأتوبيسات) أو ما إلى ذلك، فهم يتنازلون عن شرف عظيم بارتداء هذه الفراجية التى تظهرهم فى زى العلماء والفلاسفة.

على أن الفراجية السوداء والمشقوقة من الأمام كانت لرجال الدين كزى يتميزون به، ويظهرون به خارج بيوتهم.

أمّا فى اثناء الخدمة، خدمة القداس والأسرار الكنسية الأخرى والخدمات الدينية، أى فى التعميد وعقد الاكليل ورفع البخور فى عشية وباكر، وفى الجنازات فيرتدون الملابس الخاصة بالخدمة الكهنوتية، وهى الملابس البيضاء المطرزة بالصلبان، وهذا تمثلاً واقتداء بالسيد المسيح له المجد الذى عندما صعد إلى جبل

التجلي تغيّرت هيئته وصارت ملابسه متألقة ناصعة البياض كالثلج، متألقة بالنور (متى ١٧: ٢)، (مرقس ٩: ٢)، (لوقا ٩: ٢٩)، (سفر الرؤيا ١: ١٣).

ومن المناظر المحزنة والمؤسفة في هذه الأيام أن نرى كاهنا يتلو صلوات الإكليل بالملابس السوداء، أو يرفع بخور عشية أو باكر أو يصلي على الموتى، من غير أن يرتدي ملابس الخدمة الكهنوتية.

إنها ظاهرة رديئة استشرت في هذه الأيام الأخيرة، وتحتاج إلى تنمية الوعي بطقوسنا الدينية، وإلى إحكام العمل بالنظام الكنسي المأمور به في الكتب المقدسة وكتب الطقس الكنسي.

١١ ـ ملابس الخدمة الكهنوتية

بيضاء دائما (١)

سؤال من الابن جميل قاصد باسيلى ـ طهطا

يقول لماذا يلبس الكاهن الملابس السوداء فى الأوقات التى لا يَخدُم فيها القُدّاس الإلهى بينما يَلبَس اللّون الأبيض فى أوقات الخِدمَة؟

الجواب :

إنّ الملابس البيضاء هى ملابس التجلّى، التى تليق بالخدمة وبالحضرة الإلهية.

واللون الأبيض يشير إلى النقاء والنقَاوة، وإلى الطهارة، وإلى البهاء، وإلى الفرح، وإلى النّصر.

فالمسيح له المجد عندما أراد أن يكشف لتلاميذه عن ومضة من ومضات لاهوته صَعِد إلى جبل شاهق، وهو جبل تابور (ثُمّ تَغيّرَت هيئتُه متجلّياً أمامهم، فأضاء وجهه كالشمس، وصارت **ثيابه بيضاء كالنور مُتَألِّقَةً كالبرق، ناصعة كالثلج**، حتى ليعجز أى قَصّار على الأرض عن أن يجعلها فى مثل **بياضها**) (متى ١٧ : ٢)، (لوقا ٩ : ٢٨)، (مرقس ٩ : ٢).

كذلك جاء عن المسيح له المجد فى سفر الرؤيا أو الجليان، كما رآه القديس يوحنا الرائى (متسربلاً بثوبٍ طويل إلى قدميه، ومتمنطقا حول صدره بمنطقة من ذهب. وكان رأسه وشعر رأسه أبيضان كالصوف الأبيض، كالثلج) (الرؤيا ١ : ١٣، ١٤).

كذلك رآه النبّى دانيال (**لباسه أبيض كالثلج**، وشعر رأسه كالصّوف النقِىّ) (دانيال ٧ : ٩).

(**اللابس النور كثوب**) (مزمور ١٠٣ : ٢) انظر (التكوين ٤٩ : ١٢)، (نشيد الأناشيد ٥ : ١٠، ١٤).

ثم إنه جاء عن الملائكة أنهم يظهرون دائما بثياب بيض.

---

(١) كتب فى ١٣ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٨٨م ـ ٦ من أبيب لسنة ١٧٠٤ش.

فرئيس الملائكة ميخائيل عندما نزل من السماء ودحرج الحجر عن فم القبر ليعلن أنَّ سيّده المسيح له المجد قد قام من بين الأموات (كان منظره كالبرق، **ولباسه أبيض كالثلج**) (متى ٢٨: ٣) (**متسربلاً بِحلَّة بيضاء**) (مرقس ١٦: ٥)، وكذلك رأت النسوة عند القبر الملاكين ميخائيل وجبرائيل (قد وقفا بهن فى **ثياب براقة**) (لوقا ٢٤: ٤)، (يوحنا ٢٠: ١٢).

وعندما صَعِد المسيح له المجد علانية فى يوم الأربعين لقيامته أمام تلاميذه: (إذا برجلين قد وقفا بهم **بلباس أبيض**) (أعمال الرسل ١: ١٠).

وجاء أيضا عن الملاك الذى ظهر لكورنيليوس قائد المائة الإيطالى أنه رآه واقفا أمامه (**بلباس أبيض**) (أعمال ١٠: ٣٠).

وجاء عن طغمة الأربعة والعشرين كاهِناً من الملائكة:

(ويُحيط بالعرش أربعة وعشرون عرشا، وعلى العرش أربعة وعشرون شيخا جالسين **متسربلين بثياب بيضاء**، وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب) (الرؤيا ٤: ٤).

وجاء فى الكتاب المقدس أنَّ القديسين الأطهار موعودون فى السماء بثياب بيض يتسربلون بها.

قال المسيح له المجد فى سفر الجليان أو الرؤيا لأسقف ساردس (ولكنّ قليلين من النّاس عندك فى ساردس لم يُدنّسوا ثِيابهم، فهم لذلك أَهل لأن يمشوا معى فى **ثيابٍ بيضاء**) (الرؤيا ٣: ٤).

ويقول أيضا له المجد: (من يغلب **سيلبس ثياباً بيضاء**) (الرؤيا ٣: ٥).

وجاء فى قوانين الكنيسة ما ينص على أن تكون ملابس الخدمة الكهنوتية بيضاء، تمثلاً بالسيد المسيح له المجد، وتمثلاً أيضا بالملائكة:

(والثياب التى يُقدّس فيها تكون بيضاء تليق بالكهنة، لا مُلوّنة. وسيّدُنا لمّا تجلّى كانت ثيابه بيضاء كالنور، وهو لون الشكل الملائكى عندما يظهرون للناس فى خير).

(هيبوليتوس ٣٧ ـ باسيليوس ٩٦ ـ كتاب القوانين لجامعة العلاّمة الشيخ الصفى ابن العسّال ـ الباب الثانى عشر ـ فى القدّاس ـ مادة ٩)

على أنه من المناسب أن يكون تطريز على التونية وعلى ستر المذبح برسم صلبان. والصليب يكون عادة بلون (الذَّهب)، نظراً لأن الذهب هو أصفى المعادن وأثمنها وأنقاها، وبين ألوان الطيف السبعة اللَّون الذهبى يبعث بإِشعاعات ذهبية، ولذلك فإنّ الهالة على الوجه للمسيح له المجد وللعذراء القديسة مريم تكون هالة ذهبية اللون. ويقولون إن اللَّون الذَّهبى إشعاعاته أرقى الإشعاعات.

وقد يُحشى رسم الصليب بشئ من النسيج الأحمر القانى، وهو يرمز إلى دم المسيح، دم الخلاص، وباللون الأحمر القانى يكون شريط الأوراريون (البدرشيل) الذى يرتديه رئيس الشمامسة (الأرشيدياكون) والشماس الدياكون شماس الهيكل.

أما (**الابروسفارين**) وهو الستر الذى يُغطّى به فوق الصينية والكأسِ أثناء القُداس، وكذلك اللفائف، فيمكن أن تكون **باللون الأزرق السَّماوى، الأزرق الفاتح**، فهو اللَّون الذى يجئ فى ترتيب الألوان بعد الأبيض والذهَبى، وقد لوحظ أن السيدة العذراء القديسة مريم تظهر أحيانا بقناع على رأسها أو ستر لونه أزرق سماوى، ويقولون إنّ اللون الأزرق السماوى إشعاعه بين ألوان الطيف يجئ بعد الأبيض والذهبى.

أمّا الملابس السوداء فيلبسها رجال الإكليروس **فى الأحوال العادية، أى فى غير أوقات الخدمة الكهنوتية**. واللون الأسود لملابس رجال الدين يرمز إلى الحشمة، وإلى الوقار، وإلى الزهد، وهو اللون الرسمى فى زى القضاة والمحامين وأساتذة الجامعات، وسفراء الدول فى الحفلات الرسمية. وهو لذلك لون الزىّ الرسمى لرجال الدين فى جميع الكنائس، شرقاً وغرباً.

١٢ - البرنس الأرجوانى

سؤال من السيد/ ناشد عياد - قلوصنا محافظة المنيا

إننا نتوجه إلى الكنيسة يوم الجمعة العظيمة، أعنى يوم صلب السيد المسيح، فنجد الأعمدة مجللة السواد، بينما نجد كاهن الكنيسة يلبس برنسا أحمر وحزاما أخضر، فهل ينسجم الحزن مع الفرح؟

الجواب :

تأمر الكنيسة المقدسة أنه في بدء صلوات الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة، يلبس الكهنة البرانس. والمقرر أن يكون البرنس الملائم ليوم الجمعة العظيمة، مصنوعا من قماش أسود أو كحلى، وأن يكون مرصعا أو محلى بصلبان باللون الأصفر الذهبى أو الأبيض.

ويجوز للأسقف أن يرتدى فى هذا اليوم برنسا مصنوعا من قماش قرمزى اللون تمثلا بالسيد المسيح الذى فى يوم صلبه هزأوا به «وألبسوه رداء قرمزيا» (متى ٢٧ : ٢٨)، أو أرجوانيا (مرقس ١٥ : ١٧)، (يوحنا ١٩ : ٢).

واللون القرمزى أو الأرجوانى كما هو معروف، أحمر داكن.

فإذا كان الكاهن فقيرا وليست لديه إمكانيات، فينبغى على شعب الكنيسة أن يتعاونوا معه ليكون له برنس مناسب لأسبوع الآلام، ولجمعة الصلبوت الكريم.

١٣ ـ قانون الإيمان يتلى كاملاً في أسبوع الآلام وفى كل أيام الخمسين المقدسة

سؤال من الإكليريكى عبده محروس فيلبس ـ المنيا

يقول إنه فى أيام الخمسين المقدسة وفى الفترة السابقة على عيد الصعود، يردّد بعض الناس قانون الإيمان مبتوراً، بمعنى أنهم يتوقفون عند قولهم عن المسيح له المجد (وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب) ثم يتركون تلاوة الجزء الباقى الخاص (بالصعود إلى السماوات والجلوس عن يمين الآب) زاعمين أنه فى هذه الفترة من أيام الخمسين المقدسة لم يكن المسيح قد صعد بعد إلى السماوات، علماً بأن الكاهن يتلو فى أثناء القداس قوله (وصعد إلى السماوات).

وبالرجوع إلى دلاّل أُسبوع الآلام، وخاصة فى ليلة عيد القيامة ينص الكتاب على القول. وتقال الأمانة (قانون الإيمان) بأكملها.

لذلك أرجو أن نتبين الحقيقة فى هذا الموضوع

الجواب :

إنّ كنيستنا الأرثوذكسية كنيسة طقسية وتقليدية، والطقوس فيها وسائل إيضاح جميلة تعبيرية عن الحقائق اللاهوتية والعقائدية. وفى أحيان تكون هذه الطقوس تعبيراتٍ حركية صامته، ولكنها تنطوى على رموز يفهمها ويعيها أبناء الكنيسة الأتقياء بما يعلمونه من تعليم الكهنة على منابر الوعظ، وما يقرأونه فى كتب الكنيسة فى تفسير القدّاس وسائر الخدمات والمباشرات الكنسية فى مختلف الأيام والمناسبات.

ومن بين طقوسنا الجميلة، طقوس كنيستنا فى أسبوع الآلام. فنحن على الرغم من أننا نعلم أن المسيح له المجد، قد قام من بين الأُموات، وصعد إلى السماوات واستوى على العرش إلى الأبد، لكن من أجل الفوائد الرُّوحية التى يجنيها العابدون من التأمل فى آلام المسيح التى تحمّلها عنا من أجل خلاصنا، وفيها تجلّت محبة الله وعدله معاً، رسمت الكنيسة المقدسة منذ الابتداء أن نحتفل كل سنة بهذا الأسبوع ـ على الرغم من أن الصلب تم مرة واحدة فى نهاية رحلة المسيح

على الأرض ـ احتفالاً يشغل كل أيام هذا الأسبوع نهاراً وليلاً، مصحوباً بالقراءات من أسفار العهدين القديم والجديد، مع الألحان الحزينة والأنغام المؤثرة المناسبة.

ومن بين تلك الطقوس المعبِّرة تُوقف خدمة القداس فى أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء، والجمعة من أسبوع الآلام، وتُقام الصلوات فى الخوروس الثانى خارج الهيكل. أما فى يوم الخميس الكبير، والمعروف بخميس العهد، وهو اليوم الذى سلّم فيه المسيح له المجد لتلاميذه سرّ العشاء الربّانى، فيقام القدّاس. ولكن **لا يَجْهَرُ الكاهن** بصلاة الصُلح تنبيهاً إلى أنه فى ذلك اليوم لم يكن عمل الفداء قد تمّ، وبالتالى لم تكن قد تمت المصالحة بين الله والإنسان، لأنّ المسيح لم يكن فى ذلك الخميس الكبير قد صُلِب بعد، وكذلك **لا يَجْهَرُ الكاهن** بالترحيم على الراقدين لفتا لأنظار المؤمنين إلى أنّ المسيح لم يكن آنذاك قد تمّمَ ذبيحة الفداء التى بها تم الإفراج عن أرواح الموتى التى كانت حبيسة فى العالم السُّفلى، ومنتظرة نزول المسيح إليهم فى الجحيم لينقلهم إلى الفردوس..

أما فى يوم سبت الفرح **فلا يَجْهَرُ الكاهن بصلاة الصلح** الذى لم يكن قد تمّ بعد ولكنه يجهر بالصلاة من أجل الراقدين لأنه اليوم التالى ليوم الجمعة العظيمة التى تمّ فيها الخلاص والفداء، وإبراء الأرواح السجينة، بنزول المسيح إليها.

وإذا قلنا (**لايَجْهَرُ**) **الكاهن** بصلاة الصلح، فليس معناه أن يَحذِف الكاهن صلاة الصلح أو يلغيها لأننا نحن لا نعيش الآن فى زمن ما قبل مجئ المسيح ونزوله من السماء، وإنما لا يجهر بها من أجل إبراز المعانى الرمزية فى طقوس أسبوع الآلام، **لا يَجْهَرُ الكاهن بصلاة الصلح أى لا يُصلَى بها جَهْراً** إبرازاً للتعليم لأنّ الطقوس كما قلنا هى وسائل إيضاح تعليمية، ولها معانيها الرمزية.

أما **قانون الإيمان، فيُتلى كاملاً جهراً وعلانية**، لأنه المعبر عن الحقيقة العظمى، فى لاهوت المسيح، وأنه نزل من السماء وتجسّد من الرُّوح القدس ومن مريم العذراء، وتأنس وصُلِب عنّا على عهد بيلاطس البنطى، وتألم وقبر وقام من بين الأموات، وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين أبيه، وأيضا يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات).

هذا القانون، قانون الإيمان، يتلى كاملاً غير منقوص، فى جميع أيام الأسبوع المقدس، وفى جميع أيام الخمسين المقدسة، وغير ذلك فى جميع أيام السنة الطقسية **لأنه الإعلان الواضح عن حقيقة المسيح، من هو، وأنه نزل من السماء، وأنه الفادى والمخلّص وأنه الآن فى السماء وأنه سيأتى فى مجيئه الثانى للدينونة والحساب.**

إنّ قانون الإيمان ليس طقسا كطقوس أسبوع الآلام. **إنه إعلان عن الإيمان الأرثوذكسى، والإعلان يجب أن يكون جهراً وعلانيةً وصراحةً ولا يُخفَى، ولا ينقص منه شئ.**

ألا ترى أننا فى يوم الجمعة العظيمة التى نحتفل فيها بصلب المسيح، وموته ودفنه فى القبر نتلو صراحة وجهراً التقديسات الثلاثة (قدوس الله، قدوس القوى، **قدوس الحىّ الذى لا يموت يامن صُلب عنا ارحمنا**) - فمع احتفالنا بصلب المسيح وموته، نجهر صراحة بالقول إنه **(الحىّ الذى لا يموت)**.

فالحقيقة الإيمانية نعلنها صراحة وجهراً، ولا نخفيها، معلنين أن المسيح لم يُصلب عن ضعف وإنما عن قوة، أى من أجل عمل الفداء الذى نزل من السماء من أجل تحقيقه لخلاصنا. قال المسيح (إنى أبذل نفسى... ما من أحدٍ ينتزِعها منِّى، وإنما أبذلها أنا وحدى من ذاتى. فلى سلطانٌ أن أبذلها، ولى سلطانٌ أن أستردها) (يوحنا ١٠: ١٧، ١٨).

لذلك فى يوم الجمعة العظيمة نهتف باللحن الجميل، وبصوت جَهْوَرِىّ (يامن أظهر بالضعف، ما هو أعظم من القوة).

١٤ ـ مواقيت القداسات فى ليالى الأعياد السيدية الكبرى (١)

العزيز السيد/ برسوم عبد المسيح عبيد

أمين مدارس التربية الكنسية بأرمنت الوابورات

سلام ورحمة ونعمة من ربنا يسوع المسيح.

ردا على استفساركم عن قانون وتقاليد الكنيسة بالنسبة لمواقيت القداسات فى ليالى الأعياد السيدية الكبرى ولاسيما عيدى الميلاد والغطاس، يسرنى الإفادة بما يلى:

نظرا لأن أعظم أعيادنا السيدية السبعة الكبرى شأنا هى هذه الثلاثة: عيد القيامة أولا ويليه فى الأهمية عيد الميلاد، وبعده عيد الغطاس، فقد رأت الكنيسة المرتشدة بالروح القدس أن يحتفل بهذه الأعياد الثلاثة ليلا إظهارا لأهميتها، وإبرازا لبهجتها وقيمتها الخلاصية... حتى أن الغطاس المجيد يحتفل به أيضا ليلا على الرغم من أن عماد الرب لم يكن ليلا.

ومن المعروف أن القيامة المجيدة قد تمت **بين منتصف الليل وأول الفجر من صباح الأحد** بدليل أن مريم المجدلية جاءت لمعاينة القبر عند الفجر، ووجدت الحجر مدحرجا عن باب القبر لأن المسيح له المجد كان قد قام أنظر (متى ٢٨: ١، ٢)، (لوقا ٢٤: ١)، (يوحنا ٣٠: ١) وقارن أيضا (مرقس ١٦: ٢).

وعلى ذلك فالمفروض أن قداس ليلة عيد القيامة المجيد يبدأ متأخراً بحيث ينتهى بعد الساعة الثانية بعد منتصف الليل.

وأما فى عيدى الميلاد والغطاس، فالمهم أن القداس يقام ليلا **ويمكن أن ينتهى القداس فى أى وقت بعد منتصف الليل ولا يجوز البدء خصوصا فى توزيع الأسرار المقدسة قبل بدء اليوم الجديد، أى يجب أن يكون التناول خصوصا بعد منتصف الليل.**

---

(١) كتب فى السبت ٢ فبراير ١٩٧٤م ـ ٢٥ طوبة ١٦٩٠ش.

وذلك لأن القداس الذى يقام هو قداس العيد. والعيد يقع فى اليوم التالى للصلاة فيجب أن يكون القسم الأخير من القداس بعد منتصف الليل الأول، حتى ندخل بالقداس إلى اليوم الجديد وهو يوم العيد ذاته. وهذا هو السبب فى أننا لا نقيم قداسا آخر فى صباح يوم العيد حتى لو وقع يوم العيد يوم أحد. لأن قداس ليلة العيد هو ذاته قداس العيد.

ولذلك يجب أن تمتد صلاة القداس بين منتصف الليل الأول ومنتصف الليل الثانى، فى كل من عيدى الميلاد والغطاس المجيدين.

ونعمة الرب تشملكم.

١٥ ـ هل تجوز إقامة قداس ليلة رأس السنة ليلا؟

سؤال من أحد الإكليريكيين

هل يجوز إقامة القداس مساء، فى غير ثلاثة الأعياد السيدية الكبرى، عيد القيامة، وعيد الميلاد، وعيد الغطاس، وما قولكم فى إقامة قداس ليلة رأس السنة الميلادية؟

الجواب :

إن الكنيسة أمرت أن يقام قداس عيد القيامة وعيد الميلاد وعيد الغطاس ـ هذه الأعياد الثلاثة ليلا، إبرازا لأهميتها، ولكى يتمتع ببهجتها جميع المؤمنين، بحضورهم، وهم فى عطلة من أعمالهم ليلا.

ولكن الكنيسة لم تمنع من إقامة القداسات ليلا فى غير تلك الأعياد، وبخاصة إذا كانت هناك ظروف محلية ـ مناخية، أو جغرافية، أو عملية، أو روحية تقتضى ذلك.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المسيحيين فى العصور القديمة، وفى أزمنة الإضطهادات، كانوا يقيمون القداسات ليلا، بحيث ينتهى القداس قبل الفجر أو قبل شروق الشمس على أكثر تقدير، تجنبا للمتاعب.

ومازالت العبادة قائمة فى أديرتنا، فى إقامة القداسات ليلا، على مدار السنة، فى جميع الآحاد وفى كل أيام الأسبوع، فى الأديرة التى تقيم القداس يوميا. وذلك لأسباب روحية، حيث يكون الهدوء مخيما، والسكون شاملا، ومثيرا للروح على التأمل والعبادة.

فلسنا نرى مانعا كنسيا من إقامة قداس ليلة رأس السنة الميلادية على أنه يحسن أن يكون قسم من قداس المؤمنين بعد منتصف الليل.

أما من حيث المبدأ، وبمقتضيات الظروف الإقليمية والمناخية والعملية والروحية، ليس هناك مانع كنسى من إقامة القداس فى أى وقت بعد الظهر بشرط أن يكون احتراس الكهنة الخدام والشمامسة والمتناولين من الشعب يسبق ساعة التناول من الأسرار المقدسة بتسع ساعات على الأقل، على ما تأمر به القوانين الكنسية.

١٦ ـ متى يجوز الجلوس أثناء خدمة القداس؟ (١)

سؤال من الابن وجدى ماهر عبد الملك ـ الأسكندرية.

يسأل عن خوروس المرتلين فى الكنيسة أثناء صلوات القُدّاس، وهل يجوز لهم الجلوس أحيانا.

الجواب :

كلّما أمكن أن يكون الخوروس وكل الشعب وقوفا أو سجودا أثناء خدمة القداس، فهذا هو الوضع اللائق والأمثل فى حضرة الله. أما المرضى وأصحاب العاهات والشيوخ والعجائز، فيمكن أن يجلسوا كلّ الوقت أو بعض الوقت، وفقاً لظروفهم الصحِّيَّة.

وأما أثناء القراءات فيما عدا أثناء قراءة الإنجيل فيجوز الجلوس ـ وكذلك أثناء سماع الوعظ أو تفسير الإنجيل.

وبخصوص النطق الصحيح لكلمة EVKH (بمعنى صلاة) وهى كلمة يونانية الأصل εὐχή ، فالنطق باليونانية الحديثة هو (افشى) وكذلك بالقبطية، ومنها كلمة (أوشية) أى (صلاة).

١٧ ـ لماذا يقال بركاته علينا ولا يقال بركاته معنا (١)

سؤال من العزيز السيد/ وهيب اسحق خليل هندى

طحا الأعمدة ـ المنيا

سلام ونعمة وبركة

إجابة على سؤالكم الأول: لماذا يقول الشماس فى قراءة الإنجيل (بركاته علينا) ولا يقول بركاته معنا.

الجواب :

أن البركة هنا بمفهوم النعمة التى تحل فوق رأس الإنسان، فمن الأوفق معنويا ولغويا أن يقال (بركاته علينا).

وعن السؤال الثانى ـ لماذا يذكر الشماس اسم البابا البطريرك أولا ثم المطران أو الأسقف فى قوله «الرب عن يمينك يا أبانا البطريرك... وشريكك فى الخدمة الرسولية أبينا المطران أو الأسقف...» ولا يقال البطاركة والمطارنة والأساقفة الأرثوذكس جميعا.

والجواب هو أنه فى قراءة الإنجيل، يقرأه عادة أكبر كاهن فى الكنيسة: البابا البطريرك إذا كان موجودا أو المطران أو الأسقف إذا كان هو القارئ.. فالشماس يتلو الدعاء للبابا البطريرك كرئيس أعلى للكنيسة ثم لمطران أو أسقف الإيبارشية... فإذا كان أسقف آخر ضيف موجودا يمكن أن يذكر اسمه من قبيل المحبة وشركة الروح... فإذا كان أكثر من أسقف موجودا بالكنيسة فيمكن أن يشار إليهم بعبارة عامة (وشركائك فى الخدمة الرسولية الأباء الأساقفة المجتمعين معنا أو القائمين معنا.

ونعمة الرب تشملكم،،،

١٨ ـ من يقرأ الإنجيل

سؤال من السيد / الفونس عطاالله ـ قسم قصر النيل ـ القاهرة.

لمن الحق فى قراءة إنجيل القداس، هل لشماس الهيكل المستعد للتناول من الأسرار المقدسة أم لأى إنسان من عامة الشعب أو لأحد الإخوة من الجمعيات التى تأتى لخدمة القداس؟

الجواب :

الوضع الأصيل هو أن من يقرأ الإنجيل فى الكنيسة هو الكاهن (الأسقف أو القسيس) أو على الأقل الشماس الكامل الحاصل على درجة «دياكون» وهى الدرجة التى تُنال بوضع اليد. ولذلك فإن الشماس «الدياكون» هو الذى يسمى بالشماس الإنجيلى أى الذى له أن يقرأ الإنجيل فى الكنيسة، وهو بعينه الشماس الذى يجوز له أن يخدم فى الهيكل مساعدا للكاهن. وواضح من الخولاجى وهو كتاب صلوات القداس ـ أن الشماس الذى ينذر الشعب من الهيكل بالنداءات المسماه بالأبروسات هو الشماس الدياكون.

هذا هو الوضع الأصيل.

ولما كان الشماس الدياكون قليلا ونادرا فى كنيستنا اليوم، لأن قانونه فى الزواج هو قانون الكاهن، أى لا يقبل الزواج بعد سيامته شماسا دياكون، فضلا عن الصفات الروحية الأخرى، وأنه يجب أن يكون رجلا عالما بالشريعة، ويتزيا بالزى الإكليريكى أسوة بالكاهن والأسقف، فإن الجارى فى كنيستنا اليوم تجاوزا، أن الأناغنوستيس يمكن أن يقرأ الإنجيل إذا أمره الكاهن بذلك. **ويفضل الخادم الذى يخدم مع الكاهن فى الهيكل**، على أن يكون مستحقا لذلك روحيا وأن يكون كفؤا للقراءة، مجيدا لها، على أننا نعود فنكرر أن الوضع الأمثل هو أنه إذا كان الكاهن حاضرا فهو الذى يقرأ الإنجيل.

١٩ ـ كنيستنا القبطية غنية بألحانها ومرادتها وطقوس صلواتها

سؤال من السيد / ميشيل جرجس عبد المسيح

مينيسوتا ـ أمريكا،

هل يجوز أن يقال الاسبسمس الآدام السنوى Ⲟⲩⲛⲟϥ ⲙ̀ⲙⲟ Ⲙⲁⲣⲓⲁ فى أيام الأعياد أو الخمسين المقدسة بدلا من الاسبسمس الآدام الخاص بالمناسبة.

الجواب :

نعم، يجوز ذلك عند الضرورة، أو بسبب الجهل بالاسبسمس المناسب، أو عدم إجادة اللحن الذى يقال به. **أمّا إذا كان الشعب أو خوروس المرتلين يجيد الترتيل بالاسبسمس الخاص بالموسم، فهذا هو الوضع الأمثل والترتيب اللائق.** فكنيستنا القبطية غنية بألحانها ومرداتها وطقوس صلواتها. وقد رتبت لكل مناسبة ما يصلح لها إضراما لروح العبادة، وإثارة للذهن والقلب والروح بالمعانى الروحية التى يتضمنها اللحن المناسب إذا قيل فى وقته.

وهنا يجب التنويه بأهمية إعداد خوروس المرتلين فى كل كنيسة، وأن ترتب لهم حلقات دراسية يديرها ويشرف عليها مرتل عالم بالألحان والمردات وطقوسها ومواسمها، قادر على تعليم المبتدئين والناشئين من المرتلين والمصلّين.

٢٠ ـ أوشية القرابين بدلاً من أوشية المسافرين فى يوم الأحد

سؤال من الابن الأناغنوستيس جورج منز فهيم ـ القاهرة.

يقول قرأت فى طقس الكنيسة أنه لا يجوز قراءة أوشية المسافرين فى يوم الأحد، أفهل معنى هذا أنه لا يجوز سفر المسيحيين يوم الأحد ـ ولما كنت مندوب مبيعات، ومعرض دائما للسفر يوم الأحد، فمن يتحمل هذا الخطأ؟ صاحب العمل، أم أنا المخطئ؟

الجواب :

إن ما جاء فى كتاب (الخولاجى) هو تعليمات للكاهن فى صلاة رفع بخور باكر إذا كان اليوم هو (الأحد)، فبعد صلاة الشكر، وأوشية المرضى، يقول الكاهن أوشية (القرابين) عوضاً عن أوشية المسافرين إذا بدأ الكاهن بخدمة القداس عقب رفع بخور باكر مباشرة.

ذلك أنه من حيث المبدأ يوم الأحد هو يوم الرب فينبغى على المسيحى أن يذهب فيه إلى بيت الرب، ويعمل فيه عمل الرب.

وعلى ذلك فكل عمل آخر يمكن أن يقوم به الإنسان فى غير يوم الأحد، يجب أن يتوقف عن القيام به فى يوم الأحد، تقديساً ليوم الأحد، وتخصيصا لعمل الرب فى يوم الرب.

فالسفر إلى بلد بعيد يستبعده المسيحى إلى يوم آخر، كلما كان هذا ممكنا وميسورا. أما إذا كان السفر ضروريا للوصول إلى بيت الرب كما هو الحال بالنسبة للمقيمين فى ضياع أو قرى أو أماكن ليس بها كنائس، فالسفر فى مثل هذه الأحوال جائز شرعا بل إنه ضرورة وعمل صالح، يدخل فى نطاق الأعمال التى يجوز بل يجب مباشرتها فى يوم الأحد، يوم الرب.

وفى بعض بلاد المهجر كان يضطر قبطى فى هولندا أن يسافر إلى دوسلدورف بألمانيا لحضور القداس وهى رحلة تقتضيه السفر بسيارته نحو ساعتين أو أكثر.

وقياسا على ذلك نقول إذا كان الطبيب ينبغى أن لا يعمل يوم الأحد تقديسا ليوم الرب، لكن إذا استغاث به مريض أو أهله أن يسعفه بالعلاج الذى لا يمكن إرجاؤه ليوم آخر، فلا يعد إسعافه للمريض فى هذه الحالة عملاً يتعارض مع تقديسه ليوم الأحد، بل هو جزء من عمل الرب، طبقا للمبدأ الذى أرساه المسيح له المجد بقوله «إنما جعل السبت لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت» (مرقس ٢ : ٢٧).

أما بالنسبة لحالتك أنت بوصفك مندوب مبيعات، ومعرض دائما كما تقول للسفر يوم الأحد، فيمكنك بالاتفاق مع صاحب العمل أن ترجئ ما يمكن إرجاؤه من عمل إلى غير يوم الأحد، ما لم تكن ثمة ضرورة حيوية قصوى تقتضى هذا السفر، وبهذا تنجو من خطأ كسر يوم الأحد، يوم الرب.

٢١ ـ إضاءة القنديل أمام صورة الربّ يسوع المسيح وأمام صورة العذراء مريم وبعض كبار القديسين (١)

سؤال العزيز الابن نادى لويز روفائيل ـ ملّوى

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

إجابة على سؤالكم: هل إضاءة قنديل من الزيت أمام إيقونة الرب يسوع المسيح جائزة ومشروعة طقسيا أم لا، وخاصة صورة الرب يسوع الملك الموجودة أمام المذبح المقدس؟

الجواب :

نعم، إنه أمر مستحب، ويتمشّى روحيا مع روح التقوى والتعبّد ـ وهو ما سارت عليه الكنيسة الأُرثوذكسية منذ القديم، وهى أيضا عادة متبعة إلى اليوم فى جميع الكنائس الأُرثوذكسية الأخرى، مما يُسمّى بالكنائس الشرقية القديمة، وكذلك الكنائس الأُرثوذكسية التى تتبع الطقس البيزنطى ومنها كنائس الروم ـ اليونان والروس وغيرها.

ونلاحظ أنه فى الكنائس الأُرثوذكسية اليونانية والروسية تُعلّق القناديل أمام الحجاب حامل الإيقونات، ولكل منها قضيب من الحديد أو النُحاس بحيث ينعكس منها الضوء على صور المسيح له المجد وعلى صور العذراء القديسة مريم وسائر القديسين.

٢٢ ـ لماذا توضع ثلاث شمعات على الصليب

سؤال لماذا توضع ثلاث شمعات على الصليب ، ويتجه الكاهن برسم الصليب إلى الشرق ثم إلى البحرى ثم إلى الغرب ثم إلى القبلى ويعود أخيراً إلى الشرق؟

الجواب :

رفع الصليب بثلاث شمعات يشير إلى أن الخلاص الذى تم والخلاص الذى نطلبه هو بتدبير الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس ـ وأما الرشم بالصليب المنار بالشمعات الثلاث إلى الشرق ثم إلى البحرى ثم إلى الغرب، فالقبلى، فهو لمنح بركة الخلاص بالمسيح لجميع الناس فى كل العالم ـ كذلك فى يوم الجمعة الكبيرة تؤدى المطانيات فى جميع الإتجاهات الأصلية استمطارا لمراحم الله على كل الخليقة فى جميع الإتجاهات. أما البدء بالشرق والعودة إليه، فلأننا دائما فى كل صلواتنا نتجه إلى الشرق، والشرق مكان الجنة لأننا نتطلع إلى الشرق، مطلع الأنوار، وإلى شمس البر، والشفاء فى أجنحتها.

٢٣ ـ هل يجوز تلاوة صلاة (المجمع) باللغة العربية ؟

سؤال من الابن السيد/ صموئيل توفيق روس ـ مدير الإيرادات بمجلس مدينة الأقصر.

هل يجوز تلاوة (صلاة المجمع ـ مجمع القديسين)، فى القداس الإلهى باللغة العربية أم يلزم تلاوتها باللغة القبطية؟

الجواب :

أن تتلى صلاة المجمع باللغة القبطية هذا جميل، خصوصا إذا تُليت باللحن على صورته الدقيقة المسلّمة إلينا من الآباء، لذلك يجب أن يتوافر فى الأداء الأمانة والدقة مع الروحانية والتقوى، فإن القداس الإلهى سيمفونية رائعة وُضعت ألحانه وأنغامه على النصّ القبطى، والذين يجيدون معرفة اللغة القبطية يمكنهم أن يتذوقوا جمال اللحن واللغة معاً.

ومع ذلك، ولأنّ الكثيرين من شعبنا لا يستطيعون اليوم أن يتابعوا القداس كله باللغة القبطية، بذات البهجة الروحية التى يسعدون بها لو تتوافر لهم فهم الكلمات والألفاظ.

فإننا نرى أنه يمكن أن تُتلى على الأقل مقدمة (صلاة المجمع) باللغة العربية، لئلا يغيب عن غير القادرين على فهم الصلاة بالقبطية، جمال المعانى الروحية، التى تشتمل عليها صلاة المجمع: (فإن هذا هو يارب أمر ابنك الوحيد أن نشترك فى إحياء ذكرى قديسيك. تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء، آباءنا الأطهار رؤساء الآباء والأنبياء، والرسل، والمبشّرين والإنجيليين والشهداء والمعترفين، وكلّ أرواح الصدّيقين الذين تكمّلوا فى الإيمان. وبالأكثر القديسة الممتلئة مجدا، العذراء دائمة البتُولية، والدة الإله، الطاهرة مريم التى ولدت الله الكلمة بالحقيقة....).

وبعد ذلك يتلو الكاهن المصلّى أسماء القديسين الآخرين كلّها أو بعضها باللغة القبطية، ويمكن أن يتلو بعض أسماء القديسين باللغة العربية.

بهذا نجمع بين احتفاظنا بلغتنا القبطية وألحانها وأنغامها وبين تلاوة أجزاء من صلواتنا باللغة العربية تسهيلاً لغير القادرين على متابعة معانى القدّاس كلّه باللغة القبطية.

٢٤ - لماذا لا تذكر أسماء النساء القديسات في مجمع القديسين بالقداس؟ (١)

سؤال من الابن ايهاب شهير حزقيال - المطرية

يقول لماذا لاتذكر أسماء النساء القديسات في مجمع القديسين في صلوات القداس، فيما عدا السيدة العذراء القديسة مريم العذراء؟

الجواب :

اعلم أيها الابن أنه في المسيح يسوع، (لا فرق بين رجل وإمرأة) (غلاطية ٣ : ٢٨)، وبالتالي، في الجزاء الأخروي لا فرق بين رجل وإمرأة، بين ذكر وأنثى، لأن الله عادل (وسيجازي كلّ إنسان على حسب أعماله) (متى ١٦ : ٢٧)، (رومية ٢ : ٦)، (١٤ : ١٢)، (الجليان - الرؤيا ٢٢ : ١٢)، (٢٠ : ١٢).

على أنّ القديسين الذين تُذكر أسماؤهم في صلاة المجمع ترحما عليهم هم بعضٌ من كلٍ. وهذا البعض هم على الخصوص ممن تميّزوا بأرثوذكسية الإيمان، وكانت لهم في حياتهم مواقف بطولية لاهوتية عقائدية، وقد حاربوا وناضلوا عن الإيمان المسيحي ضدّ الهرطقات والانحرافات التي ظهرت في التاريخ المسيحّي، وفي سبيل استمساكهم بالإيمان الأرثوذكسي ودفاعهم عن التعليم السليم احتملوا الآلام وصبروا على ضروب الإضطهاد والافتراءات وحافظوا على وديعة الإيمان الأرثوذكسي للأجيال التالية.

وليس عجباً أن يذكر بين الأسماء اللامعة في تاريخ الإيمان والعقيدة المسيحية، والمحافظة على التراث المسيحي، أثناسيوس الرسولي، وكيرلس عمود الإيمان، وساويرس الأنطاكي، وباسيليوس الكبير، وغريغوريوس الناطق بالإلهيات، ويوحنا ذهبي الفم، وبطرس خاتم الشهداء...

إنّ كلّ واحد من أولئك الأبطال المذكورين بأسمائهم في القدّاس، له تاريخ طويل وكفاح ونضال وجهاد مرير، احتمل فيه صنوفا من الآلام، ولكنه صمد وقاوم ولم يستسلم، ثم انتصر أخيراً، وترك للكنيسة نتاج نضاله، تنعم به كل الأجيال.

هذا هو في الواقع السبب الحقيقي في أن يُخَصّ بعض القديسين بذكر أسمائهم، من غير أن يكون في ذلك إغفال للقديسين الآخرين وهم كثيرون وكثيرون. ويمكن أن نستعير هنا ما قاله

---

(١) كتب في ٩ من فبراير - شباط لسنة ١٩٩٣م - ٢ من أمشير لسنة ١٧٠٩ش.

الإنجيل تعليلاً وتبريراً لعدم ذكر جميع معجزات السيد المسيح له المجد، مكتفيا فقط بالقليل منها (وثمة أشياء كثيرة أخرى صنعها يسوع لو أنها كُتِبت واحدةً فواحدة، فلا أظنُّ أنَّ العالم نفسه يسع الكتب التى تكتب) (يوحنا ٢١ : ٢٥)، (٢٠ : ٣٠).

وهو ما ينصُّ عليه القُدّاس الإلهى فى مقدمة صلاةِ مجمع القديسين. (لأن هذا يارب هو أمر ابنك الوحيد، أن نشترك فى إحياء ذكرى قديسيك. تفضل يارب أن تذكر جميع القدِّيسين الذين أرضَوكَ منذَ البدء. آباءَنا الأطهار، رؤساءَ الآباء، والأنبياء، والرسول، والمبشرين، والإنجيليين، والشهداء، والمعترفين، وكل أرواح الصدِّيقين الذين تكمَّلوا فى الإيمان...)

مما تقَدَّم يتبين أنَّ القداس ذكر بالإجمال جميع القديسين من البطاركة والأنبياء والرسل والمبشرين والإنجيليين والشهداء والمعترفين وسائر القديسين والصدِّيقين، لأنه يصعب جداً، أن يُذكروا بالأسماء اسماً، اسماً. أما القديسون الذين ذُكِروا بالاسم فهم المتميزون بمواقفهم الإيمانية والعقائدية والذين قاوموا الهرطقات والإنحرافات العقائدية التى تزعمها هراطقة من أمثال أريوس، ونسطور، وأوطاخى، وأبوليناريوس، ومقدونيوس، ومانى ومن إليهم.

لهذا رسمت الكنيسة الأرثوذكسية منذ القديم أن يتلو المتقدِّم للكهنوت، وهو ساجدٌ أمام الله فى الهيكل وبين يدى الأسقف الذى يضع اليد عليه ـ صيغة الإيمان الأرثوذكسى، ثم يبارك ويمجد القديسين أبطال الإيمان من أمثال أثناسيوس، وديوسقورس، وكيرلس عمود الإيمان.. ويجحد إنحرافات الهراطقة من أمثال أريوس، ونسطور، وأوطاخى، ليكون هذا الاعتراف منه بمثابة تعهد منه وإعلان عن إيمانه، وأنه سيتبع دائماً إيمان الآباء القديسين أبطال الإيمان الأرثوذكسى، وأنه سيسير على دربهم منكرا إنحرافات الهراطقة..

وبعد إتمام الرسامة بوضع اليد، يطلب الأسقف من القسيس بعد رسامته أن يتلو أول ما يتلو من صلوات القداس، مجمع الآباء القديسين، وذلك توكيداً أيضا لتبعيته إيمان أولئك الآباء، أبطال الإيمان الأرثوذكسى.

فإذا لم يذكر فى صلاة المجمع اسم القدِيسة الشهيدة دميانة، والأربعين عذراء، ويوليانه، ومارينا، وغيرهن... فنلاحظ أيضا أنه لم يذكر اسم الشهيد العظيم مارجرجس مع أنه (أمير الشهداء)، ولم يُذكر بالاسم أيضا الشهيد مرقوريوس أبو سيفين، والشهيد مارمينا، والشهيد الأمير تادرس المشرقى، وغيرهم من الشهداء، وإنما جميع الشهداء من الرجال والنساء يندرجون تحت اسم (الشهداء) بعامةٍ.

٢٥ - لمس المذبح

سؤال من أحد الأشخاص قائلاً:

هل من الخطأ أن يمس الإنسان المذبح إذا لم تكن عليه ذبيحة ؟..

الجواب :

حتى لو لم تكن على المذبح ذبيحة، فقد صار مقدسا، لا يجوز لأحد أن يمسه ما لم يكن من أصحاب الدرجات الكهنوتية التي تخول له أن يدخل إلى الهيكل حيث يوجد المذبح، وأقلها أن يكون شماسا.

٢٦ - وضع اللفائف على رؤوس السيدات

سؤال من العزيز الابن السيد/ اندراوس فلسطين - الأقصر

عن وضع اللفائف على رؤوس السيدات.

الجواب :

من جهة وضع اللفائف على رؤوس السيدات أثناء التناول، اعتقد أن الوضع الأمثل هو أن تغطي السيدة رأسها بإيشارب أو بمنديل إما تملكه هي وتخصصه لهذا الغرض كما تفعل بعض السيدات في كثير من بلادنا، وإما تصنعه الكنيسة بمعرفتها وتوزعه على المتناولات أثناء التناول على أن تسترده الكنيسة بعد التناول مباشرة. وأما اللفافة المقدسة فيكفي استخدامها بوضعها على اليد وبالقرب من الفم لمنع سقوط الجواهر المقدسة.

٢٧ ـ فيم يستغل زيت القنديل المتبقى ؟

سؤال من الأخ روميل رياض سدراك بأسيوط.

كيف يحفظ الزيت الباقى من السراج من صلاة القنديل، وزيت الأبوغالمسيس، و ورد الدفن فى يوم الجمعة العظيمة ؟

الجواب :

أما زيت الأبوغالمسيس (الأبوكالبسيس) (١)، وزيت سر مسحة المرضى أو القنديل، فيحفظ فى قنينة نظيفة فى الكنيسة، ويستخدم فى الأغراض الدينية، فيمسح به على جباه المؤمنين وعلى أعضائهم للشفاء وللبركة.

وأما ورد الدفن فيحفظ كذلك، ويستخدمه الكاهن فى نهاية القداس حيث يأخذ جزءا من مسحوقه مع الماء، ويرش به على المذبح والآنية، ويدهن به على جباه المتناولين وسائر المؤمنين.

---

(١) الأبوكالبسيس، هو سفر الرؤيا. وسمى الزيت بزيت الأبوغالمسيس أو الأبوكالبسيس لأن فى ليلة سبت النور يقرأ سفر الرؤيا كله، وفى أثناء ذلك توقد سبع فتائل أو شمعات رمزا إلى سبع المنائر التى يتحدث عنها سفر الرؤيا، وهو يشير إلى السبع كنائس التى كانت فى آسيا.

٢٨ ـ ماذا يصنع بالكتب المقدسة والصور الدينية الممزقة ؟

سؤال آخر من الأخ روميل رياض سدراك بأسيوط

كيف يمكن التصرف عند تمزق الكتب المقدسة ، والصور الدينية ، وملابس خدمة الشماس ؟

الجواب :

إذا ما تمزقت هذه الأشياء المقدسة ورؤى الاستغناء عنها ولم تعد صالحة للاستعمال ، فيجوز حرقها وطرح الرماد المتخلف عنها فى ماء جار ، فى نهر أو فى بحر ، أو فى مكان خارج المدينة ، بحيث لا يداس بالأقدام ، وذلك توقيرا للمقدسات ، وصونا لها من أن تهان أو تتدنس فيكون فى إهانتها أو تدنيسها شر يلحق بالفرد أو بالجماعة كلها.

عندما وضع بنو قورح نارا وبخورا فى مجامرهم ، ودخلوا بها إلى خيمة الإجتماع غضب الرب على جماعة قورح لتعديهم على الكهنوت «وخرجت نار من عند الرب وأكلت المائتين والخمسين رجلا الذين قربوا البخور» . ومع ذلك صارت المجامر مقدسة . وكلم الرب موسى قائلا: مر ألعازر بن هرون الكاهن بأن يرفع المجامر من الحريق **لأنها قد تقدست**... وأما مجامر أولئك المخطئين ضد نفوسهم فتصنع صفائح مطروقة ، غشاء للمذبح ، **لأنهم قد قدموها أمام الرب ، فصارت مقدسة**... فأخذ ألعازر الكاهن المجامر النحاس التى قدمها المحترقون فطرقوها غشاء للمذبح» (١) .

وقديما أمر الرب أن إناء الخزف الذى تطبخ فيه الذبيحة ، يكسر (٢) بعد ذلك ، حتى لا يستخدم فى غرض آخر لا يليق به بعد أن تقدس .

وهكذا وعلى هذا المبدأ أجازت الكنيسة حرق خشب الصور والإيقونات المقدسة التى عفت منها الرسوم والآثار وتهشمت فأصبحت بلا فائدة ولا قيمة ، واستخدامها فى طبخ الميرون المقدس (٣) .

---

(١) سفر العدد ١٦ : ٣٦ – ٣٩ .

(٢) سفر اللاويين ٦ : ٢٨ .

(٣) اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة ، للقمص يوحنا سلامة ، الجزء الثانى ، الباب الثانى ، الفصل الثالث ، الطبعة الثانية ، صفحة ٨٢ .

وعلى نفس القياس جرى تقليدنا الكنسى فيما لو حدث خطأ أن انسكب شئ من الكأس المقدس على لفافة أو بساط، حرق الجزء الذى وقع عليه السكيب. وهكذا لو سقطت ذبابة أو حشرة، على الرغم من الحرص الشديد الذى يجب أن يرعاه خدام المذبح، تحرق أيضا بالنار.

وقل بالمثل عن تراب المذبح أو الهيكل، فيما لو هدم، أو فى الأحوال العادية، يجب أن ينقل إلى مكان بعيد خارج المدينة، حتى لا يداس بالأقدام، أو يطرح فى ماء جار فى نهر أو فى بحر، وهذا هو الأفضل.

٢٩ ـ هل للشماس أن يخلع ملابس الخدمة قبل نهاية القداس؟

سؤال من أحد القراء بالأقصر وقد طلب عدم ذكر اسمه:

هل يجوز لشماس موظف حكومة يكون مشتركا فى خدمة القداس الإلهى يوم الأحد صباحا بملابس الخدمة، أن يخلع ملابس الخدمة إذا ما حان موعد ذهابه إلى عمله قبل نهاية القداس؟

الجواب :

لا يجوز لمن ارتدى ملابس الخدمة أن يخلعها قبل نهاية القداس الإلهى. إن هذا التصرف إهانة لله، ولا يليق بخدامه الذين يستشعرون هيبته وجلاله ويقدرون كرامة الخدمة وشرفها وأهلية الذين يوجدون فى حضرته لا سيما فى قدس أقداسه.

مَنْ مِنَ الملوك أو الرؤساء يستسيغ لأحد مثل هذا التصرف، ولا يغضب لهذه الإستهانة ويحسبها إنتقاصا لكرامته وشرف خدمته؟!

إذا كان لا يجوز لمن دخل الكنيسة أن يخرج منها قبل التسريح الختامى وإلا حسب شبيها بيهوذا الذى خرج ليلا (يوحنا ١٣ : ٣٠) ولم يحضر إلى نهاية إجتماع السيد الرب بتلاميذه القديسين، وإذا كان هناك ما يقتضى الخروج من الكنيسة فلابد أن يكون ذلك للضرورة القصوى. فبالأحرى لا يجوز لأحد بعد أن يرتدى ملابس الخدمة أن يخلعها قبل نهاية الخدمة.

إنى أنصح للشماس الذى لا يستطيع أن يحضر القداس الإلهى حتى نهايته ألا يرتدى ملابس الخدمة فى ذلك اليوم.

٣٠ - «ارحمنا يا الله ضابط الكل»

سؤال من السيد / ميشيل جرجس عبد المسيح

مينيسوتا - أمريكا

هل يصح أن نقول «ارحمنا يا الله ضابط الكل في قداس القديس غريغوريوس؟.

الجواب :

يلاحظ أن القداس الغريغوري (أي القداس بحسب ترتيب القديس غريغوريوس الثيئولوغوس) موجه **لله الابن**، أي للمسيح الفادى والمخلّص. ولما كان المسيح له المجد هو الله الذى ظهر فى الجسد وتجلى فى العالم لإنجاز الفداء والخلاص لآدم وذريته، **فإن القداس الغريغورى موجه لله من حيث هو المخلّص والفادى** إذ هو «رئيس خلاصنا» (أعمال الرسل ٥ : ٣١)، (العبرانيين ٢ : ١٠)، (١٢ : ٢).

فمن المناسب، وتمشيا مع منطق القداس الغريغورى الموجه لله الابن والمسيح الفادى والمخلّص أن يرتل كل من الكاهن والشعب ثلاثا (**ارحمنا يا الله مخلّصنا**).

ألم يرد فى ترتيل المزامير:

«الرب نورى وخلاصى» (مزمور ٢٦ : ١).

«يا الله إله خلاصى» (مزمور ٥٠ : ١٤).

٣١ - لماذا يخرج الشماس بالمبخرة أثناء الترحيم؟

سؤال من الإكليريكى زكريا فاخورى عبد السيد - كوم امبو.

لماذا يخرج الشماس من الهيكل، حاملا المبخرة أثناء تلاوة الكاهن لمجمع القديسين، وهل لكى يعطى البخور للشعب أم لصور القديسين وأيقوناتهم؟

الجواب :

السبب الحقيقى هو أن يحمل معه حبات البخور للشعب خارج الهيكل، حتى يذكر المصلون من المؤمنين أقرباءهم من الموتى المنتقلين بأسمائهم، فيضعها الكاهن فى المبخرة مترحما على الراقدين فيصعد البخور مع صلوات القديسين أمام مذبح الذهب الذى أمام العرش الإلهى (سفر الرؤيا ٨: ٣، ٤)، (٥: ٨).

وفى صلوات القداس ما يشير بوضوح إلى أهمية ذكر الموتى بأسمائهم ترحما عليهم أثناء رفع ذبيحة القداس. من ذلك ما يرد فى القداس الباسيلى والقداس الغريغورى والقداس الكيرلسى قول الشماس بعد إنتهاء الكاهن من صلاة مجمع القديسين فى الترحيم: «القارئون فليذكروا أسماء آبائنا القديسين البطاركة الذين رقدوا الرب ينيح (يريح) أنفسهم أجمعين».

وفى القداس الغريغورى يقول الكاهن سرا بعد المجمع وبعد قول الشماس «القارئون فليذكروا....» «اذكر يارب آبائنا وإخوتنا الذين سبق رقادهم فى الإيمان الأرثوذكسى نيحهم جميعا مع قديسيك مع هؤلاء الذين نذكر أسماءهم» ثم يذكر الأسماء.. وبعد ذلك يكمل الكاهن قائلا: تفضل يارب نيح نفوسهم أجمعين».

ثم يقول الكاهن بعد الترحيم صارخا ويداه مرفوعتان «اذكر يارب الآخرين الذين ذكرناهم المؤمنين، وأيضا الذين لم نذكرهم الأرثوذكسيين....».

ويضيف الكاهن فى القداس المرقسى الكيرلسى قوله:

«وهؤلاء وكل أحد يارب، الذين ذكرنا أسماءهم والذين لم نذكرهم، الذين فى فكر كل واحد منا، والذين ليسوا فى فكرنا، الذين رقدوا وتنيحوا فى إيمان القديسين، تفضل نيح نفوسهم أجمعين».

٣٢ - يجب أن تعود المِجمرَة أو المِبخرَة إلى الهيكل (١)

سؤال من الابن زكريا برسوم فلسطين - إسنا

يقول : إنه قرأ فى كتاب يفسرُ المزمور السابع والثمانين بعض النصائح الطقسية منها قوله: أخى الشماس : لا تطفئ المجمرة وتفرغها بعد أن يضع فيها الأب الكاهن آخر يد بخور بعد صلاة المجمع مثلما يفعل الكثيرون، بل تترك المجمرة فى الهيكل إلى أن تنطفئ تلقائيا، فهى تمثل السيدة العذراء التى فاح بخورها بعد أن تنيحت بسلام وسيظل يفوح عبيرها إلى الأبد، بينما أنى سمعت فى إحدى العظات أنه يجب أن تفرغ المجمرة عقب صلاة المجمع والطواف بالبخور فى الكنيسة بشرط عدم قيام الشماس بالنفخ فى المجمرة لإصعاد البخور فى وجوه المصلّين...

فما هو الرأى السليم بحسب طقس الكنيسة الأرثوذكسية المرتشدة بالروح القدس؟

الجواب :

حقا إنّ المجمرة (أو الشورية - باللغة القبطية) تمثل العذراء القديسة مريم، فهى **حاملة الجمر**- والجمر وهو الفحم المتحد بالنار، يرمز إلى مُخلّصنا يسوع المسيح، اللاهوت فيه متحد بالناسوت اتحادا حقيقيا كاملاً ولكن بغير اختلاط أو امتزاج أو تغيير - اتحّادا غير قابل للإنفصال، إذ أنّ لاهوته لم ولا ينفصل عن ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين.

ثم إننا من جهة أخرى، نضع البخور فى المجمرة فتفوح منها رائحة زكية - هكذا رأت الكنيسة دائما فى المجمرة أو الشورية رمزا إلى العذراء مريم، التى حملت المسيح فى بطنها، وهو بجلاله قام بعمل الفداء، وفاح عبيره فتنسم فيه الآب السماوى، وهو أقنوم العدل الإلهى، رائحة الرضا والقبول (التكوين ٨: ٢١) لخلاص المفديّين بدم المسيح، فهو (رائحة سرور) (الخروج ٢٩: ١٨، ٢٥).

إلى تلك المعانى الروحانية السامية تتجه أنشودتنا الكنسية التى نرتلها فى خدمة القداس، عن العذراء القديسة مريم، وتسمى (لحن العذراء):

(هذه المجمرة الذهب النقى، الحاملة العنبر التى فى يدى هرون الكاهن إذ يرفع بخورا على المذبح....)

---

(١) كتب فى ١ مايو - آيار لسنة ١٩٨٧م - ٢٣ من برموده لسنة ١٧٠٣ش.

وفى الساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة، جمعة الصلب، أو الصلبوت، نرتل قائلين:

(**المجمرة الذهب هى العذراء، وعنبرها هو مخلّصنا**، ولدته وخلّصنا، وغفر لنا خطايانا....)

وفى أيام الصوم المقدس نرتل قائلين:

(**أنتِ هى المجمرة الذهب النقىّ الحاملة جمر النار المبارك**.... نسجد لك أيّها المسيح ولأبيك الصالح والروح القدس، لأنك أتيت وخلّصتنا...).

هذا إلى أنّ المجمرة ـ أو الشورية ـ فى العهد الجديد، تمثل أيضا فى نفس الوقت (**مذبح البخور**) فى العهد القديم. ومنه يصعد البخور دائما. وقد كان وضعه قدّام الحجاب الفاصل بين القدس وقدس الأقداس الذى به تابوت العهد. وقدس الأقداس فى الهيكل يرمز إلى السماء، **وكان يوقد على مذبح البخور بخور عطر كل صباح، بخوراً دائما أمام الرب**. وكان هرون يصنع كفارة على قرونه مرة كل سنة، قدس أقداس هو للرب (الخروج ٣٠: ١ – ١٠)، (٣٧: ٢٥ – ٢٨).

وعلى ذلك، وإحياء لهذه المعانى فى نفوس المصلّين وأرواحهم، يجب **أن تبقى المجمرة بالهيكل وجمرها فيها مشتعل دائما، والبخور يصعد منها، ولا تنطفئ لأنها صلاة** دائمة قائمة، تشير إلى الفداء والخلاص الذى قام به المسيح الفادى، كما أنها تشير أيضا فى نفس الوقت **إلى صلوات القديسين القائمة أمام العرش الإلهى**، وعلى رأسهم السيدة العذراء فخر جنسنا، والشفيعة الأمينة المؤتمنة عنا أمام ربنا يسوع المسيح. (سفر الرؤيا ٥: ٨)، (٨: ٣، ٤).

ونحن نلاحظ هنا أنه فى الكنائس الأثرية توجد إلى اليوم فى قمة باب الهيكل حلقة من نحاس أو حديد، لتعلّق فيها المجمرة أو المبخرة أو الشورية طوال خدمة القداس، فى نفس الوضع الذى كان لمذبح البخور فى هيكل العهد القديم بين القدس وقدس الأقداس، (قدام الحجاب الذى أمام تابوت الشهادة، قدام الغطاء الذى على الشهادة) (سفر الخروج ٣٠: ٦).

وبهذا الوضع يكون البخور صاعدا من المجمرة. دائماً أمام المصلّين ينبههم إلى الفداء وإلى الشفاعة القائمة، الكفارية ثم التوسلية ـ أما الكفارية فهى شفاعة المسيح (رومية ٨: ٣٤)،

(العبرانيين ٧ : ٢٥)، (١ .يوحنا ٢ : ١)، (إشعياء ٥٣ : ١٢) بوصفه الفادى والمخلِّص الذى (لاخلاص بأحد غيره) (أعمال الرسل ٤ : ١٢) .. وأما الشفاعة التوسلية فهى صلوات العذراء مريم وصلوات القديسين (سفر الرؤيا ٥ : ٨)، (٨ : ٣)، (مزمور ١٤٠ : ٢).

أما عن طواف المجمرة أو نزول الشماس بالمبخرة إلى الشعب، فالوضع الأصيل فيه أن ينزل الشماس (أو كاهن غير الكاهن الخديم) بطبق به بخور غير معدود، وطبق آخر فارغ، فيمر على المصلّين بالكنيسة، فيأخذ الواحد منهم، من حبات البخور غير المعدود بعدد المنتقلين الذين يريد أن يترحم عليهم ويذكرهم بأسمائهم، ويضع حبات البخور بيده لا فى المجمرة بل فى الطبق الفارغ - وبعد الطواف بجميع الشعب فى الكنيسة يحمل الشماس الطبق الذى وضع فيه المصلّون البخور المعدود بأسماء الذين يريدون ذكرهم على المذبح، ويعود بهذا الطبق إلى المذبح فى الهيكل، ويضعه الكاهن فى المجمرة ترحما على الراقدين المنتقلين، وهو يصلّى قائلاً **(اذكر يارب هؤلاء الآخرين الذين ذكرناهم المؤمنين، وأيضا الذين لم نذكرهم، الأرثوذكسيين**. اذكرنا نحن وهم، يا الله، فإنك صالح ومحب البشر...) (القداس الغريغورى).

وإذن فإذا نزل الشماس بالمجمرة أو المبخرة إلى الشعب، **فلابدّ أن يعود بها مرة أخرى إلى الهيكل، وإلى المذبح، فيضع الكاهن البخور المعدود فى المجمرة - وتبقى المجمرة فى الهيكل، إلى نهاية القداس والخدمة.**

٣٣ - إجابات على بعض الأسئلة (١)

سؤال : ١

هل هناك مانع من ذكر اسم المترحم عليه فى قداس الأحد؟

الجواب :

لا مانع بتاتا. نحن نترحم على الموتى فى يوم الأحد، فكيف يكون هناك مانع؟ الممنوع هو النغم الحزين فى يوم الأحد.

سؤال : ٢

هل يقتصر الترحيم واسم المترحم عليه فى قداس خاص؟

الجواب :

نحن نصلى فى كل قداس عام نطلب الرحمة من أجل كل من هم فى فكر كل واحد فينا، والذين ليسوا فى فكر كل أحد فينا.

سؤال : ٣

هل هناك فرق بين قداس خاص وقداس عام؟

الجواب :

القداس العام يقام من أجل جميع الناس. وأما القداس الخاص فيقام من أجل الذين يقام عنهم: فرد أو أفراد يذكرون بالاسم.

وإذن فالفرق بين القداس العام والقداس الخاص هو من جهة حرارة الطلب وقوة الطلب.

لكن لا يبرر هذا الفرق عدم ذكر أى شخص فى الترحيم فى القداس العام. إن تقليد الكنيسة فى القداس العام يقتضى أن يمر طبق بِه حبات البخور على كل الشعب، ليفرز ويذكر كل مؤمن اسم أو أسماء من يريد الترحم عليهم، وتردّ حبات البخور إلى الكاهن ليضعها فى المبخرة.

سؤال : ٤

هل يصلى الإنجيل قبطيا وعربيا والمزمور أدريبى فى يوم الأحد فى الصوم الكبير؟

الجواب :

لا يجوز اللحن الحزين فى يوم الأحد لأنه يوم قيامة الرب.

وكذلك لا يجوز اللحن الحزين فى يوم السبت لأنه عيد الشريعة القديمة.

---

(١) كتب فى ١٩٨٣/٤/٥م - ٢٧ برمهات ١٦٩٩ ش.

٣٤ ـ الترحيم فى أيام الأعياد والآحاد والخماسين

سؤال من السيد / ميشيل جرجس عبد المسيح

مينيسوتا ـ أمريكا

هل يصح ذكر أحد المنتقلين جهرا فى صلاة الترحيم بعد المجمع أثناء فترة الخمسين المقدسة ؟

الجواب :

نعم، يصح ذلك. **إن فى كل قداس يقام فى أثناء الخمسين المقدسة وفى سائر الأعياد والمناسبات نترحم على الراقدين**... والترحيم على الراقدين قسم ثابت فى كل قداس، فيه نذكر الراقدين. وهو واجب علينا نحن الأحياء نحو المنتقلين، واجب محبة ووفاء، واسترحام للعزة الإلهية عن آبائنا وإخوتنا الذين سبقونا إلى عالم البقاء والخلود. لذلك فإن هذا أمر مستحب ومندوب إليه خصوصاً فى ذكر الأربعين لوفاته، أو فى ذكرى مرور السنة على وفاته، وفى ذكره علنا تعزية روحية لأهل المتوفى من الأحياء.

على أن الترحيم فى أيام الآحاد والأعياد والخمسين المقدسة يجب أن يكون باللحن المناسب للأعياد، أى يكون بلحن الابتهاج لا باللحن الحزين.

ويلاحظ أن القداس الغريغورى وهو القداس الذى يصلّى به عادة فى الأعياد، ويرتل بلحن الابتهاج والتهليل، به قسم خاص بالترحيم على الراقدين، تذكر فيه أسماء المنتقلين، باللحن البهيج الذى تُصلى به سائر صلوات هذا القداس الخاص بالأعياد، حسب ترتيب وطقس كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

٣٥ - فى التسبحة الكيهكية

سؤال : ورد إلينا الاستيضاح الآتى من أحد القراء لم يشأ أن يذكر اسمه :

أرجو التفضل بإيضاح الوضع الأساسى الصحيح المطابق للقوانين الكنسية بخصوص التسابيح الكيهكية الليلية التى يطلق عليها (سبعة وأربعة)، لأن طريقة تطبيقها بالكنائس غير موحد. فبينما نرى كنيسة تعمل تلك التسابيح ليلة واحدة فى الأسبوع هى ليلة الأحد نرى غيرها تعمل تلك التسابيح ثلاثا فى الأسبوع الواحد. وأخرى تعمل الأسبوع كله، وهكذا، فالمرجو التفضل بنشر الوضع القانونى في هذا الأمر تنويرا للأذهان تعميما للفائدة الروحية.

الجواب :

الوضع الأساسى الصحيح أن لكل يوم من أيام الأسبوع فى شهر كيهك المبارك، تسابيحه الخاصة به، وهى كما فى ليلة الأحد مثلا: هوس كيهك والهوسات الأخرى الأربعة وتذاكية اليوم وهى مختلفة، وما يقال على هذه الهوسات والتذاكية الخاصة باليوم من ابصاليات ومدائح وألباش وطروحات وألحان وفصول وتفاسير وصلوات ودفنار اليوم...

ويبدو أن هذا التسبيح اليومى، فى كل ليلة من ليالى الاسبوع السبع صارت تعوقه فى بعض بلاد الريف ظروف محلية عملية، فرؤى تجميع هذه التسابيح والصلوات فى ليلة واحدة هى ليلة الأحد. وهذا هو السر فى تسمية التسبيحة الكيهكية (بسبعة وأربعة) لأنه ساد فى بعض هذه البلاد تلاوة الأربعة هوسات والسبع تذاكيات (المرتبة لكل يوم من أيام الاسبوع) مع سائر متعلقاتها من ابصاليات ومدائح وألباش وطروحات...، معا فى ليلة الأحد ولذلك تطول الصلوات والتسابيح فى ليلة الأحد إلى ساعة متأخرة من الصباح وقد تتصل بقداس الأحد.

وقد لا يكون من الصواب أن نعمم حكما دون اعتبار للظروف المحلية والعملية التى تجابهها الكنيسة فى بعض بلاد الريف، ولكن يمكن أن نقرر بصفة عامة أن تجميع التسبيح فى ليلة واحدة وضع غير أصيل بالنسبة للطقس الكنسى، فضلا عن أنه مرهق، ويضيع الفائدة الروحية المقصودة أصلا من موالاة التسبيح اليومى فى كل ليلة، لتنشيط الحياة الروحية وتنمية روح التقوى والتضرعات فى المؤمنين، خاصة فى فترة أيام الصوم.

ولذلك نرى أن من واجبنا أن نقرر أنه يجب العودة إلى الوضع الأصيل، على الأقل فى البلاد التى تسمح ظروفها الحاضرة بذلك وهى العواصم وكبرى المدن فى المحافظات.

٣٦ - قراءات فصول شهر كيهك

سؤال : من الأب الموقر القمص مرقس عبد السيد - وكيل المطرانية بطما.

لما كان برمون عيد الميلاد المجيد يقع هذه السنة فى يوم ٢٧ من كيهك فلكى تكمل أربعة آحاد شهر كيهك وقراءاتها المرتبة، لقد تسلمنا من آبائنا وجدودنا السابقين أن تقرأ فصول الأحد الأول من كيهك فى الأحد الأخير من هاتور، فهل ترون أن هذا التسليم صحيح كنسيا؟ أرجو الإفادة على صفحات جريدة (وطنى).

الجواب :

نعم أيها الأب الموقر، أن ما تقولونه، مما تسلمتموه من الآباء والأجداد تقليد صحيح وسليم كنسيا.

فالمعروف أن عيد الميلاد المجيد يقع دائما فى التاسع والعشرين من شهر كيهك. أما فى السنوات القبطية الكبيسة، وهى التى تقبل القسمة على ٤ من دون باق، يقع عيد الميلاد فى ٢٨ كيهك. ومع ذلك يظل يوم ٢٩ كيهك عيدا ثابتا. أى أنه فى السنوات الكبيسة يكون عيد الميلاد يومين هما ٢٨ ، ٢٩ كيهك. ولذلك فإنه يمنع الصوم فى هذين اليومين فى السنة الكبيسة لو اتفق أحدهما فى يوم أربعاء أو جمعة.

ولما كان عيد الميلاد سيقع فى هذه السنة الحالية ١٦٩٦ فى يوم الاثنين ٢٨ من كيهك أى أن يوم البرمون (وهو صوم الاستعداد فوق العادة السابق على يوم العيد) سيقع فى يوم الأحد ٢٧ من كيهك (وإن كان لهذا السبب يحتسب البرمون ٣ أيام الجمعة والسبت والأحد - إذ الأحد والسبت لا يصامان إنقطاعيا) ولذلك نقرأ فى هذا الأحد ٢٧ من كيهك فصول برمون عيد الميلاد فلا يتبقى من آحاد شهر كيهك إلا ثلاثة فقط.

وعلى ذلك فتكميلا لآحاد شهر كيهك، وهى أربعة، يلزم ترتيب قراءات فصول شهر كيهك على النحو الاتى:

الأحد الأول - ٢٩ من هاتور.
الأحد الثانى - ٦ من كيهك.
الأحد الثالث - ١٣ من كيهك.
الأحد الرابع - ٢٠ من كيهك.
برمون عيد الميلاد - ٢٧ من كيهك.
عيد الميلاد المجيد - ٢٨ ، ٢٩ من كيهك.

٣٧ ـ ترتيب الصلوات والتسابيح فى شهر كيهك (١)

عزيزى الآب الموقر القمص متى روفائيل

كاهن كنيسة الشهيدة الأم دولاجى ـ باسنا

سلام ونعمة ومحبة ورحمة وبركة من الله أبينا وربنا يسوع المسيح.

ردا على استفساراتكم الواردة بخطابكم بتاريخ ١٩٧٣/١٢/١٢ يسرنى الإفادة:

أولا : فيما يتصل بترتيب الفصول، وصلوات وتسابيح شهر كيهك فى السنوات التى لا تستوفى أربعة آحاد كاملة لشهر كيهك، كما هو الحال فى هذه السنة مثلاً تقرأ فصول الأحد الأول من شهر كيهك فى الأحد الأخير من شهر هاتور وبدلا من فصول الأحد الأخير من هاتور، وبالتالى ترتل التسابيح فى هذا الأحد حسب الطقس الكيهكى، حتى يستكمل شهر كيهك أربعة آحاد كاملة بفصولها وتسابيحها.

وذلك نظرا لأهمية شهر كيهك فى ترتيبنا الكنسى من حيث احتفالنا فيه بتدبير التجسد الإلهى. فيجب أن لا ينقص من ترتيبه شئ، ولا يختزل من آحاده شئ لا فى قراءات الأصول، ولا فى التسابيح بحسب الطقس الكيهكى.

ثانيا : إذا وقع عيد الميلاد فى يوم ٢٨ كيهك وذلك فى السنوات الكبيسة ـ تحتفل الكنيسة بالعيد فى السنة الكبيسة فى يومى ٢٨، ٢٩ كيهك معا. **لأن عيد الميلاد يقع دائما فى ٢٩ كيهك ولا يقع فى يوم ٢٨ كيهك إلا فى السنوات الكبيسة.**

وعلى ذلك فإذا وقع ٢٩ كيهك فى السنوات الكبيسة فى يوم أربعاء أو جمعة **وجب فيه الفطر لأنه عيد سيدى كبير، ويمنع فيه الصوم**، أى يحل فيه صوم الأربعاء والجمعة.

والحق أن هذا هو السبب الأساسى فى صوم البرامون السابق على عيد الميلاد وعيد الغطاس.

فإذا وقع عيد الميلاد فى سنة كبيسة فى يوم خميس، صامت الكنيسة يوم الأربعاء صوم البرامون، حتى يحل لهم فطر يوم الجمعة الذى يقع فى ٢٩ كيهك.

(١) كتب فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٣م ـ ١٥ كيهك ١٦٩٠ش.

وإذا وقع عيد الميلاد فى سنة كبيسة فى يوم ثلاثاء، صامت الكنيسة يوم الاثنين صوم البرامون، حتى يحل لهم فطر يوم الأربعاء الذى يقع فى ٢٩ كيهك.

هذه هى القاعدة الأساسية التى تسير بموجبها كنيستنا التى ترتبط أساسا بالتاسع والعشرين من كيهك دائما باعتباره عيد الميلاد، كما نصت على ذلك الدسقولية وكتب القانون الكنسى، وكتب الطقس وكتب الآباء المعتبرين أعمدة. انظر الدسقولية (الباب ١٨) : «عيد ميلاد الرب... التاسع والعشرون من الشهر الرابع الذى للمصريين».

فإذا رأيتم خلاف ذلك، فى كتاب، أو منشور، فالقاعدة الكنسية الأصيلة هى التى تحكمنا، لإبداء الرأى فيما هو الصواب.

ونعمة الرب تشملكم

٣٨ ـ تفسير كلمة ⲔⲀⲦⲀ

العزيز المحاسب مرقس حنا

٢٨ شارع أحمد أنسى بحلوان بروض الفرج.

والشماس بجمعية العهد الجديد .

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح. يسرنى الرد على أسئلتكم المرسلة إلينا على النحو الآتى :

سؤال :

تفسير كلمة ⲕⲁⲧⲁ التى تقال فى مقدمة قراءة الإنجيل قبطياً ـ فقد تعودنا نحن الشمامسة أن نتلو الإنجيل بعد المقدمة بجملة «من بشارة معلمنا القديس......» ولكن ظهرت نغمة جديدة سمعتها مرارا من بعض الشمامسة وهى بعد المقدمة (حسب ما كتبه معلمنا القديس.......) عوضا عن السابقة معللين بذلك أنها الترجمة لكلمة ⲕⲁⲧⲁ بل هناك من زعم بأنها تعليم الإكليريكية، أرجو لو سمحتم بتفسير ذلك وما هو الصحيح فى التلاوة حتى لا نخرج عن تعاليم الكنيسة وطقوسها.

الجواب :

المعنى الحرفى لكلمة ⲕⲁⲧⲁ بالقبطية واليونانية هو «على حسب» أو «بحسب» والعبارة الكاملة التى ينطق بها الكاهن إعلانا وتقديما لقراءة الإنجيل المقدس هى

ⲁϥⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ ⲛ̀ϫⲉ ⲫⲏⲉⲑⲛⲏⲟⲩ ϧⲉⲛ ⲫ̀ⲣⲁⲛ ⲙ̀Ⲡϭⲟⲓⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓϫⲟⲙ ⲕⲩⲣⲓⲉ ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲥⲟⲛ ⲉⲕ ⲧⲟⲩ ⲕⲁⲧⲁ Ⲙⲁⲧⲑⲉⲟⲛ (Ⲙⲁⲣⲕⲟⲛ - ⲗⲟⲩⲕⲁⲛ - Ⲓⲱⲁⲛⲛⲏⲛ) ⲁⲅⲓⲟⲩ ⲉⲩⲁⲅⲅⲉⲗⲓⲟⲩ ⲧⲟ ⲁⲛⲁⲅⲛⲱⲥⲙⲁ.

وترجمتها على النحو الآتى :

«مبارك الآتى باسم رب القوات، يارب بارك. فصل من الإنجيل المقدس على حسب (ما كتبه) متى (أو مرقس أو لوقا أو يوحنا) .

هذا ما يقوله الكاهن فى مقدمة قراءة الإنجيل، أما الشماس فيقول : «قفوا بمخافة الله، ولننصت للإنجيل المقدس» .

ⲥⲧⲁⲑⲏⲧⲉ ⲙⲉⲧⲁ ⲫⲟⲃⲟⲩ ⲑⲉⲟⲩ ⲁⲕⲟⲩⲥⲱⲙⲉⲛ ⲧⲟⲩ ⲁⲅⲓⲟⲩ ⲉⲩⲁⲅⲅⲉⲗⲓⲟⲩ.

ثم يقول :

«فصل من بشارة معلمنا القديس متى (أو مرقس أو لوقا أو يوحنا) البشير بركاته على جميعنا».

فإذا كان البابا البطريرك حاضرا، وهو الذى سيقرأ الإنجيل قبطياً أو عربياً، فيرتل الشماس أمامه قائلاً :

قفوا بمخافة الله ولنسمع من فم أبينا المكرم، جزيل الورع ⲟⲥⲓⲱⲧⲁⲧⲟⲩ المثلث الطوبى، أبينا، أبى الآباء، راعى الرعاة، الحبر الأعظم ⲁⲣⲭⲓⲉⲣⲉⲱⲥ، رئيس كهنتنا، خليفة القديس مرقس الإنجيلى، العظيم فى البطاركة، حبيب المسيح، أبينا القديس (   ) بطريرك المدينة العظيمة الأسكندرية، وكل اقليم مصر والمدن التابعة لها.

إله السماء يثبته على كرسيه سنين عديدة وأزمنة سلْمية. ويخضع جميع أعدائه تحت قدميه، سريعا، ويمنحه زمانا هادئا بهيجا، ويمنحنا نعمة ورحمة بصلواته وطلباته.

الإنجيل المقدس بحسب القديس متى (أو مرقس أو لوقا أو يوحنا).

فإذا كان المطران أو الأسقف حاضرا فينادي الشماس أمامه قائلاً :

قفوا بمخافة الله، ولنسمع من فم أبينا المكرم، جزيل الورع، المثلث الطوبى، أبينا المكرم المطران (أو الأسقف) الأنبا (   ) أسقف المدينة المحبة للمسيح وكل توابعها إله السماء.

الإنجيل المقدس بحسب القديس متى (أو مرقس أو لوقا أو يوحنا).

٣٩ ـ رأس خدمة القداس الإلهى

السيد / رئيس تحرير «وطنى»

أرجو نشر البيان الموجز الآتى تحت مسئوليتى.

لاحظنا أنه يرد فى أخبار «وطنى» والصحف القبطية الأخرى عندما يخدم أسقف أو مطران القداس الإلهى يقال عنه أنه «رأس القداس» وهذا تعبير ثقيل فى أذهان الروحيين الذين يعلمون إيمانيا وعقائديا وطقسيا أن المسيح وحده هو الذى يرأس القداس. أما رئيس الكهنة (أسقفاً كان أو مطراناً أو بطريركا) فهو «يخدم» القداس الإلهى. وعلى ذلك أرجو التنبيه بإستخدام أحد التعبيرات الآتية : «خدم القداس الإلهى» أو «أقام القداس» أو «رأس خدمة القداس الإلهى» نقول «رأس خدمة القداس» ولا نقول رأس القداس.

٤٠ - لغة المردات

سؤال : من السيد / ميشيل جرجس عبد المسيح مينيسوتا ـ امريكا.

هل توجد قاعدة فى كنيستنا تلزم الشمامسة بأن يردوا المردات بنفس اللغة التى يصلى بها الكاهن، حتى الألحان التى لم تلحن بالعربى ؟

الجواب :

إن المردات، بالذات، يجب أن تكون باللغة التى يفهمها ويعيها أكثر الشعب. وهذا هو السبب فى أن عددا غير قليل من مردات الشعب فى القداس، وضعت **باللغة اليونانية**، ذلك أن الكنيسة بوصفها جامعة المؤمنين مهما اختلفت لغاتهم وألوانهم وأجناسهم، كان فى القديم يصلى فيها معا الأقباط وغير الأقباط من السريان والأرمن واليونان والروس والرومان والتليان وغيرهم ممن يقيمون فى مصر... فحتى يشارك الجميع فى الصلوات بروح واحدة، وحتى تنتعش روح التضرعات والابتهالات **يلزم أن تكون المردات والصلوات بلغة عامة يفهمها كل المصلين من جميع الأجناس**. ولما كانت اللغة اليونانية، هى اللغة العالمية السائدة والمعروفة عند الناس فى القرون المسيحية الأولى، والتى يتكلم ويتفاهم بها أهل اللغات المختلفة، لذلك رأت الكنيسة منذ البداءة أن تكون أكثر مردات الشعب باللغة اليونانية بوصفها اللغة التى يمكن أن يعيها أبناء الكنيسة الجامعة، المصلون والحاضرون. وذلك على ما جاء فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس «**فإن كنت لا أعرف قوة اللغة أكون عند المتكلم أعجميا، والمتكلم أعجميا عندى**» (١. كورنثوس ١٤ : ١١).

أما بالنسبة للكاهن فهو يصلى باللغة التى يجيدها. فالكاهن فرد، أما الشعب فمجموع من أفراد، مختلفة لغاتهم. لكنه لأسباب رعوية يمكنه أن يستخدم بعض الوقت لغة يفهمها الشعب.

ولما كان الشعب المصلى بكنيستنا القبطية فى مصر كله الآن مصرى، ولغته لغة مصر، فلا داعى الآن لأن تكون المردات فى الكنيسة باللغة اليونانية.

لذلك يحسن أن تصلى المردات للقداس، **بالترجمة العربية**، لأنها صارت اللغة الأقرب إلى أذهان شعبنا فى مصر، حتى يصلى الشعب «بالروح وبالذهن معا، ويرتل بالروح والذهن معا» (١. كورنثوس ١٤ : ١٥) ولا داعى أيضاً لترجمتها إلى اللغة القبطية، طالما أن شعبنا أقدر اليوم على فهم العربية.

كذلك الحال فيما يتصل بانذارات شماس الهيكل، فإن **أكثر هذه التنبيهات والنداءات وضعت باللغة اليونانية** لنفس الغرض السابق، وهو تنبيه الشعب فى الكنيسة، وكان فى القرون المسيحية الأولى من شعوب مختلفة لغاتها وأجناسها، إلى الوقوف أو إلى السجود، أو إلى الصلاة، أو إلى السكون والصمت أو إلى التسبيح وغيرها من النداءات والتنبيهات.. **نقول إن نداءات وتنبيهات شماس الهيكل لم يعد ثمت مبرر- فى مصر على الأقل - لأن تقال أو ترتل باللغة اليونانية التى لم يعد يفهمها شعبنا القبطى... فمن المناسب واللائق أن تقال وترتل بترجمتها العربية، حتى يعى المصلون الأقباط المعنى من نداءات شماس الهيكل وما يطلبه منهم.**

جاء فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس «هكذا أنتم أيضا إن لم **تعطوا باللسان كلاما يفهم فكيف يعرفون ما تقولون؟ ألا يذهب كلامكم فى الهواء؟... فالذى يشغل مكان العامى كيف يقول : آمين... وهو لا يعرف ماذا تقول؟**» (١ . كورنثوس ١٤ : ٩، ١٦).

٤١ - يمجدونك أم يسبحونك

سؤال :

اللحن القبطى القائل : نى شاروبيم سى أو أوشت امموك، نيم نـى سيرافيم سيتى أو اوناك - هذه الكلمة «أو أوناك» تقال دائماً فى اللحن العربى «والسارافيم يسبحونك، بينما الخولاجى يترجمها (والسارافيم يمجدونك) فما هو الصحيح فعلاً.

الجواب :

الصحيح هو «يمجدونك» ذلك لأن النص القبطى يقرأ

ⲚⲒⲤⲈⲢⲀⲪⲒⲘ ⲤⲈϮⲰⲞⲨ ⲚⲀⲔ

وكلمة ⲰⲞⲨ بالقبطية يقابلها «مجد» فى العربية. وعلى ذلك فالترجمة الكاملة للفقرة «السيرافيم يمجدونك (حرفيا : يعطونك المجد).

٤٢ - «لروحك أيضاً»

سؤال :

ما هى الترجمة الصحيحة لكلمة «كيطو ابنفما تى سو) هل هى «لروحك أيضاً أم لروحك فقط؟ وهل تغير المعنى أم لا ؟

الجواب :

هذا التعبير باللغة اليونانية يجيب به الشعب على الكاهن عندما يمنحهم السلام والبركة قائلاً : «السلام للجميع»

ومرد الشعب ⲔⲈ ⲦⲰ ⲠⲚⲀ̅ⲦⲒ ⲤⲞⲨ

حرفيا : «ولروحك» أو «لروحك أيضا» ولا بأس أن يقال «ولروحك أيضاً».

ونعمة الرب تشملكم.

٤٣ ـ لماذا نستخدم المزامير (الأجبية) فى الصلاة ؟

سؤال : من السيد / م. ك

لماذا نستخدم صلوات المزامير أو كتاب الأجبية ؟

الجواب :

استخدام المزامير فى صلواتنا الجمهورية العامة، وصلواتنا الانفرادية تقليد رسولى جاءت الإشارة إليه واضحة فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى كنيسة كورنثوس : «متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور» (١٤ : ٢٦) ويقول الرسول نفسه أيضاً : «مكلمين بعضكم بعضا بمزامير» (أفسس ٥ : ١٩).

وقد ذكرت الصلوات السبع فى كتاب الدسقولية (تعاليم الرسل)، ونص على أن هذه الصلوات هى صلوات «الغداة (باكر)، ثم الساعة الثالثة من النهار (التاسعة صباحاً) والساعة السادسة، والساعة التاسعة، والمساء (الغروب)، والثانية عشرة آخر النهار الساعة السادسة مساء) ثم نصف الليل» (باب ٣٧).

وجاء فى قوانين الرسل النص على هذه الصلوات السبع. وعلى أوقاتها، وعلى مناسباتها، وأن الساعة الأولى أو باكر هى أول النهار، وتشير إلى قيامة المسيح، لأنه قام باكرا، ثم الساعة الثالثة من النهار (وهى ٩ صباحاً) تمثل الساعة التى حكم فيها بيلاطس على مخلصنا يسوع المسيح بالصلب، وهى أيضاً الساعة التى حل فيها الروح القدس على التلاميذ والرسل، ثم الساعة السادسة من النهار (وهى ١٢ ظهراً) وتمثل الساعة التى صلب فيها المسيح، والتاسعة (وهى ٣ بعد الظهر) وهى الساعة التى مات فيها المسيح بالجسد، ثم صلاة الغروب (عند غروب الشمس) أو الساعة الحادية عشرة وهى (الخامسة مساء) وفيها انزلوا المسيح من على الصليب، وصلاة النوم أو الساعة الثانية عشر من النهار، وفيها دفن جسد المسيح فى القبر، وأخيراً صلاة نصف الليل، وفيها صلى المسيح فى بستان جثسيمانى، هذه الصلوات نصت عليها قوانين الرسل، المجموعة الثانية، فى قانون ٤٧، وقانون ٦٧ ومن بين ما ورد فى القانون قوله : كل مؤمن ومؤمنة إذا قاموا بالغداة (باكر) فمن قبل أن يعملوا شيئا، فليغسلوا أيديهم ويصلوا لله.. وليسرع كل واحد بالمضى إلى الكنيسة، الموضع الذى تشرق فيه الروح... وإن كان هو يوما ليس فيه تعليم، فليصلِّ كل واحد فى بيته.. ثم صلِّ الساعة الثالثة .. الخ» (قانون ٤٧).

كذلك ورد فى النص على هذه الصلوات السبع فى القانون ٦٧ من قوانين الرسل «إذا قمتم باكراً فصلوا، ثم صلوا الساعة الثالثة، وصلوا الساعة السادسة، وصلوا الساعة التاسعة، وصلوا بالعشىّ، وصلوا فى الوقت الذى يصيح الديك (صلاة نصف الليل)».

ونص على ذلك أيضاً القانون الثامن والعشرون من قوانين القديس باسيليوس الكبير، والقانون السابع والعشرون، والخامس والعشرون من قوانين القديس هيبوليطس (أبوليدس).

على أن صلوات المزامير، والصلوات السبع المرتبة فى كتاب الأجبية ينبغى أن تؤدى بتؤدة وتمعن، وبروح التعبد والتأمل، وإلا فإن الصلاة المتعجلة لا تفيد، وقد تدعو إلى الملل وعلى ذلك فللفائدة يجب أن تؤدى الصلاة بالتأمل والخشوع والإنسحاق القلبى.

٤٤ ـ المزامير مع الصلوات الإرتجالية

سؤال : من السيد البير حليم يعقوب شكر الله ـ شبرا.

يقول : إنى أتلو صلوات الأجبية وهى صلوات الشعب المسيحى الأرثوذكسى، واعترف أنى أحب أن أتلوها وأن أصلى المزامير، ولكن أجد أحيانا أنه يلذ لى أن اعبر لله بصلاة ارتجالية عما فى ضميرى، وأحياناً يزورنى بعض الأصدقاء، ويسهرون معى إلى ساعة متأخرة من الليل، فاستيقظ فى الصباح متأخرا، ولضيق الوقت اكتفى بصلاة ارتجالية فما هو ارشادكم لى فى هذا الموضوع ؟

الجواب :

نقول من حيث المبدأ، أن الصلوات المرتبة كنسياً، والمعروفة بصلوات الأجبية أى السواعى، هى نماذج للصلاة، تصلح أساسا أوليا متينا لحياة السائرين فى طريق السماء. فهى مجموعة مختارة من المزامير لكل ساعة من الأوقات السبع المعينة للصلاة (سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك، (مزمور ١١٨ : ١٦٤) وذلك فى المناسبات الروحية والدينية التى تمت فيها أحداث خلاصية، كقيامة المسيح (باكر)، وحلول الروح القدس على التلاميذ (الساعة الثالثة) وصلب المسيح (الساعة السادسة)، وموته على الصليب (التاسعة)، وانزاله من على الصليب (الغروب)، ووضع جسده فى القبر (الساعة الثانية عشرة) ثم صراعه فى بستان جثسيمانى (نصف الليل) مضافا إليها بعض القطع الروحية وهى صلوات خشوعية مرتبة على تلك المناسبات الروحية، وطلبات أخرى مثيرة وجميلة وعميقة، وضعت بحكمة وعمق روحانى، وهى مقتبسة على الغالب من نصوص إنجيلية وكتابية.

غير أن الروحيين والعابدين تثيرهم هذه الصلوات النموذجية فيضيفون إليها طلبات أخرى من دفع أرواحهم ودفق قلوبهم، يعبرون بها عن مشاعرهم واحتياجاتهم الخاصة، الروحية والنفسية، وتجاريهم التى يجتازونها ويمرون فيها.

لذلك فإن من الخير أن يلتزم المؤمنون العابدون بصلوات المزامير وما يتبعها من صلوات مرتبة، ويضيفون إليها ما تدفعهم إليه نفوسهم من طلبات تعبر عن احتياجاتهم اليومية... وكما يقول مخلصنا له المجد «يجب أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك» (متى ٢٣ : ٢٣).

ولكن لا يجمل بالعابدين أن يكتفوا بالطلبات الخاصة ويهملوا الصلوات المرتبة، فإن هذه الصلوات المرتبة ثروة روحية، غنية بكل ما تحتاج إليه النفس البشرية فى رحلتها إلى الله، ويعد خسرانا كبيرا أن يفقد المصلى هذا الامتياز. على أنه يمكن مراعاة لظروف الناس ممن يضيق وقتهم ولا سيما فى الصباح عن الصلوات الطويلة، أن يكتفوا من كل صلاة بثلاثة مزامير أو بإثنين مع بعض القطع وبعض الصلوات والطلبات، قدر ما يسمح الوقت، مع الإهتمام بالإستيقاظ باكرا بوقت كاف، على قول الكتاب المقدس «أنا أحب الذين يحبوننى، والذين يبكرون إلىّ يجدوننى» (أمثال ٨ : ١٧).

٤٥ ـ الفرق بين اجتماع الصلاة والقداس الذى يسبقه

جاءنا السؤال الآتى من «مشتاق أن يعرف بطنطا»

هل يصح عقد اجتماعات خاصة للصلاة عقب القداس مباشرة؟ وإن جاز ذلك فما معنى القداس؟ وما الفرق بين اجتماع الصلاة هذا والقداس الذى سبقه ؟

الجواب :

إن الذين يحضرون صلوات القداس من أولها ويتابعونها بتقوى وخشوع وتمعن وفهم، يجدون فيها متعة روحية عميقة، لا تضارع بأية صلوات أخرى وطلبات أخرى ارتجالية. ثم أن صلوات القداس غنية بجميع احتياجات النفس البشرية، وهى شاملة جامعة لكل المعانى الروحية النافعة للفرد وللمجتمع.

إننا ننصح لمن يريد الاستزادة من روح الصلاة أن يحضر القداس من أوله، من لحظة تقديم الحمل، ولكن القداس يسبق عادة بصلوات رفع بخور باكر بما تشتمل عليه من أواشى وقراءات للفصول المقدسة، وقبل رفع بخور باكر ترفع التسبحة منذ ساعة مبكرة من الصباح وهى تشتمل على صلوات وطلبات وتسابيح وأناشيد روحية مثيرة، وهذه وتلك كلها صلوات وضعتها أنفاس الآباء الأطهار الذين بلغوا إلى قمة الروحانية، فياليت أبناء الكنيسة يشبعون أولا بهذه الشوامخ الروحية ويتشبعون بروح الآباء وأنفاسهم، ومن يلزمه مزيد، أكثر من كل ذلك، فله أن يضيفه سرا أثناء صلوات القداس فى فترات الصمت أو الهدوء أو حينما يتلو الكاهن بعض الصلوات السرية، أو عندما يعود إلى بيته، ويغلق بابه فى المخدع ويصلى إلى أبيه فى الخفاء.

٤٦ ـ من المسئول عن قيادة الشمامسة

سؤال : من السيد / اندراوس فلسطين ـ الأقصر.

من المسئول عن قيادة الشمامسة بكافة درجاتهم وتوزيعهم بالخدمة الهيكلية وخوروس المرتلين وتوزيع الرسائل للقراءات والتنظيمات الأخرى ؟

الجواب :

المسئول عن ذلك في الكاتدرائية هو الأرشيدياكون (رئيس الشمامسة) وفى الكنائس الأخرى الشماس الكبير بينهم تحت إشراف الكاهن.

٤٧ ـ هل للشماس الحق فى لفت نظر الكاهن ؟

سؤال :

هل للشماس الحق فى لفت نظر الكاهن الخادم لتصحيح أية مخالفات كنسية مخلة بالنظم الكنسية؟ وإن أصر على هذه المخالفة أيحق له حرمانه من الصلاة ما لم يصلح هذا الخطأ؟ وما رأى الكنيسة فى الكاهن الذى يصر على السير فى المخالفات الكنسية رغم تنبيهه إليها ؟

الجواب :

يقول القانون الكنسى أن الشماس خادم الكاهن، وعلى ذلك يجب أن يعاونه، ويخدمه، ويتمم خدمته معه كابن له. وإذا بدت له ملاحظة يمكنه أن يتكلم بشأنها مع الكاهن على انفراد، وبوداعة وأدب وخضوع، ولا يليق بالشماس أن يقاطع الكاهن، أو يهينه، أو يرفع صوته وهو يكلمه. وإذا رأى مخالفة خطيرة من الكاهن ولم يصغ الكاهن لحديثه معه على انفراد، يمكنه أن يرفع أمره إلى الأسقف أو المطران بكل أدب واحترام، فإذا لم ينصفه الأسقف أو المطران يمكنه أن يرفع شكواه إلى البابا البطريرك.

وليس للشماس سلطان أن يحرم الكاهن من مباشرة الصلاة أو تكميلها. فالحرمان عموما من سلطان الكهنة والأساقفة وليس من سلطان الشمامسة. والحرمان ثانيا هو سلطان صاحب الدرجة الأعلى بالنسبة للأدنى، فليس للشماس كابن للكاهن أن يحرم الكاهن من الصلاة.

٤٨ ـ هل للكاهن الخادم أن يقرأ جزء من الإنجيل القبطى ؟

سؤال :

هل يجوز للكاهن الخادم أن يقرأ جزءا يسيرا من الإنجيل القبطى ويتغاضى عن باقيته ؟

الجواب :

اعتقد أن ذلك جائزا مادام الإنجيل سيقرأ مرة أخرى باللغة العربية. وهذا الإجراء يبرره عامل الوقت، لأن قراءة الفصول الكنسية باللغتين القبطية والعربية تضاعف الوقت، علماً بأن آباءنا الأولين عندما كانوا يصلون بالقبطية كانوا يوفرون الوقت الذى نصرفه نحن اليوم فى ترجمة الفصول إلى اللغة العربية، وهى على ما نرى ضرورة لا مفر منها ولا غنى عنها لشعب يتكلم العربية ولا يسهل عليه متابعة الفصول باللغة القبطية.

٤٩ ـ قداس القديس غريغوريوس ـ الثيئولوغوس (الناطق بالإلهيات)

الابن العزيز دياكون فوزى لوندى ـ امبابة.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

رداً على سؤالكم الخاص بالقداس الغريغورى وهل هو نسبة إلى القديس غريغوريوس النازيانزى المعروف بالثيئولوغوس أسقف القسطنطينية المتوفى سنة ٣٨٩م أو نسبة إلى القديس غريغوريوس أسقف قيصرية الجديدة.

الجواب :

المعروف يقينا أن القداس الغريغورى هو المنسوب إلى القديس غريغوريوس الثيئولوغوس الناطق بالإلهيات بطريرك القسطنطينية المتوفى سنة ٣٨٩م.

ونجد ذلك مكتوبا صراحة فى كتاب الخولاجى الكبير بالقبطية والعربية (قداس القديس اغريغوريوس الناطق بالإلهيات).

٥٠ ـ الشمع على المذبح لا الكهرباء (١)

سؤال : من الدكتور كمال بباوى دوس ـ مدينة فيصل ـ السويس.

هل يمكن وضع مصابيح (لمبات) كهربائية على المذبح بدلاً من الشمع أو الشموع ؟

الجواب :

وضع المصابيح (اللمبات) الكهربائية على المذبح أمر مستحدث فى كنائسنا القبطية، وهو غير مستحب، روحيا وطقسيا وفنيا، مهما قيل من أن المصابيح (اللمبات) الكهربائية أكثر نظافة وربما أكثر أناقة.

والحق أن الإضاءة القوية على المذبح، بل وفى شرقية الهيكل، لا تناسب روح العبادة. فالإضاءة القوية أمام العينين تشتت الانتباه، وتعوق التركيز الذهنى، بينما أن الخشوع فى العبادة يتطلب الإضاءة الخافتة، وهذه قاعدة عامة معروفة ومقررة على مدى التاريخ الطويل فى المعابد جميعا وعند جميع الشعوب. وقد كان آباؤنا المصريون القدماء يحرصون على أن يكون الإظلام فى قدس الأقداس مقصودا ليبعث على الخشوع والإحترام.

وهكذا سار الأقباط فى كنائسهم ومعابدهم فى كل تاريخهم، أن تكون الإضاءة فى الهيكل خافتة، ولا تضاء إلا بالشموع، وبالقنديل فى شرقية الهيكل وفوق المذبح ليشير إلى النجم الذى وقف حيث كان الرب يسوع المسيح فى بيت لحم، عندما ولد فى المهد.

وعندما أدخلوا الكهرباء فى الكنائس، اكتفوا بأن يكون استخدامها فى سماء الكنيسة من فوق، بحيث لا تلتقى بها عيون المصلين. وأما الهيكل بل وحجاب الهيكل وهو حامل الإيقونات فيضاءان بالشمع أو بقناديل الزيت.

وفى الكنائس الأخرى، شرقية وغربية، رأينا أنهم **لا يجيزون استخدام المصابيح (اللمبات)، الكهربائية لاعلى المذبح فى الهيكل، ولا أمام الحجاب (حامل الإيقونات) وإنما هذه كلها تضاء بالشموع وبقناديل الزيت.** وهذه القناديل أمام حامل الإيقونات تحملها أيدى من النحاس أو الفضة أو المعدن بحيث ينعكس ضوؤها على الإيقونات، دون أن تسطع على عيون المصلين والعابدين.

---

(١) كتب فى ٢٤ من ديسمبر (كانون أول) لسنة ١٩٨٧م. و ٢٤ من هاتور لسنة ١٧٠٤ش.

إننا يجب، أن نلتزم بتقليدنا القديم وتراثنا القبطى المصرى الأصيل باستخدام الشمع على المذبح وكذلك قنديل الزيت فى شرقية المذبح، وعلى حامل الإيقونات وأمام صور القديسين.

إن للشمعة معنى روحيا جميلاً، إنها تذكرنا بحياة القديسين وأبطال الإيمان : لقد احترقوا بالآلام والنضال فى سبيل الإيمان، فأضاءوا حياة الكنيسة فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

ومما هو جدير بالذكر أن العلماء والخبراء، والأطباء ينصحون تلامذة المدارس والدارسين والباحثين أن يكون نور المصباح لا يواجه عين القارئ، وإنما الوضع الأفضل هو أن تكون الإضاءة من فوق الرأس أو على يسار الرأس حتى لا تحدث ضررا للعينين، كما أن الإضاءة القوية المباشرة أمام العينين تضعف قوة التركيز وحصر الانتباه، وقدرة العقل على النقد والدرس.

هذا وعند الإخصائيين من أصحاب الفنون، إن وضع المصابيح (اللمبات) الكهربائية أمام الصور والإيقونات يُتلفها ويُذهب تدريجياً بألوانها، مع طول الزمن.

ماذا أقول!... نحن الأقباط الذين تميزنا على مدى التاريخ الطويل بالمحافظة على تراثنا القديم، بتنا فى حاجة إلى وعى طقسى يردنا إلى تراثنا الجميل.

لقد تفرنجنا أكثر من الفرنجة.

٥١ ـ قسمة تقال فى صوم الميلاد
وفى صوم العذراء مريم وفى أعيادها

١ ـ يا الله الساكن فى الأعالى والناظر من علو سماه إلى قلوب المتواضعين من عبيده، الذى شاء أن يتفقدنا برحمته، وأن يجئ إلينا متجسدا من الروح القدس ومن القديسة العذراء مريم.

٢ ـ يامن وعد أبانا آدم بالخلاص، وثبت وعده المقدس لجميع الآباء، بميلاده البتولى فى ملء الزمان، من بكر بتول نقية وعفيفة، فَضَلّها واصطفاها على نساء العالمين، هى العذراء الدائمة البتولية، العذراء دائماً وكل حين، مريم، حواء الجديدة، فخر جنسنا، والسماء الثانية.

٣ ـ يا من أحبنا وأراد من فيض حبه ورحمته، ومن دلائل عدله وبره، وثبوت حكمه وقضائه، أن يفدينا من موت الخطيئة الأصلية، ويرفع عنا عقوبتها الأبدية، بأن يموت بديلاً عنا فى جسم البشرية، التى اتخذها من مريم العذراء أم الخلاص. وكما كانت حواء الأولى مدخل الشقاء صارت حواء الجديدة باب السماء.

٤ ـ يا من تجسد من البكر البتول، فكان وحيد الأم كما أنه وحيد الآب، وأكرم بميلاده الزمنى من العذراء دائما وكل حين، البتولية الدائمة والعفة الكاملة، وهى صورة البهاء الأولية، التى خلق عليها الأبوين الأولين آدم وحواء، وعندما كانا معا فى فردوس النعيم.

٥ ـ يامن شرف حواء الثانية بأن سكن فى أحشائها تسعة أشهر كاملة، وكون من دمها، بالروح القدس الذى حل عليها، جسداً بنفس ناطقة اتحد به، فى أقنوم واحد، وطبيعة واحدة، بغير افتراق أو انفصال، وولد منها الكلمة الذى كان ولم يزل إلهاً مباركاً إلى الأبد.

٦ ـ يا من خرج من بطن العذراء وختوم البكارة مصونة، يا من رضع من لبن العذراء، وهو الساقى كل الخليقة من نعمته، وتربى فى حضنها، ونام بين يديها، وجلس على ركبتيها، وهو الجالس على مركبة الكاروبيم، فكانت مريم العذراء له سماء ثانية ومركبة شاروبيمية وسجدت له الملائكة ورؤساء الملائكة الأطهار.

٧ ـ يا من شرف مصر بحضوره راكباً على السحابة السريعة والخفيفة، فارتجفت أوثان مصر من وجهه. وذاب قلب مصر داخلها، ولم تكن السحابة السريعة الخفيفة غير العذراء مريم، فى نقائها ورقتها وطهارتها كل حين.

٨ ـ يا من شاء أن يكرم الأمومة فى مريم العذراء، فكان خاضعاً لها، وكان دائماً يلبى نداءها ويقبل شفاعتها، ويستجيب طلباتها.

٩ ـ يا من أودع أمه العذراء عند تلميذه الحبيب يوحنا، وجعل لها يوحنا ابنا، وفى يوحنا وهبنا العذراء أما لنا، وصيرنا لها بالإيمان أولاداً وبنين.

١٠ ـ يا من لم يشأ للعذراء أم الخلاص ـ وقد صارت تابوتا مقدسا سكن فيه الرب جسديا ـ أن يبقى هذا الجسد على الأرض فرفعه بعد موتها إلى السماء على أيدى الملائكة ورؤساء الملائكة القديسين.

١١ ـ يا من شرفنا وشرف جنسنا بأن اتخذ من مريم العذراء جسده وصعد به إلى السماء فوجد فداءً أبدياً، وجلس به على العرش، فصرنا فيه جالسين عن يمين الآب.

١٢ ـ ارحمنا واغفر خطايانا، واقبل شفاعة العذراء أمك فينا، واجعلنا مستحقين للمس جسدك المقدس ودمك الكريم والتناول منهما، حتى نجرؤ بدالة البنين، بغير خوف، أن نصرخ إليك أيها الآب القدوس السماوى ونقول : يا أبانا الذى فى السماوات...

٥٢ ـ قسمة لعيد الغطاس المجيد

١ ـ أيها المسيح إلهنا، كلمة الله الآب، الذى من أجلنا، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وحل فينا وبيننا، وأنت من طبيعة الآب ومن جوهره. ولم تفقد بحلولك فينا طبيعتك. فأنت الألف والياء، الأول والآخر، البداءة والنهاية، الكائن الذى كان والذى سيأتى والقادر على كل شئ أنت الحى الذى ذاق الموت بالجسد، وها أنت حى إلى أبد الآبدين.

٢ ـ ياربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا ومالكنا يسوع المسيح، الله الكلمة الذى به كان كل شئ، وبغيره لم يكن شئ مما كان، الأول قبل الخليقة، والكائن الأزلى قبل كل الدهور، وبك وفيك تقوم كل الأشياء، ومن به وله كل شئ قد خلق، والمالئ الكون بلاهوته، ومع ذلك تنازل أن يتقدم إلى عبده وخادمه يوحنا، لينال من يده العماد، فلما اعترض يوحنا قائلاً : أنا محتاج أن أنال المعمودية منك وأنت تأتى إليّ؟ أجبته قائلاً : اسمح بهذا الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نتمم كل بر. فبمثالك رسمت لنا سر العماد، وكشفت عن ضرورته للخلاص إذ قلت لنيقوديموس الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد ثانية من فوق، من الماء والروح لا يُمكنه أن يدخل ملكوت الله.

٣ ـ أنت ابن الله الوحيد، الكائن فى حضن الآب كل حين، وقد شهد عنك المعمدان قائلاً أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة. أما الذى يأتى بعدى فهو أقوى منى. وأنا لست مستحقاً أن أحمل حذاءه، ولست مستحقاً أن أنحنى وأحل رباط حذائه. إنه سيعمدكم بروح القدس وبالنار.

٤ ـ فلما رآك يوحنا وأنت صاعد من الماء ورأى السماوات تنشق، وقد انفتحت لك، والروح القدس ينزل فى هيئة جسمية، مثل حمامة، مُقبلاً عليك، ويستقر على رأسك الإلهى، وإذا صوت الآب يجئ من السماء قائلاً : أنت هو ابنى حبيبى الذى به سررت، شهد عنك يوحنا قائلا: هوذا حمل الله الذى يحمل ويرفع خطيئة العالم. هذا هو الذى قلت عنه : يأتى بعدى رجل يتقدمنى لأنه كان قبلى وأنا لم أكن أعرفه لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء، هو الذى قال لى : إن الذى تبصر الروح ينزل ويستقر على رأسه هو الذى يعمد بروح القدس. وأنا قد أبصرت وشهدت بأن هذا هو ابن الله.

٥ ـ ها نحن نقر يا سيدى ومخلصى بربوبيتك وألوهيتك، ونعترف بأنك المسيح الله ابن الله الحى، وأنك واحد مع الآب والروح القدس، إله واحد فى ثالوث، وثالوث فى واحد. ونؤمن أنك أنت هو الله الظاهر فى الجسد، وأن من رآك فقد رأى الآب، وأنك كائن فى الآب، والآب كائن فيك، وحال معك ومع الروح القدس فى الجوهر الواحد الأحد.

٦ ـ يا من قبلت المعمودية من عبدك يوحنا، ونلت بعد العماد مسحة الروح القدس كإنسان، فصرت تسمى بالمسيح والملك والنبى والكاهن، نشكرك لأنك أعطيتنا نحن أيضاً عبيدك الحق والسلطان لأن نكونِ بالإيمان وبسر المعمودية المقدس أبناء الله، وأن نمتلئ بسر المسحة المقدسة فى الميرون، من روح القدس، ونصير بهذه العطية الصالحة مدشنين ومقدسين لله، وتصير أعضاؤنا أعضاء المسيح.

٧ ـ أعنا يارب على رضاك، وعلى العمل بوصاياك، وأضرم يا خالقنا ومخلصنا موهبة روحك القدوس فينا، بعبادة عقلية روحانية، فنقدم أجسادنا ذبيحة حية مقدسة مقبولة مرضية عند الله.

وامنحنا أن نكون مستحقين للتقرب من شجرة الحياة الحقيقية المعطية الحياة للروح والنفس والجسد، وهى جسدك المقدس ودمك الكريم فنأكل منها ونشرب ونحيا إلى الأبد.

طهر أرواحنا ونفوسنا وأجسادنا ونياتنا وأفكارنا لكى نجرؤ بدالة البنين وبغير خوف، أن نصرخ نحوك أيها الآب السماوى ونقول : يا أبانا...

٥٣ ـ قسمة صوم وعيد الرسل

١ ـ يا الله الآب السماوى، القادر على كل شئ، أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح الذى دعا له اثنى عشر رسولاً ليكونوا له تلاميذ، وسبعين آخرين، وأعطاهم السلطان على أن يشفوا المرضى ويطهروا البرص، ويطردوا الشياطين والأرواح النجسة ويقيموا الموتى، وليكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، ويعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.

٢ ـ يا من أقام تلاميذه القديسين ورسله الأطهار ليكونوا رؤساء كهنة العهد الجديد، يكرزون ويعلمون ويباركون ويقدسون المؤمنين، بالروح القدس الذى أعطاهم، ويقبلون التائبين،ويغفرون لهم خطاياهم، ويجعلونهم أهلاً لتناول أسراره المقدسة غذاء لنفوسهم، وقوتاً لأرواحهم، للحياة الأبدية.

٣ ـ يا من نفخ فى وجوه تلاميذه القديسين ورسله الأطهار، ومنحهم السلطان على أن يدوسوا الحيات والعقارب، وكل قوة العدو الشيطان، وأن يتعهدوا المؤمنين بوسائط الخلاص، وأن يكونوا له وكلاء على الأرض، ومستودعاً لمواهبه الخلاصية واستحقاقاته الكفارية، يوزعونها على مستحقيها، ووكلاء أسراره المحيية.

٤ ـ يا من سكب على تلاميذه القديسين بعد صعوده إلى السماء مواهب الروح القدس، روح الحق المنبثق من الآب، فقدسهم وبررهم وطهرهم وملأهم من كل حكمة وفهم ومشورة وشجاعة وقوة، وصيرهم قادرين على أن يتنبأوا، ويتكلموا باللغات، ويفتنوا بإنجيل الخلاص المسكونة كلها.

٥ ـ اللهم يا من وَكَلَ إلى تلاميذه القديسين ورسله الأطهار أن يقيموا من بين المؤمنين أساقفة وقساوسة وشمامسة، لخدمة إنجيل الملكوت، ورعايته قطيع المسيح، وتدبير كنيسته المقدسة.

٦ ـ وبعد أن كرزوا وعلموا وقدسوا، وأقاموا لهم خلفاء، ووكلاء، وعرفاء، لم يحسبوا نفوسهم ثمينة لديهم. فبذلوا حياتهم من أجل اسمك القدوس فى أسفار وفى أسهار، وفى أصوام، وفى أتعاب كثيرة، وبعد أن قاسوا عذابات أليمة ماتوا رجما أو حرقا أو صلبا أو قطعت رؤوسهم فنالوا إكليل الشهادة وإكليل الرسولية.

٧ ـ فبطرس الرسول مات مصلوبا منكساً، وبولس الرسول قطعت رأسه بالسيف، ومرقس الرسول سحلوه مربوطاً فى شوارع الأسكندرية، فتقطعت أوصاله، وتهشمت عظامه، وسالت دماؤه، فكانت بركة لبلادنا المصرية، وكنيستنا الأرثوذكسية.

٨ ـ الهم، اقبلنا نحن أيضاً طاهرين بلا عيب أمامك، ونق بروحك القدوس وبسر القربان المحيى، أرواحنا وأنفسنا وأجسادنا، بل أيضا أفكارنا، وقلوبنا، ونياتنا، حتى نجرؤ بمحبة غير غاشة، وثقة غير ناقصة، ودالة بغير مخادعة، أن نصرخ نحوك أيها الآب القدوس، السماوى، بالصلاة التى علمتها لتلاميذك الأطهار، قائلين : يا أبانا ......

٥٤ ـ قسمة تقال فى الصوم الكبير إلى جمعة ختام الصوم

١ ـ أيها الآب السماوى، الله أبونا وسيدنا القادر على كل شئ الذى أحبنا نحن البشر، ومن فيض حبه أرسل ابنه الوحيد إلى العالم، متجسدا من الروح القدس ومن مريم العذراء ليخلصنا من عبودية الجحيم ومن العقوبة الأبدية المحكوم بها عدلاً على جنس البشر.

أيها الابن الوحيد، كلمة الله الآب، الذى اتخذ الجسد حجاباً استتر فيه واتحد به، ورسم لنا بشخصه طريق الكمال، والقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب.

٢ ـ أيها المسيح إلهنا، الذى فدانا بدمه وعلمنا مراسم العبادة الصادقة، المقبولة عند الله ذبيحة مرضية، بالعقل والقلب وخلوص النية، وطهارة الروح والفكر والجسم.

٣ ـ أيها الرب مخلصنا وفادينا وملكنا ومالكنا، أنت الذى علمتنا ذبيحة العطاء وأعمال الرحمة والصدقة بالفقراء وأصحاب الحاجات والبذل بسخاء وسرور حبا فى الله وخير القريب وخدمة الإنجيل، وقال : إذا فعلتم ذلك بأى من أصغر إخوتى فبى فعلتم، وإذا لم تفعلوا ذلك بأى من أصغر هؤلاء، فبى لم تفعلوا.

٤ ـ أيها الرب الذى علم تلاميذه القديسين الصلاة الربانية وأوصى الجميع قائلاً : اعملوا لا من أجل الطعام الفانى وإنما من أجل الطعام الباقى للحياة الأبدية. هذا هو خبز الحياة الحقيقى ليأكل منه الإنسان، فلا يموت. وقال أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى أعطيه أنا هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم. الحق الحق أقول لكم : مالم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه لا تكون لكم حياة فى أنفسكم. من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير. لأن جسدى هو طعام حقاً، ودمى هو شراب حقا. من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى، وأنا أيضا أقيم فيه.

٥ ـ ياربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، يا من صام عنا أربعين يوماً وأربعين ليلة بسر لا ينطق به، وعلمنا أننا بالصوم والامتناع عن طعام الجسد، نشكم شهوة البدن، ونسكت شغب الجسم، ونضبط الفكر والنفس، ونسكن ثورة الحس، ونرفع العقل والقلب والروح، لكى نستطيع أن ندرك مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعلو والعمق، وأن نعرف محبة المسيح التى تفوق كل معرفة لكى نمتلئ إلى كل ملء الله.

٦ ـ يا من قبل صوم أهل نينوى من كبيرهم إلى صغيرهم الذين صلوا إليه وتذللوا بمسوح الإتضاع، فرحمهم ورفع غضبه عنهم.

يا من بالصوم والصلاة تأهل نبيك موسى أن يعاين بهاء الرب على الجبل المقدس، ويتسلم الشريعة والوصايا العشر المكتوبة بإصبع الله.

٧ ـ بالصوم والصلاة نجا دانيال من جب الأسود، وتخلص الفتية الثلاثة من أتون النار، وهزم القديسون قوة الشياطين، وقهروا ممالك، وغلبوا أعداءهم الروحيين والجسديين، الخفيين والظاهرين.

٨ ـ وبالصوم والصلاة انتقل أخنوخ وارتفع إيليا فى العاصفة إلى السماء بمركبة من نار وخيل من نار، وبهما تنبأ الأنبياء ونطقوا بالروح القدس عن مجئ المسيح، قبل مجيئه بأجيال كثيرة.

٩ ـ بالصوم والصلاة، سلك تلاميذ المسيح ورسله الأطهار، فنالوا موهبة الروح القدس فى يوم الخمسين وتكلموا باللغات، وكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، وتلمذوا كثيرين فى جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.

١٠ ـ وبالصوم والصلاة تقوى الشهداء، واحتملوا الآلام من أجل اسم المسيح، فرجموا ونشروا، وسجنوا وضربوا، وطرحوا للأسود والحيوانات الضارية، وتهشمت أعضاؤهم، وتحطمت عظامهم وسالت دماؤهم، وأظهروا من ضروب البسالة والشجاعة ما أرهب معذبيهم وأذهل مضطهديهم، فبهروا بشدة إيمانهم، ودهشوا لعظمة صبرهم ووفائهم لسيدهم يسوع المسيح.

١١ ـ وبالصوم والصلاة، عاش عباد ونساك وزهاد، متوحدين فى عمق البرارى والصحارى، وفى المغارات وشقوق الأرض، وفوق الجبال والتلال، تائهين سائحين محتملين الحر والبرد والعرى وشظف العيش، متجردين من القنية ومن كل مظاهر الحياة السهلة الرخية، من أجل عظم محبتهم فى الملك المسيح.

١٢ ـ يا رئيس الحياة، يامن علمتنا أننا بالصوم والصلاة نطرد الشياطين ونكسر شوكة إبليس، ونطفئ سهامه الملتهبة ناراً، ونهدم حصون الشر، ونغلق أبواب الجحيم، اقبل منا صومنا وصلواتنا عبادة مقبولة، وامنحنا غفران خطايانا، وهب لنا أن نغلب ميولنا الأرضية ورغباتنا اللحمية وأن نميت حواسنا الجسمانية، فنسلك بالروح ولا نتمم شهوة الجسد، لكى نتأهل لأن نأكل من شجرة الحياة الحقيقية. فنحيا إلى الأبد.

واجعلنا مستحقين بقلب طاهر، ونفس مستنيرة، ووجه غير مخزى، ومحبة كاملة، وإيمان بلا رياء، ورجاء ثابت أن نصرخ نحوك أيها الآب القدوس السماوى ونقول : يا أبانا الذى فى السموات.....

٥٥ ـ قسمة تقال فى عيد القيامة المجيد

١ ـ أيها الرب، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذى بعد أن تمم الفداء وأجرى الخلاص بسفك دمه على الصليب من أجلنا، قام من بين الأموات فى اليوم الثالث ناقضاً أوجاع الموت فإنه ما كان يمكن للموت أن يمسكه. حينئذ تم قول الكتاب لقد ابتلع الموت فى الغلبة، فأين غلبتك أيها الموت، وأين شوكتك أيها الجحيم.

لم يقف على قبرك يا مخلصى أحد ليقيمك من الموت كما وقفت بعظمتك على قبر لعازر، وإنما قمت يا سيدى بسلطان لاهوتك. فأنت الحى الذى ذاق الموت بالجسد، وها أنت الحى إلى أبد الآبدين.

٢ ـ لقد نزلت يا مخلصى إلى الجحيم، واقتحمت أبوابه النحاس ومتاريسه الحديد، وأشرقت بنورك على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت، وأطلقت سراح المحبوسين فيه، وعتقت المحكوم عليهم بالأسر وبالعبودية. سبيت سبياً، وأعطيت الأتقياء كرامات، ونقلت أبانا آدم وبنيه إلى الفردوس، هؤلاء الذين سبق الروح القدس فناداهم قائلاً : إلى العتق يا أسرى الرجاء، من الجب الذى ليس فيه ماء.

٣ ـ لقد اشتهى إبراهيم أبو الأنبياء متهللاً أن يرى يومك، يوم الخلاص والفداء، فلما نزلت يامخلصى إلى العالم السفلى الذى كانت أرواح الموتى سجينة فيه، ابتهج وفرح مع جميع الذين كانوا قد نظروا المواعد وحيوها عن بعد، فرحا لا ينطق به ومجيداً. فكان يوم هذا اللقاء هو سبت الفرح لهم وسبت النور، إذ أنت النور الحقيقى، نور من نور، ومسكنه نور لا يقترب منه.

٤ ـ بموتك يا سيدى على الصليب، أعلنت الطبيعة مجدك. فالأرض تزلزلت، والصخور تشققت والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامتك، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين معلنين فرحهم بالإفراج الذى طلبوه فنالوه، وأنه ليس لأحد بغيرك الخلاص.

٥ ـ ميخائيل رئيس الملائكة نزل من السماء ودحرج الحجر عن باب القبر وجلس عليه، وبشر النسوة حاملات الطيب قائلاً :

المسيح قام من بين الأموات. بالموت وطئ الموت، وأنعم على الذين فى القبور بالحياة الأبدية.

٦ـ لقد أظهرت يا مخلصى قيامتك لكثيرين، ظهرت أولاً لمريم المجدلية وأمرتها قائلاً : اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إننى سأسبقهم إلى الجليل، هناك يروننى. وظهرت أيضاً لمريم العذراء، ومريم أم يعقوب وظهرت لتلاميذك مجتمعين ولم يكن معهم توما، وظهرت لهم ومعهم توما، وظهرت لتلميذى عماوس، لوقا وكليوباس، ولسمعان بطرس، ولسبعة من تلاميذك على بحر طبرية، وظهرت أيضا ليعقوب، وظهرت لأكثر من خمسمائة من التلاميذ والمؤمنين، توكيداً لحقيقة قيامتك المجيدة.

٧ ـ وعندما شك تلميذك توما فى حقيقة قيامتك وقال : إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع فى موضع المسامير إصبعى وأضع يدى فى جنبه لا أؤمن، ظهرت لهم فى اليوم الثامن لقيامتك وقلت لتوما (هات إصبعك إلى هنا، وأبصر يدى، وهات يدك وضعها فى جنبى، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنا. عندئذ تقدم توما ولمس بإصبعه أثر المسامير فى يديك وقدميك، ووضع يده فى جنبك الإلهى، فلمس بيده نار لاهوتك وتبين أنك بالحقيقة نار آكلة، فصرخ لوقته وقال، ربى وإلهى، فسمع القضية الحقيقية : لأنك رأيتنى يا توما آمنت، طوبى للذين لم يروا وآمنوا.

٨ ـ لقد قمت يا مخلصى بذات الجسد الذى صلبوه، وعندما دخلت على تلاميذك والأبواب مُغَلَّقَة، وظنوك روحا قلت لهم : ما بالكم مضطربين، ولماذا تثور شكوك فى قلوبكم. انظروا إلى يدىّ وإلى قدمىّ. إنى أنا هو بنفسى، جسونى وتحققوا، فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى، ثم أريتهم يديك وقدميك، فاستولى عليهم ذهول شديد وفرح عظيم.

٩ ـ ونفخت فى وجوه تلاميذك القديسين ورسلك الأطهار قائلاً : اقبلوا روح القدس. من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ومن أمسكتموها عليهم تمسك عليهم.

١٠ ـ لهذا نسألك يا سيدنا طهر أرواحنا ونفوسنا وأجسادنا، لنعرف القوة التى تجلت فى قيامتك، ونشارك فى آلامك ونتشبه بك فى موتك على رجاء قيامتنا، على قياس قيامتك المجيدة، ونتأهل للتناول من أسرارك المحيية ولكى نجرؤ بقلب طاهر، وضمير صالح، وإيمان بلا رياء، ومحبة كاملة، أن نصرخ نحوك أيها الآب السماوى ونقول : أبانا الذى فى السماوات...

٥٦ ـ قسمة تقال فى عيد الصعود الإلهى

١ ـ أيها المسيح إلهنا الذى شاء بعد قيامته المجيدة من بين الأموات أن يظهر لتلاميذه القديسين مدة أربعين يوماً يكلمهم عن الأمور المختصة به فى كل الأسفار المقدسة، مؤكداً على حقيقة موته وقيامته، ويكلمهم عن ملكوت الله، وأوصاهم وصايا، ورسم لهم مراسم العبادة المقبولة ونظاماتها وترتيباتها، وعلمهم تدبير الكنيسة، وعهد إليهم بقيادتها ورعايتها، ثم أخذهم إلى جبل الزيتون، ورفع يديه وباركهم، وفيما هو يباركهم افترق عنهم وصعد إلى السماء، ورأوه بعيونهم وهو يرتفع عنهم، وظلوا شاخصين بأعينهم نحو السماء، وهو منطلق إلى السماء فى مجد عظيم. لقد صعد الله بهتاف، صعد الله بصوت البوق.

٢ ـ لقد شئت يا سيدى أن يكون صعودك لا سرا ولا فى الخفية، بل فى العلن وأمام تلاميذك القديسين ورسلك الأطهار وسائر المؤمنين المجتمعين على الجبل، معلناً بذلك حقيقة صعودك إلى السماء يقينا وجلوسك عن يمين العظمة فى الأعالي.

٣ ـ يامن فدانا بدمه الثمين، وبعد أربعين يوماً من قيامته ارتفع واجتاز السماوات، ودخل السماء عينها وهو رئيس كهنة الخيرات الجديدة وجلس عن يمين القدرة، منتظرا بعد ذلك أن يجعل أعداءه موطئا لقدميه. وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل الأقداس مرة واحدة فوجد فداء أبدياً.

٤ ـ ما من أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء. وبعد أن قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين عرش الجلال فى السماوات، فخضعت له الملائكة ورؤساء الملائكة وسجدت وخرت أمام الحى إلى أبد الآبدين.

٥ ـ يا من بمجيئه الأول أخلى ذاته من صورة الرب وقبل صورة العبد، أخلى ذاته من صورة المجد وقبل صورة الهوان، فبصعوده إلى سماء السماوات دخل إلى حيث مجده واستوى على عرش الله، إلهاً مباركا إلى الأبد.

لقد أخذت يا مخلصى طبيعتنا الترابية، واتحدت بها، وبعد أن طهرتها وقدستها صعدت بها إلى السماء، وجلست بها على عرش القدرة، فصرنا نحن فيك شركاء الطبيعة الإلهية، وأصبحنا جالسين معك وفيك عن يمين الآب.

٦ ـ فإذ صار لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع المسيح ربنا، سبيلاً جديداً حيا كرّسه لنا في الحجاب، أى فى جسده، فلنتقدم بقلب صادق وإيمان كامل إلى الله الآب بعد أن اغتسلنا بدمه من خطايانا، ولنسابق بالصبر فى الجهاد المعروض أمامنا. فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما حصلنا على معرفة الحق، فلا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا، وإنما انتظار دينونة رهيبة وغيرة نار عتيدة أن تأكل العصاة.

٧ ـ أنت الآن يا مالكنا وملكنا طهر أرواحنا وأنفسنا وأجسادنا لنكون أهلاً لنعمتك فنتناول من شجرة الحياة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح، وهى الجسد المقدس والدم الكريم.

ارفع قلوبنا فوق لنعاين مجدك، وامنح عقولنا أن تظل شاخصة نحوك بتقوى وبر، واجعلنا مستحقين أن نقول بشكر، أبانا الذى فى السماوات...

٥٧ ـ لا يخرج المصلون من الكنيسة قبل التسريح الختامى

سؤال : من السيد / عوض الله عزيز عوض الله ـ طنط الجزيرة ـ قليوبية .

يقول : هل يعتبر خطأ خروج الشعب ودخوله اثناء القداس الإلهى سواء بعد قراءة الإنجيل أو بعد الوعظ، أو فى أى وقت آخر ؟

الجواب :

تقضى آداب العبادة أن يذهب المصلى العابد مبكرا إلى الكنيسة عند بدء القداس الإلهى، فيشترك فى صلوات المزامير ورفع الحمل وما يتلو ذلك من الصلوات والقراءات، وليس من اللائق أن يتأخر عن بدء خدمة القداس.

ألا ترى أنه إذا تقرر ذهاب رئيس الدولة إلى مكان ما، أن جميع المدعوين وعلى رأسهم كبار المسؤولين فى الدولة ينبغى أن يصلوا إلى المكان قبل وصول رئيس الدولة بوقت كاف، حتى يكونوا فى شرف استقباله، وذلك من قبيل اللياقة والكياسة، والاحترام الجدير برئيس الدولة. وإنى أترك لتقديركم كم يكون منتقدا وصول أحد المدعوين، ولا سيما إذاً كان من كبار المسئولين، متأخرا عن وصول السيد الرئيس ؟

إن أقل واجبات اللياقة والأدب الدينى والكنسى، أن يتواجد المصلّون بالكنيسة عند بدء القداس الإلهى، حيث نحتفل بحضور ملك الملوك ورب الأرباب ورئيس الرؤساء.

وإذا كان ذلك كذلك، فينبغى أن لا يخرج المؤمنون المصلّون قبل نهاية الخدمة وقبل سماع التسريح الختامى «امضوا بسلام، وسلام الرب يكون معكم».

وفى كتب الكنيسة، يشبه من يخرج من الكنيسة قبل نهاية الخدمة وقبل سماع التسريح الختامى، بيهوذا الاسخريوطى، الذى خرج قبل نهاية الاجتماع الذى عقده المسيح مع تلاميذه فى خميس العهد «خرج للوقت، وكان ليلاً» (يوحنا ١٣ : ٣٠).

وجاء فى قوانين الرسل «وكل من يدخل إلى الكنيسة، ويسمع الكتب ولا يقف إلى أن تفرغ الصلوات، يجب أن يفرق (= أى يفرز) (قانون ٧ من المجموعة الرسولية الثانية).

وجاء فى قوانين القديس باسيليوس الكبير «ولا يخرج أحد من الكنيسة بلا ضرورة من بعد قراءة الإنجيل المقدس، إلا بعد رفع القربان وبركة الكاهن والتسريح» (قانون ٩٧).

٥٨ ـ السجود والميطانيات

سؤال :

أرجو إعطاء فكرة عن السجود والميطانيات سواء لله أو لرجال الله.

الجواب :

السجود طريقة من طرائق التعبد، والسجود يأخذ صور مختلفة، فالسجود الكامل هو أن الإنسان يسجد حتى يضع جبهته على الأرض لكن هناك أيضاً ما يسمى بالركوع، والركوع أن الإنسان ينحنى بركبتيه على الأرض من غير أن يضع جبهته على الأرض، وكلمة خر تعنى ركع، فيصح أن الإنسان يخر ولكنه لا يسجد، ويصح أن الإنسان يركع ولكنه لا يسجد، إنما إذا أردنا السجود الكامل هو أن الإنسان ينزل بكل قامته إلى الأرض بحيث أن رأسه تلمس الأرض... هذا هو السجود الكامل.

الميطانية الحقيقة كلمة غير عربية، ولو إنه اشتقت منها كلمة طأمنة، طأمنة فى اللغة العربية بمعنى إنحنى، إنما ميطانية استخدامها فى المصطلح الكنسى هى التوبة، ميطانية كلمة يونانية دخلت إلى القبطية، فصارت الميطانية بمعنى التوبة، لأن من علامات التوبة ومن دلائل التوبة السجود بالكامل، لأن الإنسان وهو تائب بيسجد، فصارت السجدة تسمى ميطانية، إنما هذا نوع من أنواع تسمية الشئ، فهناك كلمة تأخذ أكثر من اسم، فالميطانيات هى السجدات، وإذا أردنا المقابل الأجنبى لكلمة ميطانية تقابل Prostration إنما هى أصلا كلمة توبة ولكن اقترن بها السجود، فأصبحت كلمة الميطانية بمعنى السجود، إنما الميطانية أصلا بمعنى التوبة.

ثم يسأل فيقول إعطاء فكرة عن السجود والميطانيات سواء لله، أو لرجال الله، هنا المعنى يختلف، فالسجود لله عبادة، أما السجود لغير الله فإكرام، وهذا موجود حتى اليوم، الإنسان عندما يقابل شخص عظيم ينحنى أمامه، فهذا الإنحناء نوع من السجود، وهذا غير السجود لله، السجود لله مثل ما قال أبونا إبراهيم لغلاميه «اجلسا أنتما هنا مع الدابة أما أنا وابنى فنذهب ونسجد ثم نرجع إليكما» هنا السجود سجود لله، وقد وردت فى الكتاب المقدس أمثلة عديدة جدا للسجود للبشر، فمثلا أبونا إبراهيم سجد لشعب الأرض، لكى يشترى حقل المكفيلة ليدفن فيه زوجته سارة، هنا السجود بمعنى الاحترام وورد عن ناثان أنه سجد أمام داود. وداود سجد أمام ناثان، وورد أيضا أن سليمان الحكيم سجد أمام أمه، فأمثلة كثيرة لا حصر لها عن سجود البشر لبعضهم البعض، عندما يشعر أن هذا أسمى منه مركزا أو أعلى مقاما، فهذا الإنحناء أو هذا السجود على الأرض، إذا كان للبشر يكون للاحترام.

٥٩ ـ هل تجوز ممارسة الميطانيات أيام الآحاد؟

سؤال: من أحد الأبناء: هل تجوز ممارسة المطانيات أيام الآحاد؟

الجواب:

المطانيات وهى «السجدات والركعات» ممنوعة أيام الأحد والسبت وفى الأعياد، وفى كل الخمسين المقدسة، ـ حتى بالنسبة للرهبان والعبّاد والنساك. ذلك لأن الصلاة الساجدة «جثونا على ركبنا على الشاطىء وصلينا» (أعمال الرسل ٢١:٥) تعبير عن الإذلال والانسحاق والألم والحزن، أما فى الآحاد والأعياد والخمسين المقدسة فمنعت الكنيسة المطانيات لفتا لنظر المؤمنين إلى أن المسيح قد رفع رؤسنا، وأقامنا معه.

ولهذا السبب عينه تأمرنا الكنيسة بالوقوف أثناء قراءة الإنجيل، لفتا لنظرنا إلى **أن المسيح قد رفع رؤسنا**، فإذا دخل المؤمن الكنيسة أثناء قراءة الإنجيل فيؤجل سجوده أمام الهيكل حتى يفرغ القارىء من قراءة الإنجيل.

وعلى نفس القاعدة تمنع الكنيسة المؤمن من القيام بالمطانيات بعد التناول من الأسرار المقدسة مباشرة، احتفاء بسر التناول الذى ننال به نعمة تشتهى الملائكة أن تطلع عليها وأن تراها.

جاء فى القانون العشرين من قوانين مجمع نيقية المسكونى الأول:

حيث أن قوما يحنون الركب فى الكنيسة فى أيام الأحاد وفى أيام الخمسين قد لاح للمجمع المقدس، لكى تكون كافة الأمور محفوظة بالانتظام فى جميع الإيبارشيات، أن يكون من الأفضل أن **نرفع الصلوات لله ونحن منتصبون وقوفاً.**

وجاء فى كتاب القوانين الذى جمعه الشيخ ابن العسال:

«**فأما الأوقات المأمور فيها بترك السجود** إلى الأرض دون الإنحناء والركوع **فهى أيام الأحاد، والأعياد السيدية وبعد تناول القربان**» (الباب الثالث عشر ـ مادة ١٣).

«**ولا يكن فى أيام الآحاد والأعياد المجيدة سجود لأنها أيام فرح**. ولذلك ينبغى أن تبطل (المطانيات) فى أيام الآحاد والأعياد وهذا الباب بغير حرم» (باب ١٩ ـ مادة ٣).

وجاء فى كتاب «اعترافات الآباء» وهو من مصادرنا الكنسية.

لا يضلك أحد أن تصوم فى أيام الآحاد المقدسة، **ولا تركع فيها ولا فى لياليها، ولا فى أيام الخمسين المقدسة، ولا من بعد ما تنال من الأسرار المقدسة فى كل يوم يكون فيه قداس**، لأن هذه الأفعال ليست من حدود الكنيسة».

وجاء فى كتاب «الدر الثمين فى إيضاح الدين» للعلامة الأنبا ساويرس بن المقفع اسقف الأشمونين.

«سبعة أسابيع فطير (الخمسين المقدسة) لا نصوم فيها، ولا نسجد...» (المقالة الرابعة - صفحة ١٤٢).

٦٠- الهدوء التام فى الكنائس

سؤال : من الأستاذ فؤاد يسى

مدير عام بجريدة. وطنى

هل توزيع الملبس بالأفراح فى حفلات الزفاف بالكنائس يتنافى مع تقاليد الدين المسيحى والطقوس الكنسية.

الجواب :

يمكن توزيع الملبس فى حفلات الزفاف بالكنائس عند خروج المهنئين من الكنيسة. فإن توزيع هذه الأشياء أثناء صلوات قداس الإكليل يفتح مجالاً للهرج والفوضى بما يتنافى مع الوقار اللائق بالكنيسة، وبقداس الإكليل الذى يجب أداؤه ومتابعته بالخشوع والتقوى والهدوء وروح التعبد.

٦١- التصفيق بالأيدى

سؤال : من الأب المحترم القس متى وديع سامى - كاهن كنيسة العذراء بسفلاق - ساقلته.

يقول: ما هو التفسير لقول «المزمور «يا جميع الأمم صفقوا بالأيادى، اهتفوا لله بصوت الابتهاج» (مزمور ٤٦ :١) وعلى ذلك فهل يجوز التصفيق فى الصلاة، وفى بيت الله، فإن اتباع بعض المذاهب البروتستانتية يجيزون ذلك بل يمارسونه كما هو الحال مثلاً عند الاصلاح ؟.

الجواب

هذا المزمور هو ترتيل النصر، وتهليل الابتهاج بصنيع الرب، عندما أرسل ملاكه استجابة لصلاة حزقيا ملك يهوذا، وقتل من جيش سنحارب ملك الأشوريين مائة ألف وخمسة ثمانين ألفا من رجاله، وبعد أن كان الملك الوثنى ورئيس جيشه مزهوا بقدرته، رجع خائبا مهزوما إلى نينوى وهناك قتله ابناه. (٢ . الملوك ١٨ : ١٩)، (٢ . أخبار الأيام ٣٢ : ١ – ٢٣).

هذا المزمور إذن يشيد بالنصر الذى أحرزه بنو إسرائيل على الأشوريين بفضل الرب إلههم، الذى أرسل ملاكه من السماء وقتل أعداءهم الأقوياء، ورجع بعد ذلك صاعداً إلى السماء.

على أن هذا المزمور ينوه من قبيل النبوءة، إلى المسيح الفادى والمخلص، الذى بعد أن يحرز النصر على أعدائه من الشياطين وعملائهم من بنى البشر، يصعد إلى السماء، ويدخل إلى مجده (لوقا ٢٤ :٢٦)، (١ . كورنثوس ١٥ :٢٥)، ويجلس على عرش العظمة فى الأعالى، «وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له» (١ . بطرس ٣ :٢٢)، منتظرا بعد ذلك حتى توضع جميع أعدائه موطئا لقدميه (العبرانيين ١٠ :١٣).

ومن هنا كانت الإشارة فى المزمور إلى صعود المسيح إلى السماء «صعد الله بهتاف... فإن الله هو ملك الأرض كلها... الله استوى على عرش قدسه» (مزمور ٤٦ : ٥–٨).

وقد كان بنو إسرائيل يرتلون هذا المزمور فى بدء السنة الجديدة، ذاكرين رحمة الله بهم، ونصرته لهم على أعدائهم، راجين فى بدء كل عام جديد أن يوالى السيد الرب نعمته عليهم، وينصرهم، ويرفع شأنهم، ويخضع أعداءهم تحت أقدامهم. وكانوا عادة يخرجون بتابوت العهد ويزفونه حول الهيكل فى إحتفال دينى رهيب وهم ينشدون المزامير والتسابيح، وبآلات العزف

والأبواق، ثم يردون تابوت العهد إلى موضعه كما كان. وهم يشيرون بهذا إلى خروج الرب لنصرتهم، ثم يعود إلى عرشه بعد أن يكون قد هزم أعداءهم... ومعناه أيضاً أنه يعود ليسكن معهم ليرعاهم ويحميهم، ويكون معهم إلهاً لهم، وهم يكونون له شعباً.

ويلاحظ أن هذا المزمور ترتله كنيستنا المسيحية فى المناسبات الآتية:

عشية الأحد الأول من شهر طوبة.

باكر الأحد الرابع من شهر بشنس.

عشية اليوم الثامن والعشرين من شهر مسرى.

كذلك يتلوه الكاهن بعد منح التسريح للشعب فى نهاية خدمة القداس، فيقبل الكاهن المذبح، ويدور حوله دورة واحدة، وهو يرتل هذا المزمور- قبل أن يخلع ملابس الخدمة وقبل أن يوزع على الشعب، الأولوجية أى خبز البركة.

أما عن سؤالكم: هل يجوز التصفيق فى الصلاة تبعا لقول المزمور: يا جميع الأمم صفقوا بالأيادى - كما تفعل على قولكم بعض المذاهب البروتستانية مثل مذهب الاصلاح مثلا؟.

فنجيب: ليس هناك - من حيث المبدأ - ما يمنع، إذا كانت قيادة الترتيل والترنيم فى الكنيسة لا ترى فى التصفيق ما يتعارض مع الأداء الموسيقى. (١).

علما بأن هذا التصفيق كان عند بنى إسرائيل يمارسونه فى مناسبات خاصة، وأيام معينة هى التى يذكرون فيها خلاص الله لهم من أعدائهم. ولم يكن جزءا ثابتا من العبادة اليومية. وكان التصفيق بالأيدى فى هذه الحالة يتمشى وينسجم مع أنغام الموسيقى الدينية الآلية المستخدمة فى تلك المناسبات.

لذلك فإن فى كنيستنا المسيحية لا نرى مبررا لهذا التصفيق بالأيدى، وقد حل محله الضرب بالناقوس أو الصنوج، والمثلث، فإنه يؤدى الغرض ويتمشى مع الموسيقى المستخدمة فى كنائسنا.

أضف إلى ذلك أن التصفيق بالأيدى لا يمارس فى أى من الكنائس المسيحية الرسولية، وليس فى كنيستنا القبطية فقط بل أيضاً فى جميع الكنائس الأرثوذكسية القديمة، ولا وجود له فى جميع الكنائس الشرقية التى تتبع الطقس البيزنطى، ولا فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، ولا حتى فى الكنائس الانجليكانية، أو اللوثرية، أو المشيخية فلا تستخدمه إلا قلة ضئيلة جداً هى على قولكم بعض الكنائس المسمى بكنائس مذهب الاصلاح.

---

(١) يستخدم التصفيق فى بعض الكنائس الأرثوذكسية مثل كنيسة أثيوبيا وكنيسة ارتيريا.

٦٢ـ منع الزغاريد فى بيت الله (١)

سؤال : من الأستاذ فؤاد يسى

مدير عام جريدة وطنى.

هل من سلطة المطران أو الأسقف فى أى إيبارشية أن يصدر قراراً بمنع توزيع الملبس بالكنائس ـ أو إطلاق الزغاريد فى مناسبات الزفاف.

الجواب

نعم، **إن من سلطان المطران أو الأسقف فى إيبارشيته أن يمنع توزيع الملبس بالكنائس إذا رأى أن عملية التوزيع أسىء استخدامها** بحيث تصرف المصلّين عن متابعة قداس الإكليل بالأدب اللائق بمن يقفون فى بيت الله وفى حضرته المقدسة.

وبالتالى، فإن من سلطان المطران أو الأسقف أن يمنع إطلاق الزغاريد فى مناسبات الزواج بالكنائس.

فإن إطلاق الزغاريد أثناء الصلوات يُتلف روح العبادة، ويتنافى مع الوقار اللائق ببيت الله. ولا بأس من إطلاق الزغاريد بعد إنتهاء صلوات الإكليل تماما، أى عند الانصراف وتهنئة العروسين.

نعم، إن للمطران أو الأسقف حق التصرف لتوفير روح العبادة، والخشوع التى يجب توافرها فى بيوت العبادة، فإنه وكيل مؤتمن (تيطس ١ :٧)، (١ .كورنثوس ٤ : ١، ٢) ومسئول، **وسيؤدى أمام الله حساباً إذا أهمل فى توفير روح العبادة والخشوع** اللائقة بالمواضع المقدسة، وإلا فإنه يلحقه الإثم أمام سيده الذى أقامه على هذه المسئولية (متى ٢٤ :٤٥).

يقول الوحى الإلهى للأسقف على فم القديس بولس الرسول.

(**يجب أن تتصرف فى بيت الله**، الذى هو كنيسة الله الحّى، عمود الحق وقاعدته) (١ . تيموثيئوس ٣ :١٥).

(كن قدوة للمؤمنين فى الكلام **فى التصرف**) (١ . تيموثيئوس ٤ :١٢).

(الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع لكى يكون عند الباقين خوف) (١ . تيموثيئوس٥ :٢٠).

---

(١) كتب فى ١٠ من ابريل ١٩٨٧م – ٢ برموده ١٧٠٣ ش.

(لتصمت نساؤكم فى الكنائس، لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن) (١ . كورنثوس ١٤ :٣٤) **وبالتالى ليس مأذونا لهن أن يزغردن فى الكنائس.**

ومن تراثنا الكنسى ما جاء عن القديس يعقوب الرهاوى **أسقف غزة**، أنه حدث معه فى أحد الأيام وهو يقدّس أن بعضا من أعيان الشعب الموجودين بالكنيسة قد انشغلوا عن سماع الصلاة بالأحاديث العالمية، ولم ينههم القديس عن ذلك. **فظهر له ملاك وانتهره لأنه امتنع عن زجر المتكلمين فى الكنيسة** (عن السنكسار تحت يوم أول كيهك).

ولقد أمرت القوانين الكنسية الشماس أن يرعى اختصاصه فى حفظ النظام فى الكنيسة لأن حفظ النظام من صميم اختصاص الشماس أيضاً.

جاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل):

(وليفتقد الشماس الشعب أيضاً لئلا ينعس واحد أو ينام أو يضحك... **يجب لكم أن تقفوا فى الكنيسة بهدوء وعفاف ويقظة لسماع كلام الله بانتصاب عظيم)** (الباب العاشر) - انظر أيضاً كتاب المجموع الصفوى لابن العسال، الباب السابع - القسم الثالث.

إن إطلاق الزغاريد يجب أن يُمنع منعا باتاً فى الكنيسة. يمكن أن يباح به فى قاعة ملحقة بالكنيسة أو فى البيت أو فى الشارع. إنه لا يليق بتاتا بالكنيسة ويتعارض مع روح العبادة والخشوع والأدب اللائق ببيت الله.

٦٣- هل يجوز عمل الأربعين أو ذكرى السنة لرجل غير أرثوذكسى (١)

سؤال : من العزيز باسم فوزى اسكندر

هل يجوز عمل الأربعين أو السنوية لرجل انتقل ولم يكن أرثوذكسيا، وهل يمكن ذكره فى القداسات الإلهية.

الجواب

إن جوابنا على هذا التساؤل يتوقف على معرفتنا بمصدر هذا التساؤل، فهل هو تساؤلكم أنت؟ أم هو تساؤل أهل المتوفى؟.

فإذا كان التساؤل منك أنت، ومن جهة المبدأ ـ نقول من حيث المبدأ العام إن الكنيسة تترحم على الذين ماتوا أو انتقلوا فى الإيمان الأرثوذكسى.

فإذا كان المتوفى قد اعتنق قبل وفاته ديناً آخر، أى مات غير مسيحى، فالكنيسة لا تترحم عليه، لأن الصلاة عن الراقدين هى لطلب الرحمة لهم، عن خطاياهم غير المميتة وهى السهوات والهفوات، والخطايا غير الإرادية والتى لم يقدموا عنها توبة فى حياتهم، فقد قال الكتاب المقدس صراحة: «إذا رأى أحد أخاه يرتكب خطيئة لا تؤدى إلى الموت ، فيطلب، فيمنح الله أخاه الحياة، التى يمنحها للذين يرتكبون الخطايا التى لا تؤدى إلى الموت. فمن الخطايا ما يؤدى إلى الموت، ولست أطلب الصلاة من أجلها» (١ . يوحنا ٥:١٦) .

كذلك إذا مات المتوفى وهو متلبس بخطيئة مميتة فلا يجوز للكنيسة أن تترحم عليه، وهذا استنكار للخطيئة التى مات متلبساً بها، وحتى لا تشجع الكنيسة أحداً آخر على مثل فعلته.

ومن الخطايا المميتة التى إذا مات المتوفى متلبساً بها، ولم يقدم عنها توبة: خطيئة (الانتحار)، أى قتل الإنسان لنفسه، ثم مات فور انتحاره مباشرة.

ومن الخطايا المميتة التى لا يجوز الترحم للمتوفى عنها هى قتله لشخص آخر، وفيما هو يرتكب فعل القتل، هجم عليه آخر وقتله، أو حدثت له كارثة مفاجئة فمات وهو متلبس بخطيئة قتله لآخر، ولم يقدم عنها توبة.

---

(١) كتب فى ١٢ من يونيه ١٩٩٣ م – ٥ من بؤونه ١٧٠٩ ش.

ومن الخطايا المميتة أيضاً والتى لا يجوز الترحم على المتوفى عنها هى خطيئة (ارتكابه للنجاسة) ، ومات فوراً وهو يرتكب فعل النجاسة ولم يقدم عن فعله توبة. فقد يحدث لإنسان وهو يزنى، أن هجم عليه آخر وقتله. فمات متلبساً بخطيئة مميتة ولم يقدم عنها توبة.

وفيما عدا ذلك من الخطايا غير المميتة، يمكن الترحم على المتوفى فيها. على أن الأمر أخيراً مرده إلى الله الديان الفاحص القلوب والكلى، وإذا كان بجلاله يقبل أو لا يقبل الصلاة عن المتوفى.

وقد قال بعض القديسين: نحن شحاذون، نطلب الرحمة والإحسان، ولكن الله وحده هو صاحب الحق فى المنح أو المنع حسب مشيئته الصالحة والعادلة.

ويقول القديس ديونيسيوس الأريوباغى: «إذا كانت خطايا المتوفى قليلة فقد تجد منفعة بما يعمل بعده. أما إذا كانت ثقيلة وباهظة فقد أغلق الله الباب فى مسعاه».

ونعمة الرب تشملكم،،،،،،،

٦٤ـ رسم علامة الصليب

سؤال : من السيد المهندس حليم سليمان اسطفانوس ـ مصر الجديدة .

أرجو ملحاً توضيح سبب رسم علامة الصليب، والمراجع الإنجيلية والكنسية التى نستند إليها نحن المسيحيين فى رسم الصليب والكيفية السليمة لرسم تلك العلامة.

الجواب :

نحن المسيحيين نرسم الصليب على وجوهنا، لأنه (علامة) سيدنا ومخلصنا وربنا وفادينا وملكنا يسوع المسيح، ولسوف تظهر فى السماء متقدمة موكب ظهوره (متى ٢٤:٣٠) ومجيئه الثانى للدينونة.

فالمسيح الذى نتبعه ونعبده، وقد أطلق اسمه علينا، وباسمه تسمَّينا مسيحيين، هو المسيح الذى عُلق على الصليب من أجل خلاصنا، وقد فدانا بصلبه وصليبه من العقوبة الأبدية المحكوم بها على آدم أبينا وعلينا، بأن تحمَّلها فى جسده، الذى هو أيضاً من طبيعة جسدنا لنكون نحن فيه، وليكون هو نائباً عنا، وبديلاً عنا، فيفدينا بموته، ويرفع عنا بذلك الموت الأبدى فى الجحيم وفى جهنم النار الأبدية.

وكأننا برسمنا لعلامة الصليب على وجوهنا، ندلل على تبعيتنا للمسيح المصلوب، كما أننا بذلك نعلن اعترافنا بعمل المسيح الفدائى من أجلنا، فخورين به، شاكرين الآب السماوى على فضل خلاصه، ومحبته لنا، ورحمته بنا.

وهذا ما قاله الكتاب المقدس على يد الرسول القديس بولس «وأما أنا فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به صار العالم مصلوباً بالنسبة لى، وصرت أنا مصلوباً بالنسبة إلى العالم». (غلاطية ٦:١٤).

وإذن فكلما رسمنا الصليب على وجوهنا، تذكرنا نسبتنا إلى المصلوب، وذكرنا عمل الله المبارك معنا ومن أجلنا، فيكون رسمنا للصليب اعترافاً بمسيحيتنا، واعترافاً بفضل الله علينا، وامتناناً وشكراً وتمجيداً، وفخراً وزهواً بالمسيح وبالصليب وبالفداء، وبما ربحنا من وراء الفداء من خلاص وعتق وتحرير، وتبرير.

ولما كان الخلاص من الخطيئة الأصلية ونتائجها قد تم بصلب المسيح، فالصليب الذى كان عاراً، صار للمسيحيين فخاراً، لأنه به انفتح باب الفردوس أمام آدم أبينا وأمامنا، بعد أن كان مغلقاً فى وجه الإنسان إذ طرد منه عقاباً له على خطيئته، وقد «أقام الله شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة». (التكوين ٣:٢٤).

الصليب إذن عند المسيحيين مفتاح الحياة الأبدية، لأنه به فتح المسيح باب الفردوس المفقود، وأبطل الموت وأنار الحياة والخلود (٢. تيموثيئوس ١:١٠).

وهو أيضاً قوة الله للخلاص (رومية ١:١٦) لأن فيه، المسيح «محا الصك الذى علينا فى الفرائض، الذى كان ضدا لنا، وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب، إذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه» (كولوسى ٢:١٤، ١٥).

وليس الصليب مفتاح الحياة فحسب، لكنه أيضاً سلاح النصرة على الشيطان وقوات الظلمة، لأن المسيح فيه غلب الشيطان وظفر به وقيده، ولذلك صار الشيطان يفزع من الصليب، ويهرب من علامة الصليب «فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله». (١. كورنثوس ١ : ١٨).

إذن علامة الصليب هى سلاح المؤمن للحرب والجهاد ضد قوات إبليس والشر والظلام. ولذلك يحمله المسيحيون حيثما كانوا وحيثما ذهبوا ليقاتلوا به أعداء الله من الشياطين والأرواح النجسة وأعمال الظلمة.

وكثيراً ما حملوه وأشهروه ضد إبليس، وضد الوحوش والحيوانات المفترسة، وبه أطفأوا قوة النار، وشربوا السم فلم يضرهم، وبه شفوا المرضى، وطردوا الأرواح النجسة وأخرجوا الشياطين، وبه غلبوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو.

إذن الصليب علامة المسيح، وعلامة المسيحى، هو شعار الفداء والخلاص، وهو مفتاح الحياة، وسلاح الغلبة والانتصار.

أما كيفية رسم الصليب فهى على النحو الآتى:

يضع المسيحى إصبعه السبابة على جبهته، ويقول (باسم الآب) مشيراً بذلك إلى جلال الله وعظمته وسموه، وأنه فوق جميع الوجود والكائنات، ثم ينزل بإصبعه إلى صدره ويقول (والابن) مشيراً بذلك أن الله الكلمة نزل من السماء (يوحنا ٣:١٣)، (٦:٣٨، ٤١، ٤٢، ٥٠، ٥١) ثم

يُحرك إصبعه من الجهة اليسرى من صدره إلى الجهة اليمنى، ويقول «الروح القدس» معترفاً بأنه بإيمانه بالمسيح، وبفيض الروح القدس «قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يوحنا ٥:٢٤) ومن أهل الشمال إلى أهل اليمين - ويختم بقوله (الإله الواحد) معلناً إيمانه بوحدانية الله، مؤكداً ما جاء بقانون الإيمان «بالحقيقة نؤمن بإله واحد».

فرسم علامة الصليب، هو أيضاً إعلان عن الإيمان بإله واحد، أحدى الذات، مثلث الأقانيم والصفات والخاصيات.

أما لماذا نرسم الصليب بإصبع واحد فلأن المسيح له المجد يقول «بإصبع الله أطرد الشياطين» (لوقا ١١:٢٠) كما أن استخدام الإصبع الواحد يشير إلى وحدانية الله من جهة، كما يشير إلى وحدانية طبيعة المسيح، طبيعة الكلمة المتجسد، «عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد» (١ - تيموثيئوس ٣:١٦) نعم لأن المسيح إلهنا إله متأنس، اتحد فيه اللاهوت بالناسوت اتحاداً كاملاً فى طبيعة واحدة من طبيعتين، طبيعة واحدة جمعت بين خصائص الطبيعتين وصفاتهما.

وتعلمنا الكنيسة الأرثوذكسية أن نرسم علامة الصليب على وجوهنا (١) عند بدء صلواتنا وفى ختامها، إذا نمنا وإذا استيقظنا، إذا دخلنا بيوتنا أو خرجنا منها، وإذا أكلنا أو شربنا، وبالإجمال عند بدء كل عمل وفى نهايته، وعند ذكر الصليب وعند ارتداء ملابسنا، كما أمرت الكنيسة برسم علامة الصليب على القربان المقدس وعلى الملابس الكهنوتية، وعلى الستائر واللفائف وعلى المذبح والحجاب وكل أدوات الخدمة.. وأما الكهنة فيرسمونه أيضاً على المؤمنين عندما يعمدونهم أو يمسحونهم بالميرون أو يزوجونهم أو يحلونهم من خطاياهم، أو يباركونهم أو يباركون عطاياهم من نذور وقرابين، أو عندما يباركون طعاما أو أية آلة أو آداة أو شئ يريدون أن يباركوه أو يطلب إليهم أن يباركوه أو يقدسوه. كذلك يرسم الأساقفة علامة الصليب على رؤوس المتقدمين للدرجات الكهنوتية والرتب الكنسية (٢) على اختلافها.

---

(١) راجع قانون ٤٧ من المجموعة الثانية من قوانين الرسل. وكتاب القوانين لابن العسال باب ١٤ الصفحة الرابعة من صفات المصلى.

(٢) الدرجات الكهنوتية ثلاث فقط، ولكن فى كل درجة كهنوتية بعض رتب كنسيه، «فأسقف» مثلاً درجة كهنوتية، أما «مطران» و «بطريرك» فهما رتبتان كنسيتان أعلى من درجة أسقف، و «قسيس» درجة كهنوتية، أما «ايغومينوس» أو «قمص» فرتبة كنسية أعلى من «قسيس»، و«دياكون» درجة كهنوتية، أما «أرشيدياكون» فرتبة كنسية أعلى من دياكون .

(١) ونحن إذ نرسم الصليب على جباهنا فلكى نبرهن على تبعيتنا للمسيح المصلوب، فهو العلامة المميزة للمؤمنين بالمسيح المنضمين تحت لوائه لأنه علامة مخلصهم أيضاً (١).

(٢) ونرسم علامة الصليب، إعلانا لإيماننا المسيحى وافتخارا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به تم فداؤنا وخلاصنا، وانفصالنا عن الشيطان والعالم، وانطلاقنا من أسر الجحيم وعبودية إبليس «أما أنا فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به صلب العالم لى، وأنا صلبت للعالم» (٢).

(٣) ونرسم علامة الصليب إيمانا منا بأن جميع البركات الروحية التى تحققت لنا فى العهد الجديد إنما كانت بفضل صليب مخلصنا، بل أن جميع الوسائط الخلاصية نبعت من الصليب. وجميع الأسرار ومواهب الروح القدس قائمة على استحقاقات الفادى المصلوب، ولم تأخذ قوتها وفاعليتها إلا بصلبه وسفك دمه على الصليب. والكنيسة كلها قد اشتريت من جديد بدم ابن الله الذى سال على الصليب (٣).

(٤) وإذن، فنحن حين نرسم الصليب على جباهنا أو حين يرسمه الكهنة على المؤمنين أو على أدوات الكنيسة أو المؤمنين، نذكر كل تلك المعانى المسيحية التى تشتمل عليها ديانتنا، فنذكر عمل المسيح الفادى، وخلاصه العظيم، وجميع بركات الخلاص النابعة من الصليب، ونذكر أننا لسنا بعد لأنفسنا بل للذى مات من أجلنا وقام (٤). ونذكر أننا اشترينا بدم ثمين فعلينا أن نمجد الله فى أرواحنا وأجسادنا التى هى لله (٥)، وعندما نذكر تلك المعانى تضطرم فينا محبتنا لله، ويزداد تعلقنا به ورجاؤنا فيه، فعلامة الصليب إذن هى خلاصة سريعة للحياة المسيحية فى عقائدها وروحياتها، فإذا رسمنا الصليب استعدنا فى لحظة قصيرة المعانى المرتبطة بالصليب من إيمان بالله، ووحدة طبيعته وتثليث أقانيمه، ولاهوت المسيح وتجسده وصلبه وفدائه وقيامته وما ارتبط بكل هذه الأحداث من بركات خلاصية.

(٥) ولكن لعلامة الصليب فوائد أخرى، فليست هى مجرد علامة تعيد إلينا فى لحظة كل معانى المسيحية السامية، وما يصاحب هذه الإعادة من إثارة لمشاعرنا الروحية وتحريكنا نحو شكر الله وعبادته، واعتزازنا وفخارنا بديانتنا وتقديم أرواحنا وأجسادنا لخدمة المسيح الذى افتدانا بدمه ولكنها فضلا عن ذلك كله فإن لها قوة وفعالية ضد إبليس وكل أعماله وأفكاره.

(٦) فالمسيحيون يرسمون الصليب على جباههم فيطردون به قوات الشر المحيطة بهم، لأن الشيطان الذى هزم بالصليب لا يطيق هذه العلامة لأنها تفزعه وترده مدحورا وكل حيله، ولذلك

---

(١) مت ٢٤ : ٣٠ (٢) غل ٦ : ١٤ (٣) أع ٢٠ : ٢٨

(٤) ٢. كو ٥ : ١٥ (٥) ١. كو ٦ : ٢٠

يرسمون الصليب كلما ساروا فى الظلام أو الأماكن المهجورة من الناس، وكلما حاربهم فكر شرير أو أحاق بهم موقف محير أو أزعجهم خاطر شرير، يرسمونه على وجوههم وعلى طعامهم وشرابهم وكل ممتلكاتهم، حتى لا يمسها الشيطان أو يقترب إليها فيضرهم بسحر أو عمل شرير، فبعلامة الصليب يطردونه وكل أعماله من حياتهم فلا يكون له مدخل فيهم أو نصيب، ولا يكون له مدخل فى سائر أعمالهم وأدواتهم.

قال الشيخ الروحانى، «كلما ألوح لهم (للشياطين) بعلامة صليب مخلصنا أراهم يعودون إلى الظلمة، وأرى نارهم تنطفئ، هذا تعلمته من الجبار انطونيوس الذى غلب الشيطان ودوخه» (١).

فالصليب إذن قوة الله لخلاص كل من يؤمن، «فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله» (٢) إننا بعلامة الصليب نغلب. وبعلامة الصليب نهزم كل قوات الشر، وبعلامة الصليب نستحضر كل قوات الخير لتكون فى نصرتنا، فهى إذن صلاة موجزة سريعة نستعيذ فيها بالله من الشيطان وكل حيله وسائر أعماله، ونستمطر بها مراحم الله على نفوسنا.

(٧) ولعلامة الصليب قوة على كل قوى الطبيعة المعادية لنا. وكثيرا ما يستغلها المؤمنون فيذلون بها عداوة الحيوانات والحشرات الضارة، استخدمها القديس متى الرسول فكسر بها شر ثعبانين هائجين ضده. واستعملها القديس برسوم العريان فأحال حية شرسة فى مغارته إلى حيوان أليف، وكذلك فعل كثير من القديسين مع وحوش البرية، فخرت قتيلة أو ارتدت عنهم أو ذلت تحت سلطانهم وصارت خادمة لهم، بل واستخدمها مارجرجس وغيره ضد السموم القاتلة فلم تضرهم بشئ.. إن علامة الصليب إذن هى سلاح المؤمن ضد كل من يعاديه روحا أو جسدا.

٦٥ـ الوضع الأنسب والأليق للصلاة (١)

العزيز السيد نصيف مسيحه أيوب

سلام ومحبة ونعمة وبركة.

ردا على خطابكم المؤرخ ٨٥/٦/٣ بخصوص ما إذا كان يجوز لكم أن تصلوا صلوات المزامير وأنتم فى حالة استرخاء على الفراش، حيث أنكم على قولكم فى سن متقدمة، وفترة صلاة باكر تستغرق نصف ساعة.

فأجيب بأن الوضع الأنسب والأليق فى الصلاة أن يقف الإنسان المصلى بأدب وخشوع فى حضرة الله، ثم يسجد فى حضرته المقدسة، ويعود للوقوف خاشعاً فى رهبة واحترام وهو منتصب فى غير تراخ...

قال السيد المسيح له المجد (ومتى **قمتم للصلاة**، وكان لكم على أحد شيء، فاغفروا له) (مرقس ١١ :٢٥).

وجاء من حنة بنت فنوئيل، وكانت طاعنة فى السن، وقد عاشت مع زوجها سبع سنوات منذ بكوريتها، ثم ظلت أرملة مدة أربع وثمانين سنة، لا تبرح الهيكل، متعبدة بالصوم والصلاة ليلاً ونهاراً) (لوقا ٢ :٣٦، ٣٧).

وقال مخلصنا عن العشار (أما العشار **فوقف** عن بعد ولم يجرؤ حتى على أن يرفع عينيه إلى السماء، وإنما أخذ يقرع صدره قائلاً: اللهم ارحمنى أنا الخاطىء) (لوقا ١٨ :١٣).

وجاء فى المزامير (باركوا الرب يا جميع عبيد الرب، **الواقفين** فى بيت الرب فى الليالى... سبحوا اسم الرب، سبحوا يا عبيد الرب، **الواقفين** فى بيت الرب، فى ديار بيت إلهنا) (مزمور ١٣٤ :١)، (١٣٥ :١).

انظر أيضاً (مزمور ٧٥ :٧)، (٨٣ :١٠)، (١٢١ :٢)، (عزرا ٩ :٥)، (إرميا ١٥ :١٩)، (زكريا ٤ :١٤).

وقال النبى إرميا فى صلاته إلى الرب من أجل بنى إسرائيل (اذكر أنى **وقفت** أمامك لأتكلم من أجلهم بالخير، واصرف عنهم غضبك) (إرميا ١٨ :٢٠).

---

(١) كتب فى ١٤ يونيه ١٩٨٥م – ٧ بؤونه ١٧٠١ ش.

وهكذا جاء عن الملائكة في سفر دانيال: (وتخدمه ألوف ألوف، **وتقف** بين يديه ربوات ربوات) (دانيال ٧: ١٠، ١٦).

وقال النبي ميخا (رأيت الرب جالساً على عرشه، وجميع جند السماء، **وقوف** على يمينه وشماله) (٢. أخبار الأيام ١٨: ١٨).

على أنه إذا كان الإنسان مريضاً غير قادر على النهوض من فراشه، أو كان مأموراً من الأطباء بعدم الوقوف، فيمكن في هذه الحالة أن يصلي راكعاً على الفراش إذا أمكن، أو مستلقياً على وسادة، وقلبه وفكره مع الله في السماء.

لقد رأيت في روسيا ما أذهلني. رأيت شيوخاً من الرجال، وعجائز من السيدات، يقفون في الكنيسة على البلاط المجرد من أي بساط أو سجاد، يقفون طوال الصلاة، في القداس صباحاً أو في خدمة المساء، التي تمتد إلى ساعات قد تتواصل إلى ست ساعات، دون أن يتململوا أو يتحركوا، وكان الوقت شتاء - في شهر فبراير، حيث تصل درجة الحرارة إلى ما تحت الصفر بست أو عشر درجات.

رأيت هكذا في موسكو ولينينجراد وغيرهما من بلاد الروس، ورأيته في رومانيا، وبلغاريا من بلاد الكتلة الشرقية، ورأيته في فنلندا.

وما رأيته فضلاً عما قرأته في الكتاب المقدس عن الملائكة وعن القديسين من بني الناس، وما قرأناه وعرفناه عن الروحانيين من الشيوخ من أمثال الأنبا بيشوى، والأنبا شنوده رئيس المتوحدين، والقديس سمعان العمودي وغيره من العموديين، يذكرنا، ويحفزنا ويثيرنا، على الوقوف في الحضرة الإلهية منتصبين قائمين بكل ورع وخشوع، طالما أننا بصحة وسلامة تسمحان لنا بشرف الوقوف أمام الله.

فإذا عجز الإنسان عن الوقوف بسبب عاهة أو بسبب مرض ألزمه الفراش، فهنا يجوز له أن يصلي وهو راكع على السرير، أو وهو مستلق على وسادة يطلب الرحمة والغفران والخلاص ويسأل الحياة الأبدية لنفسه وللأغيار.

ونعمة الرب تشملكم،،،،،

٦٦- إذا سمعت أصواتاً ارشمى علامة الصليب (١)

العزيزة الإبنة الآنسة ....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

رداً على خطابك بخصوص الأصوات التى تسمعينها، لا تعيريها إهتماماً- وإياكِ أن تعرفى طريق كتاب دلال الدلال- احترسى من أن تمضى فى هذا الطريق، فإنه طريق وعر ومسالكه طويلة وضارة.

إذا سمعت هذه الأصوات فبكل اطمئنان وعدم خوف، ارشمى علامة الصليب على وجهك من أعلى رأسك وبدنك ٣ مرات ثم بكل هدوء صلى مزمور ٢٦ من صلاة باكر ومطلعة (الرب نورى وخلاصى ممن أخاف. الرب عاضد حياتى ممن أجزع...) ثم مزمور ٥٣ وهو أول مزامير صلاة الساعة السادسة، ومطلعه (اللهم باسمك خلصنى، وبقوتك احكم لى) ومزمور ٩٠ من الساعة السادسة أيضاً ومطلعه (الساكن فى عون العلى، يستريح فى ظل إله السماء...).

واطلبى من كاهن الكنيسة أن يزوركم فى البيت ويصلى فى منزلكم **(صلاة تبريك البيوت)** ويرش من الماء المصلى عليه كل أنحاء البيت وغرفاته... وليت هذا الأمر يمارس أكثر من مرة، تستدعون الكاهن ليصلى **(صلاة تبريك البيوت)** ٣ مرات مثلاً...

وننصح بأن تخصصى ركناً للصلاة فى حجرة أو غرفة مناسبة، وفى الشرق تضعين صورة للعذراء القديسة مريم وهى حاملة المسيح له المجد، وتضعين أمامها قنديل زيت، يضاء بصفة دائمة- أى نهاراً وليلاً، وإذا أمكن صورة أخرى لأحد الشهداء المحاربين- وليكن الشهيد مارجرجس- أو أبى سيفين- أو مارمينا فهؤلاء الأقوياء يطردون الأرواح الشريرة التى قد تكون ساكنة فى بيتكم.

ولا تهملى حضور الكنيسة والقداس والتقرب من الأسرار المقدسة، ورش البيت من وقت إلى آخر بالماء المصلى عليه، والقراءة فى الكتاب المقدس.

وإنى أصلى أن يحفظك الرب، ويجعل ملائكة السماء فى حراستك، وتظلل عليكِ، متمتعة بموفور الصحة والنعمة، ونعمة الرب وبركته فلتشملك كل أيام الحياة،،،

---

(١) كتب فى ٢٥ سبتمبر ١٩٩١ م – ١٤ توت ١٧٠٨ ش.

٦٧- هل يجوز للمؤمن أن يحمل أثناء صلاته الخاصة صليباً

سؤال: من السيد / ناجى شحاته فلتاؤس ـ المنيا.

يقول: هل يجوز طقسياً للمؤمن العلمانى أن يمسك بيده صليباً مثل صليب الأب الكاهن، سواء كان الصليب من معدن أو من خشب، أثناء صلاته الفردية الخاصة.

الجواب:

نعم يجوز للمؤمن العادى من غير الإكليروس أن يحمل صليباً على صدره أو فى يده أثناء صلاته الخاصة الإنفرادية، يرشم به ذاته.

أما الكاهن القسيس، فبصفته هذه، له أن يحمل الصليب ليرشم به ذاته وغيره ممن هم دونه فى الرتبة أى الشمامسة وسائر المؤمنين.

ولرؤساء الكهنة وهم الأساقفة أن يحملوا الصليب ليرشموا به ذواتهم وغيرهم ممن هم أقل منهم فى الرتبة أعنى القسوس والشمامسة وسائر المؤمنين.

وذلك، تبعاً للمبدأ الإنجيلى الرسولى «الأصغر يبارك من الأكبر» (العبرانيين ٧:٧).

٦٨- هل يجوز للنساء دخول الهيكل لمباشرة أعمال النظافة

سؤال : من أحد القراء لم يشأ أن يذكر اسمه.

يقول نود أن نستعلم من نيافتكم، هل يجوز للنساء دخول المذبح للقيام بالنظافة والإعداد والترتيب، إذا كان الرجال لا يقومون بهذه الخدمة؟ فإن تعذر وجود الرجال فهل من الجائز للنساء الخدمة أيضاً؟.

وهل هناك استعداد قانونى خاص للنساء بمقتضاه يسمح للنساء بدخول المذبح؟.

الجواب :

لا يجوز لغير الكهنة والشمامسة دخول الهيكل سواء أثناء الخدمة أو فى غير أوقات الخدمة.

وإذن فلا يجوز للنساء، ولا يجوز أيضاً للرجال من غير الكهنة والشمامسة أن يدخلوا الهيكل المقدس، أو أن يقوموا بأعمال النظافة، وقد نصت القوانين الكنسية على **أنه لا يجوز لمس الأوانى الكنسية لغير الكهنة والشمامسة**. والقوانين الكنسية فى ذلك تستند أساساً إلى أوامر الله فى الكتاب المقدس، خصوصاً فى أسفار الخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية، وهى أسفار التوراة التى شرحت بتفصيل شامل أحكام الشريعة الطقسية. **فلم تسمح الشريعة لغير الكهنة والشمامسة (اللاويين) أن يقوموا بالنظافة أو لمس أى من أدوات الهيكل وجميع مشتملاته**، وهو ما يتضح خصوصاً من توزيع الاختصاصات بين اللاويين فى حراسة خيمة الاجتماع وكل مشتملاتها (سفر العدد ٣ :١٠–٣٧)، (٤ :٢–٣٣) (والأجنبى الذى يقترب يقتل) (العدد ٣ :١٠)، (١ :٥١).

وعند اخوتنا الروم الأرثوذكس والروس الأرثوذكس، متى توفى الكاهن فزوجته الأرملة من بعده إذا توافرت فيها الشروط الروحية مع سن الوقار، يقيمونها شماسة، وترتدى الزى الأسود كراهبة، وتصير مسئولة، تشرف على القائمين بأعمال النظافة فى الكنيسة.

وبهذا يستغلون موهبة المرأة فى الإشراف على أعمال النظافة، لأنه من المعروف أن للمرأة موهبة خاصة فى الجمال والنظافة والفن والذوق الرفيع تتفوق فيها على الرجال.

ثم إنهم فى إقامة أرملة الكاهن المتوفى شماسة يقدمون للكاهن ولأرملته خدمة روحية وإنسانية بتعيينها شماسة، مما يرفع معنوياتها، ويضعها فى مكانة محترمة تليق بها وبزوجها الكاهن المتوفى، فلا يتركونها من بعده تعاني الإهمال.

وإذا قلنا إن أرملة الكاهن تشرف على القائمين على أعمال النظافة كشماسة، فلا يقتضى هذا أن تقوم بنفسها بأعمال النظافة، **كما أنه لا يجوز لها أن تدخل الهيكل ولا أن تلمس الأوانى، فدخول الهيكل ولمس أوانى المذبح وكل محتويات الهيكل لا يجوز لغير الكهنة والشمامسة المخول لهم ذلك بموجب طقس رسامتهم**، كما يرد ذلك صراحة فى كتاب الرسامات الطقسية.

جاء فى كتاب ترتيب قسمة رتب الكهنوت (أن الشماس فى رتبة الإيبودياكون هو الذى يحق له أن يلمس الأوانى المقدسة، فيقول الأسقف فى صلاة رسامة (الإيبودياكون) وهو ممسك بصدغيه (... يا ملكنا، أظهر وجهك على عبدك (فلان) الذى قدموه ليصير (ايبودياكون) بحكم التزكية... املأه من روحك القدوس **حتى يستحق أن يلمس أوانى الخدمة**، ويقف على أبواب الهيكل، ويوقد سراج بيت صلواتك...) وبعد الفراغ من رسامة الإيبودياكون يقرأ عليه رئيس الشمامسة الوصية التى يرد فيها قوله (... يجب عليك أن تحرس أبواب بيت الله التى هى البيعة... **لأنك قد اؤتمنتَ أن تلمس الأوانى المقدسة التى للخدمة الطاهرة...)**.

واضح من هذا **أن لمس الأوانى المقدسة فى الهيكل والمذبح لا يحق لرجل أو إمرأة مالم يكن مقاماً فى رتبة الإيبودياكون نائب الشماس الكامل الدياكون.**

وأما تنظيف أرض الكنيسة وجدرانها وسائر مشتملاتها خارج الهيكل فيقوم به عادة من يحمل إحدى رتب الشمامسية الصغرى. والتراب يجب حمله بعيداً إلى خارج المدينة، فى مكان طاهر لا يداس بالأقدام.

٦٩- هل يبيت الخادم الحارس فى الكنيسة

سؤال : من الأب المحترم القس رويس عزيز- كفر الدوار.

هل يجوز أن يبيت خادم الكنيسة داخلها لحراستها؟

الجواب :

خادم الكنيسة يبيت فى غرفة خارجية فى محيط الكنيسة. ولكنه لا يجوز له أن يبيت فى داخل جسم الكنيسة، فالكنيسة بيت الله، وبيت الملائكة، فليس من اللياقة، ولا من آداب العبادة، أن تتحول الكنيسة للخادم مقراً للنوم، بدلاً من غرفة النوم.

٧٠- الدروس العلمية والمحاضرات لا تقام فى الكنيسة

سؤال: من الأب المحترم القس رويس عزيز- كفر الدوار.

هل يجوز أن تدرس المواد العلمية كدروس تقوية للطلبة والطالبات داخل الكنيسة أى فى صحن الكنيسة؟.

الجواب:

هذا لا يجوز. الكنيسة بيت الله مدشن ومكرس ومقدس ومخصص للعبادة والوعظ والتعليم الدينى. أما الدروس العلمية فتقام فى غرفة خارجية، خارج جسم المعبد، وما يسمونه بصحن الكنيسة.

وكذلك المحاضرات العلمية، والتمثيليات، والمناظرات، والأفلام الدينية... كل هذا وما على شاكلته لا يجوز إقامته فى صحن الكنيسة... لكن يمكن إقامته فى فناء الكنيسة حيث ينبغى إقامة قاعة وغرفات لمثل هذه النشاطات النافعة...

لقد نادينا كثيراً بوجوب إقامة ملحقات لمبنى المعبد، تبنى خصيصاً خارج جسم الكنيسة على مقربة منها ولا تكون ملتصقة بها- قاعة وغرفات يمكن استغلالها كفصول لمدارس التربية الكنسية، والمحاضرات العامة والدروس العلمية، ومكاتب للكهنة، والشمامسة، ومخازن لموجودات الكنيسة، ومقر استراحة للكاهن، وأرشيف للمستندات والوثائق... وغير ذلك.

ونحن، نستمد هذا الفكر من الكتاب المقدس فعندما بنى الهيكل المقدس، فى عهد سليمان الملك، أقام خارج المسكن المقدس، وهو القدس وقدس الأقداس، غرفات كثيرة فى ثلاثة طوابق (١. الملوك ٦ :٣- ١٠). وفى هذه الغرفات كان يقيم الكهنة المناطون بالخدمة بحسب نوبتهم، وفى بعضها كان يقيم النذيرون من الأطفال من أمثال صموئيل النبى فى طفولته، والعذراء مريم فى طفولتها... وفى بعضها كان يقيم الكبار من العباد من الرجال أو السيدات كما ذكر الإنجيل عن حنة بنت فنوئيل، وكانت طاعنة فى السن، ... ثم ظلت أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تبرح الهيكل متعبدة بالصوم والصلاة ليلاً ونهاراً (لوقا ٢ :٣٦، ٣٧). وفى بعض هذه الغرفات كان يقيم الطباخون والبوابون وغير ذلك من الخدّام واللاويين.

هذا والمعروف أن الدار الخارجية فى هيكل سليمان كانت تشتمل على أربعة أروقة، وكان أحدها يسمى (رواق الكهنة)، والثانى يسمى (رواق إسرائيل) والثالث يسمى (رواق النساء)

والرابع يسمى (رواق الأمم)، هذه الأروقة كانت خارج جسم الهيكل بمعناه الدقيق، حيث يقدم الكهنة البخور، وخبز الوجوه، وسائر الخدمات التى لا يجوز لغير الكهنة أن يقوموا بها، ولم يكن يسمح لغير الكهنة أن يدخلوا إلى القدس، وأما قدس الأقداس فكان لا يدخله إلا رئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة.

إذن يجب أن يكون لنا خارج كل كنيسة، ملحقات تبنى خارج جسم المكان المقدس والمدشن للعبادة، لممارسة أنواع النشاط المختلفة التى لا يليق أن تقام فى المعبد.

٧١- الحاجة إلى إقامة قاعة وغرفات وملحقات لكل كنيسة

سؤال: من الأب المحترم القس رويس عزيز- كفر الدوار.

هل يجوز أن يجلس أصحاب الموتى داخل الكنيسة فى خورس السيدات لأخذ التعزيات بدلاً من إقامة شادر للعزاء.

الجواب:

هذا لا يجوز... إننا ننصح بأن يقام مبنى خاص بالقرب من الكنيسة، أو فى محيطها أو فى فنائها الخارجى، يمكن أن يتلقى فيه الناس العزاء فى مصاب أصابهم... ويمكن أن يستغل هذا المبنى أيضاً فى الأفراح بعد عقد الإكليل فى الكنيسة... فى هذا المبنى أو هذه القاعة يمكن لأهل العرس أن يتلقوا فيه التهانى، وتوزع فيه المرطبات والحلوى والمأكولات بحسب المناسبة... ويمكن أيضاً استغلاله لإقامة الحفلات العامة حيث تعرض مسرحية دينية أو فيلم دينى أو ثقافى... ويمكن أيضاً استغلاله لحفلات انتخابية للمجالس الملية أو الكنسية.... ويمكن كذلك أن تقام فيه المحاضرات العلمية أو الإجتماعية ذات الطابع العام، وكذلك أنشطة الشبان والشابات، الثقافية، والصناعات اليدوية والكنسية، والهوايات، وغيرها من الأنشطة الرياضية الترفيهية والعائلية والإجتماعية.

٧٢- لحن Ⲟⲛⲧⲱⲥ الخاص بالرسل الإثنا عشر

ابنى المبارك الطالب الإكليريكى بسيط بنيامين عوض.

سلام لك ، وبركة.

سرنى خطابك، واهتمامك بالبحث، وأنك عندما يشكل عليك أمر، تتوقف لتسأل من تطمئن إلى معرفته وإرشاده - بخصوص ما جاء فى لحن Ⲟⲛⲧⲱⲥ للآباء الرسل الذى يقال فى صوم الرسل.

وفى الموضوع - أن ماربطرس الرسول ذهب إلى روما فى آخر أيام حياته وفى روما استشهد مصلوباً مع القديس بولس الذى قطعت رأسه، فى يوم واحد، تعيد له كنيستنا فى ٥ أبيب.

والمعروف أن القديس بولس هو الذى كرز فى روما أساساً. ولكن القديس بطرس بوصفه من الإثنى عشر تلميذاً، وهو أحد الثلاثة المعتبرين فى الكنيسة أعمدة على ما يقول القديس بولس فى رسالته إلى غلاطية (٢:٢، ٦ ،٩) وقد ذهب إلى روما، ومات فيها شهيداً، فيعتبر مع بولس الرسول مؤسسين لكرسى روما، لأنهما استشهدا فيها، «ودماء الشهداء بذار الإيمان».

ولما كان لحن Ⲟⲛⲧⲱⲥ خاصاً بالرسل الإثنى عشر، لذلك يذكر اللحن القديس بطرس كمؤسس لكرسى روما، ولم يشر إلى القديس بولس، مع أنه المؤسس الأساسى لهذا الكرسى. وإلى روما ذهب أكثر من مرة، وهو صاحب الرسالة إلى رومية التى يكلم فيها المؤمنين كأبيهم الذى ولدهم فى المسيح ورباهم فى الإيمان حتى صار إيمانهم ينادى به فى كل العالم (روميه ١ : ٨) ومن الغريب أنه لا يشير فى هذه الرسالة إلى القديس بطرس، لا مع مطلع الرسالة ولا فى آخرها. مما يدل قطعاً على أن القديس بطرس لم يكن حتى ذلك الوقت (سنة ٦١م) قد ذهب إلى روما.

فعدم ذكر القديس بولس فى اللحن Ⲟⲛⲧⲱⲥ ليس معناه إنكاراً لفضل القديس بولس فى تأسيس كرسى روما، بل إذ أنه يقتصر على الرسل الإثنى عشر- ولم يكن القديس بولس من بينهم - لذلك اكتفى بذكر القديس بطرس حيث أنه مات شهيداً وهذا عمل على نشر الإيمان وتثبيته فيها...

ومع ذلك فإن اللحن Ⲟⲛⲧⲱⲥ لا يذكر صراحة كرسى روما بل يقول ⲥⲓⲙⲱⲛ ⲡⲉⲧⲣⲟⲥ ⲛ̀ϩⲣⲱⲙⲏ أى بروما أو فى روما ولا يقول «كرسى روما» وهذا يصنع

فارقاً كبيراً. فإن اللحن لا يتعرض إلا لذهاب القديس بطرس إلى روما. وهذا أمر حق وثابت تاريخياً.

أما من جهة باقى الإثنى عشر رسولاً، فيلاحظ أن هناك خطأ فى الترجمة العربية، فتوما - اسم زائد على المقابل اليونانى فى الفقرة الثانية. ولكنه مذكور فى الفقرة الثالثة مع متى الرسول على أنهما ذهبا إلى بلاد العجم أى القدس، واليمن - وأما اليمن فكانت تشمل فى ذلك الزمن القديم أثيوبيا أى الحبشة. فحينما قال مخلصنا «ملكة اليمن أو الجنوب - أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان - كانت اليمن هى سبا وهى الحبشة أيضاً. كذلك هناك خطأ فى الترجمة العربية للفقرة الثالثة حيث يذكر اسم متى، بينما المقابل اليونانى هو «متياس» Ⲙⲁⲧⲑⲓⲁⲥ

وإليك أطيب الدعوات.

ونعمة الرب تشملكم،،،

٧٣ - الصور والإيقونات

رتبت الكنيسة الأرثوذكسية لفائدة المؤمنين إقامة الصور والإيقونات الممسوحة بدهن الميرون المقدس، لتكون أمام أنظار العابدين على الحجاب المقدس حامل الإيقونات فى الكنيسة.

ولسنا نريد هنا أن ندخل فى قانونية هذا الترتيب الرسولى، ومطابقته التامة لروح ديانتنا المسيحية وتعاليمها، ولنصوص الكتب المقدسة. كما لا نريد أن نناقش الاعتراضات التى يثيرها محاربو الإيقونات، فهذه الاعتراضات والردود عليها يمكن أن تدرس فى الكتب التى عنيت بهذه المشكلة الجدلية...

وإنما مرادنا هنا أن نتأمل الفوائد الروحية، الناجمة عن استخدام الصور والإيقونات فى الكنائس ودور العبادة.

(١) ولاشك أن التصوير فن من الفنون الراقية المعبرة الهادفة، والفنان البارع حين يصور شخصية روحية أو واقعية دينية، يودع فيها لمسات قوية يقرأها الناظر إليها فيتأثر بها، وتبلغ إلى قلبه وشعوره بأفصح تعبير، ذلك أن الفن لغة ناطقة بالنسبة إلى الحس والشعور.. وبقدر ما يكون الفنان دقيق الحس مرهف الشعور، موهوباً فى فنّه، تكون دقة تعبيره وبلاغته فى الوصول سريعاً إلى قلب الناظر إلى لوحته والتأثير فى شعوره.

وقد رأت الكنيسة المقدسة الملهمة بروح الله، أن تعين المؤمن العابد، فاستعانت بالفن للتأثير على قلبه وإحساسه...

ولمّا كان الإنسان مؤلفاً من نفس ومن جسد، كان للحواس دور كبير فى نقل المعرفة إلى نفسه، وأعظم الحواس شأناً فى حياة الإنسان هي حاسة البصر، فما يراه الإنسان بعينيه يبلغ إلى قلبه وإلى نفسه، ويطبع فى مخيلته صورة لا تمحى، وحتى لو نسيت من شعوره الواعى تبقى فى أعماق نفسه الباطنة، مصدر إلهام لكثير من تصرفاته العملية فضلاً عن نظراته الفكرية..

(٢) وإذا كان المعلمون والمربون يستعينون على توضيح دروس فى علم الأحياء من نبات وحيوان وفى علم الجغرافيا، وعلوم الفلك والطب والتشريح والطبيعة وما إليها بمصوّرات تساعد على قرب الحقائق العلمية إلى أفهام التلاميذ وتثبيتها فى أذهانهم، فليس بدعاً أن تلجأ الكنيسة إلى الصور والإيقونات كوسائل إيضاح، لتبليغ حقائق الديانة العقيدية والروحية لأفهام المؤمنين، ولتثبيتها فى أذهانهم وأفهامهم الروحية.

لذلك كانت الصور الدينية التى يراها المؤمن فى الكنيسة معلقة أمامه، ذات رسالة وإلهام ومعنى لفكره وقلبه وحياته، إنها تكلمه بلغة الحس بأبلغ مما تستطيع الكلمة المسموعة أو المقروءة أن تصل إليه.. فرؤية المسيح فادينا معلقاً على عود الصليب، وقد كلّل رأسه الملكى بإكليل

الشوك، ويداه مشدودتان بقوة وجسمه يكاد يتمزق، وعظامه توشك أن تنفصل من مواضعها، والدم يقطر من يديه ورجليه وجنبه الطاهر، واليهود وزعماؤهم الدينيون والمدنيون وجنود الرومان القساة الطغاة، يضحكون من حوله أو يتصايحون باستهزاء، والظلمة حول الصليب حالكة لا يكاد ينير فيها إلا وجه المخلص الإلهى، هذه الصورة الجميلة المعبّرة لهى أشد فاعلية فى قلب المؤمن وشعوره من أبلغ عظة.. من أقدر واعظ.

كذلك الطهر والوداعة المرتسمتان على السيدة العذراء فى أيقونتها الجميلة، أو روح البسالة والجرأة كما تبدو من صورة القديس جرجس أو أبى سيفين ومن إليهما من الشهداء الأطهار.. كلها صورة ناطقة ومعبرة بأعمق المعانى الروحية والفضائل المسيحية، التى تريد الكنيسة أن تبلغها فى قوة إلى نفوس المؤمنين العابدين وقلوبهم، لذلك كانت الصور والإيقونات أدوات روحية لإلهاب المحبة الإلهية فى قلوب المؤمنين وإثارة التقوى فى نفوسهم، وحثهم على الفضائل العالية من وداعة وطهارة وشجاعة، واستمساك بالحق، وتضحية بالذات فى سبيل الخير والمثل العليا لمجد الله وخلاص النفوس.

(٣) وإذا كانت الصور والإيقونات تترك كل تلك الآثار، فى نفوس المتطلعين إليها من المؤمنين والمؤمنات، فهى وسيلة ناجحة من وسائل التأثير الدينى القوى، لكنها أيضاً وسيلة سريعة لا تستغرق وقتاً، كما يستغرق الوعظ أو التعليم أو القراءة فى الكتب المقدسة.

(٤) وفضلاً عن ذلك كله، فإنها وسيلة مناسبة لمن يجهل القراءة والكتابة، تكفيه نظرة واحدة، فيقرأ بعينيه ما أودعه الفنان فى الصورة من معانى، وهى المعانى المقدسة التى تريد الكنيسة تبليغها إلى أبنائها.

(٥) أخيراً.. وليس آخراً .. فإن الصور والإيقونات وسائط جذب بانتباه المؤمنين أثناء الصلاة.. فإذا سرح فكر المؤمن أو شده أحد الخواطر بعيداً عن العبادة، نادته الصور المتطلعة إليه بعيونها، وردّته إلى الانتباه من جديد.. وإذا شرد فكره فى موضوع مادى أو حاربته فكرة شريرة وهو يصلى فى الكنيسة، نجته النظرات الطاهرة المنطلقة أشعتها من عيون الأطهار والقديسين. وإذا فترت عزيمته أو تراخى فى طريق الفضيلة، ونظر إلى صليب الرب وصور القديسين قويت عزيمته وتجددت همّته وتشدّدت قواه النفسية والروحية فينشط من جديد، ويستأنف كفاحه وجهاده فى سبيل النصرة الكاملة.

وإذن فنحن نؤمن بوجوب وضع الصور و الإيقونات أمام المؤمنين، لما فى ذلك من فوائد روحية وثمار تقوية، تتجلى فى تلك المسحة المقدسة التى تبدو على الأتقياء العابدين، وهم خارجون من الكنيسة بعد أن ارتسمت فى أذهانهم صور روحانية خلقتها أو أثارتها أو جددتها صور فادينا، وصور والدة الإله وسائر القديسين والشهداء.

٧٤ ـ الدورة بإيقونة الصعود

سؤال : من السيد ميشيل جرجس عبد المسيح ـ مينيسوتا ـ أمريكا.

هل تُعمل الدورة بإيقونة الصعود فى الأحد الذى يقع بين عيدى الصعود والعنصرة؟

الجواب :

فى الأحد الذى يقع بين عيدى الصعود والعنصرة يمكن أن يكتفى بالطواف بإيقونة الصعود سبع دورات فى الهيكل وحول المذبح (١) . ذلك أن الهيكل يشير إلى السماء. والدورة فى الهيكل بعد الصعود ترفع أنظار المؤمنين إلى المسيح له المجد «وقد دخل إلى السماء عينها» (العبرانيين ٩ : ٢٤) وجلس على العرش، على يمين العظمة فى الأعالى (أعمال ٧ : ٥٥، ٥٦)، (رومية ٨ : ٣٤) وقد جاءت الملائكة ورؤساء الملائكة وخضعت له ساجدين (١ . بطرس ٣ : ٢٢)، (أفسس ١ : ٢١، ٢٢).

(١) صدر قرار من المجمع المقدس فى ١٧/ ٤/ ٢٠٠١ «بين الصعود والعنصرة تعمل دورة فى الأيام فى الهيكل بإيقونة القيامة والصعود».

٧٥ - الاتجاه إلى الشرق

أمر آباؤنا الرسل فى تعاليمهم (١) التى وصلت إلينا بالتقليد الذى سارت عليه جميع الكنائس الأرثوذكسية بأن نتّجه إلى الشرق فى صلواتنا، وأن تبنى أيضاً كنائسنا فى اتجاه الشرق...

وحقاً أن الله موجود فى كل مكان ولا يحصره مكان.. ويمكن أن نصلّى إليه فى أى اتجاه من الاتجاهات الأربعة وفيما بينها.. أما أن تأمرنا الكنيسة الأرثوذكسية بأن نتّجه إلى الشرق فى صلواتنا، فذلك لأسباب روحية بحتة (وليست لاهوتية) تتصل بالشرق دون غيره من الاتجاهات الأخرى..

وتتلخص هذه الأسباب فى أن الشرق مطلع الأنوار، ونحن حين نصلى فإنما نصلى للرب وهو شمس البر والشفاء فى أجنحتها «وتشرق لكم أيها المتقون لإسمى شمس البر والشفاء فى أجنحتها» (٢)، ثم لأن الشرق هو موضع الفردوس (٣)، الفردوس الذى لا زلنا نتطلع إليه كمقر للنفوس الصالحة بعد الموت (٤)، ولأن ابن الله عندما تجسد ظهر نجمه فى المشرق، وعندما صعد إلى السماء كان وجهه نحو الشرق كقول النبى «يا ممالك الأرض رتلوا لله رنموا للسيد الذى صعد إلى سماء السموات تحت المشارق (شرقاً)» (٥) وفى مجيئه الثانى سيأتى من الشرق (٦). هذا فضلاً عن الإشارات الكثيرة التى وردت فى أسفار الأنبياء عن ظهور مجد الرب من الشرق (٧)، وظهور الخلاص من الشرق (٨).

تلك هى أهم الأسباب الروحية التى ذكرها الآباء الرسل فى الدسقولية (الباب العاشر)، وأسهب فيها القديس أثناسيوس الرسولى وغيره من آباء الكنيسة، ومما يقوله القديس باسيليوس الكبير فى ميمر له على الصلاة الربانية «إننا نتجه إلى الشرق ليس لأن الله الذى يرى كائن هناك، لأنه فى كل مكان ولا يتجزأ، لكن لنتذكر وطننا الذى فى الشرق لنلتمس الفردوس الذى نفينا منه».

ولا شك أننا كلمَا تطلعنا إلى الشرق فى صلواتنا، ذكرنا كل تلك المعانى السابقة التى أجملناها منذ قليل. وفى الذكرى إثارة روحية لنا حتى نشكر أفضال الله علينا الذى يشرق علينا بشمسه (٩). كما أشرق علينا بشخصه من العلاء فأضاء علينا، وقد كنا جالسين فى الظلمة وظلال الموت (١٠)، وسيشرق علينا بمجيئه الثانى لينقلنا إلى ملكوته. ولكى يثير فينا الإتجاه إلى الشرق من حنين إلى الفردوس مقرنا الذى طردنا منه، ولكن مخلصنا فتحه وأعاده إلينا، إذا كنا نجاهد لنسير باستقامة قلب فى طريق السماء «من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله» (١١).

---

(١) الدسقولية الباب العاشر، والمجموع الصفوى لابن العسال الباب ١٤ (الصفحة الثالثة من صفات المصلى).
(٢) مل ٤: ٢.　　(٣) تك ٢: ٨.　　(٤) لوقا ٢٣: ٤٣، ٢. كو ١٣: ٤.
(٥) مز ٦٧ (٦٨): ٣٢-٣٤.　　(٦) مت ٢٤: ٢٧، لو ١٧: ٢٤، أع ١: ١١.
(٧) إش ٥٩: ١٩، حز ٤٣: ١، ٢، إش ٤٥: ٦، زك ١٤: ٤، رؤ ٧: ٢.　　(٨) ٢. مل ١٣: ١٧.
(٩) مت ٥: ٤٥، إش ٢٥: ٣.　　(١٠) لو ١: ٧٨، ٧٩.　　(١١) رؤ ٣: ٧.

٧٦ ـ طقوس اجتماعات الصلاة (١)

سؤال :

هل لإجتماعات الصلاة طقس أرثوذكسى معين تسير عليه خلاف قراءة الأجابى؟ ما رأى الكنيسة فى أولئك الأفراد الذين يصلون جميعهم فى وقت واحد، ومنهم من يعمل حركات أثناء الصلاة، فيقوم ويركع، ومنهم من يصفق، ومنهم من يصلى وهو يتمشى فى وسط الاجتماع، ويطلق عليهم المتهللون بالروح. ومنهم من يعطى أصواتاً غير طبيعية، وبعضهم يفزع وآخر يئن؟

أبى، إننى جاهل بطقس الصلاة الأرثوذكسى، وأولئك الناس يتهموننى بأننى إلى الآن لم أمتلئ بالروح! ويقولون أن هذه الحركات تسمى (هذيذ الصلاة)! هل صحيح أن كنيستنا تأمر بذلك؟ إننى فى إنتظار الرد على صفحات مجلتنا المحبوبة الكرازة.

الجواب :

أحقاً هذا ما يجرى فى كنيسة أرثوذكسية....! إنى لا أكاد أصدق ذلك. إن لكنيستنا عشرين قرناً سلكتها فى روحانية عميقة، وقد صدّرت إلى السماء قديسين من أعلى طراز، ومع ذلك لم تعرف فى كل تاريخها الطويل شيئاً من هذا الاستعراض المسرحى الذى تصفه فى خطابك.

ولقد عرفت صحارينا وأديرتنا نساكاً وزهاداً وعباداً من أعمق ما عرفته الإنسانية فى كل عصورها، ومع ذلك ما سمعنا أو قرأنا أن منهم من كان يسلك فى عبادته شيئاً مما تصفه فى خطابك.

ومهما اتسع بنا الفكر، واستسغنا أن يكون لبعض العابدين فى صلواتهم الخاصة، شئ من حرية التعبير عن مشاعرهم الروحية فى خلواتهم الإنفرادية، لكننا عرفنا أن العابدين كانوا دائماً يلتزمون فى الاجتماعات العامة آداب الصلوات الجمهورية ولا يخرجون عنها. بل المعروف عن روحانية آبائنا إنها كانت دائماً ولا زالت تتميز بمنهج التخبئة والتخفى والتستر، حتى لا يكاد يشعر أحد من حول عبادنا بما يجرى فى قلوبهم من تأملات، وانفعالات، ووجدانات، واحساسات. كانوا ولا زالوا يضبطون مشاعرهم، ويسترون انفعالاتهم ووجداناتهم، فلا يظهر منها إلا القليل الذى يتمشى مع آداب الصلوات الجمهورية.

---

(١) نشر بمجلة الكرازة ـ السنة الثانية ـ العدد السادس ـ أغسطس ١٩٦٦م.

لقد قرأنا عن تاريخ كنيستنا، كما قرأنا عن تاريخ الرهبانية في صحارينا وأديرتنا، ولم نقرأ عن تلك الحركات العصبية التي يصفونها خطأ بالتهلل بالروح..

إن «التهليل بالروح» قد يكون بالترنيم، وقد تصاحبه الدموع، وقد تلازمه البهجة القلبية، وانطلاق أسارير الوجه في رضى وفرح وسلام ولكن بكل اتزان ووقار.

و«الامتلاء بالروح» شئ آخر غير تلك الحركات غير المضبوطة التي يندفع بها القوم في عصبية ظاهرة. الامتلاء بالروح هو الامتلاء بالنعمة والتقوى. وإن أقصى ما يعبر عنه الامتلاء بالروح هو الغيرة المقدسة، التي تملأ القلب حمية فيذود عن الحق الإلهي المقدس، ولكن في تقوى ووقار. إن سيدتنا مريم العذراء كانت «ممتلئة نعمة» ومع ذلك ـ وعلى الرغم من أنها لم تكن قد تجاوزت الرابعة عشرة من عمرها ـ لكنها كانت تتصرف بغاية الاتزان والوقار، بصورة لم تكن تنتظر ممن في مثل سنها. كانت تعاين أحداث الحمل الإلهي والميلاد وتحية أليصابات، وظهورات الملائكة (١)، ومجئ الرعاة، وتسبيحات سمعان الشيخ وحنة بنت فنوئيل، وسجود المجوس، وكل الروائع السمائية والأرضية، ومع ذلك «كانت مريم تحفظ هذا الكلام كله، وتتفكر به في قلبها» (٢).

لقد ذكر الكتاب المقدس عن الآباء الرسل (٣) وعن القديس بطرس (٤)، والقديس بولس (٥)، والقديس اسطفانوس (٦) رئيس الشمامسة، وعن كثيرين (٧) وكثيرين أنهم امتلأوا بالروح، ولكنهم قطعاً لم يرقصوا ولا تحركوا بخفة، ولا صفقوا ولا تحركوا حركات عصبية بل تصرفوا في ملء الوقار والاتزان. وهكذا سار جميع الآباء والقديسين. لقد قال الكتاب المقدس «امتلئوا بالروح» (٨) وقال «اعبدوا الرب بفرح» (٩) وقال «فإن ملكوت الله ليس أكلاً ولا شرباً بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس» (١٠). ولكنه كان دائماً يتطلب الوقار، مما يدل قطعاً على أن تعبير الفرح يجب أن يكون دائماً في حدود الوقار. قال مار بولس الرسول «فأطلب أول كل شئ أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس.. لكي نقضي حياة

---

(١) انجيل القديس لوقا ١ : ٢٨.
(٢) لوقا ٢ : ١٩.
(٣) أعمال الرسل (٢ : ٤)، (٤ : ٣١).
(٤) أعمال ٤ : ٨.
(٥) أعمال (٩ : ١٧)، (١٣ : ٩).
(٦) أعمال (٦ : ٥)، (٧ : ٥٥).
(٧) أعمال (٦ : ٣)، (١٣ : ٥٢).
(٨) أفسس ٥ : ١٨.
(٩) مزمور ٩٩ (١٠٠) : ٢.
(١٠) رومية ١٤ : ١٧.

مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار» (١) . وعندما تكلم عن أصحاب الدرجات الكهنوتية طالب الأسقف والقسيس أن يكون «بكل وقار» (٢) وطالب أيضاً «أن يكون الشمامسة ذوى وقار» (٣) و«أن يكون الشيوخ صاحين ذوى وقار» و«أن تكون النساء ذوات وقار» (٤) .

وأما «هذيذ الصلاة» فهو ترديد عباراتها فى لذة روحانية من دون أن نفجر هذا الهذيذ إلى حركات عصبية .

٧٧ ـ ما الفرق بين الاحتراس والصوم ؟

سؤال:

ما الفرق بين الاحتراس والصوم؟

الجواب:

الصوم هو المصطلح عليه بأنه، «امتناع عن الطعام» وعادة يكون مصحوباً بحزن. لكن الاحتراس هو أيضاً امتناع عن الطعام ولكن ليس من الضرورى أن يكون مصحوباً بحزن، فمثلاً يوم الأحد نمتنع عن الطعام قبل التناول من الأسرار المقدسة، ولما كان الأحد لا يدخل فى مفهوم الصوم باعتباره أنه يوم عيد، فنسمى الامتناع عن الطعام فى هذه الحالة «احتراس» بمعنى أن الإنسان توقيراً للأسرار المقدسة التى سيتناول منها يمتنع عن الطعام، لكن ليست هى حالة حزن كما فى يوم الأحد ويوم السبت السابق لعيد القيامة أو غيره..

هذه كلها تعبيرات ومصطلحات القصد منها التفريق بين حالة الإنسان فى الصوم المصاحبة بحالة حزن، وبين حالة الامتناع عن الطعام فى يوم عيد أو يوم أحد فنسميها احتراس.

٧٨ - التبخير والسجود للأسقف

سؤال:

ما هو التبخير للأسقف ولماذا السجود له؟

الجواب:

لا يوجد تبخير للأسقف أبداً، الكاهن يعطى يد بخور على أساس أن هذا البخور لله، وهو نوع من أنواع العبادة لله، فإذا كان الكاهن معه كاهن آخر موجود، فحتى لا يستأثر بتقديم البخور بمفرده، فلا يزعم أنه الوحيد الذى يعطى البخور لله، فيذهب لأخوه فى الكهنوت ويعطيه يد بخور، بمعنى أن يقول له خذ ارفع البخور مثلى لأنى أنا لست أفضل منك. «مقدمين بعضهم على بعض» ويقول له: «اذكرنى يا أبى القس أو يا أبى القمص.. إلخ». أما بالنسبة للأسقف أو المطران أو البطريرك، باعتبار أن الأسقف أو المطران أو البطريرك إذا كان موجود فى الكنيسة فهو الخادم الأول لسيده، فلابد أنه هو الذى يقدم السجود والعبادة لله قبل القسيس، فالقسيس يعطى له يد بخور، فهو لا يبخر له... لابد أن نفهم أنه يعطى له بخور لكى يقدمها لله باعتباره الرئيس الموجود، ففى مجتمع الكنيسة الأسقف أو المطران أو البطريرك هو الخادم الأول. وهذا الأمر مطلوب، يوجد بعض الأساقفة عندما يأتى الكاهن ليعطى يد بخور يمنعه، أنا رأيت مناظر من هذا القبيل، فقلت لأبونا المطران وقتها وهو الآن فى العالم الآخر، قلت له يا سيدنا ليس لك أنت البخور، فالكاهن يعطى البخور للأسقف لكى يقدمه لله، لأنه هو الأليق، لأنه هو الأكبر كهنوتياً وهو الخادم الأول، هذا هو معنى إعطاء البخور، لا يعطى له البخور كمعبود. حاشا ...

من جهة السجود هذا السجود نوع من أنواع الاحترام، إنما ليس سجود العبادة، أبداً، مثل ما قال فى سفر الرؤيا إن الكاروبيم يأتون ويسجدون عند قدميه، أما السجود للأسقف أو البطريرك فهو نوع من أنواع الاحترام، والمبدأ موجود فى الكتاب المقدس، أبونا إبراهيم سجد أمام أهل الأرض عندما كان يريد أن يشترى حقل لكى يدفن فيه ساره، وسليمان الحكيم عندما جاءت إليه أمه وهو ملك سجد لها. وهكذا فى الكتاب المقدس سجود الاحترام فى العهد القديم والعهد الجديد. كرنيليوس أيضاً عندما إلتقى بسمعان بطرس سجد له. فهنا هذا السجود سجود احترام، عندنا السجود نوعان: سجود عبادة وهذا لا يليق إلا لله. وسجود الاحترام، وفى بعض الأحيان نجد بدلاً من السجود الإنحناء، إنحناء الإنسان أمام رئيسه، فى اليابان تجد الإنحناء، فهذا الإنحناء نوع من أنواع السجود، سجود الاحترام.

٧٩ - الجمع بين القداس الباسيلى والغريغورى والكيرلسى فى قداس واحد

سؤال:

هل هناك خطأ إذا صلى الكاهن أوشية من القداس الباسيلى ثم انتقل إلى القداس الغريغورى ثم الكيرلسى؟

الجواب:

الحقيقة هذا غير مستحب لأسباب:

أولا: لأن القداس الغريغورى موجه للمسيح، لله الابن، ولذلك فيه الكلام عن الخلاص وموجه لأقنوم الابن.

والقداس الباسيلى مقدم لأقنوم الله الآب وكذلك الكيرلسى.

ثانياً: من الناحية اللحنية والموسيقية، نجد القداس الغريغورى قداس فرايحى، ولذلك الكنيسة تصلى به عادة فى مناسبات الخلاص والأعياد، والقداس الكيرلسى فيه نواحى الخضوع فيصلى به بمناسبة الصوم وما إليه، فمن الناحية الفنية والناحية الموسيقية، هنا توجد موسيقى وهنا توجد موسيقى أخرى. حقاً أن الكل يلتقى فى الهدف الأخير، لكن يعتبر هذا نوع من النشاذ، وهذه مسألة يستطيع أن يقدرها الناس الفنانين والموسيقيين بالذات.

فالحقيقة غير مستحب أن الواحد ينقل من قداس كيرلسى إلى قداس غريغورى، أنا أعلم أن بعض الناس يحبوا أن يعملوا ذلك، لكن الحقيقة غير مفضل لا من ناحية النص ولا من ناحية الموسيقى، فكل قداس من القداسات الثلاثة الباسيلى والغريغورى والكيرلسى قطعة سيمفونية منفردة. فلا داعى أبداً لهذه العملية.

٨٠ ـ لماذا صلاة القنديل فى جمعة ختام الصوم؟

سؤال:

لماذا تقيم الكنيسة صلاة القنديل يوم جمعة ختام الصوم؟

الجواب:

. لأننا سندخل على أسبوع الآلام، ولذلك يجب أن تكون الصلاة كلها والاهتمام كله تركز فى آلام المسيح، فنصلى القنديل ونحضره، حتى إذا مرض أحد أو احتاج أحد لمسحة المرضى فى أسبوع الآلام، لا نقيم له مسحة المرضى، إنما من الزيت المصلى عليه فى قنديل جمعة ختام الصوم يدهن به. لأن الكنيسة تريد أن تركز اهتمامها بالآلام، أحياناً نسمع أن هناك بعض الناس تطلب من الكاهن أن يعمل لهم قنديل فى أسبوع الآلام، هذا لا يجوز، بالضبط مثل أحد الشعانين نعمل فيه تجنيز عام على جميع الراقدين، لكى يُغنى هذا بالنسبة للذين يرقدون فى أسبوع الآلام. ولنفس السبب فى أحد التناصير لكى يتعمد الناس الكبار الذين يدخلون الإيمان، فلا يوجد معمودية بعد ذلك للكبار، إنما بالنسبة للأطفال طبعاً إذا تم المدة القانونية التى نص عليها القانون الكنسى وهذه المدة بالنسبة للمرأة الأم وليست بالنسبة للطفل، لأن الطفل ممكن أن يعمد ولو كان ابن يوم واحد. لكن من جهة دخول المرأة إلى الكنيسة، فالأم تظل أربعين يوماً بعيدة عن الأماكن المقدسة إذا كان ولدها ذكراً و٨٠ يوماً، إذا كان مولودها أنثى. لكن من جهة العماد ممكن للطفل أن يعمد ولو كان ابن يوم واحد. لكن بالنسبة للكبار فلا يوجد معمودية بعد أحد التناصير وهو الأسبوع السابق على أحد الشعانين.

٨١ ـ معنى كلمة كنيسة (١)

سؤال: من السيد راضى إبراهيم خلة ـ ٢١٢ شارع الترعة البولاقية بشبرا مصر.

معنى كلمة كنيسة، وهل عربية أم قبطية ؟ ولماذا دعيت بهذا الأسم؟

الجواب:

كلمة كنيسة من أصل سريانى أرامى بمعنى «جماعة» أو «مجتمع» أو «مجمع» ثم صارت تطلق على مكان الاجتماع أى المعبد أو المتعبد ـ ويقابلها فى اللغة العربية الخاصة كلمة «بِيعة» بكسر الباء لا بفتحها.

٨٢ ـ قاعات للوعظ والألحان (١)

سؤال:

يقام أحياناً وفى بعض الأحياء أو المدن قاعات للوعظ والألحان، فهل تقرون ذلك؟

الجواب:

لقد دُعينا مرة إلى الاشتراك فى إقامة مثل هذه القاعة فى القاهرة فأبينا، وقلنا إنه يمكن بل يجب أن تبنى إلى جانب الكنيسة قاعة ولكن لا للوعظ بل للاحتفالات الكبرى والمحاضرات العلمية (كمحاضرات فى علوم الطب أو الموسيقى أو الفلك أو علم النفس أو فى النبات.. لفوائد علمية أدبية ودينية إلخ) والمناظرات العلمية وحتى الدينية. وحفلات الأعياد والمواسم الدينية وحفلات مدارس الأحد، أو المؤتمرات العامة.. ويجوز استخدامها كذلك للاستقبالات فى الأفراح والمآتم بعد إجراء الطقوس الدينية فى الكنيسة..

وإذن فنحن نرحب وننادى بوجوب إنشاء مثل هذه القاعات إلى جانب الكنيسة لمثل الأغراض المتقدمة. ولكننا نرجو أن نحرص على إتمام خدمة الوعظ بالكنيسة، لأنها طقس دينى صرف، يليق به أن يباشر فى الكنيسة ليأخذ رهبته وقوة سلطانه فى بيت الله من حيث هو كلام الله. حتى إننا نلاحظ أيضاً أن الوعظ فى ترتيب كنيستنا يسبق ويلحق بكثير من الصلوات والطقوس التى لا تباشر فى ـ غير كنيسة مدشنة، كما هو الحال مثلاً فى القداس وصلوات باكر وعشية.

ولا يستثنى من ذلك غير أحوال قهرية كأن تكون البلد محرومة من كنيسة فلا بأس من إقامة القاعة للوعظ بصفة مؤقتة إلى أن تبنى الكنيسة، وهكذا استحالت البيوت التى كان الرسل يتكلمون فيها بكلام الله إلى كنائس، بعد أن بنيت على النسق الرسولى ودشنت (٢)، وهو ـ على ما جاء فى التقليد ـ السبب فى أن السيد حين أرسل تلاميذه أوصاهم «وحيثما دخلتم بيتاً فأقيموا فيه حتى تخرجوا من هناك» (مر ٦: ١٠).

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٣ العدد ٢ فى مايو ١٩٤٩م.

(٢) التدشين هو التقديس والتكريس والتخصيص، وله فى كنيستنا طقس خاص يقوم به الأسقف مع القسيس والشمامسة، تتلى فيه صلوات وتباشر ترتيبات قد تستغرق يوماً بأكمله «لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة» (١. تى ٤: ٥).

٨٣ ـ السجود عند حلول الروح القدس (١)

سؤال: من الأخ المحترم بهنام ميخائيل الفخرانى عضو مجلس ملى جرجا.

اعتدنا أن نرى رجال الإكليروس على اختلاف درجاتهم الكهنوتية يسجدون عند حلول الروح القدس، فى موعده الخاص من كل قداس.. وقد أشير إلى وجوب ذلك على الخادم والشعب فى كل كتب الطقوس سيما كتاب الخولاجى المقدس..

غير أننا رأينا أن بعض حضرات الآباء المطارنة والأساقفة قد أغفلوا هذه المسألة فى السنوات الأخيرة، رافضين السجود وقت حلول الروح القدس، اعتماداً فيهم على الرأى القائل بأن الخادم لا يجب أن يبرح نظره الذبيحة المقدسة طوال القداس!!

فبماذا تفسرون ذلك؟! وما هو الوضع الكنسى الصحيح؟

الجواب:

ليس هناك فيما نعلم نص صريح يقطع فى أن سجود الكاهن ينبغى أن يكون كاملاً، ومع أن كلمة السجود بحسب معناها الاصطلاحي تفيد وضع الجبهة على الأرض، غير أن لدينا نصاً فى كتاب الخولاجى يقول «وليحنى الكاهن رأسه» مما يدل على أنه يجوز الاكتفاء بإحناء الكاهن رأسه.

وليس معنى هذا أن السجود الكامل بوضع الجبهة على الأرض مغالاة لا مبرر لها، فالحق أن السجود الكامل تعبير عن شدة الخشوع وعميق الاتضاع، وروعة ما يستشعره الكاهن من هيبة الله وعمق السر المقدس، ونحن نذكر إلى عهد قريب، المثلث الرحمات طيب الذكر الطوباوى الأنبا مكاريوس الثالث، وكيف كان يسجد، فى تقوى وورع شديد سجوداً كاملاً فيرتمى بجسمه كله على الأرض، واضعاً جبهته وعليها التاج المقدس على أرض الهيكل أمام المذبح الطاهر.

ولست أظن كذلك أن فى هذا السجود الكامل، إهمالاً للذبيحة الطاهرة، وإذا كان حقاً أنه يجب على الكاهن أن لا يبرح نظره الذبيحة المقدسة طوال مدة القداس، ففى الاكتفاء بإحناء الرأس كما فى السجود الكامل، تحويل للنظر إلى أسفل، على السواء، وإذن ليست العبرة بالنظرة المادية، ولكن بروح الخشوع والورع، وعميق الاتضاع، وربما كان فى إغضاء النظر تعبير عن مشاعر التهيب والإجلال أكثر من الحملقة بالعيون الظاهرة، حتى يدع الكاهن بعيون الإيمان الباطنة فرصة لتستحضر فى القلب والعقل معانى السرية الرهيبة، التى تنطوى عليها حقيقة الاستحالة فى القربان المقدس.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٥ العدد ٦ ـ أغسطس ١٩٥١م.

٨٤ ـ كلمة «إيروبسالتيس» (١)

سؤال :

مامعنى كلمة «ايروبسالتيس» الواردة فى التسبحة؟

الجواب :

معناها «المرنم الإلهى» أو «المرتل المقدس» فهى كلمة يونانية الأصل ιεροψαλτης (ي) مركبة من النعت ιεροc (ي) ومعناها «إلهى» أو «مقدس» ثم من ψαλτης ومعناها «مرتل أو «مرنم». والكلمة تطلق على المرتلين فى «الهيكل» أو فى «الكنيسة» تمييزاً لهم.

٨٥ ـ كلمة «يرومارتيروس»

سؤال :

وصف القديس بطرس خاتم الشهداء فى مجمع القديسين المذكور بالخولاجى المقدس بأنه «يرومارتيروس» فما معنى هذه الكلمة؟

الجواب :

إنها كلمة يونانية الأصل ιερομαρτυροc (ي) تتألف من النعت ιε-(ي) ροc ومعناه «مقدس» أو «إلهى» ومن μαρτυροc ومعناه «شهيد». وعلى ذلك فالكلمة المركبة معناها «الشهيد المقدس».

فإذا كان المترجم إلى العربية قد كتب فى مقابلها «خاتم الشهداء»، فهو لم يترجم الكلمة اليونانية أو القبطية ترجمة حرفية. ولكنه تعرف بإضافة كلمة «خاتم» مما هو معروف عن هذا القديس فى تاريخه، أنه «خاتم الشهداء».

٨٦ ـ طقس القيامة(١)

سؤال :

اقترح بعض الخدام إضافة تمثيلية المريمات إلى تمثيلية القيامة المنصوص عنها فى كتاب دلال أسبوع الآلام، وذلك ليلة عيد القيامة المجيد، فهل تبيح الكنيسة للكهنة أن يضيفوا إلى الطقس المقرر تمثيلية أخرى بحجة أن للكهنة سلطان الربط والحل، وهل إذا رفض الكاهن ذلك محتجا بالاستمساك بالطقس والتقليد، كان ذلك منه تزمتا وتشددا تجاوز حدوده

الجواب :

لايجوز إضافة جديد إلى طقس القيامة. على أن يؤدى طقس القيامة بكل أمانة وروحانية ودقة ليفى بالغرض الروحى والتعليمى منه.

ويمكن عرض تمثيلية المريمات فى غير وقت القداس، وفى غير مكان الكنيسة. يمكن عرضها مثلا فى قاعة ملحقة بالكنيسة إذا وجدت، شأنها فى ذلك شأن أى عمل آخر ليس من ترتيب الأباء المعتبرين فى الكنيسة أعمدة، كالتمثيليات والمسرحيات الدينية والأفلام الدينية وسائر الأنشطة غير المعتمدة من رياسة الكنيسة العليا.

إننا كنيسة أرثوذكسية تقليدية وطقوسها غنية بمعانيها الروحية، خصوصا إذا كان أداؤها دقيقا أمينا مفعما بالروحانية والتقوى والوقار. ولسنا فى حاجة إلى إضافة طقوس جديدة فى داخل بيوت العبادة.

وليس للكاهن ولا للشماس فى كنيستنا أن يضيف جديداً ما لم تقره رياسة الكنيسة العليا. وسلطان التشريع والتقنين فى الكنيسة حق للمجمع الإكليريكى المقدس، لأن المسيح له المجد أعطى رسله مجتمعين سلطان الربط والحل «الحق أقول لكم إن كل ماتربطونه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ماتحلونه على الأرض يحل فى السماوات» (متى ١٨ : ١٨). وهو غير سلطان حل الخطايا وامساكها المعطى للرسل أيضا (يوحنا ٢٠ : ٢٣).

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٢٨ عدد ٩، ١٠ نوفمبر وديسمبر ١٩٧٤م.

٨٧ ـ تكرار الصلاة الربانية(١)

سؤال : بتوقيع خاطئ يطلب الصلاة لأجله:

لماذا نكرر الصلاة الربانية ثلاث مرات فى كل صلاة من صلوات الأجبية؟

الجواب :

إن تكرار الصلاة هو للإلحاح واللجاجة. وقد أوصانا السيد المسيح أن نصلى ولا نملّ (لو ١٨ : ١) وأيد ذلك بمثل الأرملة التى أخذت تتردد على قاضى الظلم، وتلح عليه، لينصفها من خصمها، وقد اضطر إلى إنصافها من أجل لجاجتها (لو ١٨ : ٢–٨) . وأيده أيضاً بمثل الصديق الذى مضى إلى صديقه فى منتصف الليل يرجوه أن يقرضه ثلاثة أرغفة ويكرر الرجاء، ثم يقول السيد المسيح معقبا على هذا المثل «أقول لكم إن لم يقم ويعطه لأنه صديقه، فإنه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه ما يحتاج إليه» (لو ١١ : ٨) . ومما له مغزى هنا أن المثل وهذا التصريح، فاه بهما معلمنا، بعد أن علم تلاميذه الصلاة الربانية مباشرة، فتأمل!! (راجع لوقا ١١ : ١–٨) .

وها هو المخلص نفسه يكرر صلاته فى بستان جثسيمانى ثلاث مرات. قال الكتاب عنه: «ثم مضى أيضا وصلى، وقال هذا الكلام بعينه» (مر ١٤ : ٣٩) ، «فتركهم أيضا ومضى وصلى ثالثة قائلا هذا الكلام بعينه» (مت ٢٦ : ٤٤) .

إذا تفكرت فى هذا كله، عرفت أن تكرار الصلاة الربانية لايبطلها ولايضعفها بل على العكس، أن تكرارها بروح التقوى والتعبد، يجعلها أعظم قوة فى فم قائلها وفى قلبه. أما قول المخلص «وحينما تصلون لاتكرروا الكلام باطلا كالأمم، فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم» (مت ٦ : ٧) ، فواضح أن النهى فيه منصب لاعلى التكرار إطلاقا، بل على التكرار الباطل.

٨٨ ـ تكرار صلاة الأجبية

سؤال : من أحد القراء

هب أن أرثوذكسياً ـ كاهناً أو علمانياً ـ تلا صلاة من صلوات الأجبية بالكنيسة، فهل يجوز تلاوتها مرة أخرى بالمنزل انفرادياً؟ أو العكس إذا حدث أن هذا الأرثوذكسى تلا الصلاة بالمنزل فهل يجوز تلاوتها مع اخوته مرة أخرى بالكنيسة؟

الجواب :

نعم يجوز.

٨٩ ـ هل الطقس القبطى رسولى؟(١)

سؤال :

هل الطقس القبطى الأرثوذكسى رسولى، وهل طائفة الرسوليين هى من عهد الرسل؟

الجواب :

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة رسولية بمعنى أنها من عهد الرسل، وقد أسسها السيد المسيح بنفسه بمجيئه إليها طفلا، لكن القديس مرقس الرسول أحد السبعين رسولا هو كاروزها الأول بالسيد المسيح، وهو أول بطاركتها وأساقفتها وقد كرز بالإنجيل أول ما كرز بالأسكندرية ولذلك سميت الكنيسة فى مصر بكنيسة الأسكندرية، وظلت تعرف بهذا الاسم، فى العصور الرسولية الأولى وإلى اليوم.

أما طائفة الرسوليين فشئ آخر.. إنها طائفة حديثة لا تنتمى إلى العصر الرسولى.. وهى إحدى الفرق والشيع البروتستانتية الحديثة التى تزعم وتدعى لنفسها أنها تتبع الرسل. وليس الأمر أكثر من مجرد ادعاء.

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٢٨ عدد ٩، ١٠ نوفمبر وديسمبر ١٩٧٤م.

٩٠ ـ لحن «افرحى يامريم» (١)

سؤال :

فى لحن افرحى يامريم. «نسألك يا ابن الله أن تحفظ حياة بطريركنا الأنبا..... رئيس الأحبار ثبته على كرسيه .... لكى نسبحك مع الشاروبيم والساروفيم... الخ» هل معنى هذا أنه إذا لم يحفظ لنا الرب حياة بطريركنا لانسبحه؟

الجواب :

إن الكنيسة المقدسة تنظر إلى البطريرك على أنه رمز وحدتها ورأسها المنظور، والدعاء الذى ترفعه الكنيسة من أجل البطريرك فى هذا التسبيح (الأسمى) موجه بالذات إلى طلب استقراره فى منصبه كرئيس أعلى للكنيسة، وممثلها المسئول عنها. فبقاؤه فى مسئوليته معناه بقاء الكنيسة ودوامها واستمرارها وخلودها. وبهذا يدم التسبيح لله وتستمر العبادة للخالق والخدمة لسيادته العلية. فإذا كانت الكنيسة فى تسبحتها تلك تربط بين حفظ حياة البطريرك وثباته على كرسيه واستقراره فى مسئوليته كرئيس أعلى للكنيسة، وبين تسبيحها لله مع الشاروبيم والساروفيم فلأن فى إبعاد البطريرك عن كرسيه ـ كما حدث ويحدث فى أزمنة الاضطهاد التى مرت وتمر بها الكنيسة ـ زعزعة لكيان الكنيسة كلها حيث أن البطريرك هو رأسها المنظور. ووجوده هو الصورة المرئية لوجود الكنيسة واستمرارها، وبقائها وخلودها. ولعل هذا التصور لمفهومنا الكنسى بالنسبة للبطريرك وعلاقته بالكنيسة كرئيسها ورمز وجودها المنظور، مأخوذ من قول ربنا يسوع المسيح نفسه «اضرب الراعى فتتبدد الرعية» (متى ٢٦ : ٣١)، (مرقس ١٤ : ٢٧) مقتبسا من قول سابق لله تعالى فى العهد القديم على فم النبى زكريا (زكريا ١٣ : ٧).

٩١ - مامعنى كلمة «سلاه» ؟ (١)

سؤال :

مامعنى كلمة «سلاه» المذكورة كثيراً فى سفر المزامير؟

الجواب :

هى كِلمة عبرانية، نُقِلت بحروفها إلى جميع اللغات، وقد اختلف علماء اللغات فيما إذا كانت «فعلا» أو «اسماً» كما اختلفوا فى تحديد معناها على وجه دقيق.

فمن قائل إنها أمر بالصمت أو الوقف الموسيقى، كان يوجهه رئيس الفرقة الموسيقية إلى الموسيقيين أو إلى فريق منهم على الأقل، وفقا لما يقتضيه التوقيع الموسيقى، ومن قائل إنها على العكس أمر «بالعلو» أو «الرفع» للصوت، وهناك من يقول إنها علامة أو إشارة لوقف الغناء، مع استمرار التوقيع على الآلات الموسيقية وحدها.

ومهما يكن من أمر، فمما لاشك فيه أن «سلاه» كلمة عبرانية كانت تستخدم فى تلحين المزامير وتوقيعها على الآلات الموسيقية، وأنها علامة أو إشارة لتنظيم الإيقاع الموسيقى.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد - السنة العاشرة - عدد ٢ - فبراير ١٩٥٦م.

٩٢ - المقصود بسبعة وأربعة

سؤال :

ما المقصود بعدد ٧ و ٤ فى تسبحة كيهك؟

الجواب :

يوجد تذاكيات ويوجد هوسات، هوس يعنى تسبيح وتذاكيات تعنى تمجيد. فمعناها تسابيح وتماجيد. نحن نسبح الله ونمجده من أجل تجسده، فهى نوع من أنواع إظهار أعمال الله وتسبيحه من أجلها. وهناك أيضا تمجيد للسيدة العذراء باعتبار أنها خادمة التجسد رقم واحد، واحتملت الكثير وعن طريقها تم خلاص العالم، لأنها هى التى وقع عليها الاختيار أن تكون والدة الإله، فهذا نوع من أنواع التمجيد وهذا مشروع، لأن سيدنا له المجد أمر بهذا، عندما جاءت المرأة التى سكبت الطيب على رأسه وهى مريم أخت لعازر، فيهوذا قال لماذا كل هذا الإتلاف. أما كان يُباع بثلاثة مئة دينار ويعطى للفقراء، والظاهر أن باقى التلاميذ انضموا إلى يهوذا فى هذا الاعتراض، وجدوه اعتراض معقول ولو أن يهوذا مثل ما قال يوحنا «قال هذا لا لأنه كان يبالى بالفقراء بل لأن الصندوق كان معه، وكان يحمل ما فيه» وهذه شهادة مرة من زميل له وهو يوحنا. لكن سيدنا له المجد لم يوافق يهوذا بل قال له لماذا تزعجون المرأة، أنها عملت بى عملا حسنا، فها الفقراء معكم فى كل حين، أما أنا فلا أقيم معكم كل حين، لأنها صنعت هذا لتكفينى، وقال: حيثما يكرز بهذا الإنجيل يخبر بما فعلته هذه المرأة إحياء لذكرها. ولذلك يتلى هذا الإنجيل فى عشية بعض أعياد العذراء مريم، كأن الكنيسة تشير بهذا أنه يجب أن يذكر مافعلته هذه المرأة، وكذلك فى المجمع يصلى الكاهن صلاة المجمع ويقول «لأن هذا أمر ابنك الوحيد أن نشترك فى إحياء ذكري قديسيك»، من أين جاءت هذه الكلمة؟ متى كان هذا؟ جاءت من هذه الآية «لأنه حيثما يكرز بالإنجيل يخبر بما فعلته هذه المرأة إحياءا لذكرها» هنا المسيح أمر أن هذه المرأة يذكر اسمها كلما انتشر الإنجيل، وهذا هو السبب أنك تجد هذه القصة مذكورة فى الأربع أناجيل. فكأن هنا أمر أننا نذكر القديسين. وهنا نحن لا نعطى مجد الله للقديسين كما يعترض البعض، لا نحن نذكر القديسين ونمجدهم لأجل المسيح، لأنهم احتملوا من أجل المسيح، وهذا تشجيع للشباب وللناس الصغار أن يعملوا مثل هؤلاء القديسين، لكن أيضا هذا أمر المسيح. ليس فقط أمر مشروع، ولكن بالأمر «هذا هو أمر ابنك الوحيد أن نشترك فى إحياء ذكرى قديسيك». فهنا الكنيسة فى التسبحة الكيهكية عندما تمجد العذراء مريم، وتقول العليقة التى رآها موسى النبى فى البرية، يا شورية هارون.... كل هذا تمجيد، وهذا أقل

واجب للوفاء، العذراء احتملت الكثير، لا يوجد مخلوق ولا حتى من الأباء الرسل احتمل مثل السيدة العذراء إطلاقا، فهذا شئ من الوفاء أن نذكر العذراء ونمجدها، وكلها عبارة عن صلوات حلوة ولا يوجد فيها أي خروج إطلاقا، وليس فقط العذراء مريم، هناك قديسين آخرين، يوجد كتاب اسمه كتاب التماجيد، فأيضا الأباء الرسل فى صوم الرسل بنذكر التمجيد الخاص بهم، وكذلك الشهداء الآخرين نذكر تماجيدهم، مثل مارجرجس وأبى سيفين والست دميانة، وهذا التمجيد ليس معناه أننا نأخذ تمجيد المسيح ونعطيه لهذا القديس لا.. نحن نمجده لأجل أنه أطاع المسيح، وتشجيعا للشباب وللصغار لكى يصنعوا مثلهم.

فالكنيسة عندما تمجد القديسين فكأنها فى نفس الوقت تشجع الصغار على أنهم يعملوا أعمال القديسين.

أقول ٧ هوسات تعنى تسبيح لربنا ولأعماله، وهذا التسبيح كنوع من أنواع التذكير لأعمال ربنا، وهذه تلهب القلب بمحبة ربنا أكثر وتذكر الإنسان «باركى يانفس الرب ولاتنسى كل حساناته» لاتنسى، عملية التذكير تكون مساعدة للإنسان لكى ينمو فى النعمة، وفى الوقت نفسه يلتهب بمحبة ربنا وتمجيده . كذلك أيضاً ٤ تذاكيات للعذراء مريم، نوع من أنواع التمجيد لها، كذلك منسوب تماجيد لأعمال القديسين التى مجدوا الله بها. فنحن نتذكر تمجيدهم لربنا من خلال ذكرنا لأسمائهم، فى الواقع القديسين عملوا أعمال مجيدة سببوا خيرا للكنيسة كلها، وهذا نوع من أنواع الكرازة بحياتهم. فكون أننا نُذَكِّر أنفسنا بما صنعه القديسون، هذا شئ من الوفاء لهم، وأيضا تشجيع للمبتدئين فى الحياة الروحية أن يصنعوا مثل ما صنع هؤلاء القديسون.

٩٣ - غطاء الرأس للكاهن

سؤال :

أوصى الرسل بأن المرأة تغطى رأسها والرجل لايغطى رأسه، ولكن لماذا يغطى الكاهن رأسه وهو يصلى القداس؟

الجواب :

هذا الكلام كان مكتوب لأهل كورنثوس، لأن هذا نوع من أنواع القوانين، وقوانين الكنيسة يمكن تقسيمها إلى قسمين كبيرين، قوانين لها القيمة الأبدية خصوصا فيما يتصل بالعقائد الإيمانية. وهناك قوانين أخرى ليست لها القيمة الأبدية، مثل القوانين الطقسية التى ترتبط بالزمان والمكان، وموضوع غطاء الرأس، هذه مرتبطة بمبدأ عام، المبدأ العام هو الاحترام، لكن هذا الاحترام يأخذ أشكال مختلفة، بحسب طبيعة الزمان والمكان، اليوم الناس فى الغرب عندما يدخل الفرد الكنيسة لابد أن يرفع القبعة، كذلك عندما يمر عليه ميت لابد أن يرفع القبعة، هذه عادة متأصلة فى بلاد الغرب كعلامة من علامات الاحترام، فخلف هذا التصرف مبدأ اسمه مبدأ الاحترام، ولكن فى الشرق العكس، فى الشرق من مبدأ الاحترام أن الإنسان يغطى رأسه، ولذلك نحن حتى قبل الثورة كان الإنسان عندما يدخل على رئيسه لابد أن يلبس الطربوش.

٩٤ - تقبيل يد الكاهن

سؤال :

سمعت من أحد الكهنة أنه لايجوز تقبيل يد الكاهن إلا بعد إصعاده الذبيحة فقط. أما خارج الكنيسة لايجوز، فما هو مدى صحة هذا الكلام؟

الجواب :

يا بنى تقبيل يد الكاهن ليس مسألة جبرية أنت مضطر لها. إنما مبدأ التقبيل هذا شئ طبيعى، الإنسان يقبل صورة ابنه أو إبنته، أو أم تقبل صورة ابنها، هذا تعبير عن الحب وتعبير عن الاحترام، وليس فقط تقبيل يد الكاهن لكن الإنسان منا يقبل يد أمه ويد أبوه، فهذه القبلة قبلة أدب وقبلة احترام، بغض النظر عن أنه رفع الذبيحة أو لم يرفعها. فهذا من الأدب الإنسانى، عموما أى إنسان كبير فى السن نحترمه، والمفروض أن الكاهن إلى جانب أنه رجل دين فهو رجل شيخ، حتى كلمة قسيس معناها شيخ، وحتى عند إخواننا المسلمين رجال الدين يسموهم شيوخ، فأولا من جهة المبدأ تقبيل يد الكاهن مسألة ليست عقيدة، ولا أستطيع أن أقول أنت مجبر على ذلك، لم يقل أحد هذا الكلام فى الكنيسة كلها، إنما المسألة مسألة تعبير، فتقبيل يد الكاهن تعبير عن الحب والاحترام، إن لم يكن من حيث أنه رجل دين فعلى الأقل من حيث أنه شيخ، وكما قلنا أنه من الأدب الصغير يحترم الكبير، والولد يقبل يد أمه ويقبل يد أبوه كنوع من الآداب اللائقة.

الأمر الثانى أن الكاهن أصبح مقدسا، ليس فقط لأنه يقدم الذبيحة، ولكن لأنه أخذ السر وهو أصبح مسيح الرب بالمعنى الخاص للكلمة، فكممسوح فيه مسحة مقدسة، إذا كان الإنسان منا يقبل الصورة ويقبل السجاد ويقبل الصليب، ويقبل ستر الهيكل، تقبيل الستر ليس معناه أننا نعبد الستر، ولكن لأن هذا فى بيت الله.

فالإنسان عندما يقبل الصورة لايقبل الصورة من حيث هى ورق، ولكن يقبل الصورة من حيث أنها تحمل صورة فلان، عندما يقع الكتاب المقدس وهو عبارة عن ورق، وممكن ورق قديم وورق ممزق، لكن لاتقبل أن تترك الكتاب المقدس على الأرض حتى لو وقع خطأ، فترفعه وتقبله، هنا القبلة لها معنى الاحترام، ولها معنى التقديس ليس للورق ولكن لصاحب الكتاب المقدس وهو الله نفسه. فالكاهن باعتبار أنه رسول رب الجنود، فالواحد يعطى له الاحترام على أساس أنه يمثل السلطة الإلهية، مثل ما قال الكتاب المقدس «شفتان الكاهن تحفظان معرفة ومن فمه تكون الشريعة، لأنه رسول رب الجنود فأنت تكرمه مثل ما قال المسيح للرسل «من يكرمكم

يكرمنى» . وقال «من احتقركم احتقرنى» ، بل وأعطى كلمة فظيعة قال: «الذى لايقبل كلامكم انفضوا الغبار العالق بأرجلكم، الحق أقول لكم أنه ستكون لسدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالا مما لهذا البيت أو لهذه المدينة» لذلك أعطى الله الكرامة للرسل أن كل مايحدث لهم ينسب إليه هو شخصيا. فوضع الكاهن من هذه الزاوية، فبغض النظر أنه قدم الذبيحة أو لم يقدم الذبيحة. فهو كاهن أصلا وأخذ المسحة المقدسة وتقديم الذبيحة إحدى العمليات التى أصبح مكلفا القيام بها.

٩٥ - الفرق بين التقليد الكنسى والدسقولية

سؤال :

ما هو الفرق بين التقليد الكنسى والدسقولية؟

الجواب :

التقليد الكنسى هو المسلمات، Paradosis باليونانى، والتقليد بالعربى من القلادة ويقابلها بالإنجليزى Tradition وهذا غير التقليد بمعنى المحاكاة Imitation .

التقليد الكنسى هو المسلمات الشفهية أو العملية غير المكتوبة فى الأصل، ومن الممكن أن تكون كُتبت فيما بعد. فالتقليد هو المسلمات، الأشياء التى تسلم، أى تعطى من يد، إلى يد وهذه واضحة جدا فى حياة الآباء الرسل فى الكنائس التى يسموها الكنائس الرسولية، والتى أشار إليها بولس الرسول عندما يقول «أمدحكم أنكم تحفظون التقليدات كما سلمتها إليكم». دون أن يشير إلى ما هى التقليدات. ومرة ثانية يقول «وأما الأمور الباقية عندما أجئ أرتبها»، وهناك أشياء مشار إليها فى العهد الجديد، وكانت مسلمة فى العهد القديم، مثلما قال بولس الرسول «قال موسى أنا مرتعب ومرتعد»، هذه الحادثة فى العهد القديم لكن كيف وصلت إلى بولس الرسول؟ طبعا بالتقليد، لأن العهد القديم لايوجد فيه هذه الحادثة، مرة أخرى يقول «قال الرب مغبوط العطاء أكثر من الأخذ» هذه ليست موجودة فى الأناجيل وينسبها إلى الرب يسوع، هذا قيمة التسليم للرسل الذين أخذوا من المسيح وذهبوا إلى الكنائس أو إلى البلاد وسلموا، المسيح قال لهم «تلمذوا جميع الأمم وعمدوهم وعلموهم بكل ما أوصيتكم به» جميع ما أوصيتكم به، ومذكور عن الآباء الرسل أن المسيح كان يجلس معهم بمفردهم ويشرح لهم أمور كثيرة، قال لهم «أنتم أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات» الأمر الثانى أنه يذكر أنه فى الأربعين يوم كان يكلمهم «عن الأمور المختصة بملكوت الله» ولم يذكر أى شئ من هذه الأمور، وفى كتاب الدسقولية فى بعض الأحيان يشير إلى أشياء يقول كما علمنا، وكما سمعنا من الرب يسوع، والذين قالوه لم يجئ فى الإنجيل ، من هذه الأشياء مثلا ماينبغى أن يحدث للأسقف عند تجليسه، الدسقولية تتكون من ٣٩ فصل وتسمى تعاليم الرسل، وهى التعاليم التى استقوها من السيد المسيح له المجد، سواء كانت الجلسات الخاصة التى كان يجتمع فيها معهم، أو فى الأربعين يوم التى كان يكلمهم فيها عن الأمور المختصة بملكوت الله. مذكور فى إنجيل لوقا أنه ظهر لتلميذى عمواس وهما لوقا وكليوباس وأنه كان يكلمهما ويفسر لهما عن الأمور المختصة به. وجاء فى سفر الأعمال ٢٤ عن المسيح أنه كان يكلمهم عن الأمور المختصة به دون أن يذكر التفاصيل.

عموما التقليد الكنسى هو التسليمات، المسلمات الغير موجودة فى الكتاب المقدس، وتسلمها الآباء الرسل، وإن كان بعد ذلك دونت، سواء كانت فى الدسقولية وأيضا فى كتب الكنيسة الأخرى، مثلا طريقة التعميد والمسح بالميرون وطريقة الزواج، والرسامات الكهنوتية، وفكرة الصلاة وكيف تتم، وموضوع الأجبية والصلاة بالمزامير كل هذه موجودة فى الكتب الكنسية ومنسوبة إلى الآباء الرسل سلموها إلينا. وكذلك ترتيب الأصوام، وترتيب الأعياد وترتيب القداس وبناء الكنائس وطريقة بناء الكنائس وتفاصيل كثيرة فيما يتصل بالناحية العملية، مارمرقس الرسول عندنا جاء إلى بلدنا سلمنا القداس. ما هو القداس؟ أكيد أكيد إن الآباء الرسل أخذوه من المسيح ولذلك نفس الرسول بولس يقول «من الرب تسلمت ما سلمتكم» طبعا هو لم يتسلم من الرب مباشرة، تسلم من الآباء الرسل الذين أخذوا من المسيح، تسلمت من الرب ما سلمتكم وأخذ يشرح سر الافخارستيا أو سر الشكر، فهنا التقليدات عبارة عن المسلمات الغير مدونة بالكتاب المقدس أو بالأناجيل، وهى أصلا ترجع إلى المسيح نفسه والآباء الرسل الذين أخذوا من المسيح، وهذه حكمة المسيح لماذا اختار ١٢ تلميذ على الرغم من أن المسيح كان يعلم فى الشوارع وكانت جماهير كثيرة تتبعه. هؤلاء التلاميذ تركوا كل شئ وتبعوه، وهى أرقى أنواع التلمذة تلميذ بمعنى disciple مثل تلاميذ الفلاسفة والأنبياء، وتلاميذ السيد المسيح الذى كانوا يعيشوا مع المسيح فكانوا بذلك إمتدادا لمعلمهم لذلك قال لهم «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم وعلموهم جميع ما أوصيتكم به».

فالدسقولية هى تعاليم الرسل غير المكتوبة فى الأناجيل، ودونت فى كتب منها الدسقولية، والتقليد هو المسلمات التى تسلمها الآباء الرسل ومنها قوانين الرسل، ومنها الكتب الكنسية مثل كتاب المعمودية، وكتاب الخولاجى... الخ.

٩٦ - صوم المذبح

سؤال :

لماذا يجب أن يصوم المذبح ٩ ساعات قبل عمل القداس التالى؟

الجواب :

نوع من أنواع الاحترام والاجلال للسر المقدس، إن صوم المذبح يحمل معنى الإعداد، فأنت قبل أن يأتى إليك ضيف كبير له أهميته، تعد المكان وتأخذ وقت فى إعداد المكان، وهذا نوع من أنواع الإجلال والتعبير عن احترام الشعب واحترام الكنيسة لحلول المسيح وظهوره، فتجهيز المائدة بصوم المذبح فيه نوع من التخصص تعبير عن الاحترام والاجلال للذبيحة، وفى الوقت نفسه هو تطبيق للإنسان المسيحى أن لايتقدم إلى سر التناول إلا بعد إعداد نفسه بصومه ٩ ساعات على الأقل، وهذه المدة تعتبر كحد أدنى، وهى مبنية على الآية «طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون» فبالصوم يصير الجسد فى حالة جوع كما أن الروح نفسها تكون جائعة إلى البر، وهذا يجعلها فى شوق، كذلك الجسد باعتباره زميل للروح فلابد أن يجوع، كإعداد للجسد مع الروح أن يكونا فى حالة جوع وشوق إلى العطية الكبيرة التى يأخذها الإنسان فى سر التناول، فلا يقبل على التناول وهو متقزز، لأنه يشعر بالشبع، وغير قادر أن يأخذ أكثر من ذلك.

وأيضا عدم الصوم يحمل عدم احترام للوليمة السمائية، فالإنسان عندما يأكل يأخذ حاجته من الطعام المادى، والتناول بعد ذلك يكون فضله زائدة، ففى كنيستنا الأرثوذكسية نشترط تجويع الجسد، أو جعل الجسد فى حالة جوع يتمشى مع جوع الإنسان روحيا إلى البر. «طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون» فكذلك أيضا كنوع من أنواع الاجلال يصوم المذبح أى لايمارس عليه قداس قبل ٩ ساعات من القداس السابق، كنوع من أنواع الاحترام والاجلال والاعداد والاستعداد للقداس.

٩٧ ـ تسليم القداس الإلهى

سؤال :

كيف وضع القداس الإلهى بالترتيب، هل بإلهام الروح القدس أم باختطاف بعض الآباء القديسين ورأوا هناك هذا الطقس فنفذوه هنا على الأرض ؟

الجواب :

القداس الإلهى سلم أولاً من المسيح، وبعد ذلك الآباء الرسل أضافوا إضافات معينة، خصوصا بعد قيامة المسيح وصعوده إلى السماء، وهذا أمر كان مباحا لهم أن يصنعوه، لكن أول شئ فى القداس، يقول الرسول بولس «قد تسلمت من الرب ما سلمتكم، أن الرب فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزا على يديه» وهى عملية تقديس الخبز والخمر، وهنا كلمة تسلمت من الرب، الواقع أن بولس الرسول لم يتسلم من الرب مباشرة، إنما تسلمه من الآباء الرسل المعتبرين أعمدة، لأن بولس الرسول لم يصبح مسيحيا إلا بعد صعود المسيح إلى السماء، لكن لأنه أخذ تسليمه من الآباء الرسل، هم الذين وضعوا عليه اليد، وهم الذين أرسلوه، وأصبح رسولا، ومن هنا أصبح الرسول الثالث عشر. لأن بابا الأسكندرية من ضمن ألقابه، ثالث عشر رسل المسيح، مجرد لقب تمشيا مع ما نسب إلى بولس الرسول أنه ثالث عشر رسل المسيح. المهم أن بولس الرسول يقول تسلمت من الرب ما سلمتكم، هو لم يتسلم من الرب مباشرة، لكن لأنه تسلم من الآباء الرسل المعتبرين أعمدة، فيعتبر أنه تسلم من الرب مباشرة، وهذا ما يعرف بالخلافة الرسولية، فأساس القداس هو ما سلمه الرب نفسه وقال «اصنعوا هذا لذكرى» وهى الصناعة المقدسة، هى عمل نفس أساس القداس. وبعد ذلك أضيفت فيما بعد بعض الصلوات، قد تكون هذه الإضافات بعضها من المسيح نفسه، عندما سلم الآباء الرسل فى الأربعين يوم بعد قيامته، عندما كان يجتمع بهم، ولابد أنه أعطاهم تعليمات عن نظام العبادة وما إليها. الأمر الثانى أن الروح القدس أرشد الآباء الرسل، وقال لهم «أنه يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم» يعلمكم ويذكركم، فيه تذكير وفيه تعليم، والروح القدس رافقهم والمسيح قال لهم ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر، وقال لهم «لا تهتموا لأن الروح القدس يرشدكم فى تلك الساعة ما تقولونه». ومن هنا أولا التسليم الأصلى من المسيح، ثم الأباء الرسل أخذوا بعد القيامة المقدسة منه شيئا، والروح القدس أيضا أرشدهم، ولذلك بيعد أساس القداس فى جميع الكنائس الأرثوذكسية على اختلافها وحتى الكاثوليكية أيضاً واحداً، ولذلك تجد اتفاق فى عدد من النصوص فى القداسات جميعها وما يدل على أن الأصل واحد، ولكن فيه إضافات لبعض الأواشى أو ما نسميه بالصلوات وما إلى ذلك. أيضا يوجد عملية ترتيب

الأسبقية فى الصلوات، فالقداس أصلا من الرسل، ولذلك عندنا ما يسمى بقداس الرسل، فالكنيسة القبطية تسلمت القداس الذى عرف بالقداس المرقسى. هذا القداس المرقسى هو أول من قدس به مارمرقس الرسول، ومذكور أن يوم استشهاد مارمرقس الرسول أنه كان يحتفل بعيد القيامة فى الأسكندرية، ثم أخذوه وشدوه إلى آخر هذه الأمور، فكان يحتفل بالقداس، فهو سلمنا القداس، وظل هذا القداس المرقسى يسلم شفهيا كتقليد، إلى أن جاء البابا كيرلس الأول «الرابع والعشرون من بطاركة الأسكندرية» الذى تنيح فى سنة ٤٤٤م، هذا الرجل المعروف بعمود الإيمان، هو الذى دون هذا القداس وكتبه كتابة، فالبابا كيرلس الأول دونه، وطبعا لابد أن يكون أضاف عليه بعض الصلوات أو بعض الأواشى، فنُسب أيضا إليه وصار يسمى بالقداس الكيرلسى، فالقداس الكيرلسى هو بعينه القداس المرقسى، ولذلك نجد فى الخولاجى الكبير مكتوب هذا الكلام، قداس القديس مرقس الرسول الذى دونه البابا كيرلس الأول، وهو الرابع والعشرون من باباوات الأسكندرية، فهو يسمى القداس الكيرلسى ويسمى أيضاً القداس المرقسى. فالقديس مرقس الرسول هو الذى سلم إلينا القداس فى الكنيسة القبطية.

وكذلك الكنائس الأخرى، مثلا إخواننا السريان الأرثوذكس، القداس الخاص بهم يسمى قداس ماريعقوب الرسول، وإخواننا الأروام القداس الذى يصلوا به يسمى قداس القديس يوحنا ذهبى الفم، وهو أيضا القداس الرسولى الذى سلم إليه، وحدث أن يوحنا ذهبى الفم أضاف بعض الصلوات، أو أحدث بعض التنظيم أو الترتيب، الذى يسمى الآن التنظيم البيزنطى أو الطقس البيزنطى. فصار يسمى قداس يوحنا ذهبى الفم، إنما ليس يوحنا ذهبى الفم هو المنشئ لهذا القداس، كذلك ما نسميه بالقداس الباسيلى، ليس القديس باسيليوس هو الذى أنشئ هذا القداس، وإنما القديس باسيليوس لمكانته الروحية العظيمة دون هذا القداس وأضاف إليه بعض الصلوات فنسب إليه وسمى بالقداس الباسيلى، لكن ليس القديس باسيليوس هو الذى أنشأه، كذلك القداس الغريغورى، ليس القديس اغريغوريوس هو الذى أنشأ القداس الغريغورى، إنما هو القداس الرسولى، ثم أضاف إليه هذا القديس بعض إضافات أو بعض أواشى فصار ينسب إليه وهو القداس الغريغورى.

المهم أن القداسات كلها أصلها رسولى، تسلمت من المسيح لأن المسيح هو الذى سلم القداس الأول، لأن كلمة قداس من التقديس، وأول من قدس الخبز والخمر هو المسيح، كل القداسات تأخذ نفس الصيغة التى استخدمها سيدنا له المجد، فى جميع القداسات تجد نفس الصيغة، ونفس الترتيب، الذى استخدمه رب المجد. ولذلك الرسول بولس جرؤ على أن يقول تسلمت من الرب ما سلمته إليكم.

٩٨ - أوشية الراقدين فى أيام الخمسين

سؤال : من أحد الإكليريكيين

هل تجوز الصلاة بأوشية الراقدين فى أيام الأعياد والخمسين المقدسة، فالملاحظ أن بعض الكهنة لا يصلون أوشية الراقدين إلا فى الأصوام، أما فى غير الأصوام فيصلون فى العشيات، أوشية المرضى.

الجواب :

نعم تجوز الصلاة بأوشية الراقدين أو المنتقلين فى أيام الأعياد والخمسين المقدسة، وفى غير الأصوام، كما يجوز أن تقال فى الأصوام سواء بسواء. فنحن لا نتوقف عن الترحم على الراقدين والصلاة من أجلهم فى صوم أو فى عيد، بل يكون من الوفاء لهم فى أيام الأعياد أن نذكرهم بالرحمة، ونطلب لهم الغفران عن خطاياهم وعن كل توانى أو تفريط لحق بهم كبشر سكنوا فى العالم.

أليس عجيبا أننا نذكر الراقدين ونترحم عليهم فى كل قداس، ومع ذلك يوجد من الكهنة من يمتنع عن أوشية الراقدين فى عشية يوم أحد، أو فى أيام الخمسين المقدسة؟.

إن هذا التصرف الغريب من جانب بعض الكهنة تصرف يبدو متعارضا ومتناقضا، ولا تبرير له يتفق مع تعاليم كنيستنا الأرثوذكسية : هل يستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال : لماذا يترحمون على المنتقلين فى قداس الأحد والخمسين المقدسة ويقولون «أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم نيحهم فى فردوس النعيم، فى أورشليم السمائية،...» بينما يمتنع عن أن يقول فى مساء يوم الأحد نفسه وفى رفع بخور عشية أوشية الراقدين التى يطلب فيها الكاهن رحمة للراقدين بنفس العبارات تقريبا...؟

من يستطيع أن يفسر هذا التعارض والتناقض؟ ولعل الغريب أعظم الغرابة أن يمتنع بعض الكهنة عن صلاة أوشية الراقدين على جثمان المتوفى وهو فى الكنيسة بحجة أنه يوم أحد، أو يوم من أيام الخمسين ؟ أنهم يصلون على المتوفى جميع الصلوات المناسبة إلا الصلاة الوحيدة التى تعتبر أهم جميع الصلوات فى تشييع المتوفى وهى صلاة الراقدين ؟ التفسير الوحيد الذى نفسر به هذا التصرف الشاذ واللامعقول هو أنه قد تسرب إلى هذا الفريق من الكهنة، الاعتقاد فى المطهر. لأن الذين يعتقدون فى المطهر يقولون أن الأرواح تكون مطلقة من المطهر فى أيام الأعياد والخمسين المقدسة، ومن ثم فهى فى غير حاجة إلى صلاة الراقدين؟.

لسنا ندرى من أين جاء هذا الفريق من الكهنة بهذا التفريق بين أيام الأصوام وأيام الأعياد فيما يتصل بالترحيم على الراقدين ؟

ليس فى تعليم كنيستنا الأرثوذكسية شئ من هذا. وليس هناك مصدر أرثوذكسي سليم يمكن أن يبرزه أحد، يبرر به هذه التفرقة بين أيام الأصوام وأيام الأعياد. إن الممنوع فى أيام الأعياد هو اللحن الحزين، أما الصلوات نفسها عن الراقدين فهى تقال فى الأصوام كما تقال فى الأعياد سواء بسواء.

جاء فى كتاب الخولاجى المقدس الكبير ـ للثلاثة القداسات، فى مقدمة أوشية الأموات «يتجه الكاهن إلى الشرق أمام الهيكل ويقول أوشية الأموات، فى رفع بخور عشية، وهى هذه».

وأما فى مقدمة أوشية المرضى، فيقول «أوشية المرضى تقال فى صلاة باكر» إذن القاعدة العامة هى أن تتلى أوشية الأموات فى رفع بخور عشية دائماً، وتتلى أوشيه المرضى فى رفع بخور باكر دائما. ولا فرق بين صوم أو عيد فى مراعاة هذه القاعدة التى ينص عليها الخولاجى وهو كتاب الصلوات المعتمد رسميا.

ويقول القمص عبد المسيح صليب المسعودى وهو حجة كبيرة فى الطقس القبطى، وكان من أكبر علماء كنيستنا فى الجيل الماضى، تعليقا على أوشية الأموات، فى نسخة الخولاجى التى أشرف على طبعها علميا، واشترك معه فى طبعها المرحوم اقلاديوس لبيب عام ١٦١٨ للشهداء، ١٩٠٢ ميلادية «أن البعض الآن فى الأيام الفرحية، يقولون أوشية المرضى فى صلاة عشية بدل أوشية الأموات، ولكنا لم نجد ذكر قراءتها فى عشية كما مر، فى أحد الخولاجيات البتة، بل بالعكس، رأينا فى كتاب «ترتيب كل السنة» قديم، أن أوشية الأموات، تقال فى عشية عيد الميلاد وعشية نهار أحد القيامة. وأما عشية عيد الغطاس والصعود والعنصرة فقال : يرفع البخور كالعادة ولم يقل : تقال أوشية المرضى» (كتاب الخولاجى المقدس أى كتاب الثلاثة القداسات ـ المصحح عن يد القمص عبد المسيح صليب، حاشية ٣ صفحتى ٥٦، ٥٧).

وإذن فالقاعدة العامة أن أوشية الراقدين تقال فى جميع العشيات، أى فى كل عشية سواء فى صوم أو فى فطر أو فى عيد فى الأيام الفرحية، وجميع أيام السنة، وفى أيام الآحاد، وفى أيام الخمسين المقدسة.

٩٩ ـ فائدة الألحان الكنسية وأهمية اللغة القبطية (١)

سؤال : يسأل أحد القراء عن فائدة الألحان الكنسية، وعن أهمية الصلاة باللغة القبطية ويرى أن اللغة القبطية هى بعينها اللغة اليونانية :

الجواب :

أما الألحان الكنسية فهى موسيقانا الدينية والتى تعد بلا منازع أجمل، وأقدم، وأعمق موسيقى شرقية. ولقد رأى أفلاطون بحق أن الموسيقى يمكن تقسيمها بصفة عامة إلى ثلاثة أنواع : الموسيقى الحماسية وهى موسيقى الجيش، وما إليها من الأناشيد القومية : ثم موسيقى العواطف الصاخبة وهى التى يعمل بها فى الملاهى والمراقص، وأخيراً الموسيقى الدينية وهى التى تهدف إلى رفع مشاعر الإنسان إلى الخالق، أو التى تبعث فى النفس إحساسات السمو والنبل وسائر الفضائل الأخلاقية.

ولا شك أن موسيقانا الكنسية من النوع الأخير، وإذا خلت منها العبادة استحالت إلى عبارات جافة لا تناسب الإنسان فى كل مراحل العمر، أو فى كل ظروفه النفسية، فالإنسان ليس عقلاً ومنطقاً فحسب، ولكنه إلى جانب هذا شعور وعاطفة وحس. ولو عمد الدين إلى لغة الكلام والعقل وأهمل الحس والشعور والعاطفة، فقد أغفل أبلغ وسيلة إلى التأثير. وأنت تعلم أن العقل قد يعسر عليه الفهم، وقد يرهق، أو يهتم، فيعجز عن المتابعة وتركيز الانتباه، وقد يثور فلا يقتنع، أو يعاند فلا يتفهم. كما قد يكون العابد جاهلا بأصول العلم، فلا يمكنه أن يتابع خطاباً كله كلام، ولا سيما إذا كان كلاماً بلغة عالية، والطفل أيضاً لا يفهم الوعظ أو الخطابة، بل وجميع الناس حتى ولو كانوا من الخاصة، أو من الفلاسفة والعلماء ذوى العقول النافذة الكبيرة.. كل البشر لا يمكنهم أن يحيوا بالعقل وحده، أو يتأثروا بالعقل وحده. فلابد للدين من وسيلة أخرى إلى جانب الوعظ والتعليم، تناسب كل الناس، فى كل المراحل، وفى كل الظروف، وسيلة تجتذب انتباه الكل وتستثير إهتمامهم وتملك عليهم مشاعرهم، وتبلغ إلى أعماق نفوسهم على الرغم منهم.

وأظنك تؤمن معى أن للموسيقى رسالة تؤديها فى قوة وفى يسر معاً، حتى لو كانت بلغة لا تفهمها. فقد تبكى وقد تضحك أو تنام أو تندفع بحماس من تأثير قطعة موسيقية تلعب بمشاعرك وأنت لا تعلم سببا لكل هذا أو معنى هذه القطعة أو تلك.

وأظنك تؤمن معى أن لموسيقى كنيستنا خاصة، أثراً جباراً فى تحريك مشاعر وهز القلوب، فهى تحزننا وتجبرنا على الخضوع والخشوع أحيانا، وعلى التأمل والصمت أحيانا أخرى. هذه الموسيقى التى لو وقعها المرتلون أو المصلون بالدقة التى وضعت بها لأذابت الحديد وألانت الجلمود على ما يقول علماء الموسيقى أنفسهم.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة الثالثة ـ عدد ٨ ـ فى أكتوبر ١٩٤٩م.

وقد لا يقدّر القبطى هذه الألحان أو يشعر بأثرها الحقيقى، فالمصريون لا يذكرون فى كل مرة يشربون الماء فيها أن نهر النيل أعذب مياه العالم بأسره. أما الغربيون الذى يجيئون لبلادنا سواء منهم أصحاب الآذان الموسيقية أو غيرهم. يعجبون لحلاوة ألحاننا الكنسية وعمقها، وأن الذين قرروا فى كتبهم أو أحاديثهم الخاصة مبلغ ما أحسوا به من خشوع لدى سماعها، أكثر من أن نعرض لهم فى معالجة صغيرة كهذه، قصد بها أن تكون رداً على سؤال.

* * *

أما عن اللغة القبطية فهى أولاً لغتنا بوصفنا قبطاً، وفى الوقت الذى يحتج بعضنا عليها، ينكب كثير من العلماء والباحثين وبالأخص فى الغرب على دراستها بشغف زائد. حتى لقد نشرت الصحف من زمن أن بعض العلماء الأمريكيين قام بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة القبطية!!؟.

ولست أجد شعباً نظيرنا فى كل العالم يتساءل عن أهمية احتفاظه بلغته الأصلية، وهى تراث الماضى ورباط الحاضر!!

وهلا ترى معى أنها من أعظم الدعائم التى يستند إليها كيان طائفة صغيرة، تحيا فى كنف أمة كبيرة تخالفها عقيدتها وديانتها؟ وأن إهمالنا للغة القبطية كان من أكبر العوامل التى عمل بها المستعمر الدخيل، فقضى على الفوارق التى كان لابد من بقائها لتكون سوراً يحمى كياننا من الانصداع ووحدتنا من التفكك؟ وهذا كله ـ ولا شك ـ له دخل كبير وأثر خطير فى دين شعب محكوم بأمة تغايره دينها وآدابها، ولسانها.

ومع ذلك فنحن لا نقر الآن أن تتلى الصلوات كلها باللغة القبطية، وإنما يجب أن يتلى بعضها أو أكثرها باللغة العربية إلى أن تعم معرفة اللغة القبطية جميع القبط. ولكننا للأسباب المتقدمة ننكر كل الإنكار أن تلغى اللغة القبطية من معابدنا وندعو بكل جوارحنا إلى بذل الجهود العامة والخاصة لتعلم هذه اللغة، ودراستها سهلة، وممتعة، وضرورية. ولعل تلاوة بعض الصلوات بها خير مثير ومذكر بضرورة تعلمها، ومما يدعونا للتفكر فى أننا قبط وأن لغتنا هى القبطية..

فإذا ما تلى القداس أو أكثره بالعربية لفائدة الذين لا يعرفون القبطية، وحبا فى إزالة العراقيل عن خلاص نفوسهم، فإننا فى الآن نفسه نرى أن الذين يحتجون على اللغة القبطية بعد كل هذا ويزعمون أن اللغة تعوقهم عن حضور الكنيسة، إنما يتعللون بأسباب غير حقيقية. لأننى إذا لم أستطع أن أفهم معنى بعض صلوات بالقبطية بين عشرات من صلوات بلغة أفهمها، فلن يعوقنى هذا البعض عن خلاص نفسى، لأنه يمكن أن أتابع نغماتها بالشعور والخشوع والتأمل والصمت، فليست الصلاة كلها كلاماً وإنما يمكن أن يكون بعضها تأملا وصمتاً وخشوعاً وسكوناً.

ثم أن اللغة القبطية يا عزيزى، ليست هى اللغة اليونانية على ما تقول. فقد أوافقك على أن الحروف القبطية هى الحروف اليونانية، ولكن شتان بين اللغتين. فإذا ما كتبت كلمة عربية بالحروف الإنجليزية، أفهل تصبح بذلك إنجليزية؟ ألست تلجأ لهذا حينما تريد أن تكتب لرجل إنجليزى يجهل الحروف العربية لتستعين بذلك على نطقها، وإن كان سيظل جاهلا بمعناها حتى يتعلم اللغة العربية!؟.

وقد تقول هل أراد القبط أن يفعلوا ذلك ؟ قلت، نعم. فاللغة القبطية هى بعينها اللغة المصرية أو الهيروغليفية القديمة فى آخر مرحلة من مراحلها. وقد كان الخط الذى تكتب به اللغة المصرية يسمى بالخط الديموطيقى. وقد أصبح من المتعذر على القبط أن يترجموا الكتاب المقدس وأن يكتبوا بهذا الخط المعقد فى الوقت الذى كان العالم كله يجيد اللغة اليونانية، فأرادوا ـ لمنفعة الوثنيين واليهود والأجانب فى مصر وخارج مصر ـ أن يكتبوا بالحروف المألوفة، ففعلوا ـ ولكن بقيت اللغة قبطية أو مصرية كما هى، وإن كانت الحروف قد استبدلت بالحروف اليونانية. وليست كلها بل أضافوا سبعة حروف ديموطيقية إلى الحروف اليونانية، هى : شاى، فاى، خاى، هورى، جنجا، اتشيما، تى.

ولا يفوتنا هنا أن أذكر، أن هذه الحروف اليونانية نفسها، قبطية الأصل. فمن الثابت أن المصريين هم أول شعب توصل إلى الكتابة. وظلوا محتفظين بهذا الشرف نحو ألف وثمانمائة عام حتى دخل الهكسوس (الملوك الرعاة) (١) إلى مصر فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر قبل الميلاد. فلما طردهم المصريون ورحلوا إلى فينيقيا فى نحو سنة ١٥٨٠ق.م نقلوا إليها من ضمن ما نقلوا من حضارة المصريين، لغة الكتابة، وهى حينئذ الديموطيقية. وعن الفينيقيين أخذ الكنعانيون والأشوريون والعبرانيون والكوفيون والعرب، ثم اليونان والرومان. ومن هنا ذلك التقارب أو التلاقى الذى يلاحظ بين أصول هذه اللغات عند الدارسين للفيولوجيا (علم دراسة أصول اللغات).

وعلى ذلك فالحروف اليونانية نفسها التى استعارها القبط للكتابة، هى حروف قبطية الأصل، حتى ليمكن أن نعتبرها مرحلة من مراحل الخط المصرى فى تطورها خلال الأجيال.

---

(١) يرى Brogelmann أن الهكسوس من بلاد ما بين النهرين. ويرى King فى كتابه Studies in Eastern History أنهم أعراب من شبه جزيرة العرب، ولكن يذهب الدكتور باهور لبيب مع بعض العلماء إلى أنهم من فلسطين وأنهم عبرانيون.

١٠٠ ـ الموسيقى القبطية (١)

تدلنا الآثار المصرية على أن الشعب المصرى القديم عرف الموسيقى واستجاب لها. وكان يستخدمها فى أوقات لهوه ومرحه وحزنه، وفى الحفلات الدينية واستقبالات الملوك والقواد، وفى شتى المناسبات العامة والخاصة، بل وكان يستعين بها فى أثناء العمل، فيقوى على الكفاح والنضال والنشاط، وكان له مغنون ومغنيات. وكانت هذه الموسيقى صوتية. وقد نقلت إلينا الصور والرسوم المتروكة على الآثار أمثلة للآلات الموسيقية التى كان يستخدمها المصرى القديم. وكان كهنة المعابد المصرية يرتلون صلواتهم بنغمات تطبق على السبعة الحروف المتحركة. وقد أثبت البحث العلمى أن التراث المصرى الموسيقى هو أقدم تراث موسيقى فى العالم.

وللكنيسة القبطية موسيقى جميلة تستخدمها فى طقوسها الدينية، وهى الوريث الشرعى للموسيقى المصرية القديمة، احتفظ بها الشعب المصرى وتمسك بها لأنها تعبر عن إحساساته ومشاعره. ولكن كان لابد للأغانى الدينية أن تتغير كلماتها وألفاظها لتأخذ صياغة مسيحية. أما الأنغام نفسها فأنغام مصرية قديمة. وأكثر الألحان الكنسية القبطية ترتل على حرف واحد أو حرفين من الحروف المتحركة، على نحو ما وصل إلينا من أن كهنة المعابد المصرية كانوا يرتلون صلواتهم بنغمات تطبق على السبعة الحروف المتحركة.

هذه الموسيقى القبطية كانت ومازالت تلقن عن طريق السماع والتسليم الشفاهى من معلم إلى تلميذ، وهى غنية ومتغيرة لمختلف المناسبات ولها سبعة طرق، وتتألف من أنغام لثلاثة قداسات، وما ينوف على ثلثمائة لحن شجى.

ويشهد الموسيقيون بأن الموسيقى الشرقية أقدم وأقوى أثرا من الموسيقى الغربية، كما ثبت أيضاً أن موسيقى الكنيسة القبطية هى أعظم موسيقى فى الشرق كله، ولقد تبين بالبحث أن فيثاغورس Puthagoras (القرن السادس قبل الميلاد) استقى معلوماته الموسيقية من مصر الفرعونية، والسلالم الموسيقية المنسوبة إليه أخذها من مصر التى عاش فيها اثنتين وعشرين سنة.

---

(١) كتب فى ٣٠ من نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٩١م – ٢٠ من هاتور لسنة ١٧٠٨ ش.

وقد قال الموسيقار الإنجليزى الأستاذ نيولاند سميث Newlandsmith وهو الأستاذ سابقاً بالأكاديمية الملكية للموسيقى بلندن والمدون اسمه فى جميع الموسوعات الموسيقية - والذى استحضره الأستاذ الدكتور الفنان راغب مفتاح، رئيس قسم الألحان والموسيقى القبطية بمعهد الدراسات القبطية، وكان قد سافر إلى إنجلترا فى سنة ١٩٢٧م خصيصا لهذا الغرض، وأبرم معه عقداً لتدوين الموسيقى القبطية بالنوتة الموسيقية، نقول : لقد قال نيولاندسميث بعد أن جاء إلى مصر، واستمع للموسيقى القبطية: «إن الموسيقى القبطية واحدة من العجائب السبع» وأعلن هذا فى حفل كبير وأمام جمهور كبير من الناس، ومن بين ما قاله هذا الموسيقار الشهير إن الألحان القبطية لو وُقعت بدقة فى أنغامها الأصيلة لأذابت الحديد. فألحانها الحزينة تبكى الحديد وألحانها الفرحية تجعله يقفز فرحاً.

وقد جاء يوماً إلى مصر عظيم من أوربا وطلب إلى البابا البطريرك أن يحضر قداسا قبطيا، فأمر البابا البطريرك أن يتاح لهذا العظيم الأوربى أن يحضر قداسا أقامه أحد الكهنة الموهوبين، فبهر الرجل من تأثير نغمات القداس القبطى وألحانه ومرداته، ورجع إلى البابا البطريرك، وقد قطع على نفسه عهداً بأن يبشر بجمال ألحان الكنيسة القبطية وأنغامها وعظمة تأثيرها فى النفس، أينما ذهب. وشهدت سيدة جاءت من سكوتلاند SCOTLAND وكانت قد طلبت أن تحضر قداسا قبطيا، بأنها وقفت فى الكنيسة تتابع الصلوات والأنغام وهى مبهورة لا تكاد تقوى على الحراك من شدة تأثرها، وقالت لصديقتها القبطية : إنه لتأثير إلهى عجيب. إننى لم أسمع سابقاً فى أى كنيسة أخرى ما سمعته فى كنيستكم القبطية، أيا ليتنى أستطيع أن أحفظ هذه الألحان، والأنغام الجميلة المؤثرة.

ويقول الفنان الكبير الأستاذ الدكتور راغب مفتاح الذى وهب حياته للحفاظ على هذا الفن الموسيقى القبطى العريق، إنه اشتغل مع الموسيقار الكبير نيولاندسمث الذى استحضره خصيصا لهذا الغرض، من عام ١٩٢٨ إلى سنة ١٩٣٦، ودوّن نوتة الألحان والموسيقى القبطية فى ستة عشر مجلداً. يقول لقد احضرنا العرفاء المرتلين المرموقين من جميع أنحاء بلادنا المصرية، فلم نجد أقدر استيعابا لكل هذه الألحان من المعلم ميخائيل جرجس البتانونى الذى وصفه الموسيقار نيولاندسميث بالمعلم العظيم The great master فقد كان المعلم ميخائيل جرجس يؤدى الأنغام فى وقتها بالضبط exactly in time وكان يفهم ما يقوله بدقة كبيرة، وإذا ردد حرفا أو مقطعا عدة مرات فلا تلمس الأذن الموسيقية أى تغيير على الإطلاق. وقد قال الأستاذ نيولاندسميث إن الأمر يحتاج إلى ثلاثة أجيال Generations حتى يدرك القبط أهمية هذا العمل، وتمتاز الكنيسة

القبطية فى ترتيبها وطقوسها الرائعة بأنها وضعت لكل موسم ولكل عيد من الأعياد السيدية الكبرى والصغرى، فضلاً عن مواسم الأصوام العامة، الطقس الخاص بها، والألحان والأنغام المناسبة لهذه الأعياد والأصوام والمواسم المختلفة والمتحركة على مدار السنة القبطية بصورة تعبر تعبيرا عميقا عن الأحداث، بما يثير فى النفس البشرية مشاعر التقوى والخشوع والعبادة والروحانية العالية.

ولقد شهد أعلام الموسيقى بروعة الألحان القبطية، وأشادوا بجمالها والأثر العميق الذى تتركه فى نفس من يستمع إليها.

وقد قال البروفيسور نيولاندسميث فى إحدى محاضراته «أعطنى صوت كاروزو CARUSO لإنشاد الألحان القبطية، وأنا أحطم أسوار أريحا» والإشارة هنا إلى ما جاء فى الكتاب المقدس فى سفر يشوع بن نون (٦ : ١ – ٢٠).

وكثير من علماء الموسيقى العالميين الذين تعرفوا على هذه الموسيقى القبطية، أقروا فى مقالاتهم عنها أنها سليلة الموسيقى المصرية القديمة الفرعونية، ومنهم البروفيسور جلسبى GILLESPIE أستاذ الموسيقى فى جامعة كاليفورنيا CALIFORNIA ومس مارجريت توت MARGRETHE TÖTH

١٠١ ـ قوانين الكنيسة تأمر
لا تدخل إمرأة حائض إلى الكنيسة
(لكنها لا تمتنع عن الصلاة والتسبيح فى البيت) (١)

سؤال: جاءنا من أحد الآباء الكهنة إننا نواجه أثناء لقائنا بالناس أو زيارتنا لهم أن البعض يعتبر التمسك بما جاء فى شريعة العهد القديم فيما يتعلق بنجاسة المرأة الطامث وشريعة التطهير نوعاً من الردّة إلى الديانة اليهودية، ويعتبر أن هذا الأمر ضد نصوص الإنجيل الذى ينص صراحة على عدم التمسك بهذه الأمور حسب النصوص الآتية.

(أما الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم حيناً بعيدين، صرتم قريبين بدم يسوع المسيح. لأنه هو سلامنا الذى جعل الإثنين ـ اليهود وغير اليهود ـ شعباً واحداً، وهدم بجسده حائط السياج الحاجز الذى يفصل بينهما، أى العداوة، وأبطل بجسده شريعة الوصايا وما فيها من أحكام) (أفسس ٢: ١٣-١٥).

وقوله (وإذ كنتم أمواتاً بخطاياكم، وبكونكم غيرّ مختونين فى أجسادكم فأحياكم الله معه (مع المسيح) وصفح لكم عن جميع خطاياكم. ومحا الصكّ الذى علينا فى الفرائض، والذى كان ضداً لنا، وأزاله من الوسط مسمّراً إياه على الصليب) (كولوسى ٢: ١٣، ١٤).

وقوله: (فأما وقد مُتّم مع المسيح عن أركان العالم، فلماذا كما لو كنتم عائشين فى العالم تخضعون أنفسكم لمثل هذه الفرائض؟: لا تَمَسّ، ولا تذُق، ولا تَجُسّ. وتلك كلها أشياء تؤول بالاستعمال إلى الزوال. إنها حسب وصايا الناس وتعاليمهم، التى لها مظاهر الحكمة لما فيها من افراط فى العبادة المصطنعة، وإذلال للذات، وقهر للجسد، أمور لا قيمة لها، لأنها غير صالحة إلا لإرضاء الميول البشرية) (كولوسى ٢: ٢٠-٢٣).

الـجـواب:

أما النصوص الواردة فى بعض أسفار العهد الجديد فهى لبيان أهمية الخلاص الذى تم بموت المسيح الفادى، وهو المرموز إليه فى الذبائح المأمور بها فى الشريعة الإلهية، منذ أخطأت حواء وآدم بأكلهما من الشجرة المنهى عنها، فصدر عليهما الحكم بالموت (لا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت) (التكوين ٢: ١٧).

---

(١) كتب فى الجمعة ٢ من اكتوبر ـ تشرين أول لسنة ١٩٩٢م – ٢٢ من توت ١٧٠٩ش.

وما جاء فى الرسالة إلى أهل أفسس وهم من آمنوا بالمسيح من الأمم غير اليهودية، ومن كان اليهود يحسبونهم أنجاساً، وهالكين، وليس لهم خلاص حتى لو تديّنوا بالديانة اليهودية، وكانوا لذلك يسمونهم (دخلاء) (أعمال الرسل ٢ : ١٠)، (١٣ : ٤٣)، (٦ : ٥)، وكان هؤلاء الدخلاء وهم من الوثنيين أصلاً لم يكن يباح لهم الاشتراك فى شعائر عيد الفصح إن لم يختتنوا (سفر الخروج ١٢ : ٤٨). وكانوا فى ذلك فريقين: فريقاً يقبلون الختان وتقديم الذبائح والعبادة اليهودية بفروضها وطقوسها، وفريقاً آخر يرفضون الختان ولكنهم يحفظون الفرائض اليهودية. سواء هؤلاء أو أولئك، فإن اليهود المتشدّدين والفريسيين كانوا يعدونهم هالكين، وبعداء عن رعوية إسرائيل، ولذلك لم يكن يسمح لهم بالاختلاط باليهود المتعبدين فى الهيكل، وكان لهم رواق خاص بهم فى الدار الخارجية يسمى (رواق الأُمم) وكان مكتوباً عليه باللغات اليونانية واللاتينية (الرومانية) إن من يتعدى منهم رواق الأمم إلى رواق إسرائيل يُقتل.

ففى الرسالة إلى أفسس يوجه الخطاب المطمئن إلى هؤلاء الأمم من غير اليهود الذين آمنوا بالمسيح، (اذكروا أنكم كنتم فى ذلك الوقت من دون المسيح، أجنبيين عن رعوية إسرائيل، وغرباء عن عهود الموعد، لا رجاء لكم... أما الآن، فى المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم حيناً بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح) (أفسس ٢ : ١٢، ١٣) **إنهم صاروا بإيمانهم بالمسيح قريبين من الله بعد أن كانوا قبل الإيمان بعيدين.** (أما الآن فى المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم حيناً بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح، لأنه هو سلامنا الذى جعل الإثنين - اليهود وغير اليهود - شعباً واحداً). والمقصود بالإثنين هو اليهود والأُمم غير اليهودية، وقد صاروا فى المسيح واحداً (ولا فرق الآن بين يهودى وغير يهودى، بين عبد وحرّ، بين رجل وإمرأة لأنكم أنتم جميعاً واحد فى المسيح يسوع) (غلاطية ٣ : ٢٨) ثم إنه أى المسيح (نقض حائط السياج الحاجز الذى يفصل بينهما، أى العداوة) والإشارة هنا إلى الحاجز الذى كان يفصل بين المكان الخاص باليهود والمكان الذى يؤذن للوثنيين (الدخلاء) المتعبدّين بالدخول إليه (أعمال الرسل ٢١ : ٢٨).

أما أن المسيح الفادى قد أبطل بجسده شريعة الوصايا وما فيها من أحكام، **فهى الوصايا التى كانت تفصل بين اليهود والأمم، وهى الختان وحفظ السبت، والتى أمر المجمع الرسولى الذى انعقد فى أورشليم أن يعفى المهتدون من الأمم غير اليهودية من الالتزام بها** (فقد حسُن لدى الروح القدس ولدينا، أن لا نحملكم من الأثقال إلا

مالابد منه، أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام، وعن الدم والحيوان المخنوق، والزنى. فإذا صُنتم أنفسكم منها، فحسنا تفعلون. كونوا معافين) (أعمال الرسل ١٥ : ٢٨، ٢٩).

ثم يُضيف قائلاً (ويصالح بينهما وبين الله، فى جسد واحد بصليبه، وقد قضى على العداوة فيه... **فلستم إذن بعد اليوم غرباء ولا نزلاء بل أنتم مع القديسين رعية واحدة ومن أهل بيت الله، وقد بُنيتهم على أساس الرسل والأنبياء، والمسيح يسوع نفسه هو حجر الزاوية**، لأن به يتماسك البنيان كله، وينمو ليكون هيكلاً مقدساً فى الرب) (أفسس ٢ :١٦، ٢١). **ففى المسيح، وبدم المسيح انحلت العداوة بين اليهود والأمم غير اليهودية، وصار الإثنان واحداً فى المسيح، واتحد الجميع فى بنيان واحد، وصار هيكل البناء واحداً يجمع بين اليهود وغير اليهود**، وهذا بفضل الفداء وعمل الكفارة والخلاص الذى تممه المسيح فى موته على الصليب.

والنص الآخر من رسالة كولوسى يؤكد على نفس المعنى، فأهل كولوسى وهم من الأمم غير اليهودية، فآمنوا بالمسيح، وانضووا تحت لوائه بالمعمودية فنالوا الخلاص من خطاياهم السابقة (كنتم أمواتاً بخطاياكم، وبكونكم غير مختونين فى أجسادكم) شأنكم شأن جميع بنى آدم (من أجل ذلك، كما أن الخطيئة دخلت فى العالم بإنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، هكذا سرى الموت إلى جميع الناس، لأنهم جميعهم خطئوا فيه) وهو آدم (رومية ٥:١٢) ثم أحياكم الله معه (أى مع المسيح)، لقد دفنتم معه فى المعمودية، **ثم أحياكم وصفح عن جميع خطاياكم السابقة، وبموته نائباً عن البشر محا الصك الذى علينا**، هذا الصك والإقرار بالدين علينا المكتوب ضدنا والمطلوب منا وفاءه، **فدفع المسيح بموته عنا الدين المفروض علينا، وبذلك، أى بعمل الفداء، محا الصك وألغاه، فصرنا أحراراً غير مستعبدين، إذ دفع المسيح الدين عنا، فلم نعد مطالبين بالدين الذى كان علينا**، وهذا بفضل عمل المسيح الكفارى، **وأزاله من الوسط** كعائق بيننا وبين الله، وبين اليهود والأمم غير اليهودية، **مسمراً إياه على الصليب** أى أنه بالصليب أبطله وقتله، وألغى شوكته، فمات عنا بموت المسيح وصليبه، ولم نعد نحن مطالبين به.

أما قوله للمؤمنين المسيحيين من أهل كولوسى (فأما وقد متم مع المسيح عن أركان العالم، فلماذا كما لو كنتم عائشين فى العالم تُخضعون أنفسكم لمثل هذه الفرائض؟: لا تَمَسّ، ولا تَذُق، ولا تَجُسّ، وتلك جميعها أشياء تؤول بالاستعمال إلى الزوال. إنها حسب وصايا الناس وتعاليمهم.

لها مظاهر الحكمة لما فيها من إفراط في العبادة المصطنعة وإذلال للذات، وقهر للجسد، أمور لا قيمة لها، لأنها غير صالحة إلا لإرضاء الميول البشرية) (كولوسى ٢ : ٢٠، ٢٣) فلعل الإشارة هنا إلى تعاليم بعض المذاهب غير المسيحية والهرطقية منها (المانوية) التى أشار إليه الوحى الإلهى فى الرسالة الأولى إلى تيموثيئوس (والروح يقول صريحاً إن قوماً يرتدون عن الإيمان فى الأزمنة الأخيرة، ويتبعون أرواحاً مضلة وتعاليم شيطانية، لقوم مرائين كذابين، موسومة ضمائرهم، ويمنعون عن الزواج وعن أنواع من الأطعمة قد خلقها الله، فيتناولها بالشكر الذين آمنوا وعرفوا الحق. فكل ما خلق الله حسن، ولا يرفض شىء إذا أُخذ مع الشكر. لأنه يُقدس بكلمة الله والصلاة) (١ .تيموثيئوس ٤ :١-٥) . فقد ظهر (مانى بن فاتك) فى القرن الثالث (٢١٥ـ ٢٧٦)م يفرق ويميز بين مأكولات يقول إنها من صنع إله الشر والظلمة، ومنها اللحوم ومستخرجاتها من بيض وحليب وجبن، ومأكولات أخرى يقول إنها من صنع إله الخير والنور، وهى الخبز والحبوب والبطيخ... على الأخيار من أتباعه أن يمتنعوا عن المأكولات التى هى من صنع إله الشر والظلمة، فإذا أكلوا منها فقد تنجسوا وهلكوا فى العذاب.

ويمكن أيضاً أن يمتد هذا التقريع إلى **غلاة اليهود المتشددين فى الشكليات والظواهر دون جوهريات الديانة**، ممن عاب عليهم المسيح له المجد منهجهم **فى الانصراف إلى شكليات الديانة دون جوهرياتها** من ذلك قوله تعالى للكتبة والفريسيين. (**لماذا تخالفون وصية الله من أجل تقليدكم**. فقد أوصى الله قائلاً: أكرم أباك وأمك، ومن سب أباه أو أمه فليمت موتاً. أما أنتم فتقولون إن من قال لأبيه أو أمه قد وهبت قرباناً للرب كل معونة مستحقة لك عندى. **فليس عليه أن يكرم أباه أو أمه. ومن ثم أبطلتم وصية الله من أجل تقليدكم**. أيها المراؤون، لقد أحسن إشعياء إذ تنبأ عنكم قائلاً: إن هذا الشعب يتقرب إلىّ بفمه ويكرمنى بشفتيه، وأما قلبهم فبعيد عنى. **فعبثاً عبادتهم لى ماداموا من وصايا الناس يستمدون تعاليمهم**) . (متى ١٥ :٣، ٩) . أنظر (إشعياء ٢٩ :١٣) . وقد أشار إليها الوحى الإلهى محذراً فى رسالة القديس بولس إلى القديس تيطس ووصفها بأنها (**خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق**) (تيطس ١ :١٤)، (١ . تيموثيئوس ١، ١٤) (٤ :٧)، (٢ . تيموثيئوس ٤ : ١٤) .

وقال المسيح له المجد للكتبة والفريسيين من اليهود (الويل لكم **أيها القادة العميان** القائلون إن من أقسمَ بالهيكل فلا عليه، وأما من أَقسمَ بذهب الهيكل فقد التزم بقسمه... الويل لكم أيها

الكتبة والفريسيون المراؤون **لأنكم تؤدون عشور النعنع والشبث والكمون وأغفلتم جوهريات الشريعة، وهى العدل والرحمة والإيمان......**) (متى ٢٣ :١٦ – ٢٣).

وجاء فى الإنجيل للقديس مرقس (إن الفريسيين وسائر اليهود لا يأكلون مالم يغسلوا أيديهم مراراً، متمسكين فى ذلك بما تسلموه من الشيوخ. وإذا عادوا من السوق لا يأكلون مالم يغتسلوا، وغير ذلك **الكثير من الأمور التى تسلموها وتمسكوا باتباعها كغسل الكؤوس والأباريق والأوانى النحاسية والأسرّة**. ومن ثم سأله الفريسيون والكتبة قائلين (لم لا يسير تلاميذك **على مقتضى سنن الشيوخ**، وإنما يأكلون الطعام بأيد نجسة؟) فأجابهم قائلاً: (لقد أحسن إشعياء إذ تنبأ عنكم أيها المراؤون فيما هو مكتوب إن هذا الشعب يكرمنى بشفتيه وأما قلبهم فبعيد عنى، فعبثاً عبادتهم لى **ماداموا يُعلّمون مبادىء مستمدة من وصايا الناس، لأنكم تهملون وصية الله وتتمسكون بما تسلمتموه من الناس كغسل الأباريق والكؤوس وكثير من مثل هذه الأمور التى تفعلونها. ثم قال لهم (إنكم رفضتم وصية الله كل الرفض لتحفظوا سُننكم... مبطلين كلام الله بسِننكم التى تسلمتموها**، ومثل ذلك أشياء كثيرة تفعلونها) (مرقس ٧ :١ – ١٣).

إذن فهذا هو المقصود والمعنى مما جاء فى الرسالة إلى أهل كولوسى (فلا يحكم عليكم أحد فى المأكول والمشروب أو فى الأعياد والأهلة والسبوت، فما هذه كلها إلا ظل الأمور المستقبلة. أما الحقيقة فهى المسيح... فأما وقد مُتّم مع المسيح عن أركان العالم، فلماذا كما لو كنتم عائشين فى العالم، تخضعون أنفسكم لمثل هذه الفرائض: لا تَمَسَّ، ولا تَجُسَّ، وتلك جميعها تؤول بالاستعمال إلى الزوال. إنها حسب وصايا الناس وتعاليمهم، لها مظاهر الحكمة لما فيها من إفراط فى العبادة المصطنعة، وإذلال للذات، وقهر للجسد، أمور لا قيمة لها، لأنها غير صالحة إلا لإرضاء الميول البشرية (كولوسى ٢ :١٦ – ٢٣).

وعلى ذلك، وبناء على ما سبق إيضاحه من أقوال السيد المسيح له المجد، **لا يجوز أن تُستغل تلك النصوص لنقض النصوص الإلهية المقدسة المأمور بها صراحة فى شريعة المرأة الطامث.**

(وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بنى إسرائيل وقل لهم: أية إمرأةٍ حبلت فولدت ذكراً فلتكن نجسة سبعة أيام كحكم أيام طمثها يكون حكم نجاستها... وثلاثة وثلاثين يوماً تقيم فى دم تطهيرها. **كل شىء مقدس لا تمسّ، وإلى المقدس لا تجىء حتى تتم أيام**

تطهيرها. فإن ولدت أنثى فلتكن نجسة أسبوعين كما في طمثها. وستة وستين يوماً تقيم في دم تطهيرها. وعند إتمام أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة **تأتي**.... **إلى الكاهن**... ويكفر عنها فتطهر من سيلان دمها. هذه شريعة الولادة للذكر والأنثى...) (سفر اللاويين ١٢ :١– ٨).

وجاء في موضع آخر (وأى إمرأة كان بها سيلان بأن يسيل دم من جسدها فلتقم سبعة أيام في طمثها. وكل من لمسها يكون نجساً إلى المغيب وجميع ما تضجع عليه في طمثها يكون نجساً، وجميع ما تجلس عليه يكون نجساً...) (اللاويين ١٥ :١٩، ٢٠).

فإن المسيح له المجد قال صراحة إنه **لم يبطل بمجيئه شريعة العهد القديم السابقة على مجيئه، لسبب واضح وبسيط هو أن الله هو واضع الشريعة فكيف ينقضها أو يُبطلها؟ (أفنُبطِلُ الشريعة بالإيمان، حاشا، بل نُثبِّت الشريعة)** (رومية ٣ :٣١).

وقال المسيح له المجد **(لا تظنوا أنى جئت لأنقض الشريعة أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأتمم. فالحق أقول لكم إنه إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة)** (متى ٥ :١٧، ١٨)، (لوقا ١٦ :١٧).

وقال المسيح له المجد، للرجل الأبرص بعد أن شفاه من برصه (اذهب إلى الكاهن، أره نفسك، وقدم عن تطهيرك القربان الذى أمر به موسى) (مرقس ١ :٤٤)، (متى ٨ :٤)، (لوقا ٥ :١٤).

هكذا **صنعت العذراء القديسة مريم**، صعدت إلى الهيكل بعد أربعين يوما من ولادتها ليسوع المسيح، حملته على ذراعيها، وذهبت به ومعه يوسف النجار لتقدمه للرب، **ولتقدم عن نفسها ما أمرت به الشريعة لتطهير الأم النفساء، بعد إتمام أيام تطهيرها**، وهى أربعون يوما إن كان ولدها ذكراً، وثمانون يوما إن كان مولودها أنثى (اللاويين ١٢ : ٢–٥).

قال الإنجيل (ثم لما تمت أيام التطهير على مقتضى شريعة موسى صعدوا به إلى أورشليم ليقدماه للرب... **وليقدما الذبيحة التى تفرضها شريعة الرب**، وهى زوجا يمام أو فرخا حمام) (لوقا ٢ :٢٢–٢٤، ٢٧، ٣٩).

وهنا نقف لنتساءل: لماذا **ذهبت العذراء إلى الهيكل تحمل المسيح على ذراعيها بعد أربعين يوما من ولادتها له**؟ ولماذا قدمت زوجى اليمام أو فرخى الحمام عنها وهى العذراء الطاهرة التى حملت بالمسيح من غير زرع بشر، وعن ابنها وهو قدوس القديسين؟.

ليس هناك غير تفسير واحد: **هو أن العذراء صنعت ذلك خضوعاً منها للشريعة الإلهية حتى وهى تعلم أنها ولدت المسيح يسوع من غير دنس الخطيئة.**

إن الله الذى وضع الشريعة كيف يهدمها؟ وإذا كان هو الذى أمر بها فكيف ينقضها؟.

إن شريعة العهد الجديد لم تهدم شريعة العهد القديم، إنما تتممها. والتتميم قد يقتضى إحداث تغيير فى الشكل لا فى الجوهر، بمعنى أن شريعة العهد القديم أمرت بتقديم ذبيحة من الحيوان والطير للتكفير عن الخطيئة، ولكن ذبيحة الحيوان لم تكن مقصودة إليها لذاتها، لأن الحيوان ـ وهو أقل مرتبة من الإنسان ـ لا يكفر فى الواقع عن خطيئة الإنسان، وإنما كل قيمة الذبيحة الحيوانية أنها إشارة ورمز إلى الفادى الحقيقى الذى لم يكن قد أتى بعد، فقيمتها إذن مؤقتة، وموقوتة بمجىء الفادى والمخلص. من هذا **فما كان يرمز إلى ذبيحة المسيح قد تم إبداله بذبيحة المسيح. وذبيحة المسيح ننال استحقاقاتها فى المعمودية (للتكفير عن الخطيئة الأصلية التى نولد بها) ونتال استحقاقاتها فى سر القربان (للتكفير عن الخطايا الفعلية اليومية). وفيما عدا هذا فلا تغيير فى إلتزامنا نحن أبناء العهد الجديد بشريعة العهد القديم.**

نقول هذا توكيداً على أن **المرأة فى العهد الجديد كانت لا تزال ملتزمة بشريعة الله بأن تظل بعيدة عن الأقداس والمقادس طوال مدة نفاسها. فإذا تمت أيام تطهيرها تأتى إلى الكاهن، فيقرأ على رأسها التحليل الخاص بذلك، والمدون بكتاب التعميد، وبعد ذلك تدخل إلى الكنيسة، وتتقرب من المائدة الربانية.**

على أنه مما يجدر التنبيه إليه هو أن **شريعة التطهير بالنسبة للمرأة النفساء أو الحائض، ترتبط جوهرياً بالخطيئة الأصلية، التى تنتقل لوثتها إلى كل الجنس البشرى بالتوالد (بالإثم حُبل بى وبالخطايا اشتهتنى أمى)** (مزمور ٥٠:٥) **وإلا فلماذا كانت المعمودية ضرورية لكل طفل مولود حديثاً على الرغم من أنه لم يخطأ بعد خطيئة فعلية؟.**

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤ـ٤٣٠) فى تفسير المزامير تعليقاً على قول النبى داود (بالإثم حبل بى، وبالخطيئة اشتهتنى أمى): (هل ولد داود من زنى؟ إذن فلا يمكن أن تكون هذه الآثام التى حبل به فيها سوى الآثام التى انحدرت إليه من آدم... وقد قال أيضاً نبى فى

موضع آخر (ليس أحد طاهراً فى عينيك، حتى الطفل الذى عمره يوم واحد على الأرض) لأننا نعرف عن معمودية المسيح أن الخطايا تنحل، وأن معمودية المسيح نافعة لمغفرة الخطايا. **فإن كان الأطفال مبررين، فلماذا تركض بهم أمهاتهم إلى الكنيسة ؟ ماذا يُغفر بتلك المعمودية ؟ ماذا تَغسِل المعمودية ؟ ماذا تحله تلك النعمة ؟ إنها تحل عقاب الخطيئة ؟**. لأنه لو استطاع ذلك الطفل الرضيع أن يتكلم لقال لك، لو كان له فهم داود لأجابك قائلاً: لماذا تهتم بى أنا الطفل الرضيع ؟... لأننى بالإثم حبِل بى، وبالخطايا غذتنى أمى فى البطن... إذن فكيف يمكن أن يولد بدون رباط الخطيئة من حبِل به وزرع فى جسد ميت بسبب الخطيئة؟ **إن اجتماع الرجل وزوجته ليس فيه خطيئة، لكن أصل الخطيئة ينجم عن قصاص واجب**... لهذا لاق أن يُقال (لأنه فى آدم يموت الجميع) (١. كورنثوس ١٥ :٢٢) وكما يقول الرسول (من أجل ذلك، كما أن الخطيئة دخلت فى العالم بإنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، وهكذا سرى الموت إلى جميع الناس، لأنهم جميعهم خطئوا فيه (رومية ٥:١٢) وهكذا القول (فى آدم أخطأ الجميع) واضح ومحدد. إذن **فلا يمكن أن يولد طفل برىء إلا هذا الطفل الواحد الذى لم يولد من عمل آدم (وهو المسيح)** .

ويقول الشهيد قبريانوس (٢١٠-٢٥٨) من آباء القرن الثالث (قُطعت رأسه سنة ٢٥٨م) فى رسالته المجمعية إلى فيدوس Fidus والتى ترجع إلى سنة (٢٥١- ٢٥٢م) **(إن الطفل، المولود حديثاً لم يرتكب خطيئة، إلا أنه إذا ولد فى الجسد من آدم، فقد أصابته عدوى الموت القديم ولادته... وخطاياه التى تغفر له ليست هى خطاياه هو، بل هى خطايا آخر)** .

والفرق بين الرجل والمرأة فى هذا الصدد هو أن جسم المرأة يظل يفرز إفرازات كثيرة من مخاط ودم وأخلاط أخرى تتعفن، فتجعل جسمها غير طاهر أى غير نظيف، طوال مدة نفاسها، ومن ثم **فلا يليق بها أن تدخل المقادس، وإلا حُسب اقتحامها استهتاراً بالأقداس، والمواضع المقدسة، وعدم مبالاة بالقداسة الإلهية**.

جاء فى القوانين الكنسية **(إلا أنهن لا ينبغى أن يتركن التسبيح فى بيوتهن، وذكر الله، وإن كن حائضات**، لكى يختلى العدو بهن، ويلهمهن المعصية، ويميلهن إلى طريق الباطل) (عن كتاب الطب الروحانى للأنبا ميخائيل اسقف اتريب ومليج) .

ولو كان للرجل ظروف المرأة، لكان في هذه الحالة قانونه قانون المرأة سواء بسواء، لأنه فى المسيح (لا فرق بين رجل وإمرأة) (غلاطية ٣:٢٨).

جاء فى الكتاب المقدس بالنسبة للرجل أيضاً (**أى رجل كان بجسده سيلان فهو نجس...**) كل فراش يضجع عليه يكون نجساً، وكل ما يجلس عليه من الأمتعة يكون نجساً، وأى إنسان مس مضجعه... ومن جلس على ما يجلس عليه صاحب السيلان... ومن لمس جسد صاحب السيلان.... **وإذا طهر من سيلانه... يغسل ثيابه، ويرحض بدنه بماء حى، فيطهر)** (سفر اللاويين ١٥:١-١٥).

هذا هو التعليم الذى تعلم به الكنيسة الأرثوذكسية منذ الابتداء.

فقد جاء فى القوانين الرسولية كما نقلها إلينا هيبوليتوس Hippolytus (١٧٠ـ ٢٣٥)م **(المرأة التى تلد، لتقم) خارجاً عن الموضع المقدس، إن كان الذى ولدته ذكراً، أربعين يوماً، وإن كانت أنثى فثمانين يوماً)** (قانون ١٨). وجاء فى كتاب (مجموع القوانين) الذى جمعه الصفى ابن العسال (إن المولود إذا **خيف عليه من الموت قبل طهر أمه من دم نفاسها، فليدخل الكنيسة مع غيرها ويعمد** لأن المرأة التى تلد **تبقى بعيدة عن الموضع المقدس أربعين يوماً إن ولدت ذكراً، وثمانين يوماً إن ولدت أنثى)** . (القوانين للصفىّ ابن العسال، والباب الثالث ـ طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض صفحة ١٦ حاشية ١).

وقد جاء هذا التعليم واضحاً فى جميع مصادرنا الكنسية عبر كل العصور، مستندة كلها إلى شريعة الله كما جاءت فى سفر اللاويين (١٢: ١-٥).

وجاء فى مقال للأنبا أثناسيوس أسقف قوص فى القرن الثانى عشر:

(أيها الحبر المؤتمن على الشريعة... إن أحضروا إليك طفلاً يقصدون عماده **قبل طهر أمه**، فعمده عاجلاً، ولو كان ابن يومه، ومرهم يا إمام **ألا ترضعه أمه... إلى ثلاثة أيام)** (اللآلىء النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة للقمص يوحنا سلامه، الجزء الثانى، الفصل السادس، الطبعة الثانية، صفحة ٥١ ـ وكتاب (القوانين) لابن العسال، الباب الثالث طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض صفحة ١٦، ١٧).

ويقول العلامة يوحنا بن زكريا الشهير بابن السباع.

(رتبت الآباء أن **كل طفل ذكر يولد، فبعد تطهير والدته من أيام نفاسها أى بعد مدة أربعين يوماً، يعمد بلا تأخير. وكل طفلة أنثى بعد ثمانين يوماً، مدة تطهير**

والدتها، تُعمد أيضاً. وهذا لئلا يفوتهم ملكوت الله) (الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة صفحة ٥٠).

وجاء فى كتاب (قانون الكنيسة القبطية أى كتاب الخلاصة القانونية فى الأحوال الشخصية لكنيسة الأقباط الأرثوذكسيين للإيغومينوس فيلوثاؤس إبراهيم).

(أن يمتنع الرجل عن زوجته أيام نفاسها، أعنى **أربعين يوماً إن كان المولود ذكراً، وثمانون إن كان أنثى، بحيث لا تدخل (المرأة) الكنيسة إلا بعد تمام أيام النفاس وحينئذ تمضى للكنيسة بعد أيام نفاسها ليبارك عليها الكاهن، ويمسحها بالزيت المقدس، وكذا فى أيام حيضها لا تدخل الكنيسة)** (لاحظ اللاويين ١٢:١-٥) (كتاب قانون الكنيسة القبطية أى كتاب الخلاصة القانونية فى الأحوال الشخصية لكنيسة الأقباط الأرثوذكسيين للإيغومينوس فيلوثاؤس إبراهيم، الفصل الأول، المسألة العشرون، طبعة سنة ١٩٣٣ صفحة ٢٧ ـ المتن، والحاشية صفحة ٢٨).

وجاء فى كتاب (المعمودية المقدسة) المستخدم فى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية ما يقوله الكاهن فى صلاة التحليل على أم الطفل حتى يسمح لها بدخول الكنيسة والمواضع المقدسة بعد إتمام مدة نفاسها المنصوص عليها بالنسبة لمولودها إذا كان ذكراً أو أنثى.

(أيها السيد الرب الإله القادر على كل شيء، الذى أمر عبده موسى فى الشريعة **وعرفه حدود الطهارة الواجبة على كل النساء اللواتى يلدن، أن يلبثن أياماً قلائل كما رسمت لهن... لا يلمسن شيئاً من قدسك...** كذلك أيضاً يا سيدنا نطلب ونتضرع إلى صلاحك، عن أمتك هذه التى حفظت شريعتك، وأكملت وصاياك، **واشتهت أن تدخل إلى موضع قدسك، وتسجد أمام هيكلك، مشتاقة إلى التناول من أسرارك المحيية...** بارك عبدتك وطهرها، وحاللها من كل نجاسة غريبة من طهرك، **ولتستحق شركة أسرارك المقدسة بغير وقوع فى دينونة.**

(وبعد قراءة التحليل والبركة يدهن الكاهن المرأة بالزيت، وتدخل إلى البيعة، وتنال من الأسرار المقدسة).

وجاء فى القانون الثانى **من قوانين البابا ديونيسيوس المعترف،** البابا الرابع عشر من بطاركة الكرسى المرقسى (٢٤٦ ـ ٢٦٤)م.

(فى ما يتعلق **بالنساء الحائضات، فيما إذا كان يجب أن يدخلن بيت الله مادمن فى تلك الحالة،** أظن أنه ليس من الضرورى حتى أن يطرح هذا السؤال، فإنى أعتقد أنهن

أنفسهن، إذا كن مؤمنات وتقيات لا يجبرون عليها يكن فى هذه الحالة، على أن يقترين من المائدة المقدسة أو يلمسن جسد المسيح ودمه، لأنه حتى المرأة نازفة الدم لإثنى عشر عاماً لم تلمسه فعلاً لكى تشفى، ولكنها لمست فقط هدب ثوبه. ليس ثمت اعتراض على أن يصلى الواحد، مهما يكن من أمره، أو على أن يذكر الرب فى أى وقت، وفى أيه حال، ويلتمس أن يجد عوناً، **ولكن إذا لم يكن طاهراً كله فى النفس والجسد يجب أن يُمنع من أن يتقدم إلى أقداس الأقداس) .**

The Rudder of the Orthodox Christians or all the Sacred and Divine Canons - by D. Cummings, 1957, p. 718.

ويقول البابا ديونيسيوس أيضاً:

(إن على الكاهن أن يمنع من دخول الكنيسة المرأة الواجب عليها أن تطهر) (كتاب الكنز الثمين لراعى الكنيسة الأمين أو تلخيص الحقوق الكنسية فى واجبات راعى الكنيسة، تأليف بطرس نتشايف الروسى، طبعة سنة ١٩٠٧ صفحة ١٣٧) .

ويقول الأنبا ميخائيل أسقف اتريب ومليج فى كتاب (الطب الروحانى) :

(وأما الشريعة الحديثة فإن الآباء يقولون فى المحارم: **ولله على جميع النساء المؤمنات النصرانيات الامتناع عن دخول الكنيسة وهن حائضات. وعليهن الامتناع عن أخذ القربان وهن فى علة الطمث حتى تنقضى عدة أيامهن**، إلا أنهن لا يتركن التسبيح فى بيوتهن وذكر الله وإن كن حائضات) (كتاب الطب الروحانى الجزء الأول، الباب العاشر، الفصل الأول: فى حالة الطمث) .

ويبدو أن مار اسطفان الدويهى قد اقتبس من هذا القانون قوله: (**وهكذا حرم الله أيضاً على النساء دخول الكنيسة وهن حائضات، وأوجب عليهن الامتناع عن القربان فى حالة الطمث إلى أن تنقضى عدة أيامهن**. لكن لا ينبغى أن يتركن التسبيح فى بيوتهن ولو كن حائضات لئلا يميلهن العدو لطريق الباطل) (منارة الأقداس لمار إسطفان الدويهى، الجزء الأول طبعة سنة ١٨٩٥ صفحة ٢٧٤) .

وورد فى القوانين التى وضعها المجمع الإكليريكى العام المقدس فى عهد البابا كيرلس الثالث، سنة ٩٥٥ للشهداء (١٢٣٩م):

(ويحرم دخول الحائضات إلى الكنائس فى وقت حيضهن) (انظر كتاب المجموع الصفوى لابن العسال ـ الفصل الثالث ـ الملحق) .

١٠٢ - غسل أرجل المرأة

سؤال :

هل يغسل الكاهن أرجل المرأة فى خميس العهد؟

الجواب :

إن غسل أرجل النساء تقوم به المرأة الشماسة - وليس الكاهن - وفى الكتاب المقدس ما ينص على أن المرأة الشماسة من مسئوليتها ومؤهلاتها «أن تكون غسلت أرجل القديسين» (١ - تيموثيئوس ٥ : ١٠).

وأما فى عيد الغطاس فالكاهن يلمس رأس المرأة بالماء، للبركة.

١٠٣ - ترنيمة «قام حقاً»

سؤال : من السيد / ميشيل جرجس عبد المسيح - مينيسوتا - امريكا

هل تقال ترنيمة (قام حقا) أثناء التوزيع بين عيدى القيامة والعنصرة.

الجواب :

نعم، يمكن أن تقال ترنيمة (قام حقا) أثناء التوزيع، **ولكن بعد أن يفرغ المرتلون من اللحن والمديح المناسب بتوزيع الأسرار المقدسة**، ثم المديح الخاص بالقيامة المعد لذلك وفقا لطقس الكنيسة وترتيبها فى أيام الخمسين المقدسة.

١٠٤ ـ القداس يتطلب روحانية الأداء ودقته

سؤال : من السيد / ميشيل جرجس عبد المسيح ـ مينيسوتا ـ أمريكا

هل يصح طقسيا أن يتصرف الكاهن بأن يحذف صلاة المجمع والأواشى، ويكتفى بقولها فى سره، توفيرا للوقت أو بسبب عامل السرعة والاستعجال ؟

الجواب :

إذا اكتفى الكاهن بأن يتلو بعض الصلوات دمجا أو سرا، فهو لم يحذفها، ولكنه لم يقلها جهرا.

نعم، إن بعض كهنتنا، لعله بقصد حسن، يختزل وقت الصلوات، تمشيا مع رغبات بعض الناس الفاترين فى العبادة وحتى يجذبهم ولا ينفرهم ـ فيما يرى ـ من الكنيسة وطقوسها. لكنه فيما يرضى البعض من الفاترين دينيا، يحرم المجموع كله من متعة أداء الصلوات على صورتها الصحيحة الكاملة.

فإذا وضع المصلوان فى اعتبارهم أن **يوم الأحد كله هو يوم الرب**، وجب على المؤمنين الجادين فى الدين أن يقضوا فى الكنيسة الوقت الكافى لأداء الصلوات كاملة، بروح العبادة الصادقة الأمينة.

إن كنيستنا كنيسة روحانية طقسية. **ويلزم للأداء الجيد شيئان : روحانية الأداء ثم دقة الأداء.** والقداس، وسائر الخدمات التى تباشر فى التعميد والتزويج وما إليها من أسرار وطقوس، سيمفونية جميلة فيها نصوص وفيها طقوس، وفيها فن وموسيقى وعبادة. والسيمفونية لا يبلغ الاستمتاع بها إلى حد النشوة الروحية مالم تؤد بروح الفن وجمال الأداء ودقته. ولذلك فإن أصحاب التذوق الفنى لا يجدون فى سرعة الأداء إلا اتلافا للقطعة الفنية وإفسادا لها، وهم يؤثرون عدم أدائها أصلا عن أدائها بصورة تتلفها وتشوهها وتذهب من جمالها الفنى.

إن أنصار السرعة فى الصلوات وأداء الطقوس يبررون مذهبهم المتلف للفن والجمال، بأن طريقتهم ترضى عجلة المتعجلين، لكن مذهبهم ومذهب العاطفين عليهم، سيقضى فى نهاية المطاف على روح الجمال فى العبادة.